نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

٢ - ٣

تحقيق

الدكتور مفيد قميحة

الدكتور حسن نور الدين

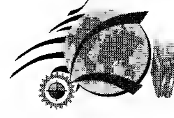
منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3883-9



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



الفن الثاني
في الإنسان وما يتعلق به

وهذا الفن قد اشتمل على معانٍ مؤنسة للسامع، مشنِّفة[١] للمسامع؛ مرصَّعة لصدور الطروس[٢] والدفاتر، جاذبةٍ لنوافر القلوب والخواطر؛ واضحةِ البيان، معربة عن وصف الإنسان.

فمن تشبيهاتٍ فائقة، وغَزَليّات رائقة، وأنسابٍ طاهرة، ووقائعَ ظاهرة، وأمثالٍ امتدّت أطنابها[٣]، وتبينَتْ أسبابُها، وأوابدَ[٤] جعلتها العرب لها عادةً ودليلًا، واتخذتها ضَلالة وتبديلًا، ونصبتها أحكامًا ونُسُكًا، وصيّرتها عبادة ومُدَاواة فتبوّأت بها من النار دَرَكًا[٥]، وشيءٍ من أخبار الكُهّان، وزَجْر عَبَدة الأوثان، وكناياتٍ نَقَلت الألفاظ إلى معانٍ أبهى من معانيها، وبَلَغت النفوسُ بعُذُوبتها غاية أمانِيها، وألغازٍ غوّرَتْ[٦] بالمعاني وأَنْجَدت[٧]، وأشارتْ إليها بالتأويل حتى إذا قرّبتها من الأفهام أبعدَتْ، ومدائحَ رفعتْ للممدوح من الفضل مَنَارًا، وأهاجِيَ صيَّرت المهجُوَّ

(١) المشنّفة: المطريّة، وشنّف الكلام: زيّنه.
(٢) الطروس: مفردها الطّرس، وهي الصحيفة.
(٣) الأطناب: مفردها طُنُب، وهو حبلٌ تشدّ به الخيمة إلى الوتد.
(٤) الأوابد: جمع آبدة، وهي القافية الشّاردة.
(٥) الدّرك: أسفل كلّ شيء ذي عمق.
(٦) غوّرت بالمعاني: أي ابتعدت بها وتعمّقت، والغور: ما انخفض من الأرض.
(٧) أنجدت: أي وضحت واستبانت، والنجد: ما أشرف من الأرض وارتفع.

من القوم يتوارى، ومُجُون ترتاح إليها عند خلوتها النفوس، ويبتسم عند سماعها ذو الوجهِ العَبُوس، وشيءٍ مما قيل في الخمر والمُعاقَرة، وأرباب الطَّرب وذوِي المسامرة، وتَهَانٍ نَشَرتْ من البشائر مُلَاء، ورفعتْ من المَحَامد لِوَاء، وتَعازٍ حسرَتْ نِقاب الحَسَرات، وأبرزتْ مَصُون العَبَرات.

وأوردتُ فيه نبذةً من الزهد والإنابة[١]، وجملةً من الدعَوات المستجابة.

وطرّزتُهُ بذكر مِلِك، مدّ رِواق العدل، ونشر لِواء الفضل، وقام بفُروض الجهاد وسُنَنه، وأراع العدُوّ في حالتي يقظته ووَسَنه[٢]، وعمّ الأولياء بمواصلة بِرّه وموالاة نَواله، وقهر الأعداء بمراسلة سِهامه ومناضلة[٣] نِصاله، وشَمِل رعاياه بعدله وجُوده، وأردف سَراياه[٤] بجيوشه وجُنُوده، فهو الملك الذي جَمَع بين شِدّة البأس، ولين النَّدى، وأزال مَرَارة الإياس، بحلاوة العطا.

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة: من نائبٍ[٥] ناهيك[٦] به من نائب! يكُفُّ بعزمه كَفَّ الحوادث ويفُلُّ[٧] بحَزْمه ناب النوائب، ويُنْصِف الضعيف من القويّ، ويفرّق ببديهته بين المُريب والبريّ؛ ويتفقّد أحوال الجيوش ويصْرِف همّته إليهم، ويجعل اهتمامه بهم وفكرتَهُ فيهم وتعويلَهُ عليهم، إلى غير ذلك من استكمال عَدَدها، والمطالبة بعَرْض خيولها وإصلاح عُدَدها، وسَدِّ ثغور الممالك، وضبط الطرق وتسهيل المسالك، وقَمْع

(١) الإنابة: يقال: أناب إلى الله: أي تاب ورجع.
(٢) الوسن: النّعاس.
(٣) المناضلة: المدافعة، يقال: ناضله: باراه في رمي السّهام، وناضل عنه: حامى ودافع.
(٤) السّرايا: مفردها سريّة: وهي القطعة من الجيش.
(٥) النائب: من قام مقام غيره في أمرٍ أو عمل.
(٦) ناهيك: كلمة يتعجّب بها، والمعنى: ناهيك به من نائبٍ يكفيك عن غيره.
(٧) يفلّ: فُلّ السّيف: تثلّم حدّه.

المفسدين، وإرغام المُلْحدين، وبث السَّرايا، وتيسير الأرزاق والعطايا. ووزير يشيِّد قواعد ملكه بحسن تدبيره وجميل سَدَاده، ويُعْمِل فكره فيما يستقرّ بسببه نِظامُ الملك على مِهادة[١]، ويأمر بتحصيل الأموال من جهات حِلِّها، ويقرّ مناصب الدّولة الشريفة في الكُفَاة من أهلها، ويتصفَّح الأقاليم والمعاملاتِ والأعمال، ويستكفِي لمباشرتها أمناءَ النظّار[٢] ومحقِّقي المستوفين وكُفَاةَ العمّال.

وقائد جيوش إن انتدبه للقاء عدوّ بَدَرَ[٣] الكتائب، وأنهل[٤] من دمائهم السُّمْر العوالي وعَلَا هامهم بالبيض القواضب[٥]، تتبعه عساكر تَنْفِرُ قلوبهم عن الفِرار، ويُحِلُّوا مَنْ قاتلهم من أعداء الله دارَ البَوَار، يَدَّرِعون السابِريَّة[٦] الذوائل، ويعتقلون السَّمْهريّة الذَّوابل[٧]، ويتقلّدون المَشْرَفية[٨] البواتر، ويتنكَّبون القِسِيَّ النواتر[٩]، ويمتطُون من كل جواد صَفَا منه أديمُه[١٠] وعيناه وحوافره، واتّسع منه جوفُه وجبهته ومنَاخِره، وطال منه أنفه وعنقه وذراعه، وقَصُر منه ظهره وساقه وعَسِيبه[١١] وامتدّ عند الحُضْر[١٢] باعه: فهو من أكرم الأصائل،

(١) المهاد: مفردها المهد، وهو السّرير، والمهاد: الأرض السهلة المستوية.
(٢) النظّار: مفردها «الناظر»، وهو الذي يتولّى عملًا إداريًا بارزًا في السياسة والإدارة وغيرهما، ناظر الخارجيّة، ناظر الشرطة...
(٣) بدر: أسرع وتقدّم.
(٤) أنهل: سقى، والسّمر العوالي: الرّماح.
(٥) القواضب: القواطع، والبيض: السّيوف.
(٦) السّابريّة: هي دروع دقيقة النسيج في إحكام، والذوائل: جمع ذائلة وهي الطويلة «القاموس».
(٧) السّمهريّة: الرماح الصلبة العود، المنسوبة إلى «سمهر» وهو رجل كان يقدّم الرّماح، وامرأته «ردينة» التي تنسب إليها الرّماح الدينيّة. والذوابل من الرّماح: الدقيقة.
(٨) المشرفيّة: سيوف تجلب من المشارف، منسوبة إليها، والبواتر: الماضية القاطعة.
(٩) النّواتر: مفردها ناترة وهي القوس تقطع وترها لصلابتها، وتنكّب: ألقى القوس على منكبه، والمنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد.
(١٠) الأديم: الجلد.
(١١) العسيب: عظم الذّنب، أو منبت الشعر منه.
(١٢) الحُضر: عدوٌ فيه وثبٌ.

والمعنيّ بقول القائل: [من المتقارب]

وَقَد أغْتَدِي قَبْلَ ضَوْء الصَّباحِ
ووِرْدِ القَطَا في الغُطَاطِ الحَثَاث(١)
بصافِي الثَّلاث عريضِ الثلاث
قصيرِ الثلاث طويلِ الثَّلاث

وذكرتُ ما ورد في فضل الرباط والجهاد، وما أعدّ الله تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطَّوارف والتِّلاد(٢)، وبذل الكريمين: (النفسَ والمال) لحسن المآل، وهجر الحبيبين: (الوطنَ والعِيال) لبلوغ الآمال.

ومِن قاضٍ يحكُم بين الناس بالعدل، ويقدّم ذوي النباهة والفضل.

ومتولِّي مظالمَ يردّها على أهلها بقهره وسلطانه، وسطوته وأعوانه.

وناظر حِسْبةٍ(٣) يُجرِي الأمور على قواعدها الشرعيّة(٤)، وأوضاعها العُرفيّة(٥) وقوانينها المَرْضيّة.

إلى غير ذلك:

من كاتب، ذي رأي صائب، وفهم ثاقب، انقادت له المعاني بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صَفَحات

(١) الغطاط: اختلاط ظلام آخر الليل بضياء أوّل النّهار، والقطاة: واحدة القطا، وهي نوعٌ من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، والحثاث: النوم الخفيف يسرع إلى العين.
(٢) الطارف والتليد: المال حديثه وقديمه.
(٣) الحسبة: منصب في الدّوَل الإسلامية القديمة كان يتولّاه مسؤول عن مراقبة الأسعار ونحوها «ناصر الحسبة».
(٤) الشّرعية: المنسوبة إلى أحكام الشرع الإسلامي.
(٥) العرفيّة: المنسوبة إلى العُرف: وهو سلوك تعارف عليه الناس في عاداتهم وتقاليدهم وتصرّفاتهم «الاصطلاح».

الحُسَام: [من الكامل]

لَوْ لاحـظَـتْ عـيـنُ ابـن أوْسٍ كُـتْبَـهُ

ما قال: «إنّ السّيف منها أصْدقُ»[١]

وكـاتِـب خـراج[٢] ضَـبَـط بـقـلمه الأمـوال، وحـرّر بـنَـبَاهته الغِلال، وبسط الموازين، ووضع القوانين، وفـصل بين الخراجيّ[٣] والهلاليّ[٤]، وميّز ما بين الأعمال والتوالي.

وما لا بدّ للملك منه من خواصّ[٥] جُبلتْ على محبّته قلوبُهم، وتجافَتْ عن المضاجع في خدمته جُنُوبُهم.

ومن معقِل[٦] شَمخ على الجوزاء بأنْفه، واتّخذ الثريّا وِشاحاً لعَطْفه[٧]، تَوَارى في قَرار التخوم أساسُه، ولاح للساري ككوكب الظلماء مِقْباسُه[٨]. فالأرض تدّعيه: لأنه ثبتَ على مناكبها، والسماء تنازعها فيه: لأنّه تمَنْطَق[٩] بكواكبها، والجبال تقول متى اتُّخِذت أحجارُه، والمياه تقول عليّ استقرّ قرارُه، وجفن السحاب يَهْمَع[١٠]

(١) ابن أوس: يريد أبا تمّام الطائي حبيب بن أوس، ويشير إلى قوله:

السّيف أصدقُ إنباءً من الكتب في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللّعب

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم بن هارون الرّشيد، ويذكر فتح عموريّة. «انظر ديوانه ص ١٤ دار صعب، بيروت».

(٢) الخراج: الجزية التي كانت تفرض على أهل الذمّة، أو على غلّة الأرض.

(٣) الخراجيّ: نسبة إلى الخراج.

(٤) الهلاليّ: عبارة عمّا تُستأدى أجوره مشاهرة، كأجر الأملاك المسقّفة من الآدرّ والحوانيت والحمّامات والأفران وغيرها.

(٥) الخواصّ: المقرّبون من الحاكم من وزراء ورجال ومستشارين.

(٦) المعقل: الحصن والقصر.

(٧) العطف: من الإنسان من لدن رأسِهِ إلى وركه.

(٨) المقباس: العود ونحوه ممّا تقبس به النّار.

(٩) تمنطق: شدّ وسطه بالمنطقة، وهي قطعة من جلدٍ أو قماش.

(١٠) يهمع: يهطل ويدمع.

لانحطاطه عن هذه الرتبة، والطير تقول إن لم أبلغه فقد اتّحَدَ به مَنْ بيني وبينه نِسْبَة.

وضمَّنتُ هذا الفن من المنقول ما يسهُل تعاطيه على الأفهام، ووضعتُه على خمسة أقسام.

القسم الأوّل

في اشتقاقه، وتسميته، وتنقّلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه، والغَزَل، والنَّسيب، والهوى، والمحبّة، والعشق، والأسباب

وفيه أربعة أبواب:

الباب الأوّل

من القسم الأوّل من الفن الثاني

في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، وما يتصل بذلك

فأمّا اشتقاقه وتسميته، فقد اختلف الناس في ذلك: هل هو من الأُنْس الذي هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس[1] الذي هو نقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذي هو نقيض الذِّكْر.

قال الشريف السيّد ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجري في «أماليه» (في المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابعَ عشرَ رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة) في شرح قول أعشى تَغْلِب[2]: [من الطويل]

وكانُوا أُناسًا يَنْفَحُون فأصبَحُوا وأكثَرُ ما يُعْطُونَكَ النظَرُ الشَّزْرُ[3]

قوله: «وكانوا أُناسًا ينفَحون» وزن أناس فُعال، وناس منقوص منه عند أكثر النحويّين: فوزنه عالٌ. والنقص والإتمام فيه متساويان في كثرة الاستعمال ما دام

---

(١) النَّوس: الحركة.

(٢) أعشى تغلب: هو كهمس بن قعنب بن وعلة بن عطيّة العكلي، أعشى بني عُكل، شاعرٌ كان في عصر جرير، من آثاره ديوان شعر: «المؤتلف والمختلف للآمدي: ص ١٨، دار الكتب العلمية، بيروت».

(٣) ينفحون: يعطون كرمًا، والنّظر الشّزر: أي صاروا ينظرون إلى الطالبين نظرة إعراض، أو غضب أو استهانة، ونظر شزرًا: أي نظر بمؤخّر عينه غضبًا أو إعراضًا.

منكورًا، فإذا دخلت عليه الألف واللام، التزموا فيه الحذفَ، فقالوا: «الناس» ولا يكادون يقولون: «الأُناس» إلّا في الشعر؛ كقوله: [من مجزوء الكامل المزمّل]

إنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْـ ـنَ على الأُناسِ الآمنينَا

وحجّة هذا المذهب وقوع الأُنس على الناس، فاشتقاقه من الأُنْس نقيض الوحشة؛ لأن بعضهم يأنس إلى بعض. وبه[١] أخذ بعض الشعراء في قوله: [من الطويل]

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لأُنْسِه ولا القلبُ إلا أنّه يتقلَّبُ

قال: وذهب الكسائيُ[٢] إلى أن «الناس» لغة مفردة، وهو اسم تامّ وألفه منقلبة عن واو، واستدلَّ بقول العرب في تحقيره نُوَيْس.

قال: ولو كان منقوصًا من أناس لردّه التحقير إلى أصله، فقيل: «أُنَيِّس».

وقال بعضُ مَنْ وافق الكسائيّ في هذا القول: إنه مأخوذ من النَّوس، مصدر ناس يَنُوس إذا تحرّك. ومنه قيل لملِك من ملوك حمير ذو نُوَاس[٣]: لضفيرتين كانتا تَنُوسان على عاتقه.

قال الفرّاء[٤]: والمذهب الأوّل أشبه، وهو مذهب المشيخة.

وقال أبو عليّ الفارسيّ[٥]: أصل الناس الأناس، فحذفت الهمزة التي هي فاء، ويدلّك على ذلك الإنْسُ والأَنَاسِيّ، فأمّا قولهم في تحقيره نُوَيْس فإن الألف لما

(١) لم نجد هذه الزّيادة في أمالي ابن الشجريّ، الموجود منها نسخة مخطوطة «بدار الكتب المصريّة».

(٢) الكسائي: أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي، المعروف بالكسائي، أحد القرّاء السّبعة، وإمامًا في النّحو واللّغة والقراءات، توفي سنة ١٨٩ هـ. «انظر: إعجام الأعلام: ص ١٧٣، دار الكتب العلمية».

(٣) ذو نواس: آخر ملوك حمير في اليمن، وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، كان يدين باليهودية. «فهرس الأعلام ٣/ ٨».

(٤) الفرّاء: هو يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكريا، إمام الكوفيّين وأعلمهم بالنّحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة، وتوفي في طريق مكّة سنة ٨٢٢ م، وكان فقيهًا ومتكلّمًا وعالمًا بأيّام العرب وأخبارها. «فهرس الأعلام: ٨/ ١٤٥».

(٥) أبو علي الفارسيّ: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أحد الأئمّة في علم العربيّة، ولد في «نسا» من أعمال فارس، وتجوّل في بغداد وكثير من البلدان وقدم حلب، فأقام مدّة عند سيف الدولة الحمدانيّ، له مؤلّفات ومصنّفات عديدة، توفي ببغداد سنة ٩٨٧ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٧٩».

صارت ثانية وهي زائدة أشبهت ألف فاعل، يعني: أنها أشبهت بكونها ثانية، وهي زائدة ألِفَ «ضارِب» فقيل: نويس، كما قيل ضويرب.

وقال سَلَمَة بن عاصم(١)، وكان من أصحاب الفراء: الأشبه في القياس أن يكون كلُّ واحد منهما أصلًا بنفسه فأناس من الأنس، وناس من النوس لقولهم في تحقيره نويس كبويب في تحقير باب.

هذا ما قاله ابن الشجريّ في أماليه.

وذهب أبو عمرو الشَّيبانيّ(٢): أنه مشتقّ من الإيناس، الذي هو بمعنى الإبصار؛ وحجّته قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: الآية ١٠]، أي أبصرت نارًا.

وذهب الكوفيّون(٣) إلى أنّه مشتقّ من النِّسيان، وحجّتهم أن أصله إنسِيَان، فحذفت الياء تخفيفًا وفتحت السين لأن الألف تطلب فتح ما قبلها، ولأن العرب حين صغّرته قالت فيه أُنَيْسِيان، فزادت الياء. والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، ولو لم تكن في المكبر لما رُدَّت في المصغَّر، وبه أخذ أبو تمام في قوله: [من الكامل]

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهود فإنما سُمِّيتَ إنسانًا لأنك ناسِي

وأنكر البصريّون(٤) ذلك، وقالوا: لا حجّة فيه، لأن العرب قد صغّرت أشياء على غير قياس، كما قالوا في تصغير رجل بمعنى راجل رُوَيْجل، وفي تصغير ليلة لُيَيْلِية، وفي تصغير عَشِيّة عُشَيْشة.

وقال ابن عبّاس: إنما سُمّي الإنسان إنسانًا لأنه عُهِد إليه فنَسِي.

وهذا هو الأرجح، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو سلمة بن عاصم النّحوي، أبو محمد، من أهل الكوفة، عالم بالعربيّة لهُ كتب منها: «معاني القرآن»، وغريب الحديث، توفي سنة ٩٢٢ م. «فهرس الأعلام: ٣/ ١١٣».

(٢) أبو عمرو الشيبانيّ: هو إسحٰق بن مرار الشيباني بالولاء، أبو عمرو، لغويٌّ أديب من رمادة الكوفة، سكن بغداد ومات بها سنة ٨٢١ م، له مصنّفات كثيرة منها: كتاب اللّغات، وكتاب الخيل، وكتاب «النوادر» و «غريب الحديث». «فهرس الأعلام: ١/ ٢٩٦».

(٣) الكوفيّون: أصحاب المذهب الكوفي التابع لمدرسة الكوفة «في اللغة والنحو والأدب»، وكانوا يحترمون كلام العرب، ولا يأخذون بالقياس.

(٤) البصريّون: أصحاب المذهب البصري التابع لمدرسة البصرة «في اللغة والنحو والأدب»، وكانوا يعملون بالقياس لضبط اللغة وقواعدها.

فصل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه صاحب العقد[١] في كتابه يرفعه إلى وهب بن منبِّه[٢] أنّه قال: قرأت في «التوراة» أن الله عزّ وجلّ حين خلق آدم رَكَّب جسده من أربعة أشياء، ثم جعلها وِرَاثَة في ولده، تنمى في أجسادهم، وينمون عليها إلى يوم القيامة. رَطْب، ويابس، وسُخْن، وبارد. قال: وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وماء، وجعل فيه يُبْسًا ورطوبة، فيبوسة كل جسد من قِبَل التراب، ورطوبته من قِبَل الماء، وحرارتُه من قِبَل النفس، وبرودته من قِبَل الروح. ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعةَ أنواع أُخَر وهي مِلَاكُ الجسد وقِوَامه، لا يقوم الجسد إلّا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلّا بأخرى: المِرّة[٣] السوداء، والمرّة الصفراء، والدم الرطب الحارّ، والبلغم[٤] البارد. ثم أسكن بعضَ هذا الخلق في بعض، فجعل مَسْكن اليبوسة في المِرّة السوداء، ومسكن الرطوبة في الدّم، ومسكن البرودة في البلغم، ومسكن الحرارة في المِرّة الصفراء، فأيّما جسدٍ اعتدلت فيه هذه الفِطَر الأربع وكانت كلُّ واحدة فيه وفقًا لا تزيد ولا تنقص، كَمُلت صحّته واعتدل بناؤه، فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وقهَرتْهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السُّقْم من ناحيتها بقدر ما زادت، وإن كانت ناقصة عنهنّ، مِلْن بها وعلونها وأدخلن عليها السُّقْم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعُف عن طاقتهنّ وتعجزَ عن مقاومتهنّ.

قال وهب: وجعل عقله في دماغه، وشَرَهه[٥] في كُلْيتيه، وغضبه في كبده، وصَرَامته[٦] في قلبه، ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثمائة وستّين مَفْصِلًا.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه، صاحب كتاب «العقد» الموسوم بالفريد، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ، يقول عنه الثعالبي في اليتيمة: «إنه أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلًا وأدبًا ومثلًا وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة». أصيب بالفالج في أواخر حياته، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ. «انظر مقدمة العقد: دار الكتب العلمية، بيروت».

(٢) هو وهب بن منبّه الأنباري الصنعانيّ الذماري، أبو عبد الله، مؤرّخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأوّلين، ولا سيّما الإسرائيليّات، ولد ومات بصنعاء سنة ٧٣٢ م. «فهرسُ الأعلام: ٨/ ١٢٥».

(٣) المرّة: خلطٌ من أخلاط البدن، وهو المسمّى المزاج.

(٤) البلغم: خلطٌ من أخلاط الجسم، وهو أحد الطبائع الأربع «قديمًا» أو اللّعاب المختلط بالمخاط الخارج من المسالك التنفسيّة.

(٥) الشّره: اشتداد الحرص على الطعام واشتهاؤه. (٦) الصّرامة: القسوة.

ويقال: إنما لُقِّب الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مَثَّلُوا رأسه بالفلك، ووجهه بالشمس إذ لا قِوام للعالَم إلّا بها كما لا قِوام للجسد إلا بالرُّوح، وعقلَه بالقمر لأنّه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثّلوا حواسَّه الخمسَ ببقية الكواكب السيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبَرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم[١]، وعروقه بالأنهار، ومغار عروقه بالعيون.

ومنها: أن فيه ما يشاكل الجمعة، والشهر، والأيام، والسنة.

أمّا أيام الجمعة، فإن بدنه سبعة أجزاء، وهي اللحم، والعظام، والعروق، والأعصاب، والدّمُ، والجلد، والشعر.

وأمّا الشهور، فإن لبدنه أثني عشر جزءًا مدبرةً: ستّة منها باطنة، وهي الدماغ، والقلب، والكَبِد، والطِّحال، والمعدة، والكُلْيتان؛ وستّة ظاهرة، وهي العقل، والحواسُّ الخمس؛ فهذه الاثنا عشر مقابلة لشهور السنة.

وأمّا الأيام، فإن فيه ثلاثمائة وستين عظمًا؛ منها ما هو لبِنْية الجسد مائتان وثمانية وأربعون عظمًا. والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع: الرأسُ، واليدان، والبدن، والرِّجْلان؛ ففي الرأس اثنان وأربعون عظمًا؛ وفي اليدين اثنان وثمانون عظمًا؛ وفي البدن أربعون عظمًا؛ وفي الرجلين أربعة وثمانون عظمًا؛ والباقي سُمْسُمانية[٢] لسدّ الفروج[٣] التي تكون بين العظام، وفيه ثلاثمائة وستّون عِرْقًا.

وأمّا فصول السنة: فإن فيه أربعة أخلاط طَبْعُها طبعُ الفصول الأربعة، فالدّم كالربيع في حرارته ورطوبته، والمِرّة الصفراء كالصيف في حرّه ويبسه، والمرّة السوداء كالخَرِيف في برده ويبسه، والبلغم كالشتاء في برده ورطوبته. وهذه الأخلاط[٤] من أوّل مزاج الأركان التي هي العناصر الأربعة، وهي: النار، والهواء، والماء، والأرض.

---

(١) الأقاليم: جمع إقليم، وهو قسم من الأرض، يختصّ بمميّزات معيّنة.

(٢) السّمسانيّة: نسبة إلى السّمسمان، وهو الخفيف اللطيف من كلّ شيء أو إلى السُّمسم: لصغرها.

(٣) الفروج: مفردها «فرج» وهو الشقّ والفتق.

(٤) الأخلاط: جمع خلط، وهو ما خالط الشيء، «وأخلاط البدن» أربعة: الدمّ، والمرّة الصفراء، والمرّة السّوداء، والبلغم.

فصل

وأمّا ترتيب أحواله، وتنقّل السنّ به إلى أن يتناهى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحجّ: الآية ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤].

وقال عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: الآية ٦٧].

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يكون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً[1] مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يبعثُ اللهُ تعالى مَلَكًا فيؤمَرُ بأرْبَع: برزقه وأجله وشقيّ أو سعيد» الحديث.

وعنه ﷺ أنّه قال: «وكَّلَ اللهُ بالرحم مَلَكًا، فيقولُ: أيْ ربّ نطفةٌ! أي ربِّ علَقةٌ! أي ربِّ مضغةٌ! فإذا أراد اللهُ أن يقْضِيَ خَلْقَها قال: أيْ ربِّ ذكَرٌ أم أنثى؟ أشقيٌّ أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ[2]؟ فيُكتَبُ كذلك في بطن أُمِّه».

خرّج ذلك البخاريّ في «صحيحه» في باب القَدر.

وقال الثعلبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: الآية ١٩]:

---

(١) المضغة: القطعة من اللّحم، صغيرة.

(٢) الأجل: الوقت يحدّد لانتهاء الشيء أو حلوله، يقال: جاء أجله: إذا حان موته.

«قالت الحكماء: يشتمل الإنسانُ من كونه نطفة إلى أن يهرَمَ ويموت على سبعة وثلاثين[١] حالًا، وسبعة وثلاثين اسمًا: نُطْفة، ثم عَلَقة، ثم مُضْغة، ثم عَظْمًا، ثم خَلْقًا آخر، ثم جَنِينًا، ثم وَلِيدًا، ثمّ رَضِيعًا، ثم فَطِيمًا، ثم يافِعًا، ثم ناشِئًا، ثم مُتَرَعْرِعًا، ثم حَزَوَّرًا، ثم مُراهِقًا، ثم مُحْتَلِمًا، ثم بالِغًا، ثم أمْرَدَ، ثم طارًّا، ثم باقلًا، ثم مُسَيْطِرًا، ثم مُصْرِخًا، ثم مُخْتَطًّا، ثم صُمُلًّا؛ ثم مُلْحِيًا، ثم مستريمًا، ثم مصعدًا، ثم مُجْتَمِعًا».

وقال غيره:

ما دام الولد في الرَّحِم، فهو جَنِين؛ فإذا وُلِد، فهو وَلِيد، وما دام لم يَسْتَتِمَّ سبعةَ أيام، فهو صَدِيغ: لأنِ لم يشتدّ صُدْغُه إلى تمام السّبعة، ثم ما دام يَرْضَع، فهو رَضِيع، فإذا قُطِع عنه اللبن، فهو فَطِيم؛ ثم إذا غلُظ وذهبت عنه تَرارة[٢] الرَّضاعة، فهو جَحْوَش.

قال الهذليّ[٣]: [من الوافر]

قَـتَـلْنَـا مَـخْـلدًا وابـنَـيْ حُـراقٍ ... وآخَرَ جَـحْـوَشًا فوقَ الـفَـطِـيـم[٤]

ثم إذا دَبَّ ونَمَا، فهو دارِج.

فإذا بلغ طُولُه خمسةَ أشبار، فهو خُمَاسيّ.

فذا سقطت رواضعُه، فهو مَثْغُور.

فإذا نبتت أسنانه بعد السُّقُوط، فهو مُثَّغِر ومتَّغِر معًا.

فإذا تجاوز[٥] عشر سنين أو جاوزَها، فهو مترعْرِع وناشيء.

فإذا كاد أن يبلُغَ الحُلُم أو بلغه، فهو يافِعٌ ومراهِق.

---

(١) البيانات التالية بعده، سبعة وعشرون، فلعلّها محرّفة عنها.

(٢) الترارة: امتلاء الجسم، وتروّي العظم.

(٣) الهذلي: هو المعترض بن حبواء الضفري.

(٤) ورد هذا البيت في «شرح أشعار الهذليين: ٢/٦٧٨»، وقد جاء في الشّرح: كانت بنو ظفر من بني سليم وبنو خناعة، حربًا، فدلّ رجلٌ من بني خناعة بني ظفر على بني وائلة بن مطحل، وهمّ بالقدوم من نعمان فبيّتوهم، فقتلوا ابني وائلة: خالدًا ومخلّدًا، وصبية ثلاثة من بني حُراق، فقال المعترض بن حبواء الظفري هذا البيت. والجحوش: الصبيّ ابن ثلاث أو أربع سنين. «انظر كذلك فقه اللغة للثعالبي: ص ٨٢، دار الكتب العلمية».

(٥) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل، وفي فقه اللغة للثعالبي ص ٨٢: «فإذا كاد يجاوز العشر السّنين أو جاوزها فهو مترعرعٌ وناشيء»، وهو الصّواب.

فإذا احتلم(١) واجتمعَتْ قوّتُه، فهو حَزَوّر؛ واسمه في جميع هذه الأحوال التي تقدّم ذكرها غُلَام.

فإذا اَخَضَرّ(٢) شاربه وأخذ عِذارُه(٣) يَسِيل، قيل فيه قد بَقَل(٤) وجهُه.

فإذا صار ذا فَتَاءٍ، فهو فتًى وشارخ(٥).

فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غايةَ شبابه، فهو مجتمِع.

ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين، فهو شابٌّ، ثم هو كَهْل إلى أن يستوفِيَ الستّين.

فصل في ظهور الشّيب وعمومه(٦)

يقال للرجل أوّلَ ما يظهر به الشيبُ، قد وَخَطَه(٧) الشّيب.

فإذا زاد، قيل خَصَّفه(٨) وخَوَّصه.

فإذا ابيضَّ بعضُ رأسه، قيل: قد أخْلَس رأسُه، فهو مُخْلِس.

فإذا غلب بياضُه سوادَه، فهو أغثَمُ.

فإذا شَمِطت(٩) مواضعُ من لحيته، قيل: وخَزَه القَتير(١٠) ولَهزه.

---

(١) في فقه اللغة ص ٨٢: «فإذا أدرك».

(٢) اخضرّ شاربه: اسودّ.

(٣) العذار: جانب اللحية.

(٤) بقل وجهه: نبتت لحيته.

(٥) الشارخ: الشّابّ.

(٦) قوله (فصل في ظهور الشيب وعمومه): مَن تصفّح هذا الفصل المركّب من أربع صفحات ظهر له أن مضامينه ملفّقة تلفيقًا: فإنه افتُتح بذكر الشيب. وبعد أسطر قطع الكلام في الشيب وقال: (وقيل ما السرور؟) فكتب سطرًا واحدًا ثم قال: (وأما النفس الغضبية) فكتب سطرًا واحدًا عنها ثم قال: (وقيل لحصين بن المنذر ما السرور الخ). ثم بعده (وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ). ثم رجع وقال: (وأما النفس البهيمية) وبعدما كتب عنها نحو نصف صفحة قال: (وقيل لامرىء القيس ما السرور) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان وهكذا إلى آخر الفصل. وظاهر أن تقسيم النفس إلى غضبية وبهيمية لا علاقة له بالشيب وكذلك اختلاف الناس فيما هو السرور. مع أن المؤلف عاد فعقد للشيب في ص ٢١ فصلاً خاصًا أسهب فيه القول أيّما إسهاب.

(٧) وخطه الشيب: خالط سواد شعره.

(٨) في فقه اللغة للثعالبي ص ٨٣: «قد خَصَفه»، دون تشديد «الصّاد».

(٩) شمطت: اختلط شعرها الأسود والأبيض.

(١٠) القتير: أوّل ما يظهر من الشّيب، وهو رؤوس المسامير في الدّرع، ولهزه: طعنه، ولهزه الشّيب: خالط سواد شعره.

فإذا كثُر فيه الشيبُ وانتشر، قيل: فيه قد تقشَّع[١] فيه الشيبُ.

ويقال أيضًا: شابَ الرجل، ثم شَمِط، ثمّ شاخَ، ثم كَبِر، ثم توجَّه، ثم دَلَف، ثم دَبَّ، ثم مَجَّ، ثم هَدَج، ثم ثَلَّب، ثم الموت.

وقيل: ما السرور؟ قال: إدراكُ الحقيقة، واستنباط الدَّقيقة.

* * *

وأما النفس الغضبية، فهمُّ صاحبها منافَسَة الأكْفاء[٢] ومغالبة الأقْران ومكاثرة العشيرة.

ومن ذلك ما أجاب به حضين بن المنذر[٣]، وقد قيل له: ما السُّرور؟ قال: لواءٌ منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليكَ أيها الأمير.

وقيل للحسن بن سهل[٤]: ما السرور؟ قال: توقيعٌ جائز، وأمرٌ نافذ.

وقيل لعبد الله بن الأهتم[٥]: ما السرور؟ قال: رفعُ الأولياء، ووَضْع الأعداء، وطول البقاء، مع الصحَّة والنماء.

وقيل لزياد[٦]: ما السرور؟ قال: من طال عُمُره، ورأى في عدوّه ما يسُرُّه.

---

(١) كذا بالأصل، وفي فقه اللغة ص ٨٣: «قد تفشّع» وهو الصّواب، قال في القاموس: وتفشّع فيه الشيب أو الدم: انتشر وكثر.

(٢) الأكفاء: مفردِها كفء، وهو المماثل.

(٣) هو حضين بن المنذر بن الحارث الذهلي الشيباني الرّقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان، تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي، كان صاحب راية عليّ بن أبي طالب يوم صفّين، توفي سنة ٧١٥ م. «فهرس الأعلام: ٢/ ٢٦٣».

(٤) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسيّ، أبو محمّد، وزير المأمون العبّاسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره، اشتهر بالذّكاء المفرط، والأدب والفصاحة والكرم وحسن التوقيعات، توفي سنة ٨٥١ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٩٢».

(٥) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميميّ المنقري، من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، ولد ونشأ بالبصرة، وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمّه، مات بعد أن كفّ بصره سنة ٧٥٠ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٩٧».

(٦) لعلّه زياد بن أبيه، الأمر، من الدّهاة والقادة الفاتحين والولاة، وهو من الخطباء المشهورين. «انظر فهرس الأعلام ٣/ ١٥٣».

وقيل لأبي مسلم[(١)]، صاحب الدعوة: ما السُرور؟ قال: ركوب الهَمَالجة[(٢)]، وقتل الجبابرة. وقيل: ما اللذَّة؟ قال: إقبال الزمان، وعِزُّ السلطان.

* * *

وأمّا النفس البهيمة، فهمُّ صاحبها طلبُ الراحة، وانهماك النَّفْس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح.

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرْسُ دهرها كلَّه، فقالوا:

يوم المَطَر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدّجْن[(٣)] للصيد، ويوم الصَّحْو للجلوس.

وقيل: ولما بلغ ابن خالويه[(٤)] ما قسمته الفرس من أيّامها قال: ما كان أعْرَفَهم بسياسة دنياهم! ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الرُّوم: الآية ٧].

ولكنّ نبيّنا ﷺ جَزَّأ نهارَه ثلاثةَ أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه؛ ثم جَزَّأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصّة على العامّة، ويقول: «أبْلِغُوا حاجةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إبلاغي، فإنّه مَنْ أبلغ حاجةَ مَنْ لا يستطيع، آمنه الله يوم الفَزَع الأكبر».

قالوا: والطبيعة البهيمية هي أغلبُ الطبائع على الإنسان: لأخذها بمَجَامع هواه، وإيثار الراحة وقلّة العمل.

ومن ذلك قولهم: الرأي نائم، والهوى يقظانُ، وقولهم: الهوى إلهٌ معبودٌ.

---

(١) أبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمٰن بن مسلم، مؤسس الدولة العباسيّة وأحد كبار القادة، ولد في «ماه البصرة»، ممّا يلي أصبهان، كان فصيحًا في العربية والفارسية، قتل سنة ٧٥٥ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣٣٧».

(٢) الهمالجة: الهملاج: ما ذلّل وسلس قياده من الدّواب.

(٣) الدّجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السّماء.

(٤) ابن خالويه: هو الحسين بن أحمد أبو عبد الله، لغويّ، من كبار النحاة، أصله من همذان، استوطن حلب، وأحلّه بنو حمدان منزلة رفيعة، وتوفي في حلب سنة ٩٨٠ م، له مؤلّفات عدّة منها: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، وليس في كلام العرب. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٣٠».

ومن ذلك ما أجاب به أمرؤ القيس، وقد قيل له: ما السرور؟ فقال: بيضاء رُعْبُوبة(١)، بالطيب مَشْبوبة(٢)، باللحم مَكْروبة(٣). «وكان مفتونًا بالنساء».

وقيل لأعشى بكر(٤): ما السرور؟ قال: صَهْباءُ صافية، تَمْزُجُها ساقية، من صَوْب غادية(٥). «وكان مغرمًا بالشراب».

وقيل لطَرَفة بن العبد: ما السرور؟ قال: مَطْعم هَنِيّ، ومَشْرَب رَوِيّ، ومَلْبَس دَفِيّ، ومَرْكَب وَطِيّ. «وكان يؤثر الخفض(٦) والدَّعة»، وهو القائل: [من الطويل]

فلولا ثَلَاثٌ هنّ من عِيشةِ الفتى ... وعَيْشِك! لم أحْفِلْ متى قام عُوَّدي(٧)
فمنهنّ سبقي العاذلات بشَرْبة ... كُمَيتٍ متى ما تُعلَ بالماء تزبدِ(٨)
وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبا ... كسيدِ الغَضَا نبَّهْتَه المتورِّدِ(٩)
وتقصيرُ يوم الدَّجن والدَّجنُ مُعْجِب ... ببَهْكَنةٍ تحت الخِبَاء المُعَمَّد(١٠)

وسمع هذه الأبياتَ عمر بن عبد العزيز فقال: وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُوَّدي: لولا أن أعدِل في الرعيّة، وأقسِم بالسويَّة، وأنفِرَ في السَّرِيَّة(١١).

وقال عبد الله بن نَهِيك، عفا الله تعالى عنه: [من الطويل]

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى ... وعَيْشِك لم أحْفِل متى قام رامسُ(١٢)
فمنهنّ سَبْقُ العاذلات بشربة ... كأنَّ أخاها مطلَعَ الشمس ناعِسُ(١٣)

---

(١) الرعبوبة: الغضّة البيضاء الممتلئة الجسم والطويلة.
(٢) المشبوبة: المضمّخة بالطيب. (٣) المكروبة: المثقلة باللحم.
(٤) أعشى بكر: هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل الشاعر الجاهلي المشهور، وأحد أصحاب المعلّقات، كان مفتونًا بالخمر والنساء والقمار، أدرك الإسلام ولم يسلم. «انظر المؤتلف والمختلف للآمدي، ص ١٢».
(٥) الغادية: السّحابة تنشأ فتمطر غدوة. (٦) الخفض: الدعة والحياة الوادعة المنعّمة.
(٧) العوّد: جمع عائد، وهو الزّائر للمريض.
(٨) العاذلة: اللائمة، والشربة: الجرعة، والكميت: الخمرة التي فيها سوادٌ وحمرة.
(٩) الكرّ: العطف، والمضاف: الخائف المذعور، والمضاف: الملجأ، والمحنّب: الذي في يده انحناء، السيّد: الذئب، والغضا: شجر، والمتورّد: المتقدّم لورود الماء.
(١٠) الدّجن: الغيم، البهكنة: المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة، وفي الديوان الطّراف بدل الخباء. «انظر ديوان طرفة ص ٣٣، دار صادر».
(١١) انفر في السّرية: أي أتقدّم الجيش للجهاد، والسّريّة: القطعة من الجيش.
(١٢) أحفل: أهتمّ، والرّامس: من الرّمس وهو القبر.
(١٣) العاذلات: اللائمات، والناعس: الذي أخذه فتورٌ في أعضائه وحواسه.

ومنهنّ تجريدُ الكَواعب كالدُّمى إذا ابْتُزَّ عن أكفالهنّ الملَابِسُ[(١)]
ومنهنّ تقريط الجَوَاد عِنانَه إذا ابتدر الشخصَ الخفيّ الفوارسُ[(٢)]

وقيل ليزيد بن مزيد[(٣)]: ما السرور؟ فقال: قُبْلة على غفلة.

وقيل لحُرقَة بنت النعمان: ما كانت لذّةُ أبيك؟ قالت: شربُ الجِرْيال[(٤)]، ومحادثة الرجال.

وقيل للحسن بن هانىء[(٥)]: ما السرور؟ فقال: مجالسة الفِتْيان، في بيوت القيَان، ومنادمة الإخوان، على قُضُبِ الرَّيْحَان؛ ثمّ أنشد: [من مجزوء الرمل]

قلتُ بالقُفْص لموسى ونَدَامايَ نِيَامُ[(٦)]
يا رضيعي ثدي أمٍّ ليس لي عنه فِطَامُ
إنما العَيْشُ سَمَاعٌ ومُدَامٌ ونِدَامُ
فإذا فَاتَكَ هذا فعلى الدُّنيا السلامُ!

الباب الثاني
من القسم الأوّل من الفن الثاني
في وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها

وما وصف به طِيب الريق والنَّكْهة، وحسن الحديث، والنَّغْمة، واعتدال القدود[(٧)]، ووصف مَشْي النساء، وهو مرتّب على ترتيب بِنْية الإنسان في المذكّر والمؤنّث.

* * *

(١) الكواعب: مفردها «كاعب» وهي الفتاة التي نهد ثديُها وأشرف، والدّمى: مفردها دمية: وهي الفتاة المزيّنة الحسنة الخلق والمظهر، والكفل: العجُز في الإنسان.
(٢) تقريط الجواد عنانه: أي وضع اللجام وراء أذن الجواد عند الركض.
(٣) هو يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانيّ، أبو خالد، أمير من القادة الشجعان، أخبار كرمه وشجاعته مشهورة، وقد انتدبه الرشيد لقتال الخارجين عليه. توفي بـ «بردعة» من بلاد أذربيجان سنة ٨٠١ م. «فهرس الأعلام ٨/ ١٨٨».
(٤) الجريال: صبغٌ أحمر، وهو هنا: الخمر.
(٥) الحسن بن هانىء: هو الشاعر المشهور بأبي نواس، شاعر العراق في عصره، وشاعر الخمرة والمجون، وهو من كبار الشعراء في العصر العباسي، توفي سنة ٨١٤ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٢٥».
(٦) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه، ومجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. «معجم البلدان ٤/ ٣٨٢».
(٧) القدود: جمع قدّ وهو القوام.

فأمّا الشَّعَر وما قيل فيه، قال الثعالبيّ عن أئمّة اللغة:

العَقِيقة، الشَّعَر الذي يولَدُ به الإنسان.

الفَرْوة، شعر معظم الرأس.

الناصِيَة، شعر مقدّم الرأس.

الذُّؤابة، شعر مؤخَّر الرأس.

الفَرْع، شعر رأس المرأة.

الغَدِيرة، شعر ذُؤابتها.

الغَفَر، شعر ساقها(١).

الدَّبَب، شعر وجهها.

الوَفْرة، ما بلغ شحمةَ الأذن من الشعر.

اللِّمَّة، ما ألَمَّ بالمَنْكِب(٢) منه.

الطُّرَّة، ما غشَّى الجَبهة منه.

الجُمَّة والغَفْرة، ما غطَّى الرأس منه.

الهُدْب، شعر أشفار العين.

الشارب، شعر الشَّفَة العليا.

العَنْفَقَة، شعر الشفّة السُّفلى.

المَسْرَبة، شعر الصدر. وفي الحديث أنّه كان عليه الصّلاة والسلام دقيق المَسْرَبة.

الشِّعْرة، العانة.

الإسْب، شعر الاست.

الزَّبَب، شعر بدن الرجل. ويقال: بل هو كثرة الشعر في الأذنين.

* * *

(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٢، الغفر: الشعر الناعم.
(٢) المنكب: من الإنسان مجتمع رأس الكتف والعضد.

فصل في تفصيل أوصافه

يقال: شعر جُفَال، إذا كان كثيرًا.

ووَحْفٌ، إذا كان متّصلًا.

وكَثٌّ، إذا كان كثيرًا كثيفًا مجتمعًا.

ومُعْلَنِكس، ومُعْلَنْكك، إذا زادت كثافَتُه[1].

ومُنْسدِر، إذا كان منبسطًا.

وسَبِط، إذا كان مستَرْسِلًا.

ورَجْل، إذا كان غير جَعْد ولا سبط.

وقَطَطٌ، إذا كان شديد الجُعُودة.

ومُقْلَعِطٌّ، إذا زاد على القَطَط.

ومُفَلْفَل، إذا كان نهايةً في الجُعُودة كشعر الزِّنج.

وسُخَام، إذا كان حسنًا لَيِّنًا.

ومُغْدَوْدِن، إذا كان طويلًا ناعِمًا.

وقال الأصمعيّ[2]: من لم يَخِفَّ شعره قبل الثلاثين لم يَصْلَع أبدًا؛ ومن لم يحمل اللحمَ قبل الثلاثين لم يحمله أبدًا.

* * *

ومما وُصف به الشَّعَرُ، قال نصر بن أحمد[3]، عفا الله تعالى عنه: [من الخفيف]

سَلْسَل الشَّعْر فوقَ وجهٍ فحاكى ظُلْمَةَ الليل فوقَ ضَوْء الصَّباحِ

---

(١) في فقه اللغة ص ٩٣: «ومُعلنكس ومعلنكك»: إذا زادت كثاثته وهو الأصوب.

(٢) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته بالبصرة سنة ٨٣١ م، له مؤلفات عديدة، وكان يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. «فهرس الأعلام ٤/ ١٦٢».

(٣) هو نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري، أبو القاسم، شاعر غزل، علت شهرته ويعرف «بالخبزأرزي»، وكان أميًا يخبز «خبز الأرز»، توفي سنة ٩٣٩ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٢١».

وقال ابن الروميّ: [من المنسرح]

وفـاحـم واردٍ يُـقَـبِّـلُ مَـمــ ـشاه إذا اخْتالَ مُرْسِلًا غُدُرَهْ[١]
أقْبَـلَ كـالـلَّيْـل مـن مَـفَـارِقـه مـنـحـدِرًا لا يَـذُمُّ مـنـحَـدَرَهْ
حـتَّـى تـنـاهـى إلـى مَـوَاطِـئِه يَلْثِمُ من كلِّ مَوْطِىء عَفَرَهْ[٢]
كـأنّـه عـاشِـقٌ دَنَـا شَـغَـفًـا حتّى قضى من حَبِيبه وَطَرَهْ[٣]

وقال فتح الدّين بن عبد الظاهر[٤]: [من السريع]

حَـلَّ ثـلاثًـا يـوم حَـمَّـامِـه ذوائبًا يَعْبَقُ منها الغَوالْ[٥]
فـقـلـتُ والـقَـصْـدُ ذُؤابـاتُـه يا سَهَرِي في ذي اللَّيالِ الطِّوالْ!

وقال آخر: [من السريع]

قـد عُـلِّق الـقـلـب بـدَبُّـوقـةٍ وجُنّ منها فهو مَفْتونُ؟[٦]
واعـجَبًا لِلْعِشْـق في حُكْمِه بـشَـعْـرة قُـيِّـد مَـجْـنُـونُ!

وقال آخر: [من الطويل]

رأيـتُ عـلى قَـدِّ الـحَـبِيـبِ ذُؤابـةً فعَيْنِي على تلك الذُّؤابة تَهْمَعُ[٧]
يقول لِيَ الواشُونَ: ما لَكَ باكِيًا؟ فقلت: بِعَينِي شَعْرةٌ فهي تَدْمَعُ[٨]

وقال آخر: [من السريع]

وشَـعْـرةٍ عـايَـنَـهـا نـاظِـري عـلى قَـوَامِ مـائِس الـخَـطْـرَهْ[٩]
فـسـالَ دَمْـعًـا وَهْـمـي جَـفْـنُـه والـدَّمْعُ لا شَـكَّ مـن الـشَّـعْـرَهْ

(١) الفاحم: الشعر الأسود، والغدر: مفردها غديرة وهي الذؤابة المضفورة من شعر المرأة.
(٢) عفره: العفر: وجه الأرض، والتراب. (٣) الوطر: الحاجة.
(٤) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذاميّ السّعدي محيي الدّين، قاضٍ أديب مؤرّخ، من أهل مصر مولدًا ووفاةً، كان كاتب الإنشاء في الدّيار المصرية له كتب عدّة، منها: الروضة البهيّة الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، وله شعر حسن. توفي سنة ١٢٩٣ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٨».
(٥) الغوال: الطيب. (٦) الدّبوقة: الشعر المفتول المضفور.
(٧) تهمع: تدمع.
(٨) الواشون: مفردها واشٍ، وهو النمام الكذّاب.
(٩) عاينها: أبصرها، والخطرة: من خطر يخطر: تبختر في مشيته.

وقال آخر: [من الكامل]

ولَرُبَّ مَمْشُوقِ القَوَامِ تَضُمُّه ... ممشوقةٌ فَتَعَانَقَا غُصْنَيْنِ
أرْخَتْ ذوائبَها وأسبلَ شَعْرَه ... فتقابَلَا قمرَيْن في لَيْلَيْنِ!

* * *

ومما وُصِفت به شعورُ النساء، قال بكر بن النطّاح[1]: [من الكامل]

بَيْضاءُ تسْحَبُ من قِيامٍ فَرْعَها ... وتَغيبُ فيه فَهْو جَثْلٌ أسْحَمُ[2]
فكأنَّها فيه نهارٌ ساطِعٌ ... وكأنَّه لَيْلٌ عليها مُظْلِمُ

وقال آخر: [من الكامل]

نشرَتْ عَلَيَّ ذوائبًا من شَعْرِها ... حَذَرَ الكَواشِحِ والعَدُوّ المُحْنَقِ
فكأنّني وكأنها وكأنّهُ ... صُبْحانِ باتَا تحت ليلٍ مُطْبِقِ

وقال عمرُ بن أبي ربيعة: [من الطويل]

سَبَتْه بوَحْفٍ في العقَاص كأنَّهُ ... عَنَاقِيدُ دَلَّاهَا من الكَرْمِ قاطِفُ[3]
أسِيلاتُ أبدانٍ دقاقٌ خُصُورُها ... وَثِيراتُ ما التفَّتْ عليه المَلَاحِفُ[4]

وقال المتنبّي: [من الطويل]

ومَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتُها من ثِيابِها ... كَسَاها ثِيابًا غَيْرَها الشَّعَرُ الوَحْفُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

دَعَتْ خَلاخيلُها ذوائِبَها ... فجِئْنَ مِن فَرْقِها إلى القَدَمِ[5]

---

(١) هو بكر بن النطّاح الحنفي، أبو وائل، شاعر غزل، من فرسان بني حنيفة من أهل اليمامة، انتقل إلى بغداد في عصر الرّشيد، ومدح أبا دلف العجلي، فأجرى عليه رزقًا إلى أن توفي سنة ٨٠٨ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٧٠».
(٢) الجثل: الشعر إذا طال وغلظ والتفّ، والأسحم: الأسود.
(٣) سبته: أسرته بجمالها، والوحف: الشعر الكثير الأسود، والعقاص: خيطٌ تشدّ به أطراف الذّوائب.
(٤) الأسيل: ما ملس واستوى، والوثير: الرابي المكتنز.
(٥) الخلاخيل: جمع خلخال، وهي حلية من فضة أو نحوها تجعلها المرأة في رجلها. والفَرْق: الخطّ الفاصل بين صفّين من شعر الرأس.

وقال في أخرى: [من الكامل]

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها ... في لَيْلةٍ فأرَتْ لَيالِيَ أرْبَعا

واسْتَقْبَلَتْ قمَرَ السماءِ بوجْهِهَا ... فأرَتْنِي القَمرَيْنِ في وَقْتٍ مَعَا

وقد ألَمَّ في ذلك بقول ابن المعتزّ: [من الطويل]

سَقَتْنِي في لَيْلٍ شَبِيهٍ بشَعْرِها ... شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ

فأمْسَيْتُ في لَيْلَيْنِ بالشَّعْرِ والدُّجَى ... وَشَمْسَيْنِ من خَمْرٍ وخَدِّ حَبِيب

وقال ابن المعتزّ: [من الوافر]

فلَمَّا أنْ قَضَتْ وَطَرًا وهَمَّتْ ... على عَجَلٍ بأخْذٍ للرِّداءِ[1]

رأتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ على تَدَانٍ ... فأسْبَلَتِ الظَّلامَ على الضِّياءِ

وغابَ الصُّبْحُ مِنْها تحتَ ليلٍ ... وظَلَّ الماءُ يَقْطُرُ فَوْقَ ماءِ

وقال ابن لَنْكَك[2]: [من البسيط]

هَلْ طالبٌ ثَأرَ مَنْ قد أهْدَرَتْ دَمَهُ ... بيضٌ، عليهنّ نَذْرٌ قتلُ مَنْ عَشِقا؟

مِنَ العقائل ما يَخْطِرْنَ عن عُرُضٍ ... إلَّا أرَيْنَكَ في قَدٍّ قَنًا وَنَقَا[3]

رَوَاعِفٌ بخُدُودٍ زانَها سَبَجٌ ... قد زَرْفَنَ الحسنُ في أصداغِها حَلَقا[4]

نَواشِرٌ في الضُّحَى من فَرْعِهَا غَسَقًا ... وفي ظَلام الدُّجَى من وَجْهها فَلَقا[5]

أعَرْنَ غِيدَ ظِباءٍ رُوِّعتْ غَيَدًا ... والوَرْدَ تَوْرِيدَ خدٍّ والمَهَا حَدَقَا[6]

---

(١) قضت وطرًا: أنجزت حاجة.

(٢) ابن لنكك: هو أبو الحسن محمد بن محمد البصريّ، فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه، أجاد في المقطوعات القصيرة، وأمّا القصيد فلم ينجح في نظمه. «انظر اليتيمة ٢/ ٤٠٧».

(٣) العقائل: النساء الكريمات المصونات. ويخطرن: يتبخترن، ونظر إليه من عُرُض: أي من جانب، والقنا: الرّمح، والنّقا: الكثيب من الرّمل، يريد: أنه يرى قوامًا كالرّمح، وأردافًا كأنها كثب الرمل.

(٤) الرواعف: من رعف: وهو الدم الذي يسيل، يريد أن خدودهنّ حمراء كأنّ الدم قد سال عليها، والسّبج: الخرز الأسود وزرفن صدغيه: جعلهما كالزّرفين وهو حلقة الباب، والصّدغ: ما بين العين والأذن.

(٥) الغسق: ظلمة الليل، والفلق: الصّبح ينشق من ظلمة الليل، يريد أن شعرها ليل في نهار، ووجهها نهارٌ في ليل.

(٦) الغيد: النعومة في التّمايل، والمها: مفردها المهاة: وهي البقرة الوحشيّة.

وقال ابن دُريد الأزديّ[١]: [من الكامل]

غرّاءُ لو جَلَتِ الخُدودُ شُعاعَها ... للشَّمْس عند طُلُوعها لم تُشْرِقِ[٢]

غُصْنٌ على دِعْصٍ تأَلَّقَ فَوْقَهُ ... قمرٌ تألَّقَ تحتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ[٣]

لو قِيل للحُسْنِ: ٱحْتَكِمْ لم يَعْدُها ... أو قيل: خاطِبْ غَيْرَها! لم يَنْطِقِ[٤]

فكأنّنا مِن فرعها في مَغْرِبٍ ... وكأنّنا من وَجْهِها في مَشْرِقِ[٥]

وقال آخر: [من الوافر]

جُعودةُ شعرها تَحْكِي غَدِيرًا ... يُصَفِّقه الجَنوبُ مع الشَّمالِ[٦]

ذكر ما قيل
في الشّيب والخضاب من المدح والذمّ

فأمّا مدح الشَّيْب، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ شابَ شَيْبَةً في الإسلام كانتْ له نُورًا يومَ القِيامةِ».

وقال ابن أبي شيبة[٧]: «نهى رسول الله ﷺ عن نَتْفِ الشَّيْب، وقال: هو نور المؤمِن».

وفي الحديث عن النبيّ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَنْ رأى الشَّيْب إبراهيمُ الخليل عليه السّلام، فقال: يا ربِّ ما هذا؟ فقال له: الوقارُ، فقال: ربِّ زِدْني وِقارًا».

وتأمّل حكيمٌ شيبَه فقال: مرحبًا بزَهْرة الحُنْكة[٨] ويُمْن الهدى ومقدِّمة العفَّة ولباس التّقوى.

---

(١) ابن دريد: هو محمد بن الحسن الأزديّ، أبو بكر، من أئمّة اللغة والأدب، وكانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشّعراء، ولد في البصرة وأقام في بغداد إلى أن توفي سنة ٩٣٣ م، من مؤلّفاته: الاشتقاق. «فهرس الأعلام ٦/ ٨٠».

(٢) الغرّاء: البيضاء.

(٣) الدّعص: القطعة من الرّمل المستديرة.

(٤) لم يعدُها: أي لم يتجاوزها.

(٥) الفرع: الشعر الأسود الفاحم.

(٦) الجنوب: الرّيح الجنوبية والشّمال: الريح الشمالية، ويصفّقه: يحرّكه.

(٧) ابن أبي شيبة: هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسيّ، أبو بكر، حافظ للحديث، له فيه كتب منها «المسند، والمصنّف في الأحاديث»، وغيرها. توفي سنة ٨٤٩ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١١٧».

(٨) الحنكة: التجربة والبصر بالأمور.

وقيل: دخل أبو دُلَف[1] على المأمون وعنده جارية له، وكان أبو دُلَف قد ترك الخِضاب، فأشار المأمون إلى الجارية، فقالت له: شِبْتَ يا أبا دُلَف، إنا لله وإنّا إليه راجعون، فسكتَ عنها أبو دلف، فقال له المأمون: أجبها، فقال: [من البسيط]

تهزَّأتْ إذ رأتْ شَيْبي فقلتُ لها لا تَهْزَئي مَنْ يَطُلْ عمرٌ به يَشِبِ!
شَيْبُ الرِّجالِ لهم زَيْنٌ ومَكْرُمَةٌ وشَيْبُكنّ لكُنَّ الويلُ فاكتَئِبي!
فينا لكُنَّ ـ وإن شَيْبٌ بَدَا ـ أَرَبٌ وليس فيكُنَّ بعد الشَّيْبِ من أرَبِ!

وقال آخر: [من الكامل]

أهْلًا وسَهْلًا بالمشيب ومرحبًا أهْلًا به من وافِدٍ ونَزِيلِ!
أهْدى الوقارَ وذادَ كلَّ جَهالة كانتْ وساقَ إليَّ كلَّ جميلِ[2]
فصَحبتُ في أهل التقى أهل النهى ولُقِيتُ بالتعظيم والتبجيلِ
ورأى ليَ الشُّبَّانُ فضلَ جلالةٍ لما اكتَهَلْتُ وكنتُ غير جَليلِ
فإذا رأوْني مقبلًا نهضُوا معًا فِعْلُ المِقرِّ لهيبة التفضيلِ
إن قلتُ كنتُ مصدَّقًا في مَنْطِقي ماضي المَقَالة حاضرَ التعديلِ

وقال مُسْلم بن الوليد: [من البسيط]

الشَّيْبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يُفارقَني اِعجبْ لشيءٍ على البغضاءِ مؤْدُود

وقال عليّ بن محمد الكوفيّ[3]: [من الوافر]

بكى للشَّيْب ثم بَكى عليه وكان أعَزَّ من فقد الشَّبابِ
فقُلْ للشَّيْب: لا تبْرَحْ حَمِيدًا إذا نادى شبابُكَ بالذَّهاب

---

(١) أبو دلف: هو القاسم بن عيسى بن إدريس، من بني عجل، أمير الكرخ، وسيّد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قوّاد المأمون وللشعراء فيه مدائح كثيرة، وله مؤلّفات منها: سياسة الملوك، ويقول الشعر، توفي ببغداد سنة ٨٤٠ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٧٩».

(٢) ذاد: منع وحجب ودفع.

(٣) هو عليّ بن محمّد الكوفي بن جعفر الكوفي الحماني، شاعر، من آثاره ديوان شعر. «إيضاح المكنون ١/ ٤٩٩».

وقال العسكري[١]: [من مجزوء الكامل]

يــــوَدُّ أنَّ شَــــيْــــبَــــهُ إذ جــاءَ لا يَــنْــصــرفُ
يَــخْــلُفُ رَيْـعَـانَ الـصِّـبـا والـمَـوتُ مـنـه خَـلَفُ

وقال ابن المعتزّ: [من الخفيف]

قد يَشِيبُ الفتى وليس عَجِيبًا أن يُرى النَّوْرُ في القَضِيب الرَّطِيبِ[٢]

وقال أبو تمّام: [من البسيط]

ولا يُؤرِّقْكَ إيماضُ القَتِير بِهِ فإنَّ ذاكَ ٱبتسامُ الرأيِ والأدَبِ[٣]

وقال أبو الفتح البستي[٤]: [من الكامل]

يا شَيْبَتِي دُومِي ولا تترَحَّلِي وتيقَّنِي أنِّي بوصْلِكِ مُولعُ
قد كنتُ أجْزَعُ من حُلولكِ مرةً فالآن من خوفِ ٱرْتِحالِكِ أجْزَعُ!

وقال آخر: [من المتقارب]

فأمَّا المَشِيبُ فصُبْحٌ بدا وأمّا الشَّبابُ فلَيْل أفَلْ[٥]
سَقى الله هذا وهذا معًا فنِعْمَ المُولّي ونِعْمَ البَدَلْ![٦]

وقال أبو الفتح كشاجم[٧]: [من الطويل]

تفكَّرْتُ في شَيْبِ الفَتَى وشبابِهِ فأيقنْتُ أن الحقَّ للشَّيْبِ واجِبُ
يصاحِبُني شَرْخُ الشَّبابِ فينقَضِي وشَيْبِيَ لي حتَّى المَماتِ مصاحِبُ[٨]

---

(١) العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكريّ، أبو هلال، عالمٌ بالأدب، له شعر، نسبته إلى «عسكر مُكرم» من كور الأهواز، له كتبٌ عدّة منها «الصناعتين»، توفي سنة ١٠٠٥ م. «فهرس الأعلام ٢/١٩٦».

(٢) النَّور: الزّهر.

(٣) الإيماض: التبسّم، والقتير: أوّل ما يظهر من الشّيب.

(٤) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد بن عبد العزيز البستيّ، أبو الفتح، شاعر عصره وكاتبه، ولد في «بست» قرب سجستان، وإليها نسبته، وكان من كتّاب الدولة السامانيّة، له ديوان شعر، توفي سنة ١٠١٠ م. «فهرس الأعلام ٣٢٦».

(٥) أفل: غاب.

(٦) سقى الله: دعاءٌ لما يحبّ من الأمور.

(٧) هو محمود بن الحسين السّندي، أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم، شاعرٌ متفنّن أديب، من كتّاب الإنشاء، من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل، كان من شعراء سيف الدولة، توفي سنة ٩٧٠ م. «فهرس الأعلام ٧/١٦٧».

(٨) شرخ الشباب: أوّله ونضارته وحدّته.

وقال أبو العلاء السرويّ[١]، شاعر اليتيمة: [من الخفيف]

حيِّ شَيْبًا أتى لغير رحِيلِ　　وشبابًا مضى لغيْرِ إيابِ!
أيُّ شيءٍ يكونُ أحْسَنَ من عا　　جِ مَشِيبٍ في آبنوس شَبابِ؟[٢]

وقال أبو عَوانة الكاتب[٣]: [من الخفيف]

هَزِئتْ إذ رأتْ مَشِيبي، وهل غَيْرُ الْمَصابِيح زينةٌ للسماءِ؟
وتولَّتْ فقلتُ قولًا بإفصا　　حٍ لها، لا بالرَّمْز والإيماء
إنما الشَّيْبُ في المَفَارق كالنُّو　　رِ بَدَا والسَّوادُ كالظلماء
لا مَحِيصَ عن المَشِيبِ أو المو　　تِ، فكُنْ للحَوْباء أو للنَّماء![٤]
إن عُمْرًا عُوِّضتَ فيه عن المو　　تِ بِشَيْبٍ من أعظَم النَّعماء!

وقال ابن عبد ربّه: [من الوافر]

كأنَّ سوادَ لِمّته ظلامٌ　　يُطِلُّ من المَشِيبِ عليه نُورُ

وقال أبو عبد الله الأسباطيّ: [من الخفيف]

لا يَرُعْكِ المَشيبُ، يا ابنة عبد　　اللهِ، فالشَّيْبُ زينةٌ ووَقارُ!
إنما تحسُنُ الرِّياضُ إذا ما　　ضَحِكَتْ في ظلالها الأنْوار[٥]

* * *

وأمّا ما ورد في ذمّ الشيب، قال قيس بن عاصم[٦] رحمة الله عليه: الشَّيبُ خِطامُ[٧] المنيَّة.

---

(١) أبو العلاء السّروي، واحد طبرستان أدبًا وفضلًا، ونظمًا ونثرًا، وله كتب وشعر سائر مشهور، كثير الظرف والملح. «انظر اليتيمة ٤/٥٦».
(٢) العاج: ناب الفيل، والأبنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند، أسود صلب.
(٣) أبو عوانة: لعلّه يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم النيسابوريّ، من أكابر حفّاظ الحديث. «انظر فهرس الأعلام ٨/١٩٦».
(٤) الحوباء: النفس.
(٥) الأنوار: مفردها «النّور» وهو الزّهر الأبيض.
(٦) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السّعدي التميمي، أبو عليّ، أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالحلم والشجاعة، كان شاعرًا اشتهر وساد في الجاهليّة، وقد وفد على النبيّ وأسلم، وقال النبيّ ﷺ عنه: هذا سيّد أهل الوبر، توفي بالبصرة نحو سنة ٦٤٠ م. «فهرس الأعلام ٥/٢٠٦».
(٧) الخطام: حبلٌ يجعل في عنق الحمل ويثنى في خطمه ليقاد به.

وقال غيره: الشَّيبُ نذير الموت.

وقد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، قيل: هو الشّيب.

وقال أعرابيّ: كنتُ أنكر البيضاءَ[١]، فصرت أُنكر السوداء؛ فيا خَيْرَ مبدول ويا شرّ بَدَل.

وقيل للنبيّ ﷺ: عَجّلَ عليك الشَّيبُ يا رسول الله، قال: «شَيَّبَتني هودٌ وأخَواتُها»، قيل: هي عَبَس، والمرسلات، والنازعات[٢].

وقيل لعبد الملك بن مروان: عَجَّلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيّبني ٱرتقاءُ المنابِر وتوقُّع اللحْن[٣].

وقال بعضهم: خرجت إلى ناحية الطُّفَاوة[٤]، فإذا أنا بامرأة لم أرَ أجمل منها، فقلت: أيّتها المرأةُ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيكِ، وإلا فأعلميني، قال: فقالت: وما تصنَعُ بي؟ وفيّ شيء لا أراك ترتضيه. قلتُ: وما هو؟ قالت: شيبٌ في رأسي. قال: فثنيتُ عِنَان دابتي راجعًا، فصاحتْ بي: على رِسْلك[٥]، أخبرك بشيء، فوقفتُ وقلت: وما هو، يرحمكِ الله؟ قالت: والله ما بلغت العشرين بعدُ، وهذا رأسي فكشفَتْ عن عناقيد كالحُمَم[٦]، وقالت: والله ما رأيتُ برأسي بياضًا قطُّ، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منك ما تكره منّا، وأنشدت: [من الوافر]

أرى شيبَ الرِّجال من الغَوَانِي بموضعِ شيبهِنّ من الرجال![٧]

قال: فرجعتُ خَجِلًا، كاسف البال.

قال أبو تمّام: [من الطويل]

غَدَا الشيبُ مختطًا بفَوْدَيّ خِطَّةً سبيلُ الرَّدى منها إلى النفس مَهْيَعُ[٨]

(١) البيضاء: أي الشعرة البيضاء.
(٢) عبس، والمرسلات، والنازعت: سورٌ من القرآن الكريم.
(٣) اللّحن: الوقوع في الأخطاء النحوية واللغويّة.
(٤) الطفاوة: موضع معيّن. (٥) على رسلك: أي تمهّل.
(٦) الحمم: الفحم.
(٧) الغواني: جمع غانية، وهي المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الزّينة.
(٨) الفودين: جانبي الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام، والمهيع: الطريق الواسع البيّن.

هو الزَّور يُجفَى، والمُعاشِر يُجْتَوى وذو الإلف يُقْلى، والجديد يرقَّعُ[١]
له مَنْظَرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ولكنّه في القلبِ أسودُ أسْفَعُ[٢]

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

تقول لَمَّا رأتْ مَشِيبي بدَا، وعِندي له انْقباضُ[٣]
لا ترجُ عَطْفًا عليكَ مِنِّي سوّدَ ما بيننا البَياضُ!

وقال آخر: [من الطويل]

وقالوا: مَشِيبُ المَرْءِ فيه وقارُه وما علموا أن المَشِيبَ هو العَيْبُ
وأيُّ وقارٍ لأمرىءٍ عُرّيَ الصِّبا ومن خَلْفِه شَيْبٌ وقدّامه شيبُ؟

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

مَنْ شابَ، قد مات وَهْو حَيٌّ يمشِي على الأرضِ مشيَ هالكْ!
لو كان عُمْرُ الفتى حسابًا كان له شَيْبُه فذالِكْ[٤]

وقال محمود الورّاقُ[٥]: [من مجزوء المتقارب]

بَكَيْتُ لقُرْبِ الأجَلْ وبُعْدِ فواتِ الأَمَلْ[٦]!
ووافق شَيْبٌ طَرَا بعَقْب شبابٍ رحَلْ[٧]
شَبَابٌ كأن لم يَكُنْ وشيبٌ كأن لم يَزَلْ
طوى صاحبٌ صاحبًا كذاك اختلافُ الدُّوَلْ!

---

(١) يجتوى: يكره، ويُقلى: يبغض.
(٢) الأسفع: الذي كان لونه أسود مشربًا بحمرة.
(٣) الانقباض: الاشمئزاز والحزن.
(٤) الفذالك: جمع الفذلكة، أي نتاج الحساب التي يقال عندها: فذلك يكون كذا. «انظر شفاء الغليل للخفاجي».
(٥) هو محمود بن حسن الورّاق، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٧/ ١٦٧».
(٦) الأجل: الموت.
(٧) طرا: أصلها «طرأ» خفّفت الهمزة للضرورة الشعريّة.

وقال عَبِيد بن الأبرص[(١)]: [من البسيط]

والشيبُ شيْنٌ لمن أمسى بساحته! ... لله درُّ شَبابِ اللِّمةِ الخالي[(٢)]

وقال البحتري: [من الطويل]

ودِدْتُ بياضَ السيف يوم لقينني ... مكانَ بياض الشَّيب حلَّ بمَفْرِقي

وقال أبو العتاهية[(٣)]: [من الوافر]

عَريتُ عن الشباب، وكان غَضًّا ... كما يَعرى من الورق القَضِيبُ[(٤)]

ألَا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا ... فأُخْبِرَهُ بما فعل المَشِيبُ!

وقال آخر: [من السريع]

يَا حَسْرَتَا أين الشبابُ الذي ... على تَعَدِّيه المشيبُ اعتدى؟[(٥)]

شِبْتُ، فما أنفكُّ من حسرةٍ ... والشيبُ في الرأس رسولُ الرَّدى![(٦)]

إنَّ مدى العُمْر قريبٌ فما ... بقاءُ نَفسي بعد قُرْب المَدَى؟

وقال آخر: [من الكامل]

هذا عِذارُك بالمَشِيب مُطرَّزُ ... فقبولُ عُذْرك في التصابي مُعْوِزُ[(٧)]!

ولقد علمتُ ـ وما علمتُ توهُّمًا ـ ... أن المَشيبَ لهَدْم عمرك يَرْمُزُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أَلَسْتَ ترى نُجومَ الشَّيْب لاحَتْ ... وشَيْبُ المرْءِ عنوانُ الفساد!

---

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسديّ، أبو زياد، أحد الشعراء المعمّرين، وأحد أصحاب المعلّقات. انظر «فهرس الأعلام الشعر والشعراء ص ١٦١».

(٢) في الديوان: «والشيب شينٌ لمن يحتلُّ ساحته» ص ١١١، دار صادر، واللِّمة: الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن، والخالي: الماضي.

(٣) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم، أبو إسحٰق، الشاعر العبّاسي الكبير، «انظر: فهرس الأعلام ١/ ٣٣١».

(٤) الغضّ: الناضر الناعم.

(٥) يا حسرتا: منادى، والألف زائدة، لأن المنادى هنا للندبة والتفجّع.

(٦) الرّدى: الهلاك والموت. (٧) العذار: جانب اللحية.

وقال أيضًا: [من البسيط]

أَبـلى جَـدِيـدِيَ هـذان الـجـديـدانِ والشأن في أنّ هذا الشَّيْبَ يَنْعَانِي[١]!

كـأنّـما أُعتَمَّ رأسِي منه بالجَبَلِ الرّ اسِي، فأَوْهـنـنـي ثِـقْـلًا وأوهـانِـي[٢]

وقال آخر: [من الكامل]

لما رأتْ وَضَح المَشِيب بعارِضي صدّتْ صُدودَ مُجانِبٍ متحَمِّل[٣]

فجعلتُ أطلُب وصلَها بتلطُّفٍ والشَّيْبُ يغمِزُها بأن لا تَفْعَلِي[٤]!

وقال كُشاجم: [من المديد]

ضَحِكتْ! من شَيْبةٍ ضَحِكتْ لـسَـواد الـلِّمَّـة الـرجـلَهْ[٥]

ثـم قـالـتْ وهـي هـازئـةٌ: جـاء هـذا الـشـيـبُ بـالـعَـجَـلَهْ!

قُـلت: مـن حُـبِّـيـك، لا كَـبـرٌ شـاب رأسـي فـانـثـنـت خَـجِـلَهْ

وثَـنَـتْ جَـفْـنًـا عـلى كَـحَـلٍ هـي مـنـه الـدَّهـرَ مـكـتَـحِـلَهْ[٦]

أكـثَـرَتْ مـنـه تـعـجُّـبَـهـا! فَـهْـي تَـجْـنِـيـه وتـعْـجَـبُ لَهْ

وقال أبو تمام: [من الخفيف]

دقّـةٌ فـي الـحـيـاة تُـدْعـى جَـلَالا مثلَ ما سُمِّي اللَّدِيغ سليما[٧]

غُـــرَّة مُـــرَّة ألَا إنَّـــمـــا كـــنـــ ـتُ أغرًّا أيامَ كـنـتَ بَـهِـيـمَـا[٨]

وقال ابن المعتزّ: [من الوافر]

لقد أبغضتُ نفسي في قَشيبي فكيف تُحبُّني الخُودُ الكعَابُ[٩]

---

(١) الجديدان: الليل والنّهار. (٢) أوهن وأوهى: أضعف.

(٣) الوضح: البياض من كلّ شيء، والعارض: صفحة الخدّ.

(٤) يغمزها: يشير إليها بكسر العين أو الحاجب.

(٥) الرّجلة: يقال شعر رجل: أي بين السبوطة، أي الاسترسال، وبين الجعودة.

(٦) ثنت: طوت.

(٧) الجلال: العظيم من الأمور، والسّليم: من الأضداد، وقد قيل للّديغ: سليمًا على سبيل التفاؤل بالشّفاء.

(٨) الغرّة: الخدعة، والأغرّ: الأبيض والكريم من الأفعال، والبهيم: الأسود. وفي الديوان ص ٢٥٧، دار صعب: «غرّة بهمة».

(٩) الخود: الشّابة الناعمة الحسنة الخلق، والكعاب: الفتاة التي نهد ثدياها.

وقال أبو هلال العسكريّ: [من المتقارب]

فلا تعجَبَا أن يَعِبْنَ المَشِيبا فما عِبْنَ من ذاك إلّا مَعِيبا[١]!

إذا كان شَيْبي بَغِيضًا إليّ فكيف يكونُ إليها حَبِيبا؟

وقال محمد بن أُميّة: [من الطويل]

رأينَ الغَوانِي الشّيبَ لاحَ بعارِضِي فأعْرَضْنَ عنّي بالخُدود النَّواضر[٢]

وكُنّ إذا أبصرنَنِي أو سمعْنَ بِي دَنَوْنَ فرقَّعْن اللِّوَى بالمَحَاجِر[٣]

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

قالت، وقد راعها مَشِيبي: كنتَ ابنَ عمٍّ فصرتَ عَمَّا

واستهزأتْ بي، فقلتُ أيضًا: قد كنتِ بنتًا فصِرتِ أُمَّا

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

تضاحكتْ لَمَّا رأتْ شَيْبًا تِلَالَا غُرَرُهْ

قلتُ لها: لا تعجَبي أنبيكِ، عندي خَبَرُهْ

هذا غَمَامٌ للرَّدَى ودمعُ عيني مَطَرُهْ

* * *

ومما قيل في الخضاب[٤] من المدح، ما رُوِي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «غَيِّرُوا هذا الشيبَ، وجَنِّبُوه السوادَ».

وكان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يَخْضِب بالحِنّاء وبالكَتَم[٥].

وقد مدح الشعراء الخِضابَ.

(١) عاب المشيب: ذمّه في المرأ.
(٢) العارض: صفحة الخدّ، والإعراض: الصدود والامتناع.
(٣) اللِّوى: ما التوى وانعطف وانثنى من الرّمل أو مسترقه.
(٤) الخضاب: ما يخضب به، وخضب شعره: غيّر لونه بالخضاب.
(٥) الحنّاء: نبات ورقه كورق الرّمان يُتّخذ منه الخضاب الأحمر، والكتم: نباتٌ يلوّن به الشعر ويصنع منه حبرٌ للكتابة.

فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ: [من المتقارب]

وقالواْ: النُّصُولُ مشيبٌ جَدِيدْ! فقلتُ: الخِضاب شباب جَدِيدْ!(١)
إســاءةُ هــذا بــإحــســانِ ذَا فـإن عـادَ هـذا فـهـذا يَـعـودْ

وقال أبو الطيّب المتنبّي: [من الطويل]

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لأنّهُ قَبِيحٌ، ولكن أحسنُ الشَّعْر فاحِمُه

وقال محمود الورّاق: [من الكامل]

لِلضَّيْفِ أن يُقْرى ويُعْرفَ حقُّه! والشَّيبُ ضيفُك، فأَقْرِهِ بخِضابِ(٢)

وقال عبدان الأصبهانيّ(٣): [من الخفيف]

فـي مَـشـيـبـي شَـمَـاتَـةٌ لِـعِـداتِـي وهـو نـاعٍ مـنـغِّـصٌ لـحـيـاتـي
ويـعـيـبُ الـخِـضـابَ قـومٌ، وفـيـه أيّ أُنْـسٍ إلـى حُـضُـور وفـاتـي
لا ومَـنْ يـعـلَـمُ الـسـرائـرَ مـنّـي مـا بـه رُمْـتُ خُـلَّةَ الـغـانـيـاتِ(٤)
إنـمـا رمـتُ أن يُـغـيَّـبَ عـنّـي مـا تُـريـنِـيـهِ كـلَّ يـوم مِـراتِـي(٥)
وهـو نـاعٍ إلـيَّ نـفْـسِـي، ومَـنْ ذا سَـرَّه أن يـرى وجـوهَ الـنُّـعَـات؟

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

يا بياضَ المَشِيبِ سوّدتَ وَجْهي عند بِيض الوجوه سُودِ القرون!(٦)
فـلعَـمْـري، لأُخـفِـيـنَّـكَ جُـهْـدِي عن عِياني وعن عِيان العُيُونِ!(٧)
ولـعمْـري، لأَمْنَعَنَّكَ أنْ تضحـ ـك فـي رأسِ آسـفٍ مـحـزونِ!
بـخـضـابٍ فيه أبيضاضٌ لوَجْهي وســوادٌ لـوجـهـك الـمـلـعـون!

---

(١) النّصول: يقال نصلت اللحية: أي خرجت من الخضاب، ونصل لون الثوب: تغيّر وزال.
(٢) القِرى: ما يقدم إلى الضّيف.
(٣) عبدان الأصبهاني: لعلّه عبدان بن أحمد بن موسى بن زياد العسكريّ الأهوازي الجواليقي.
(٤) رام: قصد، والخلّة: الصداقة والمحبّة.
(٥) مراتي: يريد مرآته، وقد خفّفت الهمزة الممدودة للضرورة الشعريّة.
(٦) القرون: مفردها القرن: وهو من رأس الإنسان جانبه، وموضع القرن فيه، ويقصد «بسود القرون» النّساء الشّابات.
(٧) العيان: المشاهدة.

وقال آخر: [من الوافر]

نهَى الشيبُ الغوانيَ عن وِصَالِي ... وأوْقَع بين أحبابي وبَيْنِي
فلستُ بتاركٍ تدبير ذَقْني ... إلى أن ينقضي أمدي لحَيْنِي
أُدَبِّر لِحْيتي ما دمتُ حيًّا ... وأعتِقُها ولكن بَعْدَ عَيْنِي[1]

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المزمّل]

قالوا: فلانٌ لم يَشِبْ ... وأرى المَشِيبَ عليه أبْطا
فأجبتُهُمْ: لولا حديـ ... ـثُ الصِّبْغ لانكشَفَ المُغَطَّى

* * *

ومما قيل في ذمّ الخضاب، قال محمود الورّاق، رحمه الله: [من مجزوء الكامل المزمّل]

يا خاضِبَ الشَّيْبِ الَّذِي ... في كُلِّ ثالثةٍ يَعُودُ
إنّ النُّصُولَ إذا بدَا ... فكأنّه شَيْبٌ جَدِيدُ[2]
وله بَدِيهةُ رَوْعةٍ ... مكروهُها أبداً عَتِيدُ[3]
فدَعِ المَشِيبَ لِمَا أرَا ... د فلنْ يعودَ لما تُرِيدُ

وقال آخر: [من الوافر]

تَسَتَّرَ بالخِضاب، وأيّ شيءٍ ... أدلُّ على المشيب من الخِضَابِ؟

وقال ابن الروميّ: [من الكامل]

قُلْ للمسوِّدِ حين سوّدَ: هكذا ... غِشُّ الغواني في الهوى إيَّاكا!
كَذَبَ الغوانِيَ في سَواد عِذارِه ... فكَذَبْنَه في وُدِّهنَّ كذاكا!

وقال المتنبّي: [من البسيط]

ومِنْ هوى كلِّ مَنْ ليست مموِّهة ... تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضوب[4]
ومِنْ هوى الصدقِ في قولي وعادتِه ... رغبتُ عن شَعَرٍ في الوجه مكذوبِ

(١) أعتق: حرّر وأصلح.
(٢) النصول: زوال الخضاب عن الشعر.
(٣) البديهة: المفاجأة أو البداية، والعتيد: الحاضر المهيّأ، والجسيم.
(٤) المموّهة: من موّه الشيء: أي غيّر حقيقته.

وقال الأمير شهاب الدين بن يغمور عفا الله عنه: [من البسيط]

يا صابغَ الشَّيْبِ، والأيامُ تُظْهِره: هذا الشبابُ، وحَقِّ الله مصنوعُ![١]
إن الجديد إذا ما كان في خَلَقٍ يَبينُ للناس أنّ الثوبَ مرقوعُ[٢]

* * *

وأمّا ما وصف به الوجه، فمن ذلك ما قيل في المذكر:

قال الوجيهيّ: [من البسيط]

مستَقْبَلٌ بالذي يهوى، وإن كثرت منه الإساءة، معذورٌ بما صَنَعا
في وجهه شافعٌ يمحو إساءتَهُ من القلوب، وجيهًا حيثما شَفَعا[٣]

وقال الآخر: [من المتقارب]

رأيتُ الهلالَ على وجْهِهِ فلم أدرِ أيُّهما أنورُ؟
سوى أنَّ ذاكَ قريبُ المَزَارِ وهذا بعيدٌ لمن يَنْظُر
وذاكَ يَغِيبُ وذا حاضِرٌ فما مَنْ يَغِيبُ كمن يَحْضُر
ونَفْعُ الهلالِ كثيرٌ لنا ونَفْعُ الحبيبِ لنا أكْثَرُ

وقال ابن لنكك: [من مجزوء الكامل]

البَدْرُ والشمس المُنِيـ ـرةُ والدُّمى والكَوْكَبُ[٤]
أضْحَتْ ضرائرَ وجهه من حيثُ يَطْلُعُ تغرُبُ[٥]
وكأنّ جَمْرَ جوانحي في خدّه يتلهَّبُ[٦]
وكأنّ غُصْنَ قَوامِه من ماءِ دمعِي يشرَبُ
وصَوالِجٍ في صُدْغه بسواد قلبي تَلْعَبُ[٧]

---

(١) مصنوع: أي ليس شبابًا صحيحًا، بل هو مصطنع.
(٢) الخَلَق: البالي. (٣) الشافع: الشفيع الذي يساعد ويُعين.
(٤) الدُّمى: مفردها «دمية» وهي الصورة الممثّلة، والفتاة الحسناء.
(٥) ضرائر: مفردها «ضرّة» وهي إحدى امرأتي الرّجل، أو إحدى نسائه ويكون بينها الحسد والغيرة.
(٦) الجوانح: أوائل الأضلاع مما يلي الصّدر.
(٧) الصوالج: مفردها «صولج» وهي العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها الفارس الكرة في بعض الألعاب.

وقال ابن المعذّل(١): [من الطويل]

نَظرتُ إلى مَنْ زيَّن الله وجْهَه فيا نظرةً كادتْ على عاشقٍ تقضِي!
وكبَّرتُ عشرًا، ثم قلتُ لصاحبِي متى نَزَل البدرُ المنيرُ إلى الأرضِ؟

وقال الخُبْزأَرُزِّي(٢): [من المتقارب]

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبْ فكانا هلالَيْنِ عند النَّظَرْ
فلَمْ أدرِ من حَيْرتِي فيهما هلالَ الدُّجى من هلال البشَرْ!
فلولا التورّدُ في الوجنتيْنِ وما راعنِي من سَواد الشَّعَرْ
لكنت أظنُّ الهلالَ الحبيبْ وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمَرْ!

وقال أبو الشّيص(٣): [من المنسرح]

تَخْشَعُ شمسُ النهارِ طالعةً حينَ تراه، ويخشع القَمَرُ
تَعْرِفُه أنه يفوقُهما بالحسنِ، في عين مَنْ له بَصَر

وقال أبو هلال العسكريّ: [من المتقارب]

ووَجْه تَشَرَّب ماء النعيمْ فلو عُصِرَ الحسنُ منه انعصَر
يمُرّ فأمنحُه ناظرِي فينثُرُ وَرْدًا عليه الخفَرْ(٤)
تمتَّعت العينُ في حُسْنه فما حَفَلتْ بطلوع القَمَرْ

وقال ابن المعتزّ: [من السريع]

يا مُفرَدًا بالحسن والشَّكْلِ مَنْ دلّ عينيك على قَتْلي؟
البدرُ من شمس الضُّحى نُورُهُ والشمسُ من وجهك تَسْتَملي(٥)

---

(١) ابن المعذّل: هو عبد الصمد بن غيلان بن حكم العبدي، أبو القاسم، شاعر من شعراء الدولة العبّاسية، كان هجّاءً شديد العارضة، ولد ونشأ بالبصرة، توفي سنة ٨٥٤ م. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ١١».

(٢) الخبزأرزي: هو نصر بن أحمد، شاعر تقدّم ذكره، شاعر غزلٍ كان أُميًّا. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ١٦٢».

(٣) أبو الشّيص: هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين، أبو سليمان بن تميم الخزاعي المعروف بأبي الشّيص «أبو جعفر»، شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٨١١ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧١».

(٤) الخفر: الحياء.

(٥) تستملي: تستمتع وتستكمل نورها.

وقال ابن المعدّل يصف عُتْبَة: [من مجزوء الوافر]

لِعُتبةَ صفحتَا قمرٍ ... يفوق سَناهما القَمَرَا(١)
يَزيدُكَ وجهُه حسنًا ... إذا ما زدتَهُ نَظَرَا

وقال السريّ الرفاء(٢): [من الكامل]

قمرٌ تفرّد بالمحاسن كلِّها ... فإليه يُنْسَب كلُّ حسنٍ يوصَف
فجبينه صُبْحٌ، وطُرّته دُجًى ... وقَوامُه غصنٌ رطيب أهيفُ(٣)
لله ذاك الوجهُ! كيف تألّفتْ ... فيه محاسنُ لم تكن تتألّفُ؟

وقال آخر: [من الطويل]

وفي أربعٍ منّي حلَتْ منك أربعٌ ... فما أنا أدري أيُّها هاجَ لي كَرْبي؟(٤)
أوَجْهُك في عينِي، أم الرِّيقُ في فَمي ... أم النطقُ في سمعي، أم الحُبُّ في قلبي؟

ومثله قول يعقوب الكندي(٥): [من الطويل]

وفي خمسةٍ منّي حلَتْ منك خمسةٌ ... فريقُك منها في فَمِي طيِّب الرَّشْفِ(٦)
ووجهُكَ في عيني، ولَمْسُك في يدي ... ونُطْقُك في سمعي، وعَرْفُك في أنفي(٧)

وقال أبو نُوّاس: [من المنسرح]

كأنّما الوجهُ إذ بَدَا قمرٌ ... مُرَكَّب فوق قامة الغُصُن
يا ذا الذي أصبح العِبادُ به ... في فتنةٍ من عظائم الفِتَن!
أقْبِلْ بوجهِ الهَوى إليّ، فقد ... أطَلْتَ بالصدّ مُعرضًا حَزَني!(٨)

---

(١) وصفحتا قمر: هما خدّاها.
(٢) السّريّ الرّفاء: هو السّري بن أحمد الكندي، صاحب سرّ الشعر، الجامع بين نظم عقود الدّرر والنفث في عقد الشّحر، أسلم صبيًا في الرّفائين بالموصل، كان يرفو ويطرز ويتكسب بالشعر، ثم اشتد باعه في النظم، فانتقل إلى حياكة القريض. «اليتيمة ٢/ ١٣٧».
(٣) الأهيف: الذي دقّ خصره وضمُر بطنه. (٤) هاج: أثار، والكرب: الحزن.
(٥) يعقوب الكندي: هو يعقوب بن إسحٰق الكندي، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء ملوك كندة، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد، فتعلّم واشتهر بالطبّ والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، توفي نحو سنة ٨٧٣ م. «فهرس الأعلام ٨/ ١٩٥».
(٦) الرّشف: المصّ بالشفتين.
(٧) العُرف: الرائحة مُطلقًا، وأكثر ما يستعمل في الطيّبة منها.
(٨) الصدّ: الإعراض، والحزن: الغمّ.

وقال محمد بن وُهَيْب[١]: [من المديد]

نَـمْ فـقـد وَكَّـلْتَ بـي الأرَقـا ... لاهَـنَـا بَـعْـدُ لـمـن عَـشِـقـا
إنـمـا أبـقـيـتَ مـن جَـسَـدِي ... شَـبَـحًـا غـيـر الـذي خُـلِقَـا
مـا لـمـن تَـمَّـتْ مـحـاسِـنُـهُ ... أن يُـعـادِي طَـرْفَ مَـن رَمَـقَـا[٢]
لـك أن تُـبْـدي لـنـا حَـسَـنًـا ... ولـنـا أن نُـعْـمِـل الـحَـدَقَـا[٣]

* * *

ومن ذلك ما قيل في المؤنّث، قال ابن سكرة[٤]: [من المنسرح]

في وَجْـهِ إنـسـانـةٍ كَـلِفـتُ بـهـا ... أربـعـةٌ مـا اجـتـمـعْـنَ فـي أحـد
فـالـخـدُّ وَرْدٌ والـصُّـدغ غـالـيـةٌ ... والـرِّيق خـمرٌ والـثغرُ من بَرَدِ[٥]
لـكـلِّ جُـزء مـن حُـسْنِـهـا بِـدَعٌ ... تُـودِعُ قـلـبـي ودائِعَ الـكَـمَـد![٦]

وكان مكتوبًا على عِصابةِ[٧] وَرْد جارية الماهانيّ[٨]: [من السريع]

تمَّتْ! وتَمَّ الحسنُ في وجهِها! ... فـكـلُّ شـيءٍ مـا سـواهـا مُـحـالْ
لـلـنـاس فـي الـشـهـر هِـلالٌ، ولـي ... فـي وَجْـهِـهـا كـلَّ صباحٍ هـلالْ!

وقال آخر: [من الخفيف]

وإذا الـدُّرّ زانَ حُـسْـنَ وجُـوهٍ ... كـان لـلدُّرّ حـسـنُ وجـهِـك زَيْـنـا
وتَـزِيـديـن طَـيِّـبَ الـطـيـب طِـيبًا ... إن تَـمـسِّـيـه! أيـنَ مـثـلُك أيـنـا؟

---

(١) محمد بن وهيب: هو محمّد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، من شعراء الدولة العباسية، تكسّب بالمديح، وله مراثٍ في أهل البيت، واختصّ بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، توفي سنة ٨٤٠ م. «فهرس الأعلام ٧/ ١٣٤».
(٢) رَمَقَهُ ببصره: أتبعه النظر. (٣) الحدق: الأنظار.
(٤) ابن سكّرة: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد، شاعرٌ متّسع الباع في أنواع الإبداع، أحد الفحول الأفراد، كان يقال: إن زمانًا جاد بابن سكرة وابن الحجاج السخيّ جدًا. «اليتيمة ٣/ ٣».
(٥) الغالية: الطيب، والبَرَد: يريد بياض الأسنان في الثّغر.
(٦) الكمد: الحزن والغمّ.
(٧) العصابة: ما يعصب به من منديل أو نحوه.
(٨) الماهاني: لعلّه علي بن عيسى بن ماهان، من كبار القادة في عصر الرّشيد والأمين العباسييَن وهو الذي حرّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، قتل على يد طاهر بن الحسين سنة ٨١٠ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٣١٧».

وقال آخر: [من المديد]

ليس فيها أن يُقالَ لها: كَمِلَتْ، لو أن ذا كَمُلا
كلُّ جزءٍ من محاسنها صائر من حسنِها مَثَلا

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الرّمل]

وفتاةٍ إن يغِبْ بدر الدُّجى فلنا في وَجْهِها عنه خَلَفْ
أجمع الناسُ على تفضِيلها وهواهُمْ في سواها مختلِفْ

وقال الحمّانيّ(١) من أبيات: [من المتقارب]

نرى الشمسَ والبدرَ معناهما بها واحدًا، وهما مَعْنيانْ
إذا طلَعتْ وجهها، أشرقا بطلعتها، وهما آفِلَانْ(٢)

* * *

ومما وُصِف به صفاء الوجه ورقَّة البشرة، فمن ذلك ما قيل مذكرًا.

قال أبو نُوَاس: [من المتقارب]

نظرتُ إلى وجهه نظرةً فأبصرتُ وجهِيَ في وجهه

وقال آخر: [من الوافر]

أعِدْ نظَرًا! فما في الخدِّ نبتٌ حماهُ الله من رَيْب المَنُونِ(٣)!
ولكنْ رَقَّ ماءُ الوجه حتَّى أراك مثالَ أهداب الجُفُون!

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

ولما آستدارتْ أعينُ الناسِ حولَهُ تُلاحِظُه كيف استقلَّ وسارا(٤)
تمثَّلتِ الأهدابُ في ماء وجهه فظَنُّوا خيالَ الشَّعْر فيه عِذارا(٥)

---

(١) الحمّانيّ: لعلّه علي بن محمد الكوفي الحمّاني، شاعر، من آثاره ديوان شهر مطبوع، عاش في الكوفة وكان منزله فيها ببني حمان، فنسب إليهم، وكان وجيه الكوفة في عصره. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ٣٢٤».

(٢) آفَلَ: غاب.

(٣) المنون: الموت، والدّهر.

(٤) استقلّ: ارتفع، يقال: استقلّ الطائر في طيرانه: أي ارتفع.

(٥) ماء الوجه: رونقه وشبابه ونضرته.

وقال الأرّجانيّ(١): [من السريع]

مـا أنْـسَ، لا أَنْـسَـى لـه مَـوْقِـفًـا والـعِـيـسُ قـد ثَـوَّرَهُـنَّ الـحُـدَاهْ(٢)
لَمَّـا تـجـلَّى وجـهُـه طـالـعًـا وقـد تـرامَـتْ نَـظَـراتُ الـوُشـاهْ(٣)
قـابـلَنِـي حـيـن بـدتْ أدمُـعِـي في خَدِّه المصقولِ مثل المِراهْ
يُـوهِـم صَـحْـبـي أنـه مُـسْـعِـدِي بـأدمـعٍ لـم تُـذْرِهـا مـقـلـتـاهْ
وإنــمــا قــلَّدنِــي مِــنَّــةً بدَمْع عينٍ من جُفوني أمترَاهْ(٤)
ولـم تـقـعْ فـي خـدِّه قـطـرةٌ إلّا خَـيـالاتِ دمُـوع الـبُـكَـاهْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وأغْـيَـدَ رقَّ مـاءُ الـوجـهِ مـنـه فلو أرخى لِثَامًا عنه، سالا(٥)
تـبـيـنُ سـوادَهـا الأبـصـارُ فـيـه فحيثُ لحظتَ منه، حَسِبْتَ خالَا(٦)

* * *

ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال بشار(٧): [من الطويل]

وما ظَفِرتْ عيني غَداةَ لقيتُها بشيءٍ، سوى أطرافها والمَحَاجِر(٨)
بحَوْراءَ من حُور الجنان عزيزةٍ يَرى وجهَهُ في وجهها كلُّ ناظِرِ(٩)

---

(١) الأرّجاني: هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين، الملقب «ناصح الدّين»، كان قاضيًا، لـ «تستر» و«عسكر مكرم»، وله شعر رائع في نهاية الحسن، ذكره العماد الأصبهاني في الخريدة، توفي بتستر سنة ١١٤٩ م. «انظر فهرس الأعلام ١/ ٢١٥».
(٢) العيس: النّوق، ثوّرهن: أهاجهنّ، والحداة: مفردها الحادي، وهو الذي يسوق الإبل.
(٣) تجلّى: أسفر، وترامت: تتابعت، والوشاة: مفردها «واشٍ» وهو النّمّام الكذوب.
(٤) المنّة: الفضل والحسنى، وامتراه: حلبه واستخرجه.
(٥) الأغيد: الوسنان المائل العنق الليّن الجانب، والناعم المنثني.
(٦) الخال: بثرة سوداء في الوجه، يقول: إن العيون إذا نظرت إلى صفحة وجهه الرقيقة الصافية انعكست صورتها فيها فبدت الأحداق كالخال الأسود في مرآة ذلك الوجه.
(٧) بشّار: هو بشّار بن بُرد العقيلي بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان، كان ضريرًا نشأ في البصرة وقدم بغداد، قتل سنة ٧٨٤ م بسبب اتهامه بالزندقة، له ديوان ورسائل. «فهرس الأعلام ٢/ ٥٢».
(٨) المحاجر: مفردها المحجر، وهو ما أحاط بالعين.
(٩) الحوراء من النّساء: البيضاء، ولا يقصد بقوله حور عينيها.

وقال السريّ الرفّاء: [من البسيط]

بيضاءُ تنظُر من طَرْفٍ تقلِّبُهُ ... مفرِّقٍ بين أجسادٍ وأرواح

ماءُ النعيم على ديباجِ وَجْنتِها ... يجولُ بين جَنى وَرْدٍ وتُفَّاح[١]

رَقَّتْ: فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها ... والراحُ، لامتزجَتْ بالماء والراحِ![٢]

وقال الأرّجانيّ من أبيات: [من الطويل]

ولمّا تلاقَيْنا، وللعين عادةٌ ... تُثير وُشاةً عند كلّ لِقاءِ

بدتْ أدمُعي في خدِّها من صقالهِ ... فغارُوا وظنّوا أن بكَتْ لبُكائي![٣]

* * *

ومما قيل في صفرة الوجه، فمن ذلك ما قيل مذكّرًا:

قال أبو عبادة البحتري: [من الطويل]

بدَتْ صُفرةٌ في وجهه، إنَّ حَمْدَهُمْ ... من الدُّرّ ما أصفرَّت نواحيه في العِقْدِ

وقال آخر: [من الخفيف]

لم تَشِنْ وجهَه المليحَ، ولكن ... جعلَتْ وَرْد وجنتيه بَهَارا[٤]

وقال الأرّجانيّ وأجاد: [من الخفيف]

راقَ ماءُ الحياةِ من وجنتيهِ ... فهو مِرْآةُ أوجُهِ العُشَّاقِ![٥]

* * *

ومن ذلك ما قيل في المؤنّث، قال سَلْم الخاسر[٦]: [من الطويل]

تبدّتْ فقلتُ: الشمسُ عِند طلوعها ... بوجهٍ غنيِّ اللّون عن أثَر الوَرْسِ[٧]!

فقلتُ لأصحابِي، وبي مثلُ ما بهم ... على مِرْيةٍ: ما هٰهنا مطلَعُ الشمس[٨]!

---

(١) الدّيباج من الوجه: حسن بشرته، والديباج: ثوبٌ سُداه ولحمته من الحرير.

(٢) القراح: العذب الصافي، والرّاح: الخمر. (٣) صقال الخدّ: صفاؤه ونقاؤه.

(٤) البهار: نبات طيّب الرائحة، والبهار: كلّ شيء حسن منير.

(٥) راق: صفا، وماء الحياة: أي ماء الشباب والحيويّة.

(٦) هو سلم الخاسر بن عمرو بن حماد، شاعرٌ خليع ماجن، من أهل البصرة، سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرّشيد، وأخبار مع بشار وأبي العتاهية، وشعر رقيق رصين، سمّي الخاسر لأنه باع مصحفًا واشترى خمرًا. «فهرس الأعلام ٣/ ١١٠ ـ ١١١».

(٧) الورس: نبات كالسّمسم تغطي ثمره غددٌ حمر، يصبغ به.

(٨) المرية: الشكّ.

وقال أبو تمام: [من الكامل]

صفراءُ ـ صفرةَ صحّةٍ ـ قد رُكِّبتْ جُثمانُها في ثوب سُقمٍ أصفَر

وقال مسعود الأصبهانيّ[١]، شاعر الخريدة: [من السريع]

وقَينةٍ قال لها ناقصٌ كَمُلْتِ، لولا صُفرة اللونِ

قلتُ: اتَّئِد! فالشمسُ مصفَرّةٌ وَهْيَ صلاحُ الأرض في الكَوْن![٢]

* * *

ومما قيل في السُّمْرة، قال شاعر: [من مجزوء الرمل]

كيفَ لا أعْشَقُ ظَبْيًا سارحًا في ظِلِّ مَلك

إنما السُّمْرة فيه مَزْجُ كافورٍ بمِسْكِ[٣]

وقال آخر: [من السريع]

ياذا الذي يُذْهِبُ أموالَهُ في حُبِّ هذا الأسمر الفائِق!

ما الذهبُ الصامتُ مستكْثَرًا إذهابُه في الذهَب الناطِق!

وقال آخر: [من المديد]

ذَهبيُّ اللّون! تحسَبُ مِن وجنتيه النارَ تُقْتَدَحُ

خوّفُوني مِن فضيحتهِ! ليتَهُ وافى، وأفتضِحُ![٤]

* * *

(١) لعلّه مسعود بن سعد بن سلمان بن سلمان الهمذاني اللّاهوري، أديب شاعر باللغات الثلاث، العربية والفارسية والهندية، وله في كلّ منها ديوان. «انظر فهرس الأعلام ٧/ ٢١٧».

(٢) اتّأد: تمهّل وتأنى وتروّى.

(٣) الكافور: نبتٌ طيّب زهره كزهر الأقحوان، وتؤخذ منه مادّة عطرية، والمسك: نوعٌ من الطّيب، يتكوّن من دم حيوان كالغزال، وقد ذكر ذلك المتنبّي في قوله:

فإنْ تفقِ الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

«ديوان المتنبّي ٢/ ١١٦، دار الكتب العلمية».

(٤) وافى: أقبل وأتى.

ومما قيل في السَّواد (وهو يختصُّ بالمؤنث):

قال الزركشيّ في «دنانير»[1] البرمكيّة: [من السريع]

أشْبَهَكِ المسكُ، وأشبهتِهِ قائمةً في لونه قاعدَهْ

لا شكَّ، إذ لونُكما واحدٌ أنّكما من طينةٍ واحده

وقال ابن الروميّ: [من المنسرح]

أكْسَبها الحُبَّ أنها صُبِغتْ صبغةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ[2]

فأقبلتْ نحوَها الضمائرُ والأ بصارُ، يعبَقْن أيَّما عَبَقِ[3]!

يفترُّ ذاكَ السوادُ عن يَقَقِ في ثغرها كاللآلىءِ النَّسَقِ[4]

كأنَّها، والمِزاحُ يُضحِكها ليلٌ تفرّى دُجاه عن غَسَقِ[5]

وقال الصنوبريّ[6]: [من السريع]

يا غُصُنًا من سَبَجٍ رَطْبِ أصبح منكِ الدرّ في كَرْبِ![7]

حبُّكِ من قلبي مكانَ الذي أشبهتِه من حَبَّة القَلْب

وقال محمد بن عبد السلاميّ[8]، شاعر اليتيمة عفا الله عنه: [من البسيط]

يا رُبَّ غانيةٍ بيضاءَ تَصْبَحُني من العتاب كُؤوسًا ليس تَنْساغُ[9]

---

(١) دنانير: مغنيّة نسب إليها كتاب في الأغاني، كانت مولاة لرجل من أهل المدينة، خرّجها وأدّبها واشتراها يحيىٰ بن خالد البرمكي، فينعت في بيته، وممّن أعجب بها الرشيد، فلمّا نكب البرامكة، امتنعت عن الغناء لغيرهم، فأمرها الرشيد، فأبت الغناء. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٤١».

(٢) حَبَّة القلب: مهجته.

(٣) عبق الطّيب: انتشرت رائحته.

(٤) اليقق: الأبيض الصافي.

(٥) تفرّى: تشقّق، والدّجى: الليل، والغسق: الظلمة.

(٦) الصنوبري: هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبّي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر، شاعرٌ سكن حلب ودمشق، وتوفي في رجب سنة ٣٣٤ هـ. «فهرس الأعلام ١/ ٢٠٧».

(٧) السّبج: الخرز الأسود.

(٨) السّلامي: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله السّلامي، من أشعر أهل العراق، قولًا بالإطلاق وشهادة بالاستحقاق، ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين. «اليتيمة ٢/ ٤٦٦».

(٩) تنساغ: تنشرب، أو يسهل شرابها وارتشافها، تستطاب.

أشتاقُ طُرّتَها أو صُدْغَها ومعِي ... من كلِّها طررٌ سُودٌ وأصداغ!
كأننا، لا أتاح الله فُرْقتَنا! ... يا كعبةَ المِسْك، يا زَنْجيَّةً، زاغُ[1]

وقال آخر: [من الطويل]

أُحِبُّ النساءَ السُّودَ من أجل تُكْتَم ... ومن أجْلِها أحببتُ مَنْ كان أسودَا!
فجئني بمثلِ المسك أطيبَ نفحةً! ... وجئتني بمثل اللّيل أطْيَبَ مَرْقَدا!

وقال العسكريّ: [من البسيط]

صرفتُ وُدّي إلى السّودانِ من هَجَرِ ... ولا ٱلتفَتُّ إلى رُومٍ ولا خَزَرِ![2]
أصبحْتُ أعشَقُ من وجْهٍ ومن بَدَنٍ ... ما يعشَقُ الناسُ من عينٍ ومن شَعَرِ
فإن حسِبْتَ سَوادَ الخدِّ مَنْقَصةً ... فانظرْ إلى سُفْعةٍ في وَجْنة القَمَر![3]

وقال بشّار وأجاد: [من الوافر]

يكونُ الخالُ في خدٍّ نقيٍّ ... فيُكسِبُه المَلَاحة والجَمالَا
ويُونِقُه لأعيُنِ مُبْصِريه ... فكيف إذا رأيتَ اللون خالا؟[4]

وقال أبو عليّ بن رشيق[5]: [من مخلّع البسيط]

دعَا بكِ الحسنُ فاستجيبي ... باسمكِ في صِبغةٍ وطِيب
تيهي على البِيض وٱستطيلي ... تيهَ شبابٍ على مَشِيب![6]
ولا يَرُعْكِ ٱسْوِدادُ لونٍ ... كمُقْلة الشادِن الرَّبِيب[7]
فإنّما النُّور عن سَوَادٍ ... في أعيُنِ الناس والقُلُوبِ!

---

(١) الزّاغ: الغراب.
(٢) الخزر: جيل خزر العيون، من التركمان، وفي الإسرائيليات أنهم من ولد توغربحا بن كومر بن يافث بن نوح، وقيل: هم من بني طيراش بن يافث، وقيل: نوع من الترك. «صبح الأعشى ١/ ٤٢١».
(٣) السّفع: ما كان لونه أسود مشربًا حمرة.
(٤) يونقه: يجعله جميلًا معجبًا مستحسنًا، والخال: شامة سوداء في الخدّ.
(٥) هو الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، الأديب المغربيّ المشهور، صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده، ولد بالمسيلة سنة ٣٩٠ هـ، وتوفي بـ «مازر» سنة ٤٦٤ هـ. «انظر مقدّمة كتاب العمدة ص ٥، دار الكتب العلمية».
(٦) تيهي: افتخري.
(٧) الشّادن: ولد الظبية، والرّبيب: الولد إذا تعهّده أحدهم بما يغذّيه وينمّيه ويؤدّبه.

وقال آخر: [من السريع]

إنْ أزهَـرَتْ لَيْـلًا نـجـومُ الـسَّـمـا بِـيـضًـا عـلى أسـودَ مُـرْخـي الإزارْ[١]

وأجـب الـعـكـسُ مـثـالًا لـهـا فـالـسُّـود فـي الأرض نـجـومُ الـنـهـارْ

* * *

ومما وصف به أثر الجُدَريّ[٢] في الوجه، فمن ذلك قول الناجم[٣]: [من السريع]

يـا قـمـرًا جَـدّر لـمـا ٱسـتـوى وٱكتسب الملحَ بتلك الكُلُومْ![٤]

أظـنُّـه غـنَّـى لـشـمـس الـضُّـحـى فـنـقَّـطـتـه فَـرَحًـا بـالـنُّـجـومْ

وقال آخر: [من الوافر]

وقـالـوا: شـابَهْ الـجُـدَرِيُّ، فـانـظُرْ إلـى وجـهٍ بـه أثـرُ الـكُـلـومِ!

فـقـلـتُ: مـلاحـةٌ نُـثِـرت عـلـيـه! ومـا حُـسْـنُ الـسـمـاء بـلا نُـجُـومِ؟

ومثله قول الآخر: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـعـائـبـونَ وجـهًـا مَـلِـيـحًـا نَـثـر الـحُـسْـنُ فـيـه نَـبْـذَ خُـدُوشِ!

أيُّ أُفْـقٍ بَـهَـا بـغـيـر نُـجـوم؟ أيُّ ثـوبٍ زَهَـا بـغـيـر نُـقُـوشِ؟

وقال أبو زيد القاضي: [من الخفيف]

غـايـةُ الـحـاسـدِ الـذي لامَ فـيـه أن أرى فـوقَ خـدِّه جُـدَريَّـا[٥]

إنـمـا وجـهُـه هـلالُ تَـمـامٍ جـعـلُوا بُـرْقُـعًـا عـلـيـه الـثـريَّـا![٦]

---

(١) أزهرت: أضاءت.
(٢) الجدري: مرض تنتج عنه قروحٌ في الجسم، وتظلّ آثارها بادية في الجلد.
(٣) الناجم: هو سعد بن الحسين بن شدّاد السمعي، أبو عثمان، المعروف بالناجم، شاعر أديب، كان يصحب ابن الرومي، ويروي أكثر شعره، توفي سنة ٩٢٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٨٤».
(٤) الكلوم: الجروح.
(٥) غاية الحاسد: قصده.
(٦) البرقع: قناعٌ تلبسه النساء، يغطّي الوجه والرأس. والثريّا: مجموعة من الكواكب.

وقال أبو تمام بن رباح: [من مخلّع البسيط]

خَدُّك مِرْآةُ كلِّ حُسْنٍ تحسُنُ من حُسْنها الصِّفاتُ![١]
ما لي أرى فوقَهُ نُجُومًا قد كُسفتْ وهي نَيِّراتُ؟[٢]

* * *

ومما قيل في الحواجب، فمن محاسنها: الزَّجَجُ، والبَلَج.

فأما الزَّجج، فدقّة الحاجبين وامتدادُهما.

وأما البَلَج، فهو أن يكون بينهما فُرْجة. والعرب تستحبّ ذلك.

ومن معايبها: القَرَن، والزَّبَب، والمَعَط.

فالقرن، اتصال الحاجبين، والعرب تكرهه.

والزَّبب، كثرة شعرهما.

والمَعط، تساقط الشعر عن بعض أجزائهما.

* * *

ومما وُصِفت به الحواجب، قال الزاهي[٣]: [من الطويل]

وأغْيدَ مجدولِ القَوامِ جبينُه سَنا القمر البَدْريّ في الغُصن الرَّطْب[٤]
تنكَّب قوسَ الحاجبَينِ فسهمه لواحظُه المَرْضى، وبِرجاسُه قلبي![٥]

وقال عبد الله بن أبي الشيص[٦]: [من الطويل]

حَذِرتُ الهوى حتَّى رُميتُ من الهوى بأصْردِ سهمٍ من قِسِيِّ الحواجبِ[٧]

---

(١) الصّفات: جمع صفة، وهي الحُسن والنّعت.
(٢) كسفت: حجب نورها، والكسوف: احتجاب الشمس كلّيًا أو جزئيًا لحلول القمر بينها وبين الأرض.
(٣) الزاهي: هو علي بن إسحٰق بن خلف الزّاهي البغدادي، أبو القاسم، شاعر، وصّاف، محسن، كثير الملح، أكثر شعره في آل البيت النبويّ، توفي سنة ٩٦٣ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٦٣».
(٤) السّنا: الضوء والنّور.
(٥) تنكّب القوي: ألقاها على منكبه، والمنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد، والبرجاس: هدفٌ ينصب على رمح أو سارية.
(٦) هو محمد بن عبد الله بن رزين، وهو ابن عمّ دعبل الخزاعي، شاعرٌ مطبوع سريع الخاطر رقيق الألفاظ، من أهل الكوفة، وأبو الشّيص لقب عمي في آخر عمره. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧١».
(٧) الأصرد: السّهم النافذ.

وقال محمد بن عبد الرحمٰن الكوفيّ: [من الطويل]

ومستلِبٍ عينَ الغزال وقد تُرى   بجبهته عينُ الغزالة ماثِلا[١]
تناول قوسَ الحاجبين مُفَوَّقًا   بأسهم ألحاظٍ تشُكُّ المَقَاتِلا[٢]

وقال آخر: [من الطويل]

غَزَانِي الهوى في جيشه وجُنوده   وعبّى عليَّ الخيلَ من كلّ جانبِ[٣]
بميمنةٍ أعلامُها أعينُ المَهَا   وميسرةٍ تقضي بزُجِّ الحواجبِ[٤]

وقال آخر: [من الطويل]

لها حاجبان، الحُسْن والغُنْج منهما   كأنّهما نونان من خطِّ ماشق[٥]

* * *

ومما قيل في العيون ووصفها، فمن محاسنها:

الدَّعَج، وهو شدّة السَّواد مع سَعَة المُقْلة.

البَرَج، وهو شدّة سوادها وشدّة بياضها.

النَّجَل، سَعَتها.

الكَحَل، سواد جُفُونها من غير كُحْل.

الحَوَر، اتّساع سوادها كأعيُنِ الظباء، وقيل: هو سواد العين وشدّةُ بياضها.

الوطَف، طول أشفارها؛ وفي الحديث أنّه كان عليه الصّلاة والسّلام في أشفاره وَطَفٌ.

الشُّهْلة، حمرة في سوادها.

ومن معايبها:

الحَوَص، ضيق العين.

الخَوَص، غُؤُورها مع الضّيق.

---

(١) عينُ الغزالة: يريد الشّمس ونورها، أي أن جبينه مضيئًا.
(٢) فوّق السّهم: جعل له فوقًا، والفوق: موقع الوتر من رأس السهم.
(٣) عبّى: هيّأ وأحاط بي.
(٤) المها: مفردها مهاة وهي البقرة الوحشيّة، والزجّ: حديدة في أسفل الرّمح.
(٥) نونان: مثنّى «النون» من أحرف الهجاء، والماشق في الكتابة: هو الذي يمدّ الحرف.

الشَّتَر، انقلاب الجفن.

العَمَش، هو أن العين لا تزال سائلةً رامصةً(١).

الكَمَش، أن لا تكاد تُبصر.

الغَطَش، شبه العَمَش.

الجَهَر، أن لا تبصر نهارًا.

العَشا، أن لا تبصر ليلًا.

الخَزَر، أن ينظر بمؤخر عينه.

الغضَنُ، أن يكسر عينه حتّى تَتَغَضَّنَ(٢) جُفونُه.

القَبَل، أن يكون كأنه ينظر إلى أنْفه، وهو أهون من الحَوَل.

الشُّطور، أن تراه ينظُرُ إليك وهو ينظر إلى غيرك، وهو قريب من صفة الأحول، وفيه يقول الشاعر:

حَمِدْتُ إلهي إذ بَلاني بحبِّه ... وبي حوَلٌ أغنى عن النظَر الشَّزْرِ(٣)
نظرتُ إليه - والرقيبُ يظنُّني ... نظرت إليه - فاسترحتُ من العذرِ

الشَّوَص(٤)، أن ينظر بإحدى عينيه ويُميلَ وجهه في شقّ العين التي ينظر بها.

الخَفَش، صِغَر العين وضَعْف البصر. ويقال: إنه فساد في العين يضيق له الجَفنُ من غير وجع.

الدَّوَش، ضيق العين وفساد البصر.

الإطْراق، استرخاءُ الجفن.

الجُحُوظ، خروج المُقْلة وظهورها من الحِجَاج(٥).

البَخَق، أن يذهب البصر، والعين منفتحةٌ.

الكَمَه، أن يولد الإنسان وهو أعمى.

البَخَص، أن يكون فوق العين أو تحتها لحم ناتيء(٦).

---

(١) الرمص: يقال رمصت العين، أي: اجتمع في موقها وسخٌ أبيض.
(٢) تغضّن: تثنّى وتجعّد.
(٣) الشزر: نظرة الإعراض والاشمئزاز والغضب.
(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٦: «الشّوس» بالسين.
(٥) الحجاج: عظم الحاجب، والحجاج من كلّ شيء: حرفه وناحيته.
(٦) الناتيء: البارز.

فصل في عوارض العين

يقـــال:

حَسِرتْ عينُه، إذا اعتراها كَلَال[١] من طول النظر.

زَرَّتْ[٢] عينُه، إذا توقَّدت من خوف.

سَدِرتْ عينه، إذا لم تكد تبصر.

إسْمَدَرّت عينه، إذا لاحت لها سمادِيرُ، وهي ما يتراءى لها من أشباه الذُّباب وغيره.

قَدِعت عينُه، إذا ضعُفتْ من الإكباب[٣] على النظر.

حَرِجتْ عينه، إذا حارتْ[٤].

قال ذو الرمّة[٥]: [من البسيط]

* وتَـحْـرَجُ الـعـيـنُ فـيـهـا حِـيـنَ تَـنْـتَـقِـبُ *

هَجَمتْ[٦]، إذا غارت.

ونقْنقَتْ، إذا زاد غؤورها، وكذلك حَجَلتْ وهَجَّجتْ.

ذَهِبت، إذا رأتْ ذَهَبًا كثيرًا فحارتْ فيه.

شَخَصت، إذا لم تكد تَطْرف من الحَيْرة.

فصل في كيفية النظر وهيئته

إذا نظر الإنسانُ إلى الشيء بمجامع عينيه، قيل: قد رَمَقه.

فإذا نظر من جانب أذنه، قيل: لَحَظه.

(١) الكلال: الضعف والفتور.

(٢) الذي في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٧ «رأرأت عينه» وهو الصواب، ففي بعض النسخ زرّت عينه، وهو خطأ.

(٣) الإكباب: يقال: كبّ على الشيء: أقبل عليه ولزمه وشُغل به.

(٤) حارت العين: نظرت إلى الشيء فارتدّ البصر عنه.

(٥) ذو الرُّمة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، أبو الحارث، صاحب ميّة المنقريّة، من فحول الطبقة الثانية، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٢٤».

(٦) الذي في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٧: هجّت عينه، وهو الصواب، فقد ورد في بعض النسخ هجمت وهَجَت، وكلاهما خطأ.

فإذا نظر إليه بعَجَلة، قيل: لَمَحه.

فإذا رماه ببصره مع حِدَّة، قيل: حَدَجه بطَرْفه.

(وفي حديث ابن مسعود[1]: «حَدِّث القومَ ما حَدَجُوك بأبصارهم»).

فإن نظر إليه بشدّة وحِدّة، قيل: أرْشَقه وأسَفَّ النظرَ إليه.

(وفي حديث الشعبيّ أنّه كَرِه أن يُسِفَّ الرجلُ إلى أمّه وأخته وابنته).

فإن نظَر إليه نظر المتعجِّب أو الكاره المبغِض، قيل: شَفَنه وشَفَن إليه شُفُونًا وشَفْنًا.

فإن أعاره لَحْظَ العداوةِ، قيل: نظر إليه شَزْرًا.

فإن نظر إليه بعينِ المَحَبّة، قيل: نظر إليه نَظْرَة ذي عَلَق[2].

فإن نظر إليه نظرة المستَثْبت، قيل: تَوضَّحه.

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه مستظلّا بها من الشمس ليستبين المنظورَ إليه، قيل: استكَفَّه واستَوْضَحه واستَشْرَفَه.

فإن نشر الثوبَ ورفعه لينظر إلى صَفَاقته[3]: قيل استَشَفَّه.

فإن نظر إلى الشيء كاللَّمْحة ثم خفِيَ عنه، قيل: لاحه لوحةً. قال الشاعر: [من الطويل]

* وهَـلْ تَـنْـفَـعَـنِّـي لـوحَـةٌ لـو أُلُـوحُـهـا *

فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتَّى يعرفه، قيل: نَفَضه نَفْضًا.

فإن نظر في كتاب أو حساب[4]، قيل: تَصَفَّحه.

فإن فتح عينيه لشدّة النظر، قيل: حَدّق.

فإن لَألأَهُمَا[5]، قيل: برَّق.

---

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمٰن، من كبار الصحابة الأوّلين، مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ. «الكاشف ٢/ ١١٦».

(٢) العلق: المحبّة والعشق.

(٣) الصفاقة: كثافة النسج، وفي فقه اللغة للثعالبي ص ٩٨، قال: فإن نشر الثوب ورفعه لينظر إلى صفاقته أو سخافته ويرى عوارًا إن كان به قيل: استشفّه.

(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٨ ـ ٩٩: فإن نظر في كتاب أو حساب ليهذّبه ويستكشف صحبته وسقمه قيل: تصفّحه.

(٥) يقال: لألأ النجم، أي: لمع في اضطراب.

فإن انقلب حُمْلاق[(١)] عينيه، قيل: حَمْلَق.

فإن غاب سواد عينيه من الفَزع، قيل: بَرَقَ بصرُه.

فإن فتح عين مُفَزَّع أو مهدَّد، قيل: حَمَّج.

فإن بالغ في فتحها وأحدَّ النظرَ عند الخوف، قيل: حَدَّج.

فإن كسر عينه عند النظر، قيل: دَنْقَشَ[(٢)] وطَرْفَش.

فإن فتح عينه وجعل لا يَطْرف، قيل: شَخَص. وفي القرآن العزيز: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَـرُوا۟﴾ [الأنبياء: الآية ٩٧].

فإن أدام النظر مع سكون، قيل: أَسْجَدَ.

فإن نظر إلى أُفُق الهلال ليراه، قيل: تَبَصَّره.

فإن أتبع الشيءَ بصرَه، قيل: أتْأرَه بصَرَه[(٣)].

وقد أوسع الشعراء في وصف العيون ووصفوها بالمَرَض والسَّقْم، وإن كانت صحيحةً؛ فمن ذلك قول الشاعر: [من الخفيف]

بَرَّحَ السُّقْمُ بي وليس صَحِيحًا ... مَنْ رأَتْ عينُه عُيُونًا مِرَاضا[(٤)]
إنَّ لِلأَعْيُنِ المِرَاضِ سِهامًا ... صيَّرتْ أنفُسَ الوَرَى أغْراضا[(٥)]
جَوْهَرُ الحُسْنِ منذُ أعرضَ للقَلْـ ... ـب ثَنى الجِسمَ كلَّه أعْراضا

وقال جرير: [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانَا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لَا حَرَاكَ به ... وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانَا[(٦)]

وقال ذو الرمَّة: [من الطويل]

وعينانِ قال اللهُ كُونَا فكانَتَا ... فَعُولين بالألباب ما تَفْعَل الخمرُ[(٧)]

---

(١) الحملاق: ما يسوده الكحل من باطن أجفان العين.

(٢) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٩: دنقس وطرفش، ويقال: دنقس وطرفس، أو دنقش وطرفش، وهما بالمعنى ذاته.

(٣) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٩: أثأره وأثار إليه البصر.

(٤) برّح: اشتدّ، والسقم: المرض، والعيون المراض: اللواتي فيهنّ فتورٌ وانكسار.

(٥) الورى: الخلق، والأغراض: الأهداف. (٦) اللّبّ: العقل والحجى.

(٧) المشهور في رواية البيت: فعولان: بالرّفع، وصفٌ للعينين.

ومما وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ[(١)]: [من الطويل]

عَلِيمٌ بما تحتَ الصُّدورِ من الهَوَى ... سريعٌ بكَرِّ اللَّحظِ والقلبُ جازِعُ
ويجْرَح أحشائي بعينٍ مَريضةٍ ... كما لانَ مسُّ السيفِ والسيفُ قاطعُ

وقال خالد[(٢)]: [من المديد]

عينُه سَفَّاكةُ المُهَجِ ... من دَمِي في أعظم الحَرَجِ[(٣)]
أسْهَرَتْني وهي لاهيةٌ ... باحْوِرار العين والدَّعَجِ[(٤)]

وقال الهَمْدانيّ: [من المديد]

تَعْمَلُ الأجفانُ بالدَّعَجِ ... عملَ الصَّهباءِ بالمُهَجِ[(٥)]
قُلْ لظَبْيٍ تُسْترقُّ له ... مُهَجُ الأحرار بالدَّعَجِ
أنتَ والأجفانُ ما لَحَظَتْ ... من فُتورُ العينِ في حَرَجِ
كيفَ أدعُو اللهَ أسألُهُ ... فَرَجًا ممَّنْ به فَرَجِي؟

وقال خالد: [من الكامل]

ومَرِيض طَرْفٍ ليس يَصْرِف طَرْفَه ... نحوَ امْرِىءٍ، إلّا رماه بحَتْفِهِ
قد قلتُ إذ أبصَرْته متمايِلًا ... والرِّدْفُ يجْذب خصْرَه من خَلْفه[(٦)]
يا مَنْ يُسَلِّم خَصْرَه من رِدْفه ... سَلِّمْ فُؤادَ محبِّهِ مِنْ طَرْفِه!

وقال أبو هفّان: [من الوافر]

أخُو دَنَفٍ رمَتْه فأقْصَدَتْهُ ... سِهامٌ من جُفُونك لا تَطِيشُ[(٧)]
قواتِلُ لا قِداحَ سِوى احْوِرارٍ ... بهنَّ، ولا سِوى الأهداب رِيشُ[(٨)]

---

(١) عبد الله بن المعتزّ: هو عبد الله بن محمد المعتزّ الخليفة العباسيّ ليوم وليلة، شاعر كبير، مات خنقًا سنة ٩٠٩ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١١٨».
(٢) هو خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم المعروف بالكاتب، شاعر غزل من الكتاب، أصله ومولده في خراسان عاش وتوفي في بغداد سنة ٨٧٦ م، شعره رقيق أكثره غزل. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٠١».
(٣) المهج: مفردها مهجة، وهي الرّوح.
(٤) الدّعج: اشتداد السّواد واتّساع البياض.
(٥) الصهباء: الخمرة، والمهج النفوس.
(٦) الرّدف: العجز أو الكفل.
(٧) الدنف: المرض الثقيل، وأقصدته: رمته وقضت عليه.
(٨) القداح: العيب.

وقال أبو تمام: [من مخلّع البسيط]

يا سَقَم الجفنِ من حَبِيبِي ... ألبستني حُلَّة السِّقَام!

كَمْ قتلَتْ مُقْلتاك ظُلْمًا ... مِنْ عاشقِ القلب مُسْتهامِ[١]

يا مَنْ بعينيه لي غرامٌ ... قَرَّبَ من مُهْجَتي حمامي![٢]

قد رَوِيَتْ من دمي، فحسْبي ... صوائبُ النَّبْلِ والسِّهامِ!

وقال العسكريّ: [من الوافر]

فأرْعى تحتَ حاشِيَةِ الدَّيَاجي ... شَقائقَ وَجْنةٍ سُقيَتْ مُدامًا[٣]

إذا كَرَّتْ لواحِظُ مقلتَيْه ... حَسِبْتَ قُلوبَنا مُطرت سِهامًا

وقال ابن المعلم: [من مجزوء الكامل المزمّل]

سَلْ مَنْ بعينَيْه يَصُولْ ... أهِيَ اللِّحاظُ أم النُّصُولُ؟[٤]

ما جُرِّدت يَوْمَ النَّوى ... إلا لتخْتَلِسَ العُقُولُ![٥]

شَهَرت عيونُهمُ سُيُو ... فًا، ما بمَضْربها فُلُولُ[٦]

تُصْمِي بغَيْرِ جِراحةٍ ... تَفْرِي بغير دمٍ يَسِيلُ[٧]

ولَها بأفئدةِ الهوَى ... فَتْكٌ، وليس لها صَليلُ

وقال آخر: [من الكامل]

رُوحِي الفداءُ لمَنْ أدار بلَحْظِه ... صهباءَ في عَقْلِي لها تأثير!

ومن العَجائب أن يُديرَ بلَحْظه ... مشمولَةً، وإناؤها مَكْسُورُ!

---

(١) المقلة: العين، والمستهام: المحبّ العاشق.
(٢) الحِمام: الموت.
(٣) الحاشية: الجانب والطرف، والدّياجي: الظلمات، والمدام: الخمر.
(٤) يصول: يسطو ويثب ويقهر، واللّحاظ: مؤخّر العين مما يلي الصدغ، والنّصول: مفردها «نصل» وهو حديدة السيف والسّهم والسّكين.
(٥) النّوى: البعد والهجر، وتختلس: تأسر وتستبي.
(٦) الفلول: الشّطب التي تكون في حدّ السيف.
(٧) تصمي: ترمي وتقتل، وتفري: تشقّ وتجرح.

وقال آخر[(١)]: [من]

القَلْب بك المَسْلُوب والملسوب والصبّ بك المَعْتُوب والمتعُوب[(٢)]
يا مَنْ طَلَبَتْ لحاظه سفْكَ دمي مَهْلًا، ضعُفَ الطالبُ والمَطْلوب!

وقال أبو تمام: [من الكامل الأحذّ]

مُتَطَلِّبٌ بصُدُودِهِ قَتْلِي فردُ المَحَاسِنِ وَجْهُه شُغْلِي
ألحاظُه في الخَلْقِ مُسْرِعةٌ فيما تُرِيدُ كسُرْعة النَّبْل

وقال آخر: [من السريع]

ألحاظُكُمْ تجرَحُنا في الحَشَا ولحظنا يجرحكم في الخُدُوذْ
جَرْحٌ بجَرْحٍ، فاجعلُوا ذا بِذَا! فما الَّذِي أوجبَ هذا الصُّدُود؟[(٣)]

وقال آخر: [من الوافر]

ومُقْلةِ شادِنٍ أوْدَتْ بقلبِي كأنَّ السُّقْمَ لي ولها لِباسُ[(٤)]
يَسُلُّ اللحظُ منها مَشْرَفِيًّا لقَتْلي، ثم يُغْمِدُه النُّعاسُ[(٥)]

وقال ابن الروميّ: [من مجزوء الرّمل]

يا عَلِيلًا، جعلَ العِلَّةَ مِفْتاحًا لظُلْمي!
ليس في الأرضِ عَلِيلٌ غير جَفْنَيْكَ وجِسْمِي
بك سُقْمٌ في جُفُون سُقْمُها أكَّد سُقْمي

وقال تاج الدين بن أيّوب[(٦)]: [من المنسرح]

أسْقَمَنِي طَرْفُك السَّقيمُ، وقد حكاه مِنِّي في سُقْمِهِ الجَسَدُ!
هَبَّ نسيمٌ من نحوِ أرضِك لي فزادني في هَواكَ ما أجِدُ
وهاج شَوْقي، والنّارُ ما بَرِحَتْ عند هُبُوب الرِّياح تتَّقدُ

---

(١) هذان البيتان لا يخضعان لقواعد العروض المعروفة، ولا ينتميان إلى أي بحر من بحور العروض الستّة عشر المتعارف عليها.
(٢) الملسوب: الملدوغ. (٣) الصدود: الإعراض.
(٤) الشّادن: ولد الظبية، وأودت: ذهبت. (٥) المشرفيّ: السّيف.
(٦) تاج الملوك بن أيوب: هو أبو سعيد بدري بن أيوب بن شادي بن مروان، الملقب مجد الدين، أخو السلطان صلاح الدين، كان أصغر أولاد أبيه، له ديوان شعر فيه الغثّ والسّمين. . . «وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠».

وقال ابن المعتزّ: [من مجزوء الرجز]

ضـعـيـفـةٌ أجـفـانُـهُ والـقَـلْـبُ مـنـه حَـجَـرُ!
كـأنّـمـا ألـحـاظُـه مـن فِـعْـله تَـعْـتَـذِرُ

* * *

ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فمن ذلك ما قاله عديّ بن الرقاع[١]: [من الكامل]

وكـأنّـهـا بـيـنَ الـنِّـسـاءِ أعـارَهـا عـيـنـيـه أحْـورُ مـن جـآذرِ جَـاسِـم
وَسْنـانُ أقْصدهُ الـنُّعاسُ فرنَّقَتْ في عـيـنـه سِـنَـةٌ ولـيـس بـنـائـم[٢]

وقال الناجم: [من مجزوء الكامل]

كـاد الـغَـزالُ يَـكُـونُـهـا لـكِـنَّـمـا هـو دُونَـهَـا
والـنَّـرجِـسُ الـغَـضُّ الـجـ ـنـيّ أغـضُّ مـنـه جُـفُـونُـهـا
مَـنْ كـان يـعـرف فـضـلَـهـا فـعـن الـقـيَـاس يَـصُـونُـهـا[٣]

وقال أبو دلف: [من السريع]

نَـقْـتـنِـصُ الآسـادَ مِـنْ غِـيـلِـهـا وأعـيُـن الـعِـيـنِ لـنـا صـائِدَةْ![٤]
يَـنْبُو الـحُسامُ الـعَضْبُ عـنّا وقد تَـكْلِمُ فـينا الـنظرةُ الـقاصِدَةْ![٥]
تـهابُنا الأسْدُ، ونَـخْشَى الـمَهَا آبِـدَةٌ مـا مِـثْـلُهـا آبِـدَةْ![٦]

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المزمّل]

للهِ مـا صَـنَـعَـتْ بـنـا تلك المَحَاجِرُ في المَعَاجِرْ![٧]
أمـضـى وأنـفـذُ فـي الـقـلو ب من الخَنَاجر وفي الحَنَاجِرْ!

---

(١) عديّ بن الرّقاع: هو عديّ بن زيد بن مالك، من عاملة، شاعرٌ كبير من أهل دمشق كان معاصرًا لجرير، مهاجيًا له، له ديوان شعر، مات نحو سنة ٧١٤ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٢١».
(٢) الوسنان: النعسان، وأقصده النّعاس: غلب عليه، ورنقت: رفرفت أو حلّت بها، والسِّنة: النعاس والغفلة.
(٣) القياس: في اللغة ردّ الشيء إلى مثله.
(٤) الغيل: الشجر الكثيف الملتفّ، وموضع الأسد.
(٥) ينبو: لم يصب، والعضب: القاطع، وتكلم: تجرح، والقاصدة: القاتلة.
(٦) المها: البقر الوحشي، والآبدة الأولى: الوحش، والآبدة الثانية: الداهية والمصيبة.
(٧) المعاجر: من العجار، وهو ثوبٌ تلفّه المرأة على استدارة رأسها.

وقال آخر: [من الكامل]

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّجُوف كأنّما ... يُمْطِرْنَ أحشاءَ الكريم نِبَالا![١]

وقال أبو فراس الحمدانيّ عفا الله تعالى عنه ورحمه: [من الطويل]

وبِيضٍ بألحاظ العُيونِ كأنّما ... هَزَزْنَ سُيوفًا أو سَلَلْنَ خناجِرَا

تَصَدَّيْنَ لي يومًا بمَنْعَرج اللِّوى ... فغادَرْنَ قلبي بالتصبُّر غادرا[٢]

سَفَرْن بُدورًا، وانتقبْنَ أهلَّةً ... ومِسْن غُصُونًا، والْتفتْنَ جآذِرا[٣]

وأطْلَعْنَ في الأجياد للدُّرّ أنْجمًا ... جُعِلْنَ لحَبَّات القلوب ضَرائِرَا[٤]

وقال ابن الروميّ: [من الكامل]

نظَرَتْ، فأقصدتِ الفُؤاد بطَرْفِها ... ثم انثنَتْ عنّي، فكِدتُ أَهِيمُ![٥]

وَيْلايَ! إن نظَرَتْ وإن هي أعرضَتْ ... وقعُ السِّهامِ ونزعُهنَّ أليمُ!

وقال أيضًا: [من البسيط]

لِطَرْفُها وهو مصروفٌ كموْقِعِه ... في القلب حِينَ يَروعُ القلبَ مَوقعُه[٦]

تصُدّ بالطَّرْف لا كالسَّهم تَصْرِفُهُ ... عنّي، ولكنّه كالسَّهْم تَنْزِعُه

وقال الأرّجانيّ: [من الخفيف]

نَقّبُوهُنَّ خَشْيَةَ العُشّاق! ... أوَ لم تَكْفِ فِتنةُ الأحداق؟

إنّ في الأعينِ المِراضِ لَشُغْلًا ... للمُعَنّى عن الخُدود الرِّقاق![٧]

كلُّ ما فاتَ في الليالي المواضِي ... فهو في ذمّة اللَّيالي البَواقي

---

(١) الخلل: الفتحات، والسجوف: مفردها «سجف» وهو أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.
(٢) منعرج اللِّوى: المنعرج: المنعطف، واللِّوى: ما انعطف والتوى من الرّمل أو مسترقّه.
(٣) سفرن: أي أسفرن عن وجوههنّ وأبدين زينتهنّ، وانتقبن: أي ارتدين النّقاب، وهو ما تستر به المرأة رأسها ووجهها، والجآذر: أولاد البقرة الوحشيّة.
(٤) الأجياد: الأعناق، مفردُها «جيد»، وحبّات القلوب: مُهجُها.
(٥) أقصدت: رمت وأصابت، والطرف: العين، وهام على وجه: لم يدر إلى أين يتّجه.
(٦) مصروف: مبعد وموجّه إلى غيره، ويروع القلب: يجعله يخفق.
(٧) المعنّى: الأسير.

وقال أيضًا: [من المتقارب]

سـتَـرْنَ الـمَـحاسِـنَ إلّا الـعُـيُـونَا كما يَشْهَد المَعْرَكَ الدَّارِعُونَا[١]
سَــلَلْنَ سُـيُــوفًــا ولاقَـيْـنَـنَــا! فـلا تَـسْـأل الـيـومَ مـاذا لَقِـيـنـا
كـسَـرْنَ الـجُـفُـونَ ولـولا الـرِّضـا بـحُـكْـم الـغَـرامِ كسَرْنا الجُفُونَا
وحَـسْـبُ الـشـهـيـدِ سُـرورًا بـأن يُعايِنَ حُورًا مع القَتْل عينًا[٢]

وقال أبو نُوَاس: [من الطويل]

ضعيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسَبُ أنّها قريبةُ عَهْدٍ بالإفاقةِ من سُقم[٣]

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

يـا مَـنْ تـكَـحَّـل طَـرْفُـهـا بـالـسِّـحْـر لا بـالإثـمِـدِ![٤]
نَـفْـسـي كـمـا عَـذَّبـتِـهـا وقـتَـلْتِـهـا بـالإثْـمِ، دِي![٥]

* * *

ومما قيل في أدواء العين، فمن ذلك:

الغَمَص، أن لا تزال العين تَرْمَص[٦].

اللَّحَح، أسوأ الغَمَص.

اللَّخص، التِصاق الجُفُون.

العائر، الرَّمَد الشديدُ. وفيه يقول النابغة[٧]:

وبـاتَ وبـاتَـتْ لـه لـيـلةٌ كـليـلة ذي الـعـائِرِ الأرْمَـد

(١) الدّارع: الذي يلبس الدّرع.
(٢) الحور: مفردها حوراء، وهي من النساء: البيضاء، والعين: مفردها العيناء، وهي الحسنة العين الواسعتها.
(٣) الكرّ: الهجوم والانقضاض، ويقصد بضعيفة كرّ الطّرف: يريد أنها فاترة العيون وكأنّ فيها انكسار.
(٤) الإثمد: عنصر معدنيّ يكتحل به.
(٥) دِي: فعل أمر للمؤنث من «ودى» بمعنى دفع الدّية بسبب الإثم الذي وقع منها.
(٦) الرّمص: ما يظهر في موق العين من وسخ أبيض.
(٧) هو النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، أبو أمامة، والنابغة لقبه، شاعرٌ جاهليّ مشهور، توفي نحو سنة ٦٠٤ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٥٤».

وكذلك الساهِكُ.

الغَرْب، ورَم في المآقي[١].

السَّبَل، أن يكون على بياضها وسوادها شِبْه غِشَاء.

السَّجَا[٢]، أن يعسُر على الإنسان فتحُ عينيه إذا انتبه من النوم.

الظَّفَر، ظهور ظَفَرة (وهي جُلَيدة تغشى العين من تلقاء المآقي).

الطَّرْفة، أن يحدُث في العين نقطةٌ حمراء.

الانْتِشَار، أن يتّسع ثقْب الناظِر حتّى يلحق البياضَ من كل جانب.

الحَثَر، أن يخرُج في العين حَبٌّ وهو الجَرَب.

القَمَر، أن يعرض للعين فَتْرة[٣] وفساد، يقال: قَمِرت عينه.

* * *

ومما قيل في أرمد، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ (وقيل: إنها لابن الروميّ، وقيل للناجم): [من المنسرح]

قالوا: اشتكَتْ عينُه! فقُلتُ لهم … من كَثْرةِ الفَتْك نالَهَا الوَصَبُ![٤]

حُمرتُها من دماءِ مَنْ قَتَلَتْ … والدمُ في النَّصْل شاهدٌ عَجَبُ[٥]

وقال ابن منير الطرابلسيّ[٦]: [من مخلّع البسيط]

رَنَا وفي طَرْفِه احْمرارٌ … يغُضُّ من سِحْر مقلتَيْهِ

وفاضَ من نَرْجِسَيْه ماءٌ … ضَرَّجه وَرْدُ وجنتَيْهِ[٧]

---

(١) المآقي: مفردها «مؤق» وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) الذي في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٠: «القمرُ أن تعرض للعين فترة وفساد من كثرة النظر إلى الثلج، يقال: قمرت عينه» والفترة: الضعف والانكسار.

(٤) الوصب: التعب والفتور، والأوصاب: الأمراض.

(٥) النّصل: حديدة السيف والسّهم والسّكين.

(٦) ابن منير الطرابلسي: هو أحمد بن منير، أبو الحسين، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام ولد بها وسكن دمشق، وكان شاعرًا هجّاءً، توفي بحلب سنة ١١٥٣ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٦٠».

(٧) ضرّج: لطّخ، وضرّج الثوب: صبغه بالحمرة.

فقلتُ يا ممرِضي بوجهِ أظنُّ دائي سرى إليه![١]
هيهاتِ، لا تجحدَنّ قتلي! هذا دمِي شاهدٌ عليه![٢]

وقال الواثق بالله[٣]: [من الخفيف]

لي حبيبٌ قد طال شوقِي إليه لا أُسَمِّيه من حِذاري عَلَيْه
لم تكن عينُه لِتجحَدَ قتلي ودمِي شاهدٌ على وجنتَيْهِ!

وقال الصوليّ[٤]: [من السريع]

يَكْسِرُ لي طَرْفًا به حُمرةٌ قد خَلَطَ النَّرجِسَ في وَرْدِهْ
ما آحمرّت العينُ، ولكنَّهُ يَكْحُلُها من وردتَيْ خَدِّهْ!

وقال آخر: [من السريع]

قالوا: بَدَتْ في عينه حُمْرةٌ قد حازَها مِن وَرْدة الخدِّ
فقلتُ: لم يَرْمَدْ ولكنّهُ يُصافِحُ النَّرجسَ بالوَرْد![٥]

وقال أبو عبد الله بن الحدّاد[٦] الوزير: [من الكامل]

يا شاكيَ الرَّمَدِ الذي بِشَكَاتِه قد صار دهرِي فيه ليلةَ أرمدَا![٧]
اللهُ والإشفاق يعلم أنّني لو أستطيعُ فِدًا، لكنتُ لك الفِدَا!

---

(١) الداء: المرض.
(٢) هيهاتِ: اسم فعل معناه «بعُد» هيهات أن يعود ما مضى.
(٣) الواثق بالله: هو الخليفة العباسيّ أبو جعفر هارون، ابن المعتصم، مات بسامرّاء سنة ٢٢٧ هـ. «صبح الأعشى ٣/ ٢٧٠».
(٤) الصولي: هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، الصولي، «أبو إسحٰق»، أحد البلغاء الشعراء الفصحاء الكتّاب، كان ظريفًا نبيلًا مات بسامرّاء سنة ٨٥٧ م، قال المسعوديّ: لا يعلم فيمن تقدّم وتأخّر من الكتّاب أشعر منه، له «ديوان رسائل» وديوان شعر. «فهرس الأعلام ١/ ٤٥».
(٥) الرّمد: مرضٌ يصيب العين فتلتهب منه، ويرم منه بياضها وجفناها.
(٦) ابن الحدّاد: هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسيّ، أبو عبد الله شاعر أندلسيّ له ديوان شعر، وكتاب «المستنبط في العروض»، سكن المرية واختصّ بابن صمادح، توفي سنة ١٠٨٧ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٣١٥».
(٧) الشكاة: المرض، أو ما يشتكى من أوصاب المرض.

كَمْ من دمٍ سفكَتْ جفونُكَ لم تَزَلْ ... تُخْفِي وتَكْتُم سَفْكَه حتَّى بدا
لـم يَشْتَمِلْ بـدمٍ غِرارُ مهنَّدٍ ... إلا وقد أهْدى النفوسَ إلى الرَّدَى(١)

وقال أبو الفرج الببغاء(٢): [من الطويل]

بنفسِيَ ما يشكوه مَن راحَ طَرْفُهُ ... ونَرْجِسُه مما دهى حسنَهُ وَرْدُا!
أراقتْ دمِي ظُلْمًا محاسنُ وجهه ... فأضحتْ وفي عينيه آثارُه تبدُو!
غدَتْ عينُه كالجَمْر حتَّى كأنما ... سقى عينَهُ من ماء تَوْرِيده الخدُّ
لَئِن أصبحتْ رمداءَ مُقْلةُ مالكي ... لقد طال ما ٱستَشْفَتْ به مُقَلٌ رُمْدُا!

وقال آخر: [من الخفيف]

قُضُب الهندِ والقَنا أخدانُكْ! ... والمَقاديرُ في الورى أعوانُكْ!(٣)
أيُّها ذا الأميرُ ما رَمدت عَيْـ ... ـنك! حاشَا لها، ولا أجفانُكْ!
بل حكَتْ فِعلَكَ الكريمَ ليضحي ... شانُها في العُلى سواءً وشانُك
فهي تَحْمَرُّ مثل سيفك في الرَّو ... ع، وتصفُو كما صَفَا إحسانُك

وقال آخر وأجاد: [من الطويل]

لقد جارَ ما تشكوه في الحُكْم وٱعتدى ... وأسْرفَ في أفعاله وتَمَرّدا!
فمَنْ لي بأنْ لو كنتُ أعرِفُ حِيلةً ... تُصَيِّر أجفاني لأجفانِكَ الفِدا؟
دهَتْ عينَك العينُ التي قد قضى القَضا ... بأنك فيها سوفَ تُصْبِح أرمدا(٤)
فما بُدِّلَتْ مِن نرجسٍ بشقائقٍ ... أعادَتْ لُجَيْنَ الدَّمْعِ مِنِّيَ عَسْجَدًا(٥)
سَلَلْتَ حُسامَ اللَّحظ منها على الورى ... وقد كان أحْرى أن يُصانَ ويُغْمَدَا!(٦)

---

(١) الغِرار: حدّ السيف، والمهنّد: السّيف، والرّدى: الموت والهلاك.

(٢) أبو الفرج الببغاء: هو عبد الرحمن بن نصر المخزومي، من أهل نصيبين، شاعر مشهور، سمّي بالببغاء للثقة فيه، كان متصلًا بسيف الدولة الحمداني. «اليتيمة ١/٢٩٣ وما بعدها».

(٣) القُضُب: مفردها «القضيب» وهو السيف القاطع، والقنا: الرّماح، والأخدان: مفردها «خدن» وهو الصّديق والعون.

(٤) دهت: أصابت بداهية، ويقصد بالعين: الإصابة بالعين.

(٥) الشّقائق: نباتٌ أحمر الزهر مبقع بنقط سود، واللّجين: الفضّة، والعسجد: الذهب.

(٦) أحرى: أجدر وأحقّ، والغمد: غلاف السّيف.

فأنتَ الذي أبلَيْتَهَا بالذي بها إذا السيفُ لم يُغْمَدْ تراكبه الصَّدَا(١)

* * *

ومما قيل في أرمد غطّى عينيه بشَعْريّة(٢)، قول السراج الورّاق(٣): [من المنسرح]

شَعْريَّتِي، مُذْ رَمِدتُ قد حَجَبَتْ طَرْفيَ عَنْكمْ، فصِرْتُ محبوسَا
الحمدُ لله! زادنِي شَرَفًا كنتُ سِراجًا فصِرْتُ فانُوسا

وقال آخر: [من السريع]

غَطَّى على عينيه شَعْرِيَّةً تُشْعِلُ في القلب لَهِيبَ الغَرامْ
كأنَّه البدرُ بدا نِصْفُه ونصفُه الآخَرُ تحتَ الغَمام!

وقال آخر: [من السريع]

لا تَحْسَبُوا شَعْرِيَّةً أصبحَتْ من رَمَدٍ في وجهه مُرْسَلَهْ
وإنما وجنتُه كعبةٌ أستارها من فوقها مُسْبَلَهْ(٤)

ومن رقعة كتبها أرمد (وهو عبد الله بن عثمان الواثقيّ) عفا الله عنه، قال:

صادف وُرُودُ كتابه رمدًا في عيني قد حصرني في الظُّلمة، وحبسني بين الغمّ والغُمَّة، وتركني أُدرِك بيدي ما كنت أدرك بعيني: كليلَ سِلاح البصر، قصير خَطْو النظر، قد ثَكِلْتُ مصباح وجهي، وعَدِمت بعضي، الذي هو آثَرَ عندي من كُلّي، فالبِيض عندي سُود، والقريب منّي بعيد! قد أحاط الوجعُ أجفاني، وقبض عن التصرُّف بَنَاني، ففراغي شُغْل، ونهاري ليل، وطوال الخُطا قصار، وقِصار أوقاتي طِوال. وأنا ضرير وإن عُدِدتُ في البصراء، وأمّيّ وإن كنت من جملة الكُتَّاب والقرّاء. قد قصرت العلّة خطوتَيْ قلمي وبَنَانِي، وقامت بين يدي ولساني.

---

(١) تراكبه: حلّ بصفحته وتجمّع فوقها، والصدأ: ما يلحق بالمعادن عندما تتعرّض للماء والشمس والهواء.
(٢) الشّعريّة: غشاءٌ أسود رقيق يكون على وجه الأرمد والنّساء، وأصله أن ينسج من الشّعر، ثم يطلق على كلّ ما شابهه، وهي كلمة مولّدة.
(٣) السّراج الورّاق: هو عمر بن محمد، أبو حفص، شاعر مصر في عصره، له ديوان شعر كبير، توفي بالقاهرة سنة ١٢٩٦. «فهرس الأعلام ٥/ ٦٣».
(٤) المسبلة: المتدلّية، وأسبل السّتار: أرخاه.

وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات، فيقولون:

القِلَّة ذِلَّة، والوَحْدة وَحْشة، والهَوى هَوان، والأقارب عَقارب، والمَرَض حَرَض[١]، والرَّمد كمد[٢]، والعلَّة قِلَّة، والقاعد مُقْعد.

والله تعالى أعلم.

فصل في ترتيب البكاء

إذا تَهيأ الرجل للبكاء، قيل: أَجْهَشَ.

فإذا امتلأتْ عينه دُموعًا، قيل: أغرَوْرَقت عينهُ، وترَقْرقتْ.

فإذا سالَتْ، قيل: دَمَعَتْ، وهَمَعَت.

فإذا كَثُرتْ دموعه، قيل: هَمَتْ.

فإن كان لبكائه صوت، قيل: نَحَب ونَسَج.

فإذا صاح مع بكائه، قيل: أعول.

قال سَلْم الخاسر: [من المتقارب]

أَتَتْني تُؤنِّبني في البُكاء ... فأَهْلًا بها، وبتأْنيبِها![٣]

تقول، وفي قولها حِشْمةٌ ... أَتَبْكِي بِعين تَراني بها؟

فقلتُ: إذا استحسنَتْ غيْرَكُم ... أمرتُ الدُّموعَ بتأديبِها

فصل فيما قيل في الأنف

الشَّمَم[٤]، ارتفاعُ قصبة الأنف مع استواء أعلاها.

القَنَا، طُول الأنف، ودِقَّة أرنبته، وحَدَبٌ في وَسَطه.

الفَطَس، تطامُن[٥] قصبته مع ضِخَم الأرنبة.

الخَنَس، تأَخُّر الأنف عن الوجه.

الذَّلَف، شُخوص طَرْفه مع صغر أرنبته.

---

(١) الحرض: الهلاك.
(٢) الكمد: الحزن والغمّ.
(٣) التأنيب: اللّوم.
(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٢: الشّحم، ولعلّ الصواب هو الذي ورد في كتاب النّويري.
(٥) التطامُن: الانخفاض والهبوط.

الخَشَم، فِقْدان حاسَّة الشمّ.

الخَرَم، شَقٌّ في المَنْخِرين.

الخَثَم[١]، عِرَض الأنف. (يقال: ثورٌ أخْثَمُ).

القَعَم، اعوجاج في الأنف. قال الشاعر: [من الخفيف]

لَيِّن المَنْخرين معتدلُ الما رن لا سائلٌ ولا جَعْدُ[٢]

* * *

ومما قيل في الشِّفاه والفَمِ[٣]، الشَّدَق، سَعة الشِّدقين.

الضَّجَم، مَيْل في الفم وفيما يليه.

الضَّزَز، لُصوق الحنَك الأعلى بالأسفل.

الهَدَل، استرخاء الشفتين وغلظُهما.

اللَّطَع، بياضٌ يعتريهما.

القَلَب، انقلابهما.

الجَلَع، قصَرهما[٤] عن الانضمام.

فصل في تقسيم ماء الفم

ما دام فيه[٥]، فهو رِيق، ورُضاب.

فإذا عَلِك، فهو عَصيب.

فإذا سال، فهو لُعَاب.

فإذا رمى به، فهو بُزَاق، وبُصَاق.

---

(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٢: الخشم، والخثم والخشم: يقتربان في المعنى، فالخشم: اتّساع الخيشوم.

(٢) المارن من الأنف: ما لانَ منه.

(٣) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٣: ذكر ما أثبته النويري من قول في الشفاه والفم تحت عنوان «في معايب الفم».

(٤) في فقه اللغة للنويري ص ١٠٤: الجلع قصورهما عن الانضمام، ولعلّه الأصوب.

(٥) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٤: ما دام في فم الإنسان، ولذلك فإن الضمير في «فيه» عائد إلى الفم.

فصل في ترتيب الضحك

التبسُّم أوّل مراتبه، ثم الإهلاس وهو إخفاؤه، ثم الافتِرار، ثم الانْكلال وهما الضحِك الحَسَن، ثم الكَتْكتة أشدّ منهما، ثم القَهْقَهة والقَرْقرة والكَرْكرة، ثم الاسْتِغراب، ثم الطَّخْطَخَة، ثم الإهْزاق والزَّهْزقة، وهو أن يذهب الضحك به كلَّ مذهب.

قال كُشاجم: [من الرمل]

عَذُبتْ في الرَّشْفِ منه شَفَةٌ ... مَصُّها أطيبُ من نَيْل الأمَلْ![1]

وعليها حُمْرةٌ في لَعَسٍ ... تستعيرُ اللونَ من صِبْغ الخَجَل![2]

هِيَ فيما خِلْتُ آثارُ دَمٍ ... من فؤادي، عَلَّ فيه ونَهَلْ![3]

وقال ابن سُكَّرَة الهاشميّ[4]: [من المنسرح]

يا ضاحِكاً، يستهِلُّ مَضْحَكُه ... عن بَرَد واضح وعَنْ شَنَبِ![5]

أعطيتَني قُبْلة رشفْتُ بها ... الشَّهْدَ مَشُوباً بعَبْرة العنَب[6]

كأنَّني إذ لثمتُ فاكَ بها ... لثمتُ تُفَّاحةً من الذهَب

وقال كشاجم: [من الطويل]

كأنَّ الشفاه اللعْسَ منها خَواتِمٌ ... من التِّبْر مختومٌ بهنَّ على دُرّه

وقال سيف الدولة بن حمدان، في صباه: [من مجزوء الوافر]

أُقَبِّله على عَجَلٍ ... كشُرْب الطائر الفَزِعَ

---

(١) الرّشف: المصّ بالشفتين.

(٢) اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة، ويبدو جليًا في الشفة السّفلى. وصبغ الخجل: الفتاة إذا خجلت احمرّت وجنتاها، وإذا فزعت لحقتها صفرة.

(٣) خلتُ: ظننتُ وحسبتُ، والعلّ: أن يشرب المرء ثانية بعد الشّرب الأوّل، والنهل: أوّل الشّرب.

(٤) ابن سكرة الهاشميّ: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد، شاعر اليتيمة. «تقدّمت ترجمته».

(٥) يستهلّ: يكشف، والبرد الواضح: الأسنان البيضاء، والشّنب: صفاء الأسنان وبياضها.

(٦) المشوب: الممزوج، والعبرة: الدمعة، وعبرة العنب: أي الخمر.

رأى مــاءً فــأطْــمــعــه ... فـخـاف عَـواقِـبَ الـطَّـمَـعِ
فـصـادف فُـرْصـة فـدَنَـا ... ولـم يـلـتـذَّ بـالـجَـرَعِ(١)

* * *

ومما قيل في طيب الريق والنَّكْهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول ابن الروميّ: [من الخفيف]

أهيفُ الغُصْن، أهيلُ الدِّعْصِ لمّا ... يَـقْـتـسِـمْ قـدَّه وِشـاحٌ ومِـرْطُ(٢)
طَـيِّـب طـعـمُـه إذا ذُقـتَ فـاه ... والثُّريّا في جانب الغَرْب قُرْطُ(٣)

وقال آخر: [من الكامل]

يا مانِعِي طيبَ المَنام، ومانِحِي ... ثَـوْبَ الـسِّـقـامِ، وتـاركِـي كـالآلِ!(٤)
عمَّن أخذتَ جَوازَ منعِي ريقَكَ الـ ... ـمعسول، يا ذا المَعْطِف العَسَّال؟(٥)
عن ثَغركَ النظَّام، أم عن شَعْرك الـ ... ـفحّام، أم عـن طَـرْفك الـغَـزَّال؟(٦)

وقال آخر: [من المتقارب]

أتَـدْرون شَـمْـعـتـنـا لِمَ هَـوَتْ؟ ... لـتـقـبـيـلِ ذا الـرَّشـأ الأكـحـلِ!(٧)
درَتْ أن ريـــقـــتَـــه شُـــهْـــدةٌ ... فـحـنَّـتْ إلـى إلْفـهـا الأوّل

وقال بشار بن بُرْد: [من البسيط]

يا أطيبَ الناس ثَغْرًا غير مختَبَرٍ ... إلّا شهادة أطرافِ المَسَاويكِ!(٨)

---

(١) الجرع: شرب الماء.
(٢) الأهيف: الضامر، والغصن: يريد به القوام، وأهيل الدّعص: يريد الأرداف المكتنزة، كالكثيب من الرّمل، والمرط: كساءٌ من خزّ أو صوف أو كتان يؤتزر به، وتتلفّع به المرأة.
(٣) القرط: ما تضعه المرأة في أذنها من حليّ. (٤) الآل: السّراب.
(٥) المعطف العسّال: يريد القوام المنتصب كالرّمح، والعسّال: الرّمح يهتزُّ لينًا.
(٦) النظّام: المستوية فيه أسنانه والمنتظمة، والفحّام: الأسود والغزّال: الكثير الغزل، أو الذي يأسر بشباك نظراته.
(٧) الرشأ: ولد الظبية.
(٨) المساويك: مفردها مسواك، وهو عودٌ تخلّل به الأسنان.

وقال ابن وكيع التِّنيسي[(١)]: [من السريع]

ريقٌ إذا ما ٱزْددْتُ من شُرْبه ... رِيًّا، ثناني الرِّيُّ ظمآنا
كالخمر أروى ما يكون الفتى ... من شُرْبها أعطَشُ ما كانا

وقال ابن الروميّ: [من السريع]

يا رُبَّ ريقٍ باتَ الدُّجى ... يَمُجُّه بين ثَنايَاكا
يُرْوي ولا ينهاك عن شُرْبه ... والماء يُرويكَ ويَنْهاكا

وقال أبو الفتح كشاجم: [من المديد]

بَلَغَتْهُ الكأسُ فارتعدَتْ ... طَرَبًا منها إلى فَمِهِ
مَنَعَتْهُ أن يؤخّرها ... في يديه من تَحَشُّمِه
فحَسَاها ثم أعقبها ... أرَجًا من طِيبِ مَبْسِمِه[(٢)]

وقال آخر: [من المتقارب]

بقَدْر الصَّبابة عند المَغِيب ... تكونُ المَسرّةُ عند الحُضُورِ[(٣)]
وأطيبُ ما كان بردُ الثُّغُورِ ... إذا هُوَ صادفَ حَرّ الصُّدور

* * *

ومما وصف به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول ابن مَيّادة[(٤)]: [من الطويل]

كأنَّ على أنيابها المِسْكَ شابَهُ ... بُعَيْدَ الكَرى من آخر الليل عابِقُ![(٥)]
وما ذُقْته إلّا بعينِي تَفَرّسًا ... كما شِيمَ في أعلى السحابة بارِقُ[(٦)]
يضم إليّ الليلُ أذيالَ حُبِّها ... كما ضمَّ أردانَ القميص البنائقُ[(٧)]

---

(١) هو ابن وكيع التنيسيّ، أبو محمد، الحسن بن علي، شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع في إبّانه على أهل زمانه، فلم يتقدّمه أحدٌ في أوانه. «اليتيمة ١/ ٤٣٤».
(٢) حساها: شربها، والأرج: الرائحة الطيّبة.
(٣) الصبابة: رقة الشوق والحب.
(٤) ابن ميادة: هو الرّمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني، أبو شرحبيل، شاعر رقيق هجّاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية، كان مقامه بنجد، توفي سنة ٧٦٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١».
(٥) شابه: خالطه.
(٦) التفرّس: إدامة النظر والتحديق، وشام البرق: نظر إليه.
(٧) الأردان: أطراف الكمّ الواسع، أو أصلُ الكمّ. والبنائق: مفردها بنيقة وهي رقعة تخاط في أعلى=

وقال البحتريّ: [من الطويل]

كأنَّ على أنيابها بعد هَجْعةٍ إذا ما نُجومُ الليل حانَ ٱنْحِدارُها
مُجاجةَ مِسْكٍ صُفِّقَتْ بمُدامةٍ معتَّقة صَهباءَ، حان ٱعْتِصارُها[١]

وقال ذو الرمّة: [من الطويل]

أسِيلةُ مَجْرى الدّمع هَيفاءُ طَفْلةٌ عَرُوبٌ، كإيماض الغمام ٱبتسامُها[٢]
كأنّ على فيها، وما ذُقت طَعْمَهُ زُجَاجةَ خمرٍ طابَ فيها مُدامُها

وقال كشاجم: [من السريع]

البدرُ لا يُغْنيكَ عنها إذا غابَتْ وتُغْنِيك عنِ البَدْرِ
في فَمِها مِسْك ومشمولةٌ صِرْفٌ ومنظومٌ من الدُّرّ[٣]
فالمِسْك للنَّكْهة، والخمْر للـ ـرِّيقة، واللُّؤلؤ للثَّغْر

وقال الهذليّ[٤]: [من الوافر]

وما صَهباءُ صافِيَةٌ شمولٌ كعين الدّيك مُنجابٌ قَذاها[٥]
تُشَجُّ بماءِ سارِيةٍ عَريض على ظمإٍ به رصف صَفَاها[٦]
بأطيبَ نَكْهةً من طَعْمِ فيها إذا ما طار عن سنَةٍ كَرَاها[٧]

وقال ابن الروميّ: [من الطويل]

وما تَعْتَرِيها آفةٌ بَشَرِيَّةٌ من النَّوم إلا أنَّها تَتَخَتَّرُ[٨]

= القميص أو الزيق الذي تثبت فيه الأزرار.

(١) المجاجة: العصارة، وصفّقت: مزجت أو صفّيت، والصهباء: الخمر.

(٢) الطفلة؛ الرّخصة الناعمة، والعروب: المرأة المتحبّبة إلى زوجها، وإيماض الغمام: برقُه.

(٣) المشمولة: الخمر الباردة.

(٤) الهذلي: الشعراء الهذليون كثير، ولعلّه أبو صخر الهذلي، عبد الله بن سلمة السّهمي، شاعر من الفصحاء، كان مواليًا لبني أميّة، توفي نحو سنة ٧٠٠ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٠».

(٥) عين الديك: يريد أنها صافية، والمنجاب: المجلو والمبعد، والقذى: ما يقع في العين من وسخ أو أذى.

(٦) تشجّ: تمزج وتخلط، والسارية: السّحابة التي تمطر ليلًا، والعَريض: من العارض أي الممطر، والرّصف: الماء المنحدر من الجبال على الصخر، ويكون أبيض صافيًا.

(٧) السنة: النعاس، والكرى: النوم.

(٨) الآفة: العلّة، وتتختر: تسترخي وتضعف من شراب أو غيره.

كذلِكَ أنْفاسُ الرِّياضِ بسُحْرةٍ ... تَطِيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَغَيَّرُ[١]

وما ذُقْتُه إلا بشَمِّ ٱبْتِسامِها ... وكم مُخْبِرٍ يُدْنِيه للعين مَنْظَر

وغيرُ عجيبٍ طِيبُ أنفاسِ روضة ... مُنَوَّرة باتت تُرَاح وتُمْطَرُ[٢]

وقال جميل[٣]: [من الكامل]

وكأنَّ طارِقَها على عِلَلِ الكَرَى ... والنجمُ وَهْنًا قد دَنَا لتغَوُّر[٤]

يَسْتافُ رِيحَ مُدامةٍ مَعْلُولة ... بذكِيِّ مِسْكٍ أو سَحِيق العَنْبرِ[٥]

وقال الشريف الموسويّ[٦]، شاعر اليتيمة: [من السريع]

يا عَذْبةَ المَبْسِمِ! بُلِّي الْجَوى ... بنَهْلةٍ من ريقِكِ البارِدِ![٧]

أرى غَدِيرًا سَيِّحًا ماؤُه ... فهلْ لذاكَ الماء من وارد؟[٨]

مَنْ لي بذاكَ العسلِ الذائب الـ ... ـجاري خِلَالَ البَرَد الجامد؟

* * *

(١) السُّحرة: أي وقت السّحر، يريد أن أنفاس الرياض وقت السحر يعبق شذاها طيّبًا بينما أنفاس الأنام في ذلك الوقت المتأخّر من الليل تتغيّر رائحتها.

(٢) تراح: أي تفوح فيها رائحة الشراب، وهو الرّاح.

(٣) جميل: هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أبو عمرو، شاعر من عشّاق العرب، وعشيقته بثينة، شعره يذوب رقّة، وأكثره في النسيب والغزل، توفي سنة ٧٠١ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٣٨».

(٤) العَلَل: الشرب مرّة بعد مرّة يتعلّل به، استعير للكرى وهو النّعاس، والوهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه، ودنا: قرب، والتغوّر: الاختفاء.

(٥) يَستاف: يشمّ، والمعلولة: الممزوجة، وذكيّ المسك: رائحته المنتشرة، وسحيق العنبر: أي العنبر المسحوق الذي تفوح رائحته عند السّحق، وفي الديوان: يستاف ريح مدامة «معجونة» ص ٦٠، دار صادر، بيروت.

(٦) الشريف الموسوي: هو الشّريف أبو الحسن محمد بن الحسين الرّضي الموسوي النقيب، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ، وهو من كبار شعراء الدولة العباسيّة. «اليتيمة ٣/ ١٥٥».

(٧) بلّي: من بلّ الشيء أي غمره بالماء، والجوى: اشتداد الوجد والاحتراق من العشق. والنّهل: أوّل الشّرب.

(٨) السيّح: الجاري، والوارد: الشارب.

ومما قيل في طيب عَرْف(١) النساء، قالوا: من أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى(٢): [من البسيط]

ما رَوضةٌ مِن رياض الحَزْنُ معشبةٌ خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ(٣)
يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مؤزَّرٌ بِعَمِيم النبت مكتَهِلُ(٤)
يوماً بأطيبَ نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دَنَا الأُصُلُ(٥)

وقول القطاميّ(٦): [من الطويل]

وما رِيحُ قاعٍ ذي خُزامى وحَوْلَهُ شَذًا أرَجٍ من طيِّب النَّبْت غاربِ(٧)
بأطْيَب من مَيٍّ إذا ما تقَلَّبَتْ من الليل وَسْنى جانباً بعد جانِبِ(٨)

أخذه ابن المعتزّ ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال: [من الطويل]

وما ريحُ قاعٍ زاهرٍ مَسَّت النَّدى وروضٍ من الرَّيحان سَحَّت سحائِبُه(٩)
فجاء سُحَيْرًا بين يومٍ وليلةٍ كما جَرَّ من ذيل الغِلَالة ساحبُه(١٠)

---

(١) العرف: الرائحة الطيّبة.
(٢) هو ميمون بن قيس بن بكر بن وائل الشاعر الجاهلي المشهور المقدّم، وأحد أصحاب المعلّقات، شاعر خمرة ومديح، أدرك الإسلام ولم يسلم. «انظر المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٢».
(٣) الحزن: الأرض الغليظة: المسبل الهطل: المطر الغزير.
(٤) يضاحك الشمس: يدور معها حيث دارت، وكوكب كلّ شيء: معظمه، والمراد هنا: الزّهر، والمؤزّر: أي مؤتزر بالإزار، والشرق: الرّيّان الممتلىء ماء، والعميم: التام السنّ، والمكتهل: الذي أدرك التمام.
(٥) النشر: فوح الرائحة الطيبة، والأصل: مفردها «أصيل»، وهو الوقت الذي يكون بين العصر والعشاء.
(٦) القطامي: هو عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبّاد، من بني جُشم بن بكر، أبو سعيد التغلبي، شاعر غزل فحل، من نصارى تغلب وأسلم، له ديوان شعر، مات نحو سنة ٧٤٧ م. «فهرس الأعلام ٥/٨٨».
(٧) الخزامى: جنسُ نبات، أنواعه عطرة، من أطيب الأفاويه، والغارب: أعلى كلّ شيء.
(٨) الوسنى: النعسة.
(٩) القاع: الأرض السهلة المطمئنة، وسحّت: أمطرت.
(١٠) السُّحِر: من السّحر، آخر الليل قبيل الفجر، والغلالة: لباسٌ رقيق يلبس تحت الثوب أو تحت الدّرع.

بـأطيَـبَ مـن أنيـابِ سَـرَّةَ مَـوْهِـنًـا إذا الليلُ أدجى وارْجَحنَّت كتائِبه[١]
إذا رَغِبتْ عـن جـانـبٍ مـن فِرَاشِـهـا تـضـوّعَ مِـسْـكًـا أيـن مـالَتْ جـوانبُـه

وقال ابن الروميّ: [من البسيط]

والـعَـرْفُ نَـدٌّ ذكـيٌّ، وهـي ذاكِـيَـةٌ إذا أساء جِـوارَ الـعِـطْـر أبـدانُ[٢]
نـعـيـمُ كـلّ بـهـارٍ مـن مَـجَـامِـرِهـا ويُشْمِسُ الليلُ منها فهو ضَحْيانُ[٣]
كـأنّـهـا، وعُـثَـانُ الـنَّـدّ يـشـمَـلُـهـا شمسٌ عليها ضَباباتٌ وأدْجانُ[٤]

وقال ابن الأحنف[٥]: [من الطويل]

ذَكَـرتُـكِ بـالـرَّيـحـان لَمَّـا شَـمِـمْـتُـه وبالـراح لـما قابلَتْ أوجُهَ الشَّرْبِ
تـذكَّـرتُ بـالـريـحـانِ منـكِ روائـحًـا وبالـراح طَعْمًا من مُقَبَّلِكِ العَذْبِ

ومن البليغ قول سحيم[٦]: [من الطويل]

فـمـا زالَ بُـرْدِي طَـيِّـبًـا مـن ثِـيـابـهـا إلى الحول، حتَّى أنْهَجَ البُرْدُ باليا[٧]

وأبلغ منه قول الأحنف: [من الخفيف]

وجَدَ الناسُ ساطِعَ المِسْك من دِجْـ ـلةَ قـد أوسـع الـمَـشَـارِعَ طيـبـا[٨]
فـهُـمُ يُـنـكِـرُونَ ذاكَ ومـا يَـدْ رونَ أن قـد حَـلَلْتِ مـنـهـا قَـريـبـا

---

(١) سرّة: اسم على، وأدجى: أظلم، وارجحنّت: ثقلت ومالت واهتزّت، والكتائب: جمع كتيبة، ويقصد بها هنا قطع الليل.
(٢) العرف: الرائحة الطيّبة، والندّ: عودٌ من الطّيب يتبخر به.
(٣) البهار: جنس زهر طيّب الرائحة، ينبت أيّام الربيع، والمجامر، مفردها مجْمر، وهو ما يوضع فيه الجمر مع البخّور والطّيب، والضحيان: من الضّحى وهو وقت ارتفاع الشمس أو النهار.
(٤) العثان: الدخان، وأكثر ما يستعمل في الدّخان المتصاعد من مجامر الطّيب، والأدجان: مفردها «دُجى» وهو وقت الدخول في الظلام.
(٥) ابن الأحنف: هو العبّاس بن الأحنف اليمامي، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، أصله من نجد، ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل: بالبصرة سنة ٨٠٨ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٥٩».
(٦) سحيم: هو سُحيم بن الأعرف من بني الهُجيم بن عمرو بن تميم شاعر معاصر لجرير، ذكره ابن قتيبة. «انظر الشعر والشعراء ص ٤٢٨».
(٧) أنهج البُرد: خلق وبلِيَ.
(٨) المشارع: مفردها «المشرع» وهو مورد الماء.

وقال آخر، وأحسَنَ: [من السريع]

جاريةٌ أطيبُ من طِيبِها والطِّيبُ فيها المِسْكُ والعنْبرُ
ووجْهُها أحسنُ من حَلْيِها والحَلْيُ فيها الدّرّ والجوهَرُ

وقال امرؤ القيس: [من الطويل]

ألم تَرَ أنّي كُلّما جئتُ طارقًا وجدْتُ بها طيباً، وإن لم تَطَيَّب(١)

وقال آخر: [من الطويل]

أتَاها بعِطْرٍ أهلُها فتضاحَكَتْ وقالت: وهل يَحتاجُ عِطْر إلى عِطْر؟

وقد بالغوا حتّى وصفوا طيب المواضع التي وَطِئها المحبوبُ.

وأوّل من قال ذلك النميريّ(٢) الشاعر في زينبَ بنت يوسف أخت الحجاج، فقال: [من الطويل]

تَضوّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ أن مشَتْ به زينبٌ في نِسْوةٍ خَفِرات(٣)

وقال جميل: [من الطويل]

ألَا أيُّها الربعُ الذي غيَّر البِلى! عَفَا وخَلَا، من بعد ما كان لا يخلُو(٤)
تَداءبَ ريحُ المِسك فيه وإنما به المسكُ أن جَرّتْ به ذيلَها جُمْلُ(٥)

---

(١) في الديوان ص ٢٩، دار الكتب العلمية: «ألم ترياني» وهو الصواب، لأن مطلع القصيدة يقول: خليليّ مرّا بي على أمّ جندب.

(٢) النميري: هو محمد بن عبد الله الثقفيّ النميري شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، له ديوان شعر صغير، توفي سنة ٧٠٨ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٠».

(٣) نعمان: وادٍ يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة، وبنعمان من بلاد هذيل وأجبالها الأصدار، وهي صدور الوادي التي يجيء منها العسل إلى مكة. «معجم البلدان ٥/ ٢٩٣».

(٤) عفا: درس وبلى وامّحى.

(٥) قوله (تداءب ريح المسك فيه) أي في الربع الذي غيّره البلى. و(تداءَب) كذا بالدال المهملة من باب التفاعل. وصوابه (تذأب) بالذال المعجمة من التفعّل يقال (تذأبت الريح) إذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب. فالتذؤب مأخوذ من مادة (الذئب) وإنما ذكَّر الفعل مع أن الريح مؤنثة لأن تأنيثها مجازيّ ومثله يجوز تذكير فعله وتأنيثه. وجُمل: ترخيم لنداء جميلة.

وقول الآخر: [من الطويل]

أرى كلَّ أرض دُستِ فيها، وإن مضت لـهـا حِـجَـجٌ، يـزدادُ طـيـبـاً تُـرابُـهـا!

* * *

ومما قيل في الأسنان، فمن محاسنها:

الشَّنَب، وهو رِقَّة الأسنان واستواؤها وحُسْنها.

الرَّتَل، حُسْن تنضيدها واتّساقها.

التَّفْلِيج، تفرُّج ما بينها.

الشَّتَت، تفرّقها من غير تباعد بل في استواء وحسن. (يقال: ثغر شَتِيت، إذا كان مُفَلَّجًا حسنًا أبيضَ).

الأَشَرُ، تحزيز في أطراف الثنايا يدلّ على حَدَاثة السنّ.

الظَّلْم، الماء الذي يجري على الأسنان من البَريق لا من الرِّيق.

فصـل في مقابحها

الرَّوَق، طولها.

الكَسَسُ، صِغَرها.

الثَّعَلُ، تراكُبُها وزيادة سِنّ فيها.

الشّغا، اختلاف منابتها.

اللَّصَصُ، شدّة تقارُبها وانضمامها.

اليَلَلُ، إقبالها على باطن الفم.

الدَّفَقُ، انصبابُها إلى قدّام.

الفَقَمُ، تقدّم سُفْلاها على العليا.

القَلَحُ، صُفْرتها.

الصُّرَامةُ، خُضْرتها[1].

الحَفَرُ، ما يلزَق بها.

(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٣: «الطُّرامة» بالطاء المشدّدة المفتوحة.

الدَّرَدُ، ذَهَابها.

الهَتَمُ، انكسارها.

اللَّطَطُ، سقوطها.

فصل في ترتيب الأسنان

وهي: أربعُ ثَنايا، وأربعُ رَباعِيات، وأربعُ أنياب، وأربعُ ضَوَاحِك، وثِنْتا عَشْرَة رَحًا[١]، وأربعةُ نواجذَ[٢].

قال أبو الفتح كُشاجم: [من الطويل]

عَرَضْن! فعرَّضْنَ القُلوبَ من الجوى ... لأسْرَعَ في كَيِّ القُلوبِ من الجَمْر![٣]

كأن الشِّفاهَ اللُّعْسَ فيها خواتِمٌ ... من المِسْك، مختومٌ بهنَّ على دُرٍّ[٤]

وقال أيضًا: [من مخلّع البسيط]

كالغُصْن في روضةٍ تميسُ ... تَصْبُو إلى حسنها النُّفُوسُ

ما شَهِدَتْ والنّساءَ عُرْسًا ... فشُكَّ في أنها عَرُوسُ!

تَبْسِمُ عن باسِم بَرُودٍ ... تَعْبَقُ من طِيبة الكُؤوسُ

يَجْمَعُ فيه لمجتنيه: ... مِسكٌ، ووَرْدٌ، وخَنْدَرِيسُ[٥]

وقال المتنبّي: [من الطويل]

ويَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تقلَّدْنَ مثلَهُ ... كأنَّ التَّراقِي وُشِّحتْ بالمبَاسم[٦]

وقال الصنوبريّ: [من المنسرح]

تلك الثَّنايا من عقْدها نُظمتْ ... بل نُظِم العِقدُ من ثَنَايَاها[٧]

---

(١) الرّحا والرّحى: بالألف الطويلة الممدودة والمقصورة: الطاحون.
(٢) النواجذ: أقصى الأضراس في الفم.
(٣) عرضن: ظهرن، وعرّضن: جعله عرضةً، والجوى: شدّة الوجد والاحتراق من العشق.
(٤) اللّعس: التي في حمرتها سمرة.
(٥) الخندريس: الخمر المعتقة.
(٦) التّراقي: مفردها «ترقوة»، وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، ووشّحت: زيّنت.
(٧) الثنايا: الأسنان الأربع في مقدّم الفم.

وقال البحتريّ: [من البسيط]

ويَرْجِعُ الليلُ مُبيضًّا إذا ضَحِكتْ ... عن أبيضٍ خَصِلِ السِّمْطيْنِ وَضَّاحِ[١]

وقال ابن الروميّ: [من الوافر]

كأنّي لم أبِتْ أُسْقَى رُضاباً ... يموتُ به ويحيَا المُستهَامُ![٢]

تُعَلِّلُنيه واضحةُ الثَّنايَا ... كأنّ لِقاءَها حَوْلًا لمَامُ

تَنَفَّسُ كالشَّمُول ضُحًى شَمالٌ ... إذا ما فُضَّ عن فَمِها الخِتامُ[٣]

وقال النابغة: [من الكامل]

تجلُو بقادمَتَيْ حمامةِ أيكةٍ ... بَرَدًا، أسِفَّ لِثاته بالإثْمِدِ[٤]

كالأُقْحُوان غداةَ غِبِّ سَمائِهِ ... جفَّتْ أعالِيه، وأسفَلُه نَدِي[٥]

وقال شقيق بن سليل[٦]: [من الطويل]

وتَبْسِم عن ألْمى اللِّثاثِ، مَفَلَّجٍ ... خَليقِ الثَّنايا بالعُذوبة والبَرْدِ[٧]

وقال جميل: [من الطويل]

بِذي أُشُرٍ كالأُقْحوان يَزِينُه ... نَدَى الطَّلِّ، إلا أنّه هو أمْلَحُ[٨]

وقال السمهريّ: [من الطويل]

كأنَّ وميضَ البرق بيني وبينها ... إذا حانَ من بعض البُيوتِ، ٱبتسامُها[٩]

---

(١) الخصل: الذي فيه خلّة أو انفراج بين الأسنان، والسّمطين: مفرد «سمط»، وهو العقد.

(٢) الرّضاب: الرّيق، والمستهام: العاشق.

(٣) الشّمول: الخمر التي يفوح عبقها، والشّمال: الريح الباردة، وفضّ: انتزع.

(٤) تجلو: تكشف، والقوادم: الريش المقدّم في جناح الطائر، والأيكة: الشجر الكثيف الملتفّ، والبرد: يقصد به الأسنان البيضاء، واللثاث: مغرز الأسنان، والإثمد: الكحل، ومن عادة العرب أن يذروا عليه الإثمد ليبين بياض الأسنان. «انظر الديوان ص ٤٠، دار صادر، بيروت».

(٥) الأقحوان: نَوْرٌ أبيض، وأشدّ ما يكون صفاؤه غبّ المطر، أي بعد هطوله، إذ يزول ما عليه من الغبار بالماء.

(٦) شقيق بن سليل.

(٧) الألمى: ما اسودّ أو اسمرّ.

(٨) بذي أشر: أي بأسنان صغيرة كأسنان المنجل، والطّلّ: النّدى.

(٩) وميض البرق: لمعانه.

وقال آخر: [من الطويل]

أُحاذرُ في الظلماء أن تستَشِفَّني عيونُ العَبارَى في وميض المَضاحِك![١]

* * *

ومما قيل في السِّواك، قول بعض الشعراء: [من الطويل]

أقولُ لمِسْواك الحبيب: لك الهَنَا بلَثْم فَم ما ناله ثَغرُ عاشِق!
فقال، وفي أحشائه حُرَقُ الجوى مقالَةَ صبٍّ للديار مُفارقِ
تذكَّرتُ أوطاني فقَلْبِي كما ترى أُعلِّله بين العُذَيْب وبارق![٢]

وقال آخر: [من الكامل]

نقلَ الأراكُ بأنّ ريقةَ ثَغْرِه من قهوةٍ، مُزِجت بماءِ الكَوْثَرِ[٣]
قد صحَّ ما نقل الأراكُ لأنه قد جاء يروي عن «صِحاح الجوهري»[٤]

وقال آخر: [من السريع]

باللهِ، إن جُزْتَ بوادِي الأراكْ وقبّلَتْ أغصانُه اللُّدْنُ فاكْ[٥]
فابعث إلى المملوكِ من بعضِها فإنَّني والله ما لِي سِوَاكْ!

* * *

ومما قيل في اللّسان، فمن محاسنه:

إذا كان الرجلُ حادّ اللسان قادرًا على الكلام، فهو ذَرب اللّسان، وفَتِيقُ اللّسان.

فإذا كان جَيِّده، فهو لَسِن.

فإذا كان يضعه حيثُ أراد، فهو ذليق.

فإذا كان فصيحًا بَيِّن اللَّهجة، فهو حُذَاقيّ.

فإذا كان مع حِدّة اللسان بليغًا، فهو مِسْلاق.

---

(١) استشف: رأى من خلال ستر الظلام، والعبارى: الناظرة في الشيء.
(٢) العُذيب: الماء الطيّب، كناية عن الرّيق، والبارق: الثغر الذي تبرق أسنانه عند الضحك.
(٣) الأراك: مفردُها أراكة، وهي شجرة المسواك، والكوثر: الشّراب العذب.
(٤) صحاح الجوهري: هو قاموس الصّحاح للجواهري، معروف، من معاجم اللّغة.
(٥) جاز: مرّ قاطعًا، واللّدن: الطّريّة.

فإذا كان لا يعترضُ لسانَه عُقْدة، ولا يتحيَّفُ بيانَهُ عُجْمَة[١]، فهو مِصْقَع.

فإذا كان المتكلمَ عن القوم، فهو مِدْرَةٌ.

فصــل في عيوبه

الرُّتَّة، حُبْسَةٌ في لسان الرجل، وعَجَلة في كلامه.

اللُّكْنة والحُكْلَة، عُقْدة في اللسان وعُجْمة في البيان.

الهَتْهَتة (بالتاء والثاء)، حكايةُ التواء اللسان عند الكلام.

التَّعْتعة (بالتاء والثاء)، حكايةُ صوت الألَكنِ والعَيّ.

اللُّثْغة، أن يُصيِّر الراءَ لامًا من كلامه.

الفَأْفأة، أن يتردّد في الفاء.

التَّمتمة، أن يتردّد في التاء.

اللَّفَف، أن يكون في اللسان ثِقَل وانعقاد.

اللِّيَغ، أن لا يُبيِّن الكلام.

اللَّجْلَجةُ، أن يكون فيه عِيّ وإدخال بعض كلامه في بعض.

الخَنْخَنَةُ، أن يتكلّم من لَدُنْ أنفه، ويقال: هي أن لا يُبَيِّن الرجل كلامه فيُخَنْخن في خياشيمه.

المَقْمَقة، أن يتكلّم من أقصى حلقه.

فصل في ترتيب العِيّ

يقال: رجل عَيِيٌّ، ثم حَصِر، ثم فَهٌّ، ثم مُفْحَم، ثم لَجْلَاج، ثم أبْكَمُ.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: المرءُ مخبُوٌّ تحت لسانه.

وقال شاعر: [من الطويل]

وما المَرْءُ إلَّا الأصغَرانِ: لسانُه ومعقولهُ، والجسم خَلْقٌ مصوَّرُ

---

(١) يتحيّف: ينتقص، والعُجْمَة: اللكنة في اللّسان.

وقال أمرؤ القيس: [من المتقارب]

وذلـــكَ مـــن نَـــبَـــإٍ جـــاءنـــي وخُـبِّـرتُـه عـن أبـي الأسْـودِ(١)
ولـو عـن نَـثَـا غـيـره جـاءنـي وجُـرح الـلسـان كـجُـرح الـيَـد(٢)

(النَّثا: القبيح من الكلام).

وقال جرير: [من الطويل]

لسانِي وسيْفِي: صارمانِ كلاهُما! وللسَّيْفُ أشوى وقعةً من لسانيا!(٣)

(قوله: أشوى إذا أخطأ المَقْتَل).

وقال آخر: [من الوافر]

وجُـرْحُ الـسـيـفِ تَـدْمُـله فـيَـبْرى وجُرْحُ الدّهر ما جَرح اللسانُ!(٤)

* * *

ومما وصف به حسن الحديث والنغمة، فمن ذلك قول ذي الرمّة: [من الطويل]

ولـمَّا تلاقَيْنا، جَرَتْ من عُيُونِنا دموعٌ كفَفْنا غَرْبها بالأصابع(٥)
ونِـلْنا سُقـاطًا مـن حـديـثٍ كـأنّـهُ جَنى النحلِ ممزوجًا بماء الوقائعِ(٦)

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإنّـا لـيَـجْـرِي بـيـنَـنَـا حـيـنَ نَـلْـتَـقِـي حـديـثٌ لـه وَشْـيٌ كـوَشْـي الـمَـطَـارِف!(٧)
حديثٌ كوَقْع القَطْر في المَحْلِ يُشْتفَى به من جَوًى في داخلِ القَلب، لاطف(٨)

---

(١) في الدّيوان ص ٥٣، دار الكتب العلمية: «وأُنبئته عن أبي الأسود»، وأبي الأسود: رجلٌ من كنانة، يظهر أنّه كان هجا امرىء القيس، وقال الشنقيطي في حماسته: إنّه أبا الأسود الكندي، وهو عمّ امرىء القيس من بني الجون من كندة، وكان زمانًا ينازع امرأ القيس حقّه في الملك، فواعده موضعًا فالتقيا كلّ منهما في كبكبة من أصحابه، فشدّ أصحاب امرىء القيس على أصحاب أبي الأسود فهزموهم وكشفوهم، وشدّ امرؤ القيس على أبي الأسود فطعنه فأنفذ حضنيه، فمات أبو الأسود وحصل الملك لامرىء القيس.

(٢) وجرح اللسان كجرح اليد: هذا مثل صحيح، يعني أنّ في الكلام ما يؤثّر في النفس أثر السّلاح في الجسم.

(٣) الصارم: السيف القاطع.

(٤) يبرى: يشفى ويندمل: يداوى.

(٥) الغرب: الدمع أو مسيله.

(٦) السّقاط: الجانب، والوقائع: ماء السّحاب الرقيق.

(٧) الوشي: التطريز، والمطارف: مفردها مطرف: وهو رداءٌ من حرير ذو أعلام.

(٨) لاطف: لاصق، يقال: ألطفت الشيء بجنبي واستلطفته إذا ألصقته وهو ضدّ جافيته «اللسان=

وقال ابن الروميّ: [من مجزوء الكامل]

ولـقـد سئمتُ مآربي ... فكأنَّ طَيِّبَها خَبِيثْ
إلّا الـحـديـثَ فـإنَّـهُ ... مثلُ آسمِه أبدًا حَدِيثْ

وقال بشّار: [من مجزوء الكامل]

وكـأنَّ رَجْـعَ حـديـثِـهـا ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا
وكـأنَّ تـحـتَ لـسـانِـهَـا ... هارُوتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا[1]
وتَـخـالُ مـا آشـتَـمَـلَتْ عـليـ ... ـه ثيـابُـهـا: ذَهَـبـا وعِطْـرا

وقال البحتريّ: [من الطويل]

فلَمَّا التقينَا ـ والنَّقا موعِدٌ لنا ـ ... تعجَّب رائي الدُّرّ حُسْنًا ولاقِطُه[2]
فمن لُؤلؤٍ تجلُوه عند ابتسامِها ... ومن لُؤلؤٍ عند الحديث تُساقطُهْ!

وقال آخر: [من الطويل]

ظَـلِلْنـا نَـشَـاوى عـنـد أُمِّ مـحـمـدٍ ... بنَوْمٍ، ولم نَشْربْ شرابًا ولا خَمْرا!
إذا صمتَتْ عنَّا، صَحَوْنا بصَمْتها ... وإن نطَقتْ، هاجتْ لألبابنا سُكْرا[3]

وقال ابن الروميّ عفا الله عنه: [من الكامل]

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ، لو أنّه ... لم يَجْنِ قَتْلَ العاشق المتحرِّزِ[4]
إنْ طالَ لم يُملَلْ، وإن هي أوجزَتْ ... ودّ المحدَّثُ أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ القلوب، وفتنةٌ ما مثلُها ... للمطمئِنِّ، وعُقْلةُ المستوفِزِ[5]

وقال القطاميّ: [من البسيط]

فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به ... مواقِعَ الماءِ من ذي الغُلَّة الصادِي[6]

= مادة لطف».

(١) هاروت: رفيق ماروت، وهما ملكان هبطا ببابل فعلّما الناس السّحر، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢].

(٢) النّقا: كلّ قطعة من الرّمل محدودبة. (٣) الألباب: العقول.

(٤) المتحرّز: المتوقّي.

(٥) المستوفز: المتحفّز للقيام، واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، والعقلة: العقال، حبلٌ أو شرك يشدّ به.

(٦) ينبذن: يطرحن، ونبذ العرق: نبض وضرب، وذو الغلّة: الظمآن، والصّادي: الذي به عطش=

وقال عليّ بن عطية البلنسيّ(١): [من الخفيف]

كـلّمـتْـنـي فـخِـلْـتُ دُرًّا نَـثِـيـرًا ... وتـأمَّـلـتُ عِـقْـدها هـل تَـنـاثَـرْ

فـازْدهـاهـا جـمـالُـهـا، فـأرَتْـنِـي ... عِـقْـد دُرٍّ مـن الـتـبـسُّـم آخَـرْ!

وقال الوأواء الدّمشقيّ(٢): [من مجزوء الرمل]

وحـــديـــثٍ كـــأنَّـــه ... أوبـــةٌ مـــن مُـــســـافِـــرِ

كـــانَ أحْـــلى مـــن الـــرُّقـــا ... د لـــدى طَـــرْف ســـاهِـــرِ

بِـــتُّ ألـــهـــو بِـــطِـــيـــبِـــه ... فـــي رِيـــاضٍ زَواهِـــرِ

بَـــيْـــنَ ســـاقٍ وســـامـــر ... ومُـــغَـــنٍّ وزامِـــرِ

وقال الطائيّ(٣): [من الكامل]

مَـدَّتْ إلـيـكَ بـنـانـةً أُسْـرُوعَـا ... تَشْكُو الفِراقَ، ومُقْلةً يَنْبُوعا(٤)

كـادَتْ لـعِـرْفـانِ الـنَّـوى ألـفـاظُـهـا ... من رِقَّةِ الشَّكْوَى تكون دُمُوعا

وقال ابن المعتزّ: [من الطويل]

وســـرّ أحـــاديـــثٍ عِـــذَابٍ لَوَ انَّـــهـــا ... جَنى النحل، لم تَمْجُجْ حلاوتَها النحْلُ(٥)

* * *

ومما قيل في الأذن، الصَّمَعُ، صِغرها.

السَّكَكُ، كونها في نِهَاية الصِّغَر.

القَنَفُ، اسْتِرخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه.

الخَطَلُ، غلظهما.

= شديد.

(١) عليّ بن عطية البلنسي، أبو الحسن، بن مطرف، ويُعرف بابن الزقّاق، شاعر له غزل رقيق ومدائح اشتهر بها، عاش أقلّ من أربعين سنة، توفي سنة ١١٣٤ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٣١٢».

(٢) الوأواء الدّمشقي: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسّاني، من حسنات أهل الشام وصاغة الكلام، كان مناديًا في دار البطيخ بدمشق على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «اليتيمة ١/ ٣٣٤».

(٣) الطائي: هو أبو تمّام الطائي حبيب بن أوس.

(٤) الأسروع: واحدة الأساريع، وهو دودٌ بيض حُمْرُ الرؤوس تتغذّى بالأوراق والأثمار، وتشبّه بها أصابع النساء. «انظر اللّسان، مادة سرع».

(٥) لم تمجج: لم تلفظ، ومجّ الرّيق أو الشراب من فمه: قذفه ورمى به.

فصل في ترتيب الصَّمَم

يقال:

بأُذُنه وَقْرٌ.

فإذا زاد، فهو صَمَمٌ.

فإذا زاد، فهو طَرَشٌ.

فإذا زاد حتّى لا يسمع الرعدَ، فهو صَلَخٌ.

* * *

ومما وصف به الصُّدْغ(١)، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ: [من الكامل الأحذّ]

رِيمٌ! يَتِيهُ بحُسْن صُورتِهِ عبَثَ الفتورُ بلحظ مُقْلتِهِ(٢)
فكأن عَقْرَبَ صُدْغه وقفَتْ لما دَنَتْ من نارِ وجْنَتِهِ(٣)

وقال ابن الروميّ: [من الخفيف]

أبدًا نحنُ في خِلافٍ: فمِنّي فرطُ حُبٍّ ومنك لي فرط بُغْض
فبصُدْغَيْكَ فوقَ خطِّ عذارٍ ظُلُماتٌ، وبعضُها فوقَ بعض(٤)

وقال الصاحب بن عبّاد(٥): [من الوافر]

وعهدِي بالعَقَارِبِ حين تَشْتُو تُخَفِّف لَدْغها وتَقِلُّ ضُرّا
فما بالُ الشتاء أتى، وهذا عقاربُ صُدْغِه يزدَدْنَ شَرًّا؟

وقال ابن المعتزّ: [من الطويل]

أمِنْ سَبَجٍ في عارِضَيْه صوالِجٌ مُعطَّفةٌ تُفَّاحَ خدّيه تضرِبُ؟(٦)

---

(١) الصدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

(٢) الرّيم: الظبي الخالص البياض، والفتور: الضعف والانكسار.

(٣) عقرب الصّدغ: يريد الشعر المتدلّي على الصّدغ.

(٤) العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية.

(٥) الصاحب بن عبّاد: هو أبو القاسم إسمٰعيل بن عباد، وزير أديب شاعر من الكتّاب، كان نادرة عطارد في البلاغة، وواسطة عقد الدّهر في السّماحة، قصده الأدباء من كلّ صوب. «انظر اليتيمة ٣/ ٢٢٥، الباب الثالث».

(٦) السّبج: خرز أسود، والصوالج: مفردها «صولج»، وهي العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها=

وما ضرَّه نارٌ بخدَّيه أُلْهِبَتْ ولكِنْ بها قلب المُحِبِّ يُعَذَّبُ؟
عناقيدُ صُدْغَيْهِ بخدَّيْه تلتوِي وأمواجُ رِدْفَيْه بخَصْرَيْه تَقْلِبُ
شَرِبْتُ الهوى صِرْفًا زُلالًا، وإنّما لواحظُه تَسْقِي وقلبِي يَشْرَبُ

وقال الثعالبيّ: [من السريع]

وصَوْلَجانٍ في يدَيْ شادنٍ لا يسمَحُ العاشقُ أن يذْكُرَهْ[1]
وصولجانُ المِسْك في خدِّه متَّخذٌ حبَّةَ قلبي كُرَهْ

وقال الناشىء الأصغر[2]: [من مجزوء الخفيف]

لك صُدْغٌ كأنّما نُونُه نونُ كاتِبْ
يَلْدَغُ الناسَ إذ تَعَقْـ ـرَبَ لَدْغَ العقاربْ

وقال الصاحب بن عبّاد: [من السريع]

يا شادنًا في وَجْهه عَقْرِبٌ ما يَستجيبُ الدّهرَ للراقِي
يَسْلَمُ خدَّاه على لدغها ولَدْغُها في كَبِدي باقِي!

وقال عمر المطوعيّ[3]: [من الطويل]

بنفسِيَ من تمَّتْ محاسِنُ وجهِه! فما هُو إلا البدرُ عند تَمامِ
وأرسلَ صُدْغًا فوقَ خدٍّ كأنّهُ جَناحُ غرابٍ فوق طوقِ حَمامِ

وقال آخر: [من الكامل]

حَلَّتْ عقاربُ صُدْغِه في خَدِّهِ قَمَرًا، فجَلَّ بها عن التشبيهِ!
ولقد عَهِدْناهُ يحِلُّ ببُرْجِها فمن العجائب كيفَ حَلَّتْ فيهِ؟[4]

= الفارس الكرة في بعض الألعاب.

(١) الصولجان: العصا المعقوفة، والشادن: ولد الظبي أو الغزال.

(٢) الناشىء الأصغر: هو علي بن عبد الله بن وضيف، أبو الحسن، شاعر مجيد من أهل بغداد، كان إماميًا، له قصائد كثيرة في أهل البيت، قصد سيف الدولة وأملى ديوان شعره في مسجد الكوفة فحضر مجلسه بها المتنبّي وهو صغير، توفي ببغداد سنة ٩٧٦ هـ. «فهرس الأعلام ٤/ ٣٠٤».

(٣) عمر المطوعيّ: هو عمر بن عليّ، أبو حفص أديبٌ من أهل نيسابور له شعر رقيق، له مؤلّفات عدّة وخدم الأمير أبا الفضل المكيالي، توفي نحو سنة ١٠٤٨ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٥٥».

(٤) يريد «بالبرج» برج العقرب، وهو من أبراج السماء.

وقال العماد الأصبهَاني[(١)]: [من الكامل]

وإذا بَدَا لكَ صُدْغُه في وجهه   أبصرتَه قمرًا بدَا في العَقْرب!

وقال أبو الفتح كُشاجم: [من الكامل]

ومَنعْنَ وَرْدَ خدودهنَّ فلم نُطِقْ   قَطْفًا لها لعَقَارب الأصْداغِ!

* * *

ومما وصفت به الخدود والوَجَنات، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

قال أبو الفتح كُشاجم: [من الوافر]

غَدَا، وغَدَا تورُّدُ وجنتَيْهِ   لعينِ محبّه يصف الرِّياضَا
على خدّيْهِ ماءٌ عَسْجَديٌّ   فلو نظَر الرقيبُ إليه، غَاضَا[(٢)]

وقال آخر: [من الطويل]

دعوتُ بماءٍ في زُجاجٍ، فجاءَني   حبيبي به خَمْرًا نَظَرْتُ له شَزْرا
فقال: هو الماء القَرَاح وإنّما   تجلّى له خدّي فأوهمكَ الخمرَا!

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصريّ[(٣)]، شاعر اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

وَرْدُ الخدودِ أرقُّ من   وَرْد الرِّياضِ وأنْعَمُ
هذا تَنَشَّفُهُ الأُنو   فُ، وذا يقبِّلُهُ الفَمُ
فإذا عدَلْتَ، فأفضلُ الـ   ـورْدَينِ وَرْدٌ يُلْثَمُ

وقال أيضًا (ويروى للوأواء الدمشقي): [من السريع]

لا تظلِمُوا الناسَ ولا تطْلبُوا   بثاريَ اليوم أذَى مُسْلِمِ!
ويا لقَوْمي دونَكُم شادنًا   معتدِلَ القامة والمَبْسِمِ!
فإنْ أبى إلّا جحودَ الهوى   وأكتمِ الأمرَ ولم يُعْلِمِ
قولوا له يكشِفُ عن خدِّه   فإن فيه نُقَطًا من دمِي

---

(١) العماد الأصبهاني: هو محمد بن محمّد، أبو عبد الله عماد الدّين، مؤرّخ، عالم بالأدب، من كبار الكتّاب، من كتبه الخريدة، توفي سنة ١٢٠١ م. «فهرس الأعلام ٧/٢٦».

(٢) العسجد: الذّهب، وغاض الماء: غار وغاب.

(٣) هو أبو القاسم عبد الغفّار المصري، ذكره صاحب اليتيمة في الفصل الذي خصّصه لشعراء الشام ومصر والمغرب، الباب التاسع. «اليتيمة ١/٥٢٤».

وقال ابن الرّوميّ: [من الخفيف]

وغـزالٍ تـرى عـلى وجـنـتـيـهِ قَطْرَ سهميه من دماء القُلوبِ
لَهْفَ نفسِي لتِلْكَ من وجَنَاتٍ وَرْدُها وَرْدُ شارقٍ مهضُوبِ![١]
أُنهِلَتْ صِبْغَ نفسِها ثم عُلَّتْ من دماء القَتْلى بغير ذُنُوبِ[٢]
جرحتْه العيونُ فاقتَصَّ منها بجوًى في القلوب دامِي النُّدوبِ[٣]

وقال أيضًا: [من المنسرح]

يا وجنَتَيْهِ اللتينِ من بَهَجٍ في صُدْغَيْه اللّذين من دَعَجِ![٤]
ما حُمرةٌ فيكما: أمن خَجَلٍ أم صِبْغَةُ الله، أم دَمْ المُهَجِ؟[٥]

وقال أبو الفتح البستيّ[٦]: [من الكامل]

ومُهَفْهَفٍ غَنِجِ الشمائلِ أَزْعجَتْ قلبي محاسن وجهه إزعاجَا[٧]
دَرَتِ الطبيعةُ أنّ فاحِمَ شَعْرِه ليلٌ فأذْكتْ وجنتَيْه سراجا[٨]

وقال عبد الله بن المعتزّ: [من الكامل]

يا مَنْ يجودُ بموعِدٍ من لحظه ويصُدّ حينَ أقولُ: أين المَوْعِدُ؟
ويظَلُّ صَبَّاغُ الحياء بخدِّه تعبًا: يُعَصْفِر تارةً ويُورِّدُ[٩]

وقال الراضي بالله[١٠]: [من المنسرح]

يَصْفَرُّ وجهي إذا تأمَّلَني خَوْفًا، ويحمرُّ خدُّه خَجَلا
حتَّى كأنَّ الذي بوَجْنته من ماء وَجْهي إليه قد نُقِلا

---

(١) لهف نفسي: كلامٌ فيه تحسّر وحزنٌ على ما فات، والشّارق: الشديد الحمرة والمهضوب: الذي بلّله المطر.
(٢) أنهلت: من النّهل أوّل الشرب، وعُلّت: من العلل، وهو الشّرب ثانية بعد الشرب الأوّل.
(٣) اقتصّ: أخذ منه القصاص، أي عاقب، والنّدوب: أثر الجروح الدامية.
(٤) الدّعج: سعةٌ في العين مع اشتداد سوادها وبياضها.
(٥) المهج: مفردها مهجة وهي الرّوح ودمُ القلب.
(٦) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد الكاتب البستي، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس، البديع التأسيس، شاعر من غرر أهل بست. «انظر اليتيمة ٤/ ٣٤٥».
(٧) المهفهف: الضامر الخصر والقدّ، والشّمائل: الصفات.
(٨) أذكت: أشعلت وأورت.
(٩) يعصفر: من عصفر، أي صبغه بالعصفر، وهو نبات يستخرج منه صبغٌ أحمر.
(١٠) الرّاضي بالله: أبو العباس أحمد بن المقتدر، الخليفة العبّاسيّ، توفي سنة ٣٢٩ هـ. «صبح=

وقال الخُبْزأرُزّي: [من الخفيف]

صِلْ بخدِّي خَدَّيْكَ، تَلْقَ عَجِيبًا ... من معانٍ يَحارُ فيها الضميرُ

فبِخَدَّيْكَ للرَّبيع رِياضٌ ... وبخدَّيَّ للدُّموع غَديرُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أظْهرَ الكِبْرياءَ من فَرْط زَهْوِ ... فتلقَّيْتُهُ بذُلِّ الخُضوعِ

وحَبَاني ربيعُ خدّيْه بالوَرْ ... دِ فأمطَرْتُه سَحابَ الدُّموعِ

وقال الصنوبريّ: [من المنسرح]

رَقَّ، فلو كلَّفتْهُ أعيُنُنا ... أن يرشَح الخمرَ خدُّهُ، رَشَحَا[1]

وفال المفجّع[2]: [من السريع]

ظَبْيٌ إذا عقْربَ أصداغَهُ ... رأيتَ ما لا يُحْسِن العقْربُ

تُفّاح خدّيْهِ له نَضْرةٌ ... كأنّه من دَمْعتي يَشْرَبُ

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

ومُبِيحُ أسرارِ القُلو ... ب بوجنتَيْه وحاجِبَيْهِ

جمَعَ الإلـٰه له المحَا ... سنَ ثم أفْرغَها عليهِ

وكأنَّ مِرْآتينِ عُلْـ ... ـقتا بصَفْحة عارِضَيْهِ[3]

وكأنَّ وَرْدَ الجُلَّنـ ... ـار مُضَعَّف في وجنتَيْهِ[4]

وقال عليّ بن عطيّة البلنسيّ في غلام جُرِح خدّه: [من المتقارب]

وأحْوَى رَمَى عن قسِيِّ الحَوَرْ ... سهامًا يُفوِّقُهنّ النظَرْ[5]

= الأعشى ٣/ ٢٧٤».

(١) يرشح الخمر أو الماء: يندى.

(٢) المفجّع: هو محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري، أبو عبد الله، شاعرٌ عالم بالأدب، من أهل البصرة، توفي سنة ٩٣٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٣٠٨».

(٣) العارض: الخدّ. (٤) الجلّنار: زهر الرّمّان.

(٥) الأحوى: من كان به حوّة، وهي لون صدأ الحديد، سمرة مشبّعة بحمرة، والحور: يريد به هنا العين التي اشتدّ بياضها وسوادها، والفوق: موقع الوتر من رأس السهم.

يـقـولـون: وجـنَـتُـهُ قُـسِّـمَـتْ ورسـمُ مـحـاسـنـه قـد دَثَـرْ(١)

ومـا شَـقَّ وجـنَـتَـه عـابِـثًـا ولـكـنَّـهـا آيـةٌ لـلـبَـشَـرْ

جَـلَاهـا لـنـا الله كـيـمـا نَـرى بـهـا كـيـفَ كـان آنْـشـقـاقُ الـقـمَـرْ

❊ ❊ ❊

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ: [من الكامل]

نُجْلُ العُيون، سواحِرُ اللحَظاتِ هيَّجْنَ منك سواكنَ الحَركاتِ(٢)

أقبَلْنَ يرميـن الجِمار تَنَسُّكًا فجعَلْن قلْبَك موضِعَ الجَمَراتِ(٣)

فكأنهـنّ غُصـونُ بـانٍ نـاعـمٍ يحمِلْنَ تُفَّاحًا على الوَجَناتِ(٤)

وقال ابن الروميّ: [من الرّمل]

تَـشْرَعُ الألـحـاظُ في وجْنـتِها فتُـلاقي الـرِّيّ مـن مَـشْـرَبِـهـا(٥)

فَهْي حَسْبُ العينِ من نُزْهتها وَهْي حَسْبُ الأُذْن من مَطْرَبِها

وقال ديك الجنّ(٦): [من مجزوء الكامل]

بـأبـي الـثـلاثُ الآنـسـا تُ الـرائـقـاتُ الـغـانِـيَـاتْ!

أقـبـلن، والأصـداغُ فـي وجَـنَـاتـهـنَّ مُـعَـقْـرَبَـاتْ!

ألـفـاظُـهـنَّ مـؤنَّـثـا تٌ والـجُـفُـون مُـذَكَّـراتْ!

حـتَّـى إذا عـايـنـتـهـ ـن ولـلأُمُـور مـسـبَّـبَـاتْ

(١) دثر: امّحى.
(٢) النّجْل: العيون الواسعة الحسنة.
(٣) الجمار: من مناسك الحجّ، وهي رمي الحجارة أو الحصى، أن نظرات العيون رمت القلوب فأصابت الرّمية.
(٤) البان: شجر ليّن، ورقه طويل، أبيض الزّهر.
(٥) تَشْرع: تشرب، وشرع في الأمر خاض، يريد أنَ الألحاظ تنظر إليها فترتوي من حسنها، وكأنّها تشرع من ماء عذب.
(٦) ديك الجنّ: هو عبد السّلام بن رغبان بن حبيب الكلبيّ، شاعرٌ مجيد، فيه مجون من شعراء العصر العبّاسي، سمّي بديك الجنّ لأن عينيه كانتا خضراوين، توفي بحمص سنة ٨٥٠ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٥».

جـمَّـشـتَـهـنَّ، وقـلـتَ: طـيـ ـبُ عِـنـاقـكُـنَّ هـو الـحـيـاةْ![1]
فـخـجـلْـنَ حـتَّـى خـلـتُ أنَّ خـدودَهـنَّ مـعـصْـفَـراتْ[2]

* * *

ومما وصفت به الخيلان[3]، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

قال بعض الشعراء: [من السريع]

فـي الـسـاعِـدِ الأيـمـنِ خـالٌ لـه مـثـلُ الـسُّـوَيْـداءِ عـلى الـقَـلْـبِ[4]
كـأنّـه مـن سَـبَـجٍ فـاحِـمٍ مُـرَكَّـب مـن لُؤلـؤ رَطْـبِ[5]

وقال ابن منير الطرابلسي: [من المنسرح]

لاحَ لـنـا عـاطِـلًا، فـصِـيـغَ لـه مَـنـاطِـقٌ من مَرَاشِقِ الـمُـقَـلِ[6]
حـيـاةُ رُوحِـي وفـي لـواحِـظِـهِ حَـتْـفِيَ بـيـن الـنَّـشـاطِ والـكَـسَـلِ
مـا خـالُهُ مِـنْ فَـتـيـتِ عَـنْـبرِ صُدْ غَـيْـهِ لا قَـطْـرِ صِـبْـغـة الـكَـحَـلِ
لـكـنْ سُـوَيـداءُ قـلـبِ عـاشِـقِـهِ طـفَـتْ عـلى نـارِ وَرْدَةِ الـخَـجَـلِ

وقال أيضًا: [من الرمل]

أنْـكـرتْ مُـقْـلَـتُـه سَـفْـكَ دمِـي وعـلى وجْـنَـتِـه فـاعـتـرفَـتْ
لا تَـخـالُوا خـالَهُ فـي خـدِّه قَطرةً من صِبْغ جَفْنٍ نطَفَتْ[7]
تـلـكَ مـن نـارِ فُـؤادي جَـذْوةٌ فيه ساخَتْ وأنطفَتْ ثم طفَتْ![8]

---

(١) جمّش المرأة: أي غازلها ولاعبها.
(٢) المعصفرات: المصبوغة بالعصفر، وهو نباتٌ يستخرج منه صبغٌ أحمر.
(٣) الخيلان: مفردها «الخال»، وهو شامة سوداء تكون في الوجه أو الجسم.
(٤) السّويداء: حبّة القلب ومهجته. (٥) السّبج: خرز أسود.
(٦) العاطل: الذي لا يلبس في جيده الحليّ، والمناطق: مفردها منطقة، وهي ما يشدّ به الوسط، ويريد بالمناطق هنا: أن العيون قد أحاطته بالنظر وكأنها ألبسته نطاقًا في الجيد أو الخصر.
(٧) نطفت: سالت.
(٨) طفت: علت، يريد أن ذلك الخال هو جذوة أو قبس من نار قلبه ارتسمت على ذلك الخدّ.

وقال آخر: [من الرّمل]

لا تَـخـالُ الـخـالَ يـعـلُو خـدَّهُ نَـقْـطَ مِـسْـكٍ ذابَ مـن طُـرَّتِـهِ[١]
ذاكَ قــلـبــي سُـلِـيـتْ حـبَّـتُـهُ فـأَسـتَـوتْ خـالًا عـلى وجْـنـتِـه

وقال ابن منير: [من البسيط]

كـأنَّ خـدّيْـهِ ديـنـاران قـد وُزنـا وحَـرّرَ الـصَّـيْـرَفـيُّ الـوَزْنَ واحتاطا
فخفَّ إحداهما عن وَزْن صاحبِه فحطَّ فوقَ الذي قد خَفَّ قيراطا

وقال آخر: [من الكامل]

أضْحَى ليوسُفَ في الجمالِ خَليفةً يـخشاهُ كـلُّ الـعـالـمين إذا بَـدَا[٢]
عَرّجْ معي وأنظر إليه لِكَيْ تَرى فـي خـدّه عَـلَـمَ الـخِـلافـةِ أسـودَا

وقال آخر: [من السريع]

كـم قـلتُ لـلنـفـس: إلـيـه أذهَـبي فـحبُّـه الـمـشـهـورُ مـن مَـذْهَـبي!
مُـهـفـهـفُ الـقـدِّ لـه شـامَـةٌ مـن عَـنـبـرٍ فـي خـدّه الـمُـذْهَـبِ
آيَـسـنِـي الـتـوبـةَ مـن حُـبِّـه طلوعُه شمسًا من الـمَغرِبِ![٣]

وقال آخر: [من الكامل]

ومُـهَـفْـهَـفٍ مـن شـعـره وجـبـيـنِـهِ يـغـدُو الـوَرَى في ظُـلمةٍ وضِـيَـاءِ[٤]
لا تـنـكـروا الـخـالَ الـذي في خَـدِّه كـلُّ الـشـقـيـق بـنُـقْـطـةٍ سـوداءِ[٥]

وقال آخر: [من الوافر]

لَـهـيـبُ الـخـدّ حـيـنَ رأتْـه عـيـنِـي هـوى قـلـبـي عـلـيـه كـالـفَـراشِ
فـأحـرقَـهُ فـصـار عـلـيـه خـالًا وها أثرُ الدُّخان على الحَواشِي![٦]

---

(١) النقط: البثرة، والطرّة: ما تطرّه المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصفّفه.
(٢) يوسف: يراد به «يوسف النبيّ»، ابن يعقوب، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم «سورة يوسف، الرقم ١٢»، وكان غايةً في الحسن والجمال، كما ذكر القرآن الكريم.
(٣) آيس: من اليأس، أي أيأسه.
(٤) الورى: الخلق، والمهفهف: الرقيق المتمايل.
(٥) الشقيق: يريد ورد الشقيق: وهو وردٌ أحمر الزهر منقّط بنقط سود، يقال له: شقائق النّعمان.
(٦) الحواشي: الأطراف.

وقال آخر: [من البسيط]

بَـدَا عـلى خـدّهِ خـالٌ يـزيّـنُـه ... فزادني شغفًا منه إلى شَغَفِي[١]

كأنَّ حبَّةَ قلبي عند رُؤيته ... طارتْ فقلتُ لها: في الخَدِّ منه قِفي!

وقال آخر: [من المجتثّ]

خِيلانُ خدِّك ردّتْ ... صحيحَ قلبي مَرِيضَا

في العين سُودٌ، ولكنْ ... ما زِلْنَ في القَلْب بِيضَا

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

خدُّك مِرآةُ كلِّ حُسنٍ ... يحسُنُ من حسنها الصِّفاتُ

ما لي أرى فوقَهُ نُجومًا ... قد كُسِفَتْ وهي نَيِّراتُ؟

وقال آخر: [من السريع]

حجَّتْ إلى وَجْهك أبصارُنا ... طائفةً، يا كعبةَ الحسْنِ!

تمسحُ خالًا منك في وجْنةٍ ... كالحجَر الأسود في الركْنِ

وقال الأسعد بن بليطة[٢]: [من الكامل]

سكرانُ لا أدْري - وقد وافى بنا - ... أمِن المَلَاحةِ أم من الجِرْيالِ[٣]

تتنفَّسُ الصَّهباء في لَهَواتِه ... كتنَفُّس الرَّيْحان في الآصالِ[٤]

وكأنّما الخِيلانُ في وجَنَاتِه ... ساعاتُ هَجْرٍ في لَيَال وصالِ

* * *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبي الفتح كُشاجم: [من البسيط]

فدَيتُ زائرةً في العِيد واصلةً ... لمستهام بها للوصل مُنْتظِرِ

فلم يزلْ خدُّها رُكْنًا ألُوذُ به ... والخالُ في صَحْنه يُغْني عن الحَجَرِ[٥]

---

(١) الشغف: الحبّ والولع.

(٢) الأسعد بن بليطة: هو الأسعد بن إبراهيم بن بلّيطة، تردّد على ملوك الطوائف، وهو فارس جحفل، وشاعر محفل. «انظر المغرب في حلى المغرب ٢/١٧».

(٣) الجريال: صبغٌ أحمر، والمراد هنا: الخمرة.

(٤) الصهباء: الخمر، واللهوات: مفردها اللّهاة، وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، والآصال: جمع أصيل، وهو وقت غروب الشمس.

(٥) الرّكن: أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ويقوم بها، ولاذ به: احتمى.

وقال العباس بن الأحنف: [من الطويل]

ومحجوبةٍ في الخِدْرِ عن كلِّ ناظرٍ ولو برزَتْ، ما ضلَّ بالليل مَنْ يَسْرِي[١]
بِخالٍ بذاك الخدّ أحسنَ مَنْظَرًا من النُّقطة السَّوْداء في وَضَح البَدْر

❋ ❋ ❋

ومما قيل في العِذار[٢]، فمن ذلك ما ورد فيه على سبيل المدح.

قال ماني المَوَسوِس[٣] عفا الله عنه ورحمه: [من الوافر]

وما غاضتْ محاسنُه، ولكِنْ بماء الحُسْن أوْرَقَ عارضاهُ[٤]
سمعتَ به فَهِمتَ إليه شَوْقًا فكَيْفَ لك التصبُّرُ، لو تراهُ؟

وقال أبو فِرَاس: [من الكامل]

مِن أينَ للرشإ الغَريرِ الأَحْوَرِ في الخدّ مثلُ عِذاره المتحدِّرِ؟[٥]
يا مَنْ يلومُ على هواهُ سَفاهةً! أُنظُرْ إلى تلك السوالف، تَعْذُرِ
قمرٌ كأنَّ بعارضَيْهِ كِلَيْهِمَا مِسْكٌ تساقَطَ فوق وردٍ أحمرِ

وقال ابن المعدّل: [من مجزوء الكامل]

سالتْ مسايِلُ عارضَـ ـيْه بنَفْسجًا في وَرْدِهِ
فكأنَّهُ من حُسْنِه عَبَثَ الربيعُ بخدِّهِ

وقال الخبّاز[٦] البلدي: [من المنسرح]

وعارضٍ مثل دارة البَدْرِ دارَ بوجهٍ كليلةِ القَدْرِ
فلَوْ تراهُ وحسنَ منظَرِهِ شهدْتَ أنّ الجمالَ للشَّعْرِ

---

(١) الخدر: سترٌ يمدُّ للمرأة في ناحية البيت، وكلّ ما يستُر.
(٢) العذار: جانب اللحية.
(٣) ماني الموسوس: هو محمد بن القاسم، من أهل مصر، يكنّى أبا الحسن، شاعرٌ ليّن الشعر رقيقه، لم يقل شيئًا إلّا في الغزل. «انظر الأغاني ٢٣/ ١٩٠، دار الكتب العلمية».
(٤) غاضت: خفيت وغابت، والعارض: جانب الوجه.
(٥) الرشأ: الغزال، والغرير: الحسن الخلق، والأحور: الذي اشتدّ سواد عينه واشتدّ بياضها.
(٦) الخبّاز البلدي: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، من بلدة يقال لها «بلد» من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل.

وقال ابن المعتزّ: [من المديد]

وتــكــادُ الــشــمــسُ تُــشْــبِــهُــهُ ويــكــادُ الــبــدرُ يَــحْــكِــيــهِ
كــيــف لا يــخــضَــرُّ عــارضُــهُ ومــيــاه الــحُــسْــن تــســقِــيــهِ؟

وقال محمد بن وَهيب[1]: [من الوافر]

صُدُودُكَ في الورى هَتَكَ استتاري وساعده البكاءُ على اشتهاري[2]
ولــم أخْــلَعْ عِــذَارِي فــيــك إلّا لِمَا عاينتُ من حُسْنِ العِذارِ
وكم أبصرتُ من حُسْنٍ، ولٰكنْ عليك من الورى وقَعَ اختياري

وقال أبو الفرج الوأواء: [من الطويل]

وشــمــسٌ بــأعــلاهُ ولــيْــلانِ أُسْــبِــلا بــخــدّيْــه، إلّا أنّــهــا لــيس تَــغْــرُبُ
ولَمّا حوى نصفَ الدّجى نصفُ خدّه تــحــيَّــر حتّى ما درى أيــن يَــذْهَــبُ

وقال الخُبْزَأرُزّي: [من البسيط]

أُنظر إلى الغُنْج يجري في لَواحِظِهِ وٱنظرْ إلى دَعَجٍ في طَرْفه الساجي![3]
وٱنــظُــر إلــى شَــعَــراتٍ فــوق عــارضِــهِ كــأنــهــنّ نِــمــالٌ سِــرْنَ فــي الــعــاجِ![4]

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

وجــهٌ تــكــامــلَ حُــسْــنُــه لــمــا تــطَــرَّفــه عِــذارُهْ[5]
والــســيــفُ أحــســنُ مــا تَــرَى مــا كــان مُــخْــضَــرًّا غِــرارُهْ[6]

وقال الأمير سيف الدّين المشدّ[7]: [من مخلّع البسيط]

ولائــمٍ فــي عِــذار بَــدْرٍ لــم أســتــطِــعْ عــن هــواه مَــيْــلا

(١) هو محمّد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسيّة، تقدّمت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ٧/ ١٣٤».
(٢) الصّدود: الإعراض، وهتك السّتر: خرقه وفضحه.
(٣) السّاجي: السّاكن.
(٤) النّمال: مفردها نملة، وهي حشرة خفيفة ضئيلة الجسم، والعاج: ناب الفيل.
(٥) تطرّفه: أي تدلّى على حرفه ونهايته، والعذار: الشعر الذي ينبت محاذيًا للأذن.
(٦) الغرار: من السّيف: حدّه.
(٧) الأمير سيف الدّين المشدّ: هو عليّ بن عمر بن قزل التركماني المصري، سيف الدين، شاعر من أمراء التركمان، توفي بدمشق سنة ١٢٥٨ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٣١٥».

فـقـلـتُ، والـدَّمـعُ فـي جُـفُـونِـي   لـفـرطِ وجـدي تـسـيـل سَـيْـلا
ضَــلَلْتُ فــي خَــدِّه نــهــاراً!   كـيـفَ رشـادي، وصـار لـيـلا؟

وقال أيضًا: [من الوافر]

ولَمَّـا أن بـدا فـي الـخـدّ شَـعْـرٌ   تـوقَّـف عـنـد مـنـتـصَـفِ الـعِـذارِ
فـقـلتُ لـلائـمـي فـيـه: تـعـجَّبْ   لنصف الليل في نِصْف النهار!

وقال أيضًا: [من الكامل]

ومُـهـفـهـفٍ يَـحْـمـي وُرُودَ رُضـابِـه   بـصـوارِمٍ سُـلَّتْ مـن الأجـفـانِ[1]
كـتـب الـعِـذارُ بـلـيـقـةٍ مِـسْـكـيَّـةٍ   في خدِّه سَطْرًا من الرَّيْحان[2]

وقال أيضًا: [من المتقارب]

يــقــولُ الــعَــواذلُ لــمَّــا بــدا   عــلــى خــدِّه شــعَــرٌ زائــرُ
ذَوَى وَرْدُ خدّيه، قلت: اقْصروا   فـنـرجِـسُ ألـحـاظِـهِ وافِـرُ![3]

وقال آخر: [من المتقارب]

وقـالـوا: تـسـلَّى فـقـد شـانَـهُ   عِــذارٌ أراحــك مــن صَــدِّه
فـقـلـت: وهِـمْـتـم، ولـكـنَّـنـي   خـلَـعْـتُ الـعِـذارَ عـلى خـدِّهِ

وقال آخر: [من الطويل]

بروحِي وقلبي ذلك العارضُ الذي   غدا مِسْكُه فوق السَّوالف سائلا
درَى خدُّه أنّي أُجَنُّ من الـهـوَى   فأظهر لي قبل الجُنون سَلَاسلا!

وقال آخر: [من الكامل]

أصبحتُ مأسورًا بغُنْجِ لِحاظه   ومـقـيَّـدًا مـن صُـدْغـه بـسـلَاسِـلِ
حتَّى بـدا سيفُ الـعذار مجرَّدًا   فخشيتُ منه، فقلتُ هذا قاتلِي!

وقال آخر: [من الخفيف]

قـالـت: اَسـودَّ عـارضـاكَ بـشَـعْـرٍ   وبـه تـقْـبُـح الـوجـوهُ الـحِـسـانُ!
قـلتُ: أشـعـلَتْ فـي فـؤادي نَـارًا   فـعـلـى عـارِضَـيَّ مـنـه دُخَـان!

---

(١) الورود: أي إتيان الماء للشرب، والرّضاب: الريق، يريد أنه يمتنع عن العبث به بصوارم الأجفان والعيون.
(٢) الليقة: صوفة الدواة.
(٣) ذوى: ذبل، وأقصروا: أي كفّوا وامتنعوا.

وقال آخر: [من السريع]

قلتُ، وقد أبصرتُه مُقْبِلًا وقد بدا الشَّعْر على الخدِّ
صُعُودُ ذا النملِ على خدّه يشهد أن الرِّيق من شَهْدِ

ومثله قول الآخر: [من السريع]

قالوا: ٱلْتَحى، فاْصبُ إلى غيره! قلتُ لهم: لستُ إذًا أسْلُو![١]
لو لم يكُنْ من عسلٍ رِيقُه ما دَبَّ في عارضه النمْلُ

وقال آخر: [من السريع]

عِذارُه أحسنُ ما فيه وتيهُهُ من أحسنِ التَّيهِ[٢]
في فَمِهِ الشَّهْد، فلا تَعْجَبُوا إن دَبَّ نملٌ بعذاريهِ

وقال آخر: [من الكامل]

أصْلَى بنار الخدِّ عَنْبر خاله فغدا العذارُ دُخانَ ذاك العنبرِ[٣]

وقال آخر (وقد تقدّم إيراده في صفاء الخدّ): [من الوافر]

أعِدْ نظرًا، فما في الخدّ نبْتٌ حماه الله من رَيْب المَنُونِ!
ولكن رقَّ ماءُ الوجه حتَّى أراكَ مثالَ أهدابِ الجُفُونِ

ومثله قول الآخر (وقد تقدّم إيراده): [من الطويل]

ولَمَّا استدارَتْ أعينُ الناس حَوْلَهُ تُلاحظُه كيف استقَلَّ وسارا
تمثَّلت الأهدابُ في ماءِ وجْهِهِ فظنُّوا خيال الشَّعْر فيه عِذارا

وقال الحاجري[٤]: [من الطويل]

وما اخضَرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتًا، وإنّما لكثرة ما شُقَّت عليه المَرائِرُ[٥]

---

(١) صبا يصبو: مال وعشق غيره، والسّلوّ: الصبر والنسيان.
(٢) التّيه: التكبُّر.
(٣) أصلى النار: أضرمها، والعنبر: مادة صلبة تنبعث منها رائحة ذكيّة، إذا أحرقت.
(٤) الحاجري: هو عيسى بن سنجر بن بهرام، حسام الدين، شاعر رقيق الألفاظ، حسن المعاني، تركيّ الأصل من أهل إربل، ينسب إلى الحاجر من بلاد الحجاز، له ديوان شعر، قتل غدرًا بأربيل سنة ١٢٣٥ م. «فهرس الأعلام ٥/١٠٣».
(٥) اخضرّ: يقال اخضرّ اللّيل أي اسودّ، ونبت الخدّ: أي الشّعر والمرائر: جمع مرارة، وهي لحمة=

وقال آخر: [من السريع]

يـا لائِمِي فـي حُـبِّ ذي عـارضٍ ... ما البَلَدُ المُخْصِبُ كالماحلِ!

يَموجُ ماء الحسنِ في وجههِ ... فيَقْذِفُ العنبَرَ في الساحل

وقال آخر: [من السريع]

ولَمَّا بدَا خطُّ العِذار بوجههِ ... كظُلْمة ليلٍ في ضِياء نهار

تغَلْغَل في قلبي هواه فلم أزَلْ ... خليعَ عِذار في جَديدِ عِذار(١)

وقال آخر: [من البسيط]

قالوا: التحَى، فامتحَتْ بالشَّعر بهجَتُه! ... فقلت: لولا الدُّجَى لم يحسُنِ القمرُ(٢)

مَن كان مُنتظِرًا للصبر عنه به ... فإنَّني لغَرامِي كنتُ أنتَظِرُ

خَطَّتْ يدُ الحسنِ منه فوق وجنَتِهِ ... هذي محاسنُ، يا أهلَ الهوَى، أُخرُ!

وقال آخر: [من الوافر]

وقلتُ: الشَّعْر يُسْلِيني هواه! ... ولم أعلم بأنَّ الشَّعْر حَيْنِي(٣)

فَظَلْتُ لشِقْوتي أفْدِي وأحمِي ... سوادَ عِذاره بسَوادِ عيني

وقال محمد بن عبد الله السلاميّ(٤)، شاعر اليتيمة: [من المتقارب]

عذارُكَ جادَتْ عليه الرِّيا ... ضُ بأجْفانها وبآماقها(٥)

وطال غرامُ الغَواني به ... فقد طَرَّزَتْهُ بأحداقها

وقال ابن سُكَّرَةَ الهاشميّ(٦): [من الخفيف]

وغزالٍ لولا نميمةُ شَعْرِ ... ذكَّرتْه، لقلتُ: إحدى الجَوَارِي(٧)

شاربٌ أشْرَبَ الصَّبابةَ قَلبي ... وعذارٌ خلعْتُ فيه عِذاري

= شبه كيس لازقة بالكبد تكون فيها الصفراء.

(١) تغلغل: دخل وانغرز، والخليع: المتهتّك الماجن.

(٢) الدّجى: ظلمة اللّيل. (٣) الحين: الهلاك.

(٤) محمد بن عبد الله السّلامي: من شعراء اليتيمة، تقدّمت ترجمته.

(٥) آماق العين: مفردها «موق»، وهو مجرى الدّمع من العين.

(٦) ابن سكرة الهاشمي: من شعراء اليتيمة، تقدّمت ترجمته.

(٧) النميمة: هي وسواس همس الكلام، والهمس والحركة، ونمّ الحديث: نقله ونمَّ الحديث: أظهره، والمراد هنا أنّ شعره قد أظهر أنه ذكرٌ وليس أنثى. «انظر اللسان، مادة نمم».

وقال آخر: [من البسيط]

قالوا: ٱلْتحَى وستَسْلُو عنه، قلتُ لهم | هل يحسنُ الروضُ ما لم يطْلُعِ الزَّهَرُ؟
هَلِ ٱلتحَى طَرْفُهُ الساجي، فأهْجُرَه؟ | وهـل تَـزَحْـزَحَ عـن ألـحـاظـه الـحَـوَرُ؟

وقال أبو الفتح كُشاجم: [من الرّمل]

مَـنْ عَـذِيـري مـن عِـذارَيْ قـمـرٍ | عرّض القلْبَ لأسبابِ التلَفْ؟[1]
زِيـدَ حُـسْـنًـا وضـيـاءً بـهـمـا | فَـهُـو الآنَ كـبَـدْرٍ فـي سَـدَفْ[2]
خَـمَّـشَـا خـدّيْـه ثـم انـعـطَـفَـا | آه مـا أحـسـنَ ذاك الـمـنـعـطَـفْ!
عَـلِمَ الـشَّـعْـرُ الـذي عـاجَـلَهُ | أنّـــه جـــارَ عـــلـيـــه، فـــوقَـــفْ
فـهـو فـي وقْـفـتـه مـعـتَـرِفٌ | بالتناهي في التعدِّي والسَّرَفْ[3]

وقال آخر[4]:

لا تعتقِدُوا ما لاحَ في وجْنَتِهِ | شَعْرًا، غَلَطًا! ما ذاك من شِيمتِهِ!
بل ساكنُ ماءِ الحسن قد حَرَّكه | مَوْجٌ قذف العنبرَ في حافَتِه

وقال عبد الله بن سارة الإشبيليّ[5]: [من الكامل]

ومُعذِّرٍ رقَّت حواشي حُسنِهِ | فقلوبُنا حَذَرًا عليه رِقاقُ
لم يُكْسَ عارضُه السوادَ، وإنّما | نفضَتْ عليه صباغَها الأحداقُ

وقال أبو بكر الدّانيّ، شاعر الذخيرة: [من مخلّع البسيط]

بـدا عـلـى خـدّه عِـذارٌ | فـي مـثـلـه يُـعـذَر الـكَـئـيـبُ
ولـيـس ذاك الـعِـذارُ شَـعْـرًا | لـكِـنَّـمـا سِـرُّه غـريـبُ[6]
لَمَّـا أراق الـدّمـاء ظُـلْـمًـا | بـدَتْ عـلـى خـدّه الـذُّنـوبُ

---

(١) العذير: العاذر والنّصير، والتّلف: الهلاك. (٢) السَّدف: الظُّلمة.
(٣) السّرف: التجاوز في التعدّي.
(٤) هذان البيتان من الأبيات الشعريّة التي لا تخضع لقواعد العروض المعروفة ببحور الخليل الشّعريّة.
(٥) هو عبد الله بن سارة الإشبيلي، الشنتريني، أبو محمد، من القلائد، نادرة الدّهر وزهرة الأيام، ولج مدينة الشعر من كلّ باب، سكن إشبيلية وتعيّش فيها بالوراقة وتحوّل في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا. «انظر المغرب في حلى المغرب ١/ ٤١٩، دار المعارف بمصر».
(٦) العذار: صفحة الخدّ.

وقال عبد الجليل الأندلسيّ: [من الكامل]

وَمُعذَّرين كأنّما بخدودِهِمْ طُرُقُ العيون ومَنْهَجُ الأوهاجِ[١]

وكأنما صقَلُوا الجمالَ فأظهرُوا مَشْيَ النِّمال على مُتُونِ العاجِ[٢]

* * *

ومما وصف به العِذار على طريق الذمّ، فمن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة بن حَزم[٣]، عندما عُرِضت عليه رسالة بديع الزمان[٤] في الغلام الذي خطب إليه وُدّه بعد أن عَذّر، قال:

«ورد كتابك يَنْشُد ضالَّة وُدِّنا، ويَرْقَع خَلَقَ[٥] عهدنا، ويطلُب ما أفاءتْه جريرتك[٦] إلينا، وذهبتْ به جنايتُك علينا؛ أيامَ غصنُك ناضر، وبدرُك زاهر؛ لا نجد رسولًا إليك، غير لحظة تَخْرِق حجاب الدُّموع، أو زفرةٍ تُقِيم مُنْآدَ[٧] الضُّلوع؛ فإنْ رُمْنا شكوى يَنْفُث بها مَصْدُورنا، ويستريح إليها مَهْجُورنا؛ لقينا دُونَها أمنع سدّ، وأقبح كفٍّ وصدّ، وأفدح[٨] رَدّ».

وفي فصل منها:

«حتّى إذا طَفِئتْ تلك النِّيران، وانتصف لنا منك الزمان؛ بشَعَراتٍ أغشَتْ[٩] هلالَك كُسوفًا، وقلبَتْ ديباجك[١٠] صُوفًا؛ وأعادت نهارَك ليلًا، وناحتْ عليك تلَهُّفًا

---

(١) المنهج: الطريق، والأوهاج: مفردها «وهج» وهو اتّقاد النّار أو انتشار الطّيب.

(٢) الصّقل: يقال صقل السّيف: جلاه، والمتون: مفردها «متن» وهو الظهر، ومتن الشيء: ما ظهر منه، والعاج: ناب الفيل.

(٣) ابن حزم: هو عبد الوهاب بن أحمد بن سعيد، أديبٌ أندلسيّ، من الكتّاب، من أهل قرية الزاوية، كتب عند عدّة ملوك، وألّف تآليف، واتّسعت ثروته، مات شابًا سنة ١٠٤٦ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١٧٩».

(٤) بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين بن يحيىٰ الهمذاني، أبو الفضل، وأحد أئمّة الكتّاب، له «المقامات»، كان قويّ الحافظة، يضرب المثل بحفظه، وله ديوان شعر ورسائل عدّة، توفّي في هراة سنة ١٠٠٨ م. «فهرس الأعلام ١/ ١١٥».

(٥) الخَلَق: البالي.

(٦) الجريرة: الذنب.

(٧) تقيم مُنآد الضلوع: أي ما اعوجّ منها.

(٨) أفدح بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان ثقيلًا لا يحتمل.

(٩) أغشت: غطّت.

(١٠) الديباج: الحرير، أو ثوب سُداه ولحمته من الحرير.

ووَيْلًا؛ وأطار حَمامَك غرابُك، وحجب ضياءَك ضَبابُك؛ فصار عُرْسك مأتَمًا، وعاد وصلُكَ محرّمًا»، قال القائل: [من المتقارب]

وبِـتَّ مُـدامًـا تُـسِـرُّ الـنـزيـف فأصبحتَ تُجْرَع خَلًّا ثَقِيفَا[١]
وصرتَ حِجَازًا جديبَ المحَلِّ وقد كنتَ للطالب الخِصْبَ رِيفَا[٢]

«أقبلْتَ تتسَلَّل إلينا لِوَاذًا[٣]، وتطلُب منّا عِيَاذا؛ قد أنساك ذُلُّ العزل عِزَّ الوِلاية، وأولاك طمَعًا نِسيانُنا تِلْك الجناية؛ أيّامَ ترشُقنا سهامُ ألحاظك رَشْقا، وتقتُلنا سيوفُ ألفاظك عِشْقا؛ وتَمِيس غصنًا، فتثير حُزْنًا؛ وتطلعُ شمسًا، فتفَتِّت نفسًا».

«فالآن نلقاك بدمع قد جَفّ، ووجْد قد كَفّ؛ وعزاء قد أبّد[٤]، وصبر قد أغار وأنْجد؛ وننظر منك إلى روض قد صَوّح[٥]، وسار قد أصبح؛ وأعجَم قد أفصَح، ومُبْهَم قد صرّح؛ فلا شكَّ قد رُفِع الغِطاء، ولا إفكَ[٦] قد بَرِحَ الخَفاء، ولا لومَ قد وقَع الجزاء؛ وهلّا ذكرت المَثَل الممتَهَن «الصَّيْفَ ضَيَّعتِ اللبن!»[٧]، ونسيتَ من أحرقتَ قلبه صدًا، وأقلَقت جنبه رَدًّا؛ وملأت جوانحه نارًا، وتركتَ نومه غِرَارًا[٨]؛ أن يُوفِيَك قَرْضًا، ويجازيَك حتّى ترضى؛ حين نُكِّس علَمُك، وعثَرت قدمُك؛ وضاقت طُرُقك، وأظلم أُفُقك؛ وهوى نجمُك، وخاب قِدْحُك، وفُلَّ سيفُك، وحُطِّم رُمْحُك؛ فاَطْوِ ثوبَ وصلك فلا حاجة لنا إلى لباسه، وازْوِ[٩] طارقَ شخصِك فلا رغبةَ لنا في إيناسه؛ فما يشتهِي اليومَ زيارةَ رَمْس، مَنْ زَهِد فيه

(١) النّزيف: السكران، والخلّ: ما حمض من عصير العنب أو نحوه، وثقيفًا: يريد الخلّ المنسوب إلى ثقيف، وثقيفٌ حيٌّ من قيس أو قبيلة، وقد ثَقُف الخلّ ثقافة وثَقِف، فهو ثقيفٌ وثقِيّف، بالتشديد، الأخيرة على النسب: حذق وحَمُض جدًّا مثل بصلٍ حرّيف «اللسان مادة ثقف».

(٢) الحجاز: قال الأصمعيّ: ما احتزمت به الحرار، حرّة شورانَ وحرّة ليلى وحرّة واقم وحرّة النار وعامة منازل بني سليم إلى المدينة، فذلك الشقّ كلّه حجاز، وقال أبو بكر الأنباري: في الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذًا من قول العرب: حجز الرجل بعيره، يحجزه: إذا شدّه شدًّا يقيّده به، ويقال للحبل: حجاز، ويجوز أن يكون سمّي حجازًا لأنه يحتجر بالجبال. «معجم البلدان ٢/٢١٨». والحجاز هنا: الأرض الجدباء.

(٣) لواذًا: تستُّرًا. (٤) أبّد: خلّد.

(٥) صوّح: يبس وتشقق. (٦) الإفك: الكذب.

(٧) الصّيف ضيّعتِ اللبن: مثلٌ يضرب لمن يطلب شيئًا قد فوّته على نفسه، ويروى: في الصّيف ضيّعت اللبن، «انظر مجمع الأمثال للميداني ٢/٨٣، دار الكتب العلمية».

(٨) الغرار: القليل من النوم.

(٩) ازو: فعل أمر من زوى أي اصرف وابعد، والطارق: الشخص: الزّائر ليلًا.

أمس». قال: [من البسيط]

«حانتْ منيتُه فاسودَّ عارضُهُ مما تُسوِّدُ بعد الميِّتِ الدارُ
يا من نعَتْهُ إلى الإخوان لحيتُه أدبرتَ، والناسُ إقبالٌ وإدبارُ!
فيا لِدَهرٍ مضى ما كان أحسنَهُ! إذ أنت ممتنِعٌ والشَّرْطُ دينار
أيَّامَ وجهُك مصقولٌ عوارضه وللرياض على خدّيْكَ أنوارُ!»

وقال عليّ بن نصر الكاتب(١) تعزيةً لمن طلعت لحيته:

«لكل حادثة يفجع بها الدهر ـ أحسن الله معونتك ـ حدٌّ من القلق والالتياع، ومَبْلغٌ من التحرّق والارتياع؛ تستوجب فنًّا من التعزية، وتستحق نصيبًا من العظة والتسلية؛ والاختصار فيها لما قرب خطبه وشانه، والإكثار لما جلّ محلّه ومكانه».

«ومُصابُك هذا ـ أعانك الله ـ في بياض عارضك لما اَسودّ، كمُصابك في سواده إذا ابيضّ، والألم ببياض رَوْضه جَميمًا(٢)، نظير الألَم به يوم يعود هشيمًا(٣)».

«فليس أحد يدفع عظيمَ النازل بك، ولا يستصغر جسيمَ الطارق لك؛ وإن كان ما يتعقّبه من المشيب أقذى(٤) للعيون».

«التفتتْ عنك النواظر، وكانت ملتفتة إليك، ووقفت عنك الخواطر، وكانت موقوفة عليك؛ وصيَّرك قَذَى الأجفان وكنت جِلَاها(٥)، وجعلَكَ كُرْبة النفوس وكنت هواها؛ وأبدلك من أنس التقبّل، وحشة التنقّل؛ وعوّضك من رقّة الترفرف، كلفة التأفُّف؛ فتبارك الله الذي صرف عنك الأبصار، ونقّل فيه الأطوار!(٦)... فعويلًا دائمًا وبكاء! وعزاء عن الذكر الجميل عِزاء! فلكلّ أجل كتاب، وعلى كل جائحة(٧) ثواب».

(١) علي بن نصر الكاتب: هو محمد بن علي بن نصر الثعلبي، أبو الحسن، أديب، من أهل بغداد، له كتاب «المفاوضة»، قال ابن خلّكان: وهو من الكتب الممتعة في ثلاثين كراسة، وله رسائل، ولد ببغداد، ومات بواسط سنة ١٠٤٥ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧٥».
(٢) الجميم: الكثير المجتمع من كلّ شيء.
(٣) الهشيم: الضعيف البدن، واليابس من كلّ شيء.
(٤) أقذى: من القذى: وهو ما يتكوّن في العين من رمصٍ وغمصٍ وغيرها.
(٥) جلاها: أي صقالها، وجلا الشيء: صقله.
(٦) الأطوار: مفردها «طور» وهو الحال والهيئة.
(٧) الجائحة: المصيبة تحلّ بالرجل.

«ولقد استوفيت أمد الصِّبا والصبابة، واستنبَتَ الحسرة عليها والكآبة، فرزيَّتُك راسية والرزايا سوائر[1]، ومصيبتُك ثابتة والمصائب عوائر[2]، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٦]».

«ثم لا حيلة، فإنها الأيام التي لا تثبت على حالة، ولا تعرف غَيْرَ التنقل والاستحالة! فآجرك الله في وجه نَضَب ماؤه، وذهب رُوَاؤه[3] ومات حَياؤه! وفي ضيعة استأجم[4] برُها، واستدغل[5] نَوْرها؛ وأسبغ طريقُها، واتّسعت تَنوفتُها[6]! وفي جاه كان عامرًا فخَرب، ودَخْلٍ كان وافرًا فذهب، وتَذْكار كان واصلًا إلى القلوب فحُجِب! فأصبحَت مسبوق السُّكيت، وظلِلْت حيًا وأنت الميْت؛ فلا حول ولا قوّة إلّا بالله من مِحَنٍ دُفعتَ إليها، ولم تُعَنْ بحالٍ عليها».

«وقد يشغل الإنسانَ عن نوائبه المشاركون فيها، ويسلِّيه عنها المساهمون في مَغْنَى معانيها؛ وأنت من بين هذه المنزلة لا شريك لك، فإنّهم يعتاضون عنها ولستَ بمعتاض، ويركُضُون للعيش ولست بركّاض. والدهر يطوِي محاسنَكَ طيَّ السجلِ[7] كتابه، وينشر مَقابِحك نشر اليماني[8] أثوابه. ويَمَلُّ الطرف رؤيتك فلا يُفِيق عليك جفنًا، ويمجُّ السمع ذكرَك فلا يجد عنده أذنًا».

ومنها:

«وقد جعلتُ رُقعتي هذه جامعةً بين البكاء عليك والأنين، وناظمةً بين العزاء والتأبين. لها حلاوةُ النثر، وعليها طَلاوة الشعر. نتجتْها قريحةٌ عليك، ونسجتها خواطر خاطرت إليك؛ تخفِّف غرامك والناس مشاغيلُ بتثقيله، وتكرم مكانك والإجماع واقع على تهوينه، فإن عرفتَ لي ذاك، وإلا عرفه الصِّدق؛ وإن شكرتَه، وإلا شكره الحق».

«والسلام عليك من أسير لا يخلص بالفدية، وقتيل بسيف السِّبال[9] واللّحية».

---

(١) الرّاسية: الثابتة المقيمة، والرّزايا: المصائب، وسوائر: متنقلة.
(٢) العوائر: مفردها عائرة، وهي الكثيرة والعظيمة.
(٣) ذهب رواؤه: أي ذهب شبابه ونضرته.
(٤) استأجم: أصبح كالأجمة، والأجمة: الشجر الكثير الملتفّ.
(٥) استدغل: أصبح كالدغل، وهو الشجر الكثير الملتفّ الذي يُتوارى فيه للختل والغيلة.
(٦) التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. (٧) السّجل: الكتاب والصحيفة.
(٨) اليماني: نسبة إلى اليمن، ويريد: نشر البرود اليمانية، وهي معروفة ومشهورة.
(٩) السِّبال: مفردها «السّبلة» وهي طرف الشارب من الشعر، أو مقدّم اللّحية.

وقال الصنوبريّ: [من الخفيف]

مـا بـدَتْ شَـعْـرةٌ بـخَـدِّك إلَّا ... قلتُ في ناظرَيَّ أو في فُؤادِي
أنت بدرٌ جَنَى الخسوفُ عليه ... ظلمةً، لا أرى لها من نَفَاد
فاسوداد العِذارِ بعدَ ابيضاضٍ ... كابْيِضاضِ العِذار بعد اسْوِدادِ

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

أصْبحَ نَحْسًا ـ وكان سَعْدًا ـ ... مَنْ كان مَوْلًى فصار عَبْدا
بكى على حُسْنِهِ زمانا ... لما رأى الشَّعْرَ قد تَبَدّى[1]
لو نَبت الشَّعْرُ في وِصالٍ ... لعادَ ذاكَ الوِصالُ صَدّا!

وقال الخبزأرزّي: [من المتقارب]

بَدا الشَّعْرُ في وَجْهه، فانتقَمْ ... لعاشقه منه لَمَّا ظَلَمْ
وما سلَّطَ اللهُ نَبْتَ اللّحى ... على المُرْدِ إلّا زَوالَ النِّعَمْ[2]
تَوَحَّشتِ العينُ في وجْهِهِ ... وحَقّ لها وحشَةٌ في الظُّلَم
إذا اسْوَدّ فاضلُ قِرْطاسِه ... فما ظَنُّه بمَجاري القَلَم؟[3]
ولم يَغلُ في خَدِّه كالدُّخا ... ن إلّا وأسْفَلُه كالحُمَمْ[4]

وقال التّنوخيّ[5]: [من السريع]

قلْتُ لأصحابي، وقد مَرّ بي ... مُنْتَقِبًا بعدَ الضِّيا بالظُّلَمِ[6]
باللهِ، يا أهْلَ وِدَادِي! قِفُوا ... كَيْ تُبْصِرُوا كَيْفَ زَوالُ النِّعَمِ![7]

---

(١) تبدّى: ظهر.
(٢) المُرد: مفردها أمرد، وهو الفتى الذي بلغ ولم تبدُ لحيتُه بعد.
(٣) القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها، ويريد: صفحة الوجه البيضاء.
(٤) الحَمم: الفحم.
(٥) التنوخي: هو أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم التنوخي، من أعيان العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشِّيم، تقلّد قضاء البصرة، واتّصل بسيف الدولة الحمداني، فأكرمه. «يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٣».
(٦) المنتقِب: الذي وضع على رأسه النقاب، وهو القناع.
(٧) في اليتيمة ص ٤٠٤: «كيف تزول النّعم».

وقال إبراهيم بن خَفاجة الأندلسيّ[١] في ملتحٍ: [من الكامل]

ما لـلعِـذارِ، وكـانَ وَجْـهُـكَ قِـبـلـةً قد خَطَّ فيه من الدُّجَى مِحْرابا
وإذا الشَّبابُ ـ وكان ليس بخاشعٍ ـ قـد خَـرّ فـيـه رَاكـعًـا، وأَنَـابَـا[٢]

وقال أيضًا: [من الكامل]

وافـى بـأوّلـه صـحـيـفـةُ صَـفْـحـةٍ جعـل الـعِـذارُ بـهـا يَـسِـيـل مِـدَادَا
مُـتَـجَـهِّـمًـا ثُـكْـلَ الـشَّـبَـابِ كـأنّـما لَبِس العِذارَ على الشَّباب حِدَادَا[٣]

وقال عمر المطوعيّ، من شعراء اليتيمة: [من الوافر]

غَـدَا ـ مُـنْـذُ الْتَحى ـ لَيْلًا بَهِيمًا وكـان كـأنّـه الـقَـمَـرُ الـمُـنِـيـرُ
فـقـد كـتَـبَ الـسَّـوادُ بـعـارِضَـيْـهِ لـمـن يـقـرا: «وَجَـاءَكُـمُ الـنَّـذِيـر»

وقال عبد الجليل الأندلسيّ، من شعراء الذخيرة: [من الوافر]

وأمْـردَ يَـشْـتَـهِـيـمُ بـكـل وادٍ ويَـنْـصِـب لـلحَـشَـا خَـدًّا صَـلِـيـبـا[٤]
دعــوتُ دُعــاءَ مــظــلـومٍ عــلـيــه وكـان اللهُ مـسـتَـمِـعًـا مُـجِـيـبـا
فَـطَـوّقـه الـزمـانُ بـمـا جَـنَـاه وعـلّـقَ مـن عِـذَاريْـه الـذُّنُـوبَـا

* * *

ومما قيل في العُنُق، يقال:

الجَيَد، طولها ـ التَّلَع، إشرافها ـ الهَنَع، تطامُنُها[٥] ـ الغَلَب، غِلَظُها ـ البَتَع، شِدّتُها ـ الصَّعَر، ميلُها ـ الوَقَص، قِصَرها ـ الخَضَع، خُضُوعها ـ الحَدَل، عوجها.

---

(١) إبراهيم بن خفاجة الأندلسيّ: هو إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري الأندلسيّ، شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرّياض ومناظر الطبيعة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ١١٣٨ م. «فهرس الأعلام ١/ ٥٧».
(٢) أناب: تاب ورجع إلى رشده.
(٣) المتجهّم: المقطّب الوجه والجبين من حزنٍ أو غضب، والثّكل: فقد الحبيب.
(٤) الحشا: ما انضمّت عليه الضّلوع، والصّليب: الممتلىء لحمًا وشحمًا، أو الخدّ الذي أحرقته الشمس فبدت حمرته شديدة.
(٥) التطامن: الانخفاض والسكون.

وقال دِعْبل(١): [من الوافر]

أتاحَ لكَ الهوى بيضٌ حِسَانٌ سلَبْنكَ بالعُيونِ وبالنُّحُورِ
نَظرْتَ إلى النُّحورِ فكِدْتَ تَقْضِي فأوْلى لو نظَرتَ إلى الخُصُورِ

وقال قيس بن الخطيم(٢): [من الطويل]

وجِيدٍ كجيد الرِّيم صافٍ يَزِينُه توقُّدُ ياقوتٍ وفَصْلُ زَبَرْجَد(٣)
كأنَّ الثريَّا فوقَ ثُغْرة نَحْرِها تَوَقُّدُ في الظَّلْماء أيَّ تَوقُّدِ(٤)

* * *

ومما قيل في اليد إذا باشرَتْ(٥) وما يَعْلَق بها، يقال:

من اللحم غَمِرة، ومن الشحم زَهِمة، ومن السمن نَسِمة، ومن الزُّبد وَضِرَة، ومن الجُبْن نَشِمة، ومن اللبن مَذِقة، ومن البَيْض زَهِكة، ومن السمك صَمِرة، ومن الزيت قَنِمة، ومن الخمر عَتِكة، ومن الخل خَمِطة، ومن العسل ونحوه لَزِجة، ومن الطِّيب عَطِرة، ومن الغالية(٦) عَبِقة، ومن الزعفران رَدِعة، ومن العنبر لَطِخة، ومن الخَلُوق(٧) ضَمِخة، ومن الحنَّاء قَنِئة، ومن الدّم ضَرِجة، ومن الماء بَلِلَة، ومن الطين لَثِقة ورِدَغة، ومن البرد صَرِدة، ومن التراب كَثِبة وغَضِرة، ومن القارِ(٨) حَلِكة، ومن الفحم حَمِمة، ومن المداد طَرِسة، ومن الحديد سَهِكة، ومن الفضّة سَبِكة، ومن الذهب نَضِرة، ومن النار شَعِلة، ومن الرياحين فَوِحة، ومن البقل زَهِرة، ومن الفاكهة الرطبة لَزِقة، ومن اليابسة فَكِهة، ومن العمل مَجِلة ونَفِطة، ومن الخُشونة شَثِنة وثَفِنة،

---

(١) هو دِعبل بن علي الخزاعي، أبو علي، شاعر هجاء، أصله من الكوفة، شعره جيّد، له ديوان شعر، توفّي بعد أن طال عمره ببلدة تدعى «الطيب» سنة ٨٦٠ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٣٩».
(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، ومات قبل أن يدخل فيه، له ديوان شعر، مات سنة ٦٢٠ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٠٥».
(٣) الياقوت: حجرٌ كريم شفافٌ صلب، ذو ألوان مختلفة منها الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر، والزّبرجد: حجرٌ كريم يشبه الزمرّد، والجيد: العنق، والرّيم: الغزال.
(٤) الثريّا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وثغرة النحر: نقرته.
(٥) باشرت: لامست، أو بدا عليها أثر الشيء.
(٦) الغالية: الطّيب، أو أخلاط منه كالمسك والعنبر.
(٧) الخلوق: ضرب من الطّيب.
(٨) القار: الزّفت، مادة سوداء تطلى بها السّفن والجمال وغيرها.

ومن الشوك مَشطة وشَظِية، ومن الحطب حَزِمة، ومن الرمح كَعِبة، ومن الصولجان لَعِبة، ومن الجود سَبِطة، ومن العَطية مَنِحة، ومن البخل جَعِدَة، ومن المنع لَحِزة، ومن العدم تَرِبة، ومن الرزّ زَنِخة، ومن الصابون حَفرة، ومن الفِرصاد(١) قانِية، ومن الرجيع(٢) قَثِمة، ومن كل القاذورات قَذِرة، ومن الوسخ دَرِنة اهـ.

* * *

ومما مُدِحت به اليدُ، قال مؤيّد الدّين الطُّغرائي: [من الكامل الأحذّ]

ويدٍ تُمِدُّ المالَ راحتُها أبدًا، ويغمرُ ظهْرَها القُبَلُ
إن ضَنَّ غيثٌ أو خَبَا قمرٌ فجَبِينُه ويمينُه البَدَلُ(٣)

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانيّ: [من السريع]

قالوا: بدَتْ عارِضةٌ - لا بدَتْ! - في كفِّ ذاكَ السيِّدِ الأوحدِ
راحتُه راحةُ من يَجْتَدِي وكفُّه كفُّ الذي يَغْتَدِي(٤)
فلا أصابَتْ يَدَه آفةٌ! فكم يَدٍ عِنْدي لتلك اليَدِ!(٥)

وقال ابن دُرَيْد(٦): [من الكامل]

يا مَنْ يقبِّلُ كفَّ كُلِّ مُمَخْرِقٍ هذا ابن يحيى ليس بالمِخْراقِ!(٧)
قَبِّلْ أنامِلَهُ، فلَسْنَ أنامِلًا لكنهنَّ مَفاتِحُ الأرْزاقِ!

وقال إبراهيم بن العباس بن محمّد(٨): [من مجزوء المتقارب]

لِفَضلِ بنِ سَهْلٍ يدٌ تقاصَرَ عنها المَثَلْ(٩)

---

(١) الفرصاد: صبغٌ أحمر. (٢) الرّجيع: الرّوث.
(٣) ضنّ: بخل، وخبا: غاب، والبدل: العوض.
(٤) يجتدي: يسأل الحاجة، والرّاحة: الكفّ أو باطن الكفّ الذي لا ينبت فيه الشعر.
(٥) الآفة: المصيبة، فكم يدٍ عندي لتلك اليد: يريد أنّ لها حقوقًا عليه.
(٦) ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تقدت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ٦/ ٨٠».
(٧) الممخرق: الرّجل الطويل الحسن الجسم، والمخراق هنا: الكاذب والجاهل.
(٨) هو إبراهيم بن العباس بن محمّد الصّولي، أبو إسحٰق، كاتب العراق في عصره، وشاعد مجيد، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ١/ ٤٥».
(٩) هو الفضل بن سهل السّرخسي، أبو العبّاس، وزير المأمون، ويلقّب بذي الرياستين «الحرب والسياسة» كان حازمًا عاقلًا فصيحًا، قُتل غيلة في الحمام سنة ٨١٨ م. «فهرس الأعلام=

فـبـاطـنُـهـا لـلـنَّـدَى وظـاهِـرُهـا لـلـقُـبَـلْ
وبَـسْـطـتُـهـا لـلـغـنَـى وسَـطْـوتُـهـا لـلأجَـلْ(١)

وقال ابن الروميُّ: [من الكامل]

فـأمْـدُدْ إلـيَّ يـدًا تـعـوَّد بَـطْـنُـهـا بـذلَ النَّـوالِ، وظَـهْـرُها التقبيلا

وقال أبو نُوّاس: [من السريع]

يـا قَـمَـرًا، أبـرزَهُ مـأتَـمٌ يَـنْـدُبُ شَـجْـوًا بـيـن أتْـراب!(٢)
يَبْكي فيُذْرِي الدُّرَّ من نَرْجِس ويَـلْطِـم الـوَرْدَ بـعُـنَّـاب(٣)

وقال الناشي(٤): [من الكامل]

مِـنْ كـفِّ جـاريـةٍ كـأنَّ بَـنـانَـهـا مـن فِـضَّـةٍ قـد طُـرِّفـت عُـنَّـابـا
وكـأنَّ يُـمْـنـاهـا إذا نَـطَـقَـتْ بـهـا تُلْقِي على يدها الشِّمالِ حِسَابَا

وقال الراضي بالله: [من الكامل]

قالوا: الرَّحِيلَ! فأنْشبت أظفارَها في خدِّهَا، وقد اعتلَقْنَ خِضَابا
فاخْضَرَّ تحتَ بَنانِها فكأنَّها غرسَتْ بأرضِ بنَفْسَجٍ عُنَّابا

وقال ابن كيغلغ(٥): [من الكامل]

لَمَّـا اعـتـنَـقْـنَـا لـلـوَدَاع وأعـربَـتْ عَـبَـراتُـنـا عـنَّـا بـدَمْـعٍ نـاطـقِ(٦)
فـرَّقْـن بـيـنَ مَـعَـاجِـرٍ ومـحـاجِـرٍ وجمعْنَ بينَ بَنَفْسَجٍ وشَقائقِ(٧)

= ٥/١٤٩». وتقاصر عنها المثل: أي لم يستطع أن يجد لها أوصافًا تشبهها.
(١) البسطة: كناية عن العطاء، وبسط كفّه: فتحها عكس «قبضها»، والسَّطوة: البطش، والأجل: الموت.
(٢) شجوًا: حزنًا، والأتراب: الأصحاب في سنٍّ واحد.
(٣) يذري: يذرف، والورد هنا: الخدود، والعنّاب: كناية عن أصابع الكفّ.
(٤) الناشي: هو علي بن عبد الله بن وصيف، أبو الحسن المعروف بالناشىء الأصغر، شاعر مجيد من أهل بغداد، قصد سيف الدولة، مات سنة ٩٧٦ م. «فهرس الأعلام ٤/٣٠٤».
(٥) ابن كيغلغ: هو منصور بن كيغلغ من أولاد أمراء الشام، شاعرٌ رقيق النّظم، ذكره صاحب اليتيمة وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٣/٢٤٤، توفي نحو سنة ٩٦٠ م. «فهرس الأعلام ٧/٣٠٣».
(٦) أعربت: أظهرت وأفصحت.
(٧) المعاجر: مفردها «العجار» ثوبٌ تلفّه المرأة على استدارة وجهها. والمحاجر: ما أحاط بالعين.

وقال كُشاجم: [من الطويل]

فما أنْسَها، لا أنْسَ منها إشارةً بسبَّابةِ اليُمنى إلى خاتَم الفَم!
وأعلنتُ بالشكوى إليها فأومَأتْ حِذارًا من الواشينَ أنْ لا تَكَلَّم
فلم أرَ شَكْلًا واقعًا فوقَ شَكْله كَعُنَّابةٍ تُومِي بها فوق عَنْدمِ[1]

* * *

ومما قيل في النهود، يُقال:

ثُنْدُوة الرّجل، ثَدْي المرأة، خِلْف الناقةِ، ضَرْع الشاة والبقرة، طُبْيُ الكَلْبة.

قال ابن الروميّ: [من الوافر]

صُدورٌ فوقَهُنَّ حِقاقُ عاجٍ وحَلْيٌ زانَهُ حُسْنُ اتّساق![2]
يقولُ الناظرُونَ إذا رأَوْها أهذا الحَلْيُ من هٰذِي الحِقَاقِ؟
وما تِلْكَ الحِقَاقُ سِوَى ثُدِيٍّ قُدرْنَ من الحِقاقِ على وِفَاقِ[3]
نَواهِدُ لا يُعَدُّ لهنَّ عَيْبٌ سِوى مَنْعِ المُحِبِّ من العِنَاقِ

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب: [من الكامل]

أبَتِ الرّوادِفُ والثُّدِيُّ لقُمْصِها مَسَّ البُطون، وأن تَمَسَّ ظُهُورًا[4]

وقال محمد بن مبادر: [من المديد]

ولها ثَدْيانِ ما عَدَوَا من حِقَاقِ العاج أن كَعَبَا[5]
قُسِمَتْ نِصْفَيْنِ دِعْصَ نَقًا وقَضِيبًا لانَ، فاضْطَرَبَا[6]

---

(١) الشَّكل: صورة الشيء وهيئته أو المثل والشبيه، والعنّاب: ثمرٌ أحمر حلو لذيذ الطّعم على شكل ثمرة النّبق، والعندم: نباتٌ يصبغ به.
(٢) الحقاق: مفردها «حقّ» وهو وعاء صغير يتّخذ من عاجٍ أو زجاج، وتوضع به أنواع الطّيب، والاتّساق: النظام والمماثلة.
(٣) قُدرن: جُعلن، وقدر الله عليه الأمر: أي حكم به عليه، وقدر الرزق: قسمه.
(٤) الروادف: مفردها ردفٍ وهو الكفل، والقمص: مفردها قميص وهو الشّعار تحت الدّثار، يريد أن الأرداف الممتلئة والنهود البارزة منعت القميص أن يمسّ صفحة البطن الضامرة.
(٥) ما عدوا: ما تجاوزوا، وكعب النهد: برز في صدر الفتاة.
(٦) الدّعص: الكثيب، والنّقا: القطعة من الرّمل المحدودبة، يريد: لأن قوامها ودق، وعظُمت أردافها.

وقال عبد الله بن أبي السِّمْط بن مَرْوَان[١]: [من المتقارب]

كـأنَّ الـثُّـديّ إذا مـا بَـدَتْ وَزانَ الـعُـقـودُ بـهـنَّ الـنُّـحـورَا
حِـقـاقٌ مـن الـعـاجِ مـكـنـونَـةٌ يَـسَـعْـنَ مـن الـدُّرِّ شَـيْـئًا كَـثِـيـرا

وقال عليّ بن الجَهْم: [من الرّمل]

كـنـتُ مُـشْـتـاقًـا ومـا يَـحْـجُـزُنـي عَـنْـك إلا حـاجـزٌ يَـمْـنَـعُـنـي
شاخصٌ في الصَّدْرِ، غَضْبانٌ على قَـبَـبِ الـبَـطْـن وطَـيِّ الـعُـكَـنِ[٢]
يـمْـلأُ الـكَـفَّ ولا يَـفْـضُـلـه وإذا أثْـنَـيْـتـه لا يَـنْـثَـنِـي

وقال ابن الروميّ: [من الخفيف]

مـلـقـمـاتٌ أطـفـالَهُـنَّ ثُـديًّـا نَـاهِـداتٍ كـأحـسَـنِ الـرُّمَّـانِ[٣]
مُـفْـعـمـاتٌ كـأنّـهـا حـافـلاتٌ وهـي صِـفْـرٌ مـن دِرّة الألـبـانِ[٤]

وقال ابن المعتزّ: [من المتقارب]

قَـبِـيـحٌ بـمـثـلـك أن تَـهْـجُـري وأقـبـحُ مـن ذاكَ أن تُـهْـجَـري
أقـاتِـلـتـي بـفُـتُـور الـجُـفُـون ورُمَّـانـتـيْـن عـلـى مِـنْـبَـرِ
كـحُـقّـيْـن مـن لُـبِّ كـافـورةٍ بـرأسَـيْـهِـمَـا نُـقـطـتَـا عـنـبـرِ!

* * *

ومما قيل في البطن، يقال:

الدّحَل، عِظَمُه ـ الحَبَن، خروجه ـ الثَّجَل، استرخاؤه ـ القَمَل، ضخمَهُ ـ الضّمُور، لَطافته ـ العَجَر والبَجَر، شُخُوصه[٥] ـ التَّخَزْخُر، اضطرابه.

---

(١) عبد الله بن أبي السّمط بن مروان: لعلّه مروان بن أبي حفصة، الذي يكنّى أبا السّمط لبيتٍ قاله، وهو شاعر مفلّق مدح معن بن زائدة الشيبانيّ، وهلك في زمن الرشيد سنة ١٨٢ هـ. «المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٣٩٦، دار الكتب العلمية».

(٢) شاخص: بارز، والقبب: ضمور البطن ودقّة الخصر، والعُكن: مفردها «عكنة» وهي ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سمنًا.

(٣) ملقمات: أي مرضعات.

(٤) المفعم: المليء، وهي صفرٌ: أي خالية، والدرّة: ما يدرّه ثدي المرضع من لبن.

(٥) الشّخوص: ما عظم وضخم وبرز.

قال محمد بن مبادر: [من مخلّع البسيط]

والبَطنُ ذو عُكْنةٍ لطيفٌ صِفْرٌ وِشَاحاه جائلانِ[1]
أشْرَف من فوقِهِ عليه ثَدْيانِ مَيْلان ناهِدانِ

* * *

ومما قيل في الأرداف والخصور، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول عبد الله بن طاهر[2]: [من السريع]

صبٌّ كئيبٌ يشتكيكَ الهوى كما اشتكى خَصْرُك من رِدْفكا
لسانُه عن وَصْفِ أسقامِه أكَلُّ منه عن مدَى وَصْفكا[3]

وقال ابن أبي البغل: [من المنسرح]

كأنَّهُ في اعتداله غُصُن وفي السَّراويل منه أمواجُ[4]
إذا مشى كالقَضِيب جاذبَهُ رِدْفٌ له كالكَثِيب رَجْراجُ[5]
ويعلَمُ الله أنَّني رجُل إليه مذ قد كَبرتُ محتاجُ

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْد عفا الله عنه ورحمه: [من الكامل]

قد قلتُ لَمَّا مَرَّ يَخطِرُ ماشِيًا والرِّدفُ يَجْذِب خَصْرَه من خَلْفه
يا مَنْ يُسَلِّم خَصْره من رِدْفِه سَلِّمْ فُؤادَ محبِّه من طَرْفه

وقال السريّ الرَّفاء: [من الكامل]

ضَعُفتْ معاقِدُ خَصْره وعُهودُه فكأنَّ عَقْدَ الخَصْر عَقْدُ وفائه

وقال المتنبّي: [من الوافر]

وخَصْرٍ تثبتُ الأبصارُ فيه كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطَاقا[6]

---

(١) الوشاح: نسيج عريض تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها، وجائلان: لا يستقرّان.
(٢) عبد الله بن طاهر: لعلّ المقصود غير عبد الله بن طاهر الخزاعيّ أمير خراسان، وأحد أكبر قادة المأمون العباسي وأكرمهم، بل المقصود: طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر شاعر خراسان «أبو الطيب»، وهو شاعر هجاء. «انظر اليتيمة ٤/٧٩».
(٣) أكلّ: أضعفُ وأعجز.
(٤) يريد بالأمواج هنا: الأرداف.
(٥) والرّجراج: المتحرك والمضطرب كالموج.
(٦) تثبت الأبصار: تطيل النظر، والحدق: العيون، والنّطاق: حزام يشدّ به الوسط.

وقال السريّ الرفّاء: [من الطويل]

أحاطَتْ عيونُ الناظرينَ بخَصْره ... فهُنّ له دونَ النِّطاق نطاقُ

وقال الأمير سيف الدّين المشدّ: [من مخلّع البسيط]

وأَهْيفُ القدِّ بتُّ أشكُو ... له تَلافِي وما تَلافَى[1]
فلَانَ عِطْفًا ودقّ خَصْرًا ... وإنّما رِدْفُه تجافَى

وقال أبو نُوَاس: [من الرمل]

لَيِّنُ القَدِّ لَذِيذُ المُعْتَنَقْ ... يُشْبِهُ البدرَ إذا البدرُ اتَّسَقْ[2]
مثقَلُ الرِّدف إذا ولَّى حكى ... مُوثَقًا في القيد يَمْشِي في زَلَقْ[3]
وإذا أقبلَ كادتْ أعيُنٌ ... نَحْوه تَجْرَحُ فيه بالحَدَقْ

وقال آخر وأجاد: [من الهزج]

أيا مَنْ نِصْفُهُ غُصنٌ ... يميلُ ونِصْفُه كفَلُ[4]
صفاتُكَ في تَبايُنها ... فمُنْفَصلٌ ومُتَّصلُ
فنصفُك موجُ عاصفةٍ ... ونصفُك شاربٌ ثَمِلُ

* * *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمنه قول أبي عُبَادة البحتُريّ: [من البسيط]

كأنّهنّ وقد قارَبْنَ في نَظَرِي ... ضِدّيْنِ في الحسن تَثْقِيلًا وإخْطافا[5]
رَدَدْنَ ما خفَّفتْ عنه الخُصور إلى ... ما في المآزر فاستَثْقَلْنَ أرْدافا

وقال آخر: [من الوافر]

لها رِدْفٌ تعَلَّقَ في لَطِيفٍ ... فذاكَ الرِّدف لي ولها ظَلُومُ[6]
يُعَذِّبُني إذا فكَّرتُ فيه ... ويُتْعِبها إذا قصَدَتْ تقُومُ

(١) الأهيف: الضامر، والتلاف: الهلكة، وتلافى: توقّى واحترز.
(٢) اتّسق البدر: اكتمل.
(٣) ولّى: مشى مبديًا دُبُرَهُ، وحكى: شابه، والزّلق: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم لملامسته.
(٤) الكفل: العُجْز من الإنسان والدّابة، مؤخّر كلّ شيء أو مؤخّر الجسم.
(٥) الإخطاف: الهزال والضّعف، أو خفّة اللحم، يريد بالضدّين: ثقل الأرداف وضمور الخصر.
(٦) اللطيف: الضامر، أراد به الخصر.

وقال مؤمل وأفرط: [من مجزوء الخفيف]

مَــنْ رأى مــثــلَ حِـبَّـتـي ... تُــشْــبِـــهُ الــبــدرَ إذ بَــدا[1]
تــدخُــلُ الــيــومَ ثــم تَــدْ ... خُـــلُ أردافُـــهـــا غَـــدَا

وقال أبو هلال: [من الكامل]

تَـمْـشِـي بـأرْدافٍ أَبَـيْـنَ قُـعُـودَهـا ... بـيـن الـنِّـسـاءِ كـمـا أَبَـيْـنَ قِـيَـامَـهـا

وقال عليّ بن عطية البلنسي: [من الطويل]

وإنْسِيَّةٍ زارتْ من اللَّيْلِ مَضْجَعي ... فعانقْتُ غُصنَ البان منها إلى الفَجْر
أسائلُها أيْنَ الوِشَاحُ؟ وقد سرَتْ ... مُعَطَّلةً منه، معَطَّرةَ النَّشْر[2]
فقالَتْ: وأومَتْ، للسِّوارِ نقَلْتُه ... إلى مِعْصَمِي لما تقَلْقَلَ في خَصْرِي[3]

وقال الطائيّ: [من الطويل]

من الهِيف لو أنَّ الخَلاخلَ صُيِّرت ... لها وُشُحًا جالتْ عليها الخَلاخلُ

وقال إسحٰق الموصليّ[4]: [من الهزج]

ظِـبـاءٌ كـالـيَـعَـافِـيـرِ ... كُـنُـوسٌ فـي الـمَـقَـاصِـيـرِ[5]
وأَدبَـــرنَ بـــأَعْـــجَـــازٍ ... كـأوْسـاط الـزَّنـابِـيـرِ[6]

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الخفيف]

يـتـقـابَـلْنَ كـالـبُـدُورِ عـلى الأغْـ ... ـصـانِ فـي مُـثْـقَـلٍ مـن الأرْدَافِ
بـخُـصُـورٍ تَـحْـكِـي خُـصُـورَ الزَّنـابِـ ... ـيـر ضـعـافٍ هَـمَـمْـنَ بـالانْـقـصـاف

---

(١) حبّتي: أي من يحب ويهوى، وبدا: ظهر.
(٢) المعطّلة: التي لا تلبس هنا الوشاح، ويقال: جيدٌ معطّل: إذا خلا من الحليّ، والنّشر: الرائحة الطيّبة.
(٣) أومت: أشارت، والسّوار: حلقة من ذهب تتّخذ في المعصم حلية، وتقلقل: تحرّك، أراد أن خصرها بات لضموره ونحافته كمعصم اليد.
(٤) إسحٰق الموصلي: هو إسحٰق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالمًا باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الكلام والدّين، شاعرًا وراوية أشعار، توفي سنة ٨٥٠ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٩٢».
(٥) اليعافير: مفردها «يعفور»، وهو ظبيٌ لونه العفر، وهو بياضٌ تخالطه الحمرة، وكنوس: من كنس الظبي: إذا دخل كناسه، أي بيته، والمقاصير: مفردها مقصورة: وهي الدّار الواسعة المحصّنة التي لا يدخلها إلّا صاحبها.
(٦) الزنابير: مفردها «زنبور» وهي حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبوريّة.

وقال آخر: [من الكامل]

عظُمَتْ روادِفُها فآذَتْ خَصْرَها ... ووشاحُها قَلِقٌ كقَلْب المُغْرَم

وقال آخر: [من المنسرح]

آخِرُها مُتْعِبٌ لأوّلها ... فبعضُها جائِرٌ على بَعْضِ

وقال آخر: [من الكامل الأحذّ]

تَمْشِي فتُثْقِلُها روادِفُها ... فكأنّها تمشي إلى خَلْف

وقال البجليّ: [من الكامل]

إنّ العزيزَ عليّ خَصْرُكِ إنّه ... بالرِّدْفِ حُمِّل منكِ ما لا يُحْمَلُ
فخُذِي له جِسْمي مَكانَ وشاحه ... إنّ العَليل بشَكْله يتعَلّلُ[1]

* * *

ومما قيل في السُّوق[2]، فمن ذلك قول الأمير سيف الدّين المشدّ: [من المنسرح]

ساقٍ تَجَلّى كأنّه قَمَرُ ... يَحْمل شمسًا، أفْدِيه من ساقِ!
شَمَّر عن ساقِه غلائِلَهُ ... فقلْتُ: مهلًا، واكْفُفْ عن الباقي![3]
لَمّا رآني، وقد فُتِنْتُ به ... من فَرْطِ وَجْدِي وعُظْم أشواقِي
غنّى وكأسُ المُدامِ في يَدِه ... قامتْ حروبُ الهوى على ساق

وقال عُرْوة[4]: [من الطويل]

فقُمْنَ بطيئًا مَشْيهُنّ تأَوُّدًا ... على قَصَبٍ قد ضاقَ عنه خَلاخلُهْ
كما هَزَّتِ الميزانَ رِيحٌ فحرَّكتْ ... أعاليه منه وارجَحنَّتْ أسافِلُهْ[5]

---

(١) العليل: المريض، ويتعلّل: يتداوى ويشفى.
(٢) السُّوق: مفردها السّاق، وهو ما بين الرّكبة والقدم.
(٣) الغلائل: مفردها غلالة، وهي الثوب الرقيق يلبس تحت الدّثار.
(٤) عروة: هو عُروة بن حزام بن مهاجر الضّني، من بني عذرة، شاعرٌ من متيّمي العرب، كان يحبّ ابنة عمه «عفراء»، مات ودفن في وادي القرى قرب المدينة نحو سنة ٦٥٠ م، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٤/٢٢٦».
(٥) ارجحنّت: تحرّكت واهتزّت وتمايلت.

وقال كُثَيِّر عَزَّة[١]: [من الوافر]

ويَجْعلْنَ الخلاخِلَ حين تَلْوِي بأَسْوُقِهِنَّ في قَصَبٍ خِدَالِ[٢]

وقال كُشاجم: [من السريع]

قلتُ: وقد أبصرتُها حاسِرًا عن ساقِها فاضلَ سِرْبالِها
لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُها لاحتَرَقَتْ من نارِ خَلْخالِها

وله أيضًا: [من مجزوء الكامل]

وإذا لَبِسْنَ خَلاخلًا كذَّبْنَ أسماءَ الخَلَاخل

* * *

ومما وصفت به القدود، فمن ذلك قول أبي فِرَاس الحمدانيّ: [من مجزوء الوافر]

غُلامٌ فوقَ ما أَصِفُ كأنَّ قَوَامَهُ أَلِفُ
إذا ما مالَ يُرْعِبُني أخافُ عليه يَنْقَصِفُ
وأشفَقُ من تأَوُّده أخافُ يُذيبُه التَّرَفُ[٣]

وقال الخُبْزَأَرُزِّي: [من المنسرح]

أهْيفُ يَحْكِي بقَدِّهِ الألِفَا يَخْسَر مَن لم يَكُنْ به كَلِفا[٤]
أحسنُ من بهجة الخلافة والأمـ ـن لمن قد يُحاذرُ التَّلَفا
لو أبْصرَ الوجهَ منه مُنْهزمٌ يطلُبُه ألْفُ فارسٍ، وقَفَا

وقال ماني[٥]: [من الخفيف]

أتَمَنَّى الذي إذا أنا أوْمَـ ـأتُ إليه بطَرْف عيني، تَجَنَّى
أهْيفٌ كالقَضِيبِ لو أنَّ ريحًا حرَّكتْ هُدْبَ ثوبِه، لتثنَّى!

---

(١) كُثَيّر عَزَّة: هو كثيّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر الخزاعيّ، أبو صخر، شاعر متيّم مشهور، من أهل المدينة، أخباره مع عزّة بنت جميل الضمريّة كثيرة، توفي سنة ٧٢٣ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٢١٩».
(٢) الخلاخل: جمع خلخال وهو حلية تلبسها النّساء في سوقهنّ، والخدال: الممتلىء التامّ.
(٣) تأوّده: ميله والتوائه، والتّرف: التنعّم وسعة العيش.
(٤) الأهيف: الضامر، والكلف: المحبّ.
(٥) ماني: هو ماني الموسوس، محمد بن القاسم، تقدمت ترجمته. «انظر الأغاني ٢٣/ ١٩٠».

وقال آخر: [من الطويل]

أيَا سائلي عن قَدِّ محبوبِيَ الَّذِي ... كَلِفْتُ به وَجْدًا وهِمْتُ غَرَاما
أبَى قِصَرَ الأغصانِ ثُمَّ رأى القَنَا ... طِوالًا، فأضحى بينَ ذاكَ قَوَاما(١)

وقال آخر، وهو محمد بن التلمساني(٢): [من مجزوء الكامل]

يا مُخْجِلًا بِقَوَامِهِ ... أغْصانَ بناتِ اللِّوَى!(٣)
ما أنتَ عِنْدِي والقَضِيـ ... ـبُ اللَّدْنُ في حدٍّ سَوَى!(٤)
هذاكَ حَرَّكَه الهَوَا ... ءُ وأنْتَ حَرَّكْتَ الهَوَى!

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

يا غُصْنًا راحَ الصَّبَا ... يَثْنِيه، لا رِيحُ الصَّبَا!(٥)
ما إنْ بدَا للعَيْنِ إلا ... ارتاحَ قَلْبِي وصَبَا(٦)
ولا انْثَنَى يَخْطِر إلا ... ازْداد قلبي وصَبَا(٧)

وقال آخر، وهو كُشاجم: [من السريع]

مُعْتَدلٌ من كُلِّ أعطافه ... مُسْتحسَنُ القامةِ والمُلْتَفَتْ
لو قِيسَتِ الدُّنيا ولَذَّاتُها ... بساعةٍ من وَصْله، ما وَفَتْ
سُلِّطت الألحاظُ منه على ... قلبِي، فلو أوْدَتْ به ما اشتَفَتْ(٨)
واستعذبَتْ رُوحِي هَواه فلا ... تَصْحُو ولا تَسْلُو، ولو أُتْلِفَتْ

* * *

(١) القنا: الرّماح، والقوام: الاعتدال.
(٢) محمد بن التلمسانيّ: هو محمد بن سليمان بن عليّ التلمساني المعروف بـ «الشاعر الظّريف»، ويقال له: ابن العفيف، شاعر مترقّق، مقبول الشعر، له ديوان شعر مطبوع، توفي بدمشق سنة ١٢٨٩ م. «فهرس الأعلام ٦/ ١٥٠».
(٣) بانات: مفردها «بانة» وهي ضرب من الشجر الليّن، ورقه طويل، أبيض الزهر، واللّوى: ما انعطف والتوى وانثنى من الرّمل أو مسترقه.
(٤) اللّدن: الطريّ الميّاس.
(٥) الصِّبا: الشباب وميعته، والصَّبا: ريحٌ باردة تهبّ فتنعش.
(٦) صَبا: مال وحنّ.
(٧) انثنى: تمايل، ويخطر: يتبختر في مشيته، والوَصَب: الألم والوَجع.
(٨) أودت به: ذهبت وأهلكته.

ومما قيل في العِناق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول الحسين بن الضّحّاك[١]: [من الكامل]

ومُوَشَّحٍ، نازعتُ فضلَ وِشَاحِه   وكسوْتُهُ من ساعِدَيَّ وِشَاحا
بات الغَيُور يشُقُّ جلدةَ خدِّه   وأمالَ أعطافًا عليَّ مِلاَحَا[٢]

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

بِتُّ وبدرُ الدُّجَى نديمي   وهو مُوَاتٍ بلا أمْتِناعِ
فقلتُ للحاسِدينَ لَمَّا   أشرقَتِ الشمسُ بالشُّعَاعِ
القَلْبُ والطَّرْفُ مَنْزِلاهُ   وَهْو إلى الآنَ في الذِّراعِ

وقال ابن المعتزّ: [من السريع]

ما أقْصَرَ الليلَ على الراقدِ!   وأهْونَ السُّقْمَ على العائدِ![٣]
يَفْدِيكَ ما أبقيْتَ من مُهْجَتي   لستُ لِمَا أوْليتَ بالجاحِدِ
كأنَّني عانَقْتُ رَيحانَةً   تنفَّستْ في ليلِها البارِدِ
فلو ترانَا في قَميص الدُّجَى   حَسِبْتَنا في جَسَدٍ واحدِ

وقال أبو هلال في نحو ذلك: [من السريع]

ونحنُ في نَظْم الهوَى واحِدٌ   كأنَّنا عِقْدانِ في نَحْرِ

وقال ابن الصوليّ[٤]: [من مجزوء الرّمل]

طالَ عُمْرُ اللّيلِ عِنْدِي   إذ تَوَلَّعْتَ بِصَدٌ
يا ظَلُومًا نقضَ العَهْـ   ـدَ ولم يُوفِ بِعَهْدِ!
أنَسِيتَ الوصلَ إذ بِتْـ   ـنا على مَرْقدِ وَرْدِ

---

(١) هو الحسين بن الضحّاك: المعروف بالخليع، أبو علي، أصله من خراسان، بصريّ المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، عداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة ١٦٢ هـ، وتوفي في بغداد سنة ٢٥٠ م. «معجم الأدباء ٣/ ١٢٨».

(٢) الأعطاف: مفردها «عطف»، وهو من الإنسان من لدنّ رأسه إلى وركه.

(٣) العائد: الذي يزور مريضًا.

(٤) ابن الصّولي: هو إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صول، أبو إسحٰق، تقدّمت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ١/ ٤٥».

واعـتَـنَـقـنـا كـوِشـاحٍ وانـتـظَـمْـنـا نَـظْـمَ عِـقْـدِ
وتـعَـطَّـفْـنـا كـغُـصْـنَـيـن فـقَـدّانـا كـقَـدٍّ(١)

وقال ابن عَبْدَكان(٢) الكاتب: [من الرمل]

وكِـلَانـا مُـرْتَـدٍ صـاحِـبَـه كارتِداء السَّيْفِ في يَوْمِ الوَغى
بـخُـدودٍ شـافـيـاتٍ مـن جَـوًى وشِـفـاهٍ مُـرْوِيـاتٍ مـن ظَـمَـا
نَـتَـساقى الـريـقَ فـيـمـا بـيـنَـنَـا زَقَّ أُمَّات القَطَا زُغْبَ القَطَا(٣)

وقال عليّ بن الجَهْم: [من الطويل]

سَقَى اللهُ ليلًا ضَمَّنا بعد فُرْقةٍ وأدْنى فؤادًا من فُؤادٍ مُعذَّبِ!
فبِتْنا جميعًا: لو تُراق زُجاجةٌ من الخَمْر فيما بَيْنَنا، لم تَسَرَّبِ(٤)

وقال الخُبْزَأَرُزِّيّ: [من الكامل]

طوّقْتُه طَوْقَ العِنَاقِ بساعِدِي وجعلتُ كفِّي للِّثَام وِشاحَا
هذا هو الفَوْزُ العظيمُ فخلِّنا مُتَعانقَيْن فما نُرِيدُ بَرَاحا!(٥)

وقال صالح بن يونس: [من السريع]

لِي سـيِّـدٌ مـا مـثـلُه سـيِّـدٌ تَصَدَّتِ الحمَّى له فاشتكَى(٦)
عـانَـقْـتُـه عِـنْـدَ مُـوافـاتِـهِ والأُفْقُ بالليلِ قد اَحْلَوْلَكا(٧)
فـجـاءتِ الـحـمَّـى كـعـاداتِـهـا فلم تجِدْ ما بَيْنَنا مَسْلَكا!

وقال الحسين بن عليّ بن بِشْر الكاتب: [من المنسرح]

ضَمَمْتُه ضَمَّ مُفْرِط الضَّمِّ لا كَأَبٍ مُشْفِقٍ ولا أُمِّ(٨)

---

(١) تعطّفنا: تمايلنا، والقدّ: القامة أو القوام.
(٢) ابن عبدكان الكاتب: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مودود، أبو جعفر، كاتب من كبار المنشئين، ولي البريد بدمشق وحمص، له رسائل مدوّنة في عشر مجلّدات، وله شعر، توفي سنة ٨٨٣ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٣».
(٣) زقّه الطعام: أطعمه بمنقاره، والقطا: طائر صحراوي يشبه الحمام، والزُّغب: الفراخ التي ظهر أوّل ريشها.
(٤) لم تسرّب: لم تنفذ من مكانها إلى مكانٍ آخر، ويقصد هنا شدّة الالتحام.
(٥) ما نريد براحًا: أي ما نريد مغادرة.
(٦) تصدّت له: اعترضته وهاجمته.
(٧) موافاته: إتيانه لزيارته ولقائه.
(٨) المفرط: المكثر.

ولـم نَـزَلْ، والـظـلامُ حـارِسُـنـا جسمَيْنِ مستودَعَيْنِ في جِسْمِ
أَلْثُمه في الـدُّجَى، وبَرْقُ ثَـنَـا يَـاهُ يُـرِيـنِـي مـواضِـعَ الـلَّثْـم[١]
ثُـمَّ افـترقْـنـا عِـنْـد الصباحِ وقَـدْ أَثَّـرت فـيـه كـهَـيْـئَـةِ الـخَـتْـمِ[٢]

وقال أبو عبد الله الحامديّ: [من الطويل]

سَقَانِي وحَيَّاني وباتَ مُعَانِقي! فيا عَطْفَ مَعْشوقٍ على ذُلِّ عاشِقِ!
ويا لـيلةً، بـاتَـتْ سَـواعِـدُنـا بـهـا تَدُورُ على الأعناقِ دَوْرَ المَخَانِقِ![٣]
نَبُثُّ من الشَّكْوَى حديثًا كأنَّهُ قلائدُ دُرٍّ في نُحورِ العَواتِقِ[٤]

❋ ❋ ❋

ومما ورد على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبي إسحٰق الصابي[٥]: [من المجتث]

هَـيـفـاءُ تَـحْـكِـي قَـضِـيـبًـا قـد جَـمَّـشَـتْـه الـرِّيـاحُ[٦]
تَـفْـتَـرُّ عـن سِـمْـطِ دُرٍّ عـلـيـه مِـسْـكٌ وراحُ[٧]
جـرَّدتُـهـا واعـتـنَـقْـنـا كـلٌّ لـكُـلٍّ وِشـاحُ!
بـاتَـتْ، وكـلُّ مَـصُـونٍ لـي مـن حِـمَـاهـا مُـبـاحُ
فـي لـيـلـةٍ لـم يَـعِـبْـهـا فـي الـدّهْـرِ إلا الـصَّـبَـاحُ

(١) أَلثُمه: أقبّله، والثنايا: الأسنان الأربع في مقدّمة الفم.
(٢) أثرت فيه كهيئة الختم: يريد أنّ القبل قد تركت آثارًا في جسمه كما يترك الختم آثارًا على الورق.
(٣) المخانق: مفردها «مخنقة»، وهي القلادة تحيط بالعنق.
(٤) نبُثّ: نظهر، والعواتق: الكرائم والحرائر من النساء.
(٥) أبو إسحٰق الصّابي: هو إبراهيم بن هلال الحرّاني، نابغة كتّاب جيله، كان صلبًا في دين الصابئة، وأحبّه الصّاحب بن عبّاد، وتعصّب له، له كتب عدّة، وديوان شعر، توفي سنة ٩٩٤ م. «فهرس الأعلام ١/ ٧٨».
(٦) جمّشته: داعبته ولاعبته وغازلته.
(٧) تفترّ: تبتسم، وسمطُ الدرّ: كناية عن أسنانها التي تشبه عقدًا من الدرّ.

وقال أيضًا: [من الطويل]

أقولُ وقد جَرَّدتُها من ثيابِها ... وعانَقْتُها كالبَدْرِ في ليلة التِّمِّ(١)
لَئِن آلَمَتْ صَدْرِي بشِدّة ضَمِّها ... لقد جَبَرَتْ قلبي وإنْ أوهنَتْ عَظْمِي!(٢)

وقال أبو الفضل الأصبهانيّ(٣): [من مجزوء الكامل]

يا ليلةً قُرِنتْ لنا ... فيها المآرِبُ بالنَّجاحْ
بِتْنا بِرَغْم وُشاتِنَا ... متعانِقَيْنِ إلى الصَّباحْ
متمازِجَيْن كأنَّنا ... رُوحانِ من ماء وراحْ(٤)
ظنَّ الوشاةُ لفَرْط ضَمِّـ ... ـي أنَّني بعضُ الوشَاحْ!

* * *

ومما قيل في وصف مَشْيِ النساء، يقال:

تَهالَكَتِ المرأةُ، إذا انفتلَتْ في مِشْيتها.

تأوَّدتْ، إذا اختالتْ في تَثَنٍّ وتكسُّر.

بَدَحتْ وتبدَّحتْ، إذا أحسنت مِشْيتها.

تَهزَّعتْ تهزُّعًا، إذا اضطربت في مِشْيتها.

قَرْصَعَتْ قَرْصعةً، وهي المِشْية القبيحة؛ وكذلك مَثَعتْ مَثْعًا.

وقال الأعشى: [من البسيط]

غَرَّاءُ، فَرْعاءُ، مَصْقُولٌ عوارِضُها ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يمشِي الوجِي الوَحِلُ(٥)
كأنَّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِها ... مَرُّ السَّحابةِ: لا ريث ولا عَجَلُ(٦)

---

(١) ليلة التمّ: أي ليلة التّمام، وهي ليلة أربع عشرة من الشهر القمري حيث يكون القمر بدرًا.
(٢) أجبرت قلبي: ضمّدت انكساره وأنعشته، وأوهنت: أضعفت.
(٣) أبو الفضل الأصبهاني: لعلّه، يقصد أبو الفضل الهمداني «بديع الزّمان» تقدّمت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ١/ ١١٥، ويتيمة الدهر ٤/ ٢٩٣».
(٤) الراح: الخمرة.
(٥) الغرّاء: البيضاء، والفرعاء: الطويلة الشعر، والعوارض: الأسنان، والوجي: الدّابة التي تشتكي حافرها، والوحل الواقع في الوحل.
(٦) الرّيث: البطء.

وقال آخر: [من الكامل]

يَمْشين مَشْيَ قَطا البِطاحِ تَأَوُّدًا قبّ البطونِ، رواجِح الأكْفالِ[(١)]

وقال ابن عائشة[(٢)] من أبيات: [من الكامل الأحذّ]

فكأنّهنّ إذا أردْنَ خُطًا يَقْلَعْنَ أرجُلَهنَّ من وَحَلِ

وقال أبو الفتح كُشاجم: [من المتقارب]

وتهتَزُّ في مَشْيها مِثْلَ ما تَهُزُّ الصَّبا غُصْنًا ناعِما

وتأمُرُ بالأمْرِ فيه الذي كَرِهتُ فأرضَى به راغِما[(٣)]

وقال آخر: [من الكامل]

شبَّهتُ مِشْيَتها بمِشْيَةِ ظافِرٍ يختالُ بَيْنَ أسنَّةٍ وسُيوفِ[(٤)]

صَلِفٍ تباهَتْ نفسُه في نَفْسِه لما أنثنَى بسِنَانِه المَرْعُوفِ[(٥)]

وقال آخر: [من المنسرح]

تَمْشِي الهُوَيْنَى إذا مَشَتْ فُضُلًا مَشْيَ النَّزِيفِ المخمُورِ في صَعَدِ[(٦)]

تَظَلُّ من زَوْرِ بَيْتِ جارتِها واضعةً كفَّها على الكَبِدِ

وقال المُنَخَّل اليَشْكُريّ[(٧)]: [من مجزء الكامل]

ولقد دَخَلْتُ على الفَتا ةِ الخِدْرَ في اليَوْمِ المَطِيرْ[(٨)]

---

(١) القطا: طائر صحراوي أغبر اللون يشبه الحمام، والبطاح: جمع أبطح وبطحاء، وهو المكان المتّسع المنبسط الذي يسيل فيه الماء فيخلّف التراب والحصى الصغار. والتأوّد: الميل والاعوجاج، وقبّ البطون: ضامراتها، ورواجح الأكفال: ثقيلات العُجْز.

(٢) ابن عائشة: هو عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، شاعر متأدّب من أهل البصرة، قصد بغداد، واتّصل بالقافي أحمد بن أبي دؤاد فمدحه ولم يجد ما يرضيه، فهجاه، توفي سنة ٨٤٢ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١٥».

(٣) راغمًا: مُكرهًا.

(٤) الظافر: المنتصر، ويختال: يمشي متبخترًا فخورًا، والأسنّة: الرّماح.

(٥) الصّلف: المتكبّر، والمرعُوف: الذي يقطر دمًا.

(٦) الهوينى: التؤدة والرفق، وامرأةٌ فُضُل: متفضّلة بثوب واحد، والنّزيف: السكران، والصّعد: المشقة والتعب.

(٧) المنخّل اليشكري: هو المنخّل بن عُبيد بن عامر، من بني يشكر، شاعرٌ قديم جاهلي كان يشبّب بهذا أخت عمرو بن هند، وقد اتّهم بالمتجرّدة امرأة النعمان بن المنذر، وكان جميلًا، قتله عمرو بن هند. «الشعر والشعراء: ص ٢٥٥».

(٨) الخدر: سترٌ يمدُّ للمرأة في ناحية البيت.

فَـدفَـعْـتُـهـا فـتـدافـعَـتْ مَشْيَ القَطَاة إلى الغَدِيرْ[١]
ولَثِـمْـتُـهـا فـتـنـفَّـسَـتْ كتنَفُّس الظَّبْي البَهِيرْ[٢]

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من المنسرح]

أبْـصَـرْتُـهـا لـيـلةً، ونِـسْـوتُـهـا يمشِينَ بين المقامِ والحَجَرِ[٣]
يرفُلْن في الرَّيْط والمُرُوط كما تَمْشِي الهُوَيْنَى سواكنُ البَقَرِ[٤]

وقال ابن مُقْبِل[٥]: [من البسيط]

يَهْزُزْنَ للمَشْيِ أوصالًا منعَّمةً هَزَّ الجَنُوبِ ضُحَى عَيْدانَ يَبْرِينَا[٦]
أو كاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تداوَلهُ أيْدِي التِّجَار فزادُوا مَتْنه لِينَا[٧]
يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالتْ جوانِبُه يَنْهالُ حِينًا وينهالُ الثَّرَى حِينا[٨]

وقال أشجعُ السلميّ[٩]: [من الطويل]

وماجَتْ كمَوْجِ الماء بَيْنَ ثِيابِها يَمِيلُ بها شَطْرٌ ويَعْدِلُها شَطْرُ
إذا وصَفَتْ ما فَوْقَ مَجْرَى وِشاحِها غلائلُها رَدَّتْ شهادَتَها الأُزْرُ[١٠]

(١) دفعتها: غازلتها وحرّكتها. (٢) البهير: المجهد.
(٣) المقام والحجر: بين ركن الكعبة والحجر الأسعد، يريد أنهنّ في الطّواف.
(٤) يرفُلن: يجرُرن أثوابهنّ، والرّيط: مفردها الرّيطة، وهي الملاءة من نسج واحد، والمروط: مفردها المرط وهو كساءٌ من خزٍّ أو صوف أو كتان يؤتزر به وتتلفّع به المرأة.
(٥) ابن مقبل: هو تميم بن أبي بن مقيل، من بني العجلان، أبو كعب، شاعر جاهلي إسلامي، أدرك الإسلام وأسلم، ورثى عثمان بن عفان، له ديوان شعر، وهو أوصف العرب لقدح، مات بعد سنة ٦٥٧. «الشعر والشعراء: ص ٢٩٧».
(٦) الأوصال: أجزاء الجسم وأعضاؤه، والجنوب: الرّيح تهبّ جنوبًا، والعيدان: النخل الطوال، ويبرين: اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة، من أصقاع البحرين بينه وبين الإحساء وهجر مرحلتان. «معجم البلدان ٥/ ٤٢٧».
(٧) الرّديني: الرّمح، والتّجار: المتاجرين به، والمتن: ما ظهر من الشيء.
(٨) الهيل: ما انهال من الرمل، والنّقا: الكثيب من الرّمل، وينهال: يسقط.
(٩) أشجع السّلمي: هو أشجع بن عمرو، من بني سُليم، كان مُتّصلًا بالبرامكة، وله فيهم أشعارٌ كثيرة، من شعراء العصر العبّاسي، وقد مدح الرّشيد وغيره. «الشعر والشعراء: ص ٦٠١».
(١٠) الوشاح: نسيجٌ عريض يرصّع بالجوهر، وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها، والغلائل: جمع غلالة وهي الستر الرقيق الذي يلبس تحت الثوب، والأزر: مفردها إزار وهو الملحفة، أو الثوب الذي يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

وقال العباس بن الأحنف: [من البسيط]

شمسٌ مقدّرةٌ في خَلْق جاريةٍ كأنما كَشْحُها طَيُّ الطَّوامِيرِ[1]
كأنها حينَ تمشي في وَصائِفها تَخْطُو على البَيْضِ أو خُضْرِ القَوارِيرِ![2]

* * *

انتهى الغرض في وصف الأعضاء، وما شاكلها واتصل بها.

* * *

فلنذكُرْ إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدمناه من الأمثال.

فأمّا ما جاء منها في الإنسان، يقال:

شدِيدٌ على الإنسان ما لم يعَوَّد.

وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلما.

الناسُ من جهة التمثِيلِ أكْفَاء.

الناس أخْيافٌ[3] وشَتَّى في الشِّيَم.

الناس بزَمانهم أشبهُ منهم بآبائِهم.

وما النّاس إلّا هالكٌ وابنُ هالك.

[من البسيط]

والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ فمن عَلِمُوا أن قد أقَلَّ فمَهْجُورٌ ومحقُورُ[4]

---

(١) الكشح: ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظّهر من الجسم، والطّوامير: مفردها «الطامور» وهو الصحيفة.

(٢) الوصائف: مفردها «الوصيفة» وهي هنا الخادمة، والقوارير: جمع قارورة وهي وعاء الطيب المصنوع من الزّجاج، تطلق على المرأة تشبّهًا بها في سهولة الكسر.

(٣) في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٩٤، دار الكتب العلمية: النّاس إخوانٌ وشتّى في الشّيم. والإخوان: الأشباه والأشكال، وشتّى: من الشتّ وهو التفرّق، والشّيم: الأخلاق الكريمة، أي إنّهم وإن كانوا مجتمعين بالأشخاص فشيمهم مختلفة، والأخياف: الضّروب المختلفة في الأخلاق والأشكال، أو النّاس الذين أمّهم واحدة وآباؤهم شتّى، يقال: الناس أخياف أي لا يستوون، ويقال: ذلك في الإخوة. «اللسان، مادة خيف».

(٤) بنو العلّات: أي أبناء الرجل الواحد من أمّهات شتّى، والعلّة: الضّرة.

وقال آخر: [من البسيط]

النّاسُ أكيسُ من أن يحسُدُوا رجُلًا حتَّى يَرَوْا عنده آثار إحْسَانِ[١]

ويقال:

المرءُ أعلم بشأنِه.

المرءُ مَعَ من أحَبّ.

دَعِ ٱمرءًا وما ٱخْتار.

كلُّ ٱمْرِىءٍ في شأنِه ساعٍ.

كلُّ ٱمرِىءٍ مُصبَّحٌ في أهله.

كلُّ ٱمْرِىءٍ من شَجْو صاحِبِهِ خلْو[٢].

المَرْء يَعْجَزُ لا مَحالة.

المرء تَوّاقٌ إلى ما لَمْ يَنَلْ.

المرء يجمعُ، والزمانُ يفرّقُ.

ويقال:

الرِّجالُ بالأموال.

تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ.

ولكلِّ دهر دولةٌ ورجالٌ.

* * *

ومما يتمثّل به في ذكر النفس، يقال:

النفسُ مُولعَةٌ بحُبِّ العاجلِ.

النفس أعْلَمُ مَنْ أخُوك النافِعُ.

أكْذِبِ النفسَ إذا حدّثْتَها.

ما عاتَبَ الرجلَ اللبيبَ كنَفْسِه.

---

(١) أكيس: أعقل.

(٢) الشجو: الحزن، والخلو: المستريح والمفارق.

الجُودُ بالنّفس أقصى غايةِ الجُود.

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عصَاما(١).

* * *

ومما يتمثّل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة:

ما قيل في الرأس والشعر:

مَنْ نَجَا برأسِه فقد رَبِحَ.

رماه بأقْحافِ رأسِه، أي بالدواهي.

اختلفَتْ رُؤوسها فرتَعَتْ(٢).

كلُّ رأسٍ به صُدَاع.

ويقال:

أدقُّ من الشَّعر.

أهْونُ من الشَّعر الساقِط.

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الوجه:

وجهُ المحرِّش أقبَحُ، أي وجه مبلِّغ القبيح أقبح من وجه قائله.

في وَجْه مالكٍ تُعْرف إمرتُه.

قَبْل البُكاء كان وجْهُك عابسًا.

قال أبو تمّام: [من البسيط]

وما أُبالي، وخَيْرُ القولِ أصدَقُه حقَنْتَ لي ماءَ وجهي أم حقَنْتَ دَمِي

---

(١) نفسُ عصام سوّدت عصامًا: هو شطر بيت من الرَّجز للنابغة الذبياني، وتمامه:

نفْسُ عصامٍ سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والإقداما

ويقال: هو حاجب النّعمان الذي قال له النابغة: ما وراءك يا عصام؟ «انظر المستقصى في أمثال العرب ٢/٣٦٩، دار الكتب العلمية». «وانظر ديوان النابغة الذبياني ص ١١٨ دار صادر».

(٢) رتعت الماشية: رعت في خصب وبحبوحة، يريد: إذا اختلف رؤوس القوم اهتمّ كلّ واحدٍ منهم باستمالة الرّعية إليه.

وقال ابن الروميّ: [من البسيط]

وقَلَّ مَنْ ضَمِنتْ خَيْرًا طَوِيَّتُه إلّا في وَجْهِه لِلخَيْرِ عُنْوَانُ[١]
لَه مُحَيًّا جميلٌ يُسْتَدَلُّ به على جميلٍ، ولِلبُطْنانِ ظُهْرانُ

وقال آخر: [من السريع]

صَلَابةُ الوَجْهِ صَلاحُ الفتَى ورِقَّةُ الوَجْهِ من الخُرْقَة[٢]

* * *

ما يتمثّل به من ذكر العين، يقال:

أسْرَعُ من طَرْف العَيْنِ.

أسْرَعُ من لَمْحِ البَصَرِ.

العَيْنُ تَرْجُمانُ القلب.

شاهِدُ البُغْض اللحظُ.

رُبَّ عَيْنٍ أنَمُّ من لسان[٣].

ليس لمَا قَرّتْ به العينُ ثَمَن.

نظرةٌ مِن ذِي عَلَق[٤].

عينٌ عَرَفَتْ فذَرَفَتْ.

لحظهُ أصدقُ من لفظِه.

ليس لعينٍ ما رأتْ، ولٰكِنْ لِكفٍّ ما أخذَتْ.

لا تطلُبْ أثرًا بعد عَيْنٍ[٥].

---

(١) الطويّة: الضّمير. (٢) الخرقة: الطيش والجهل.

(٣) هذا مثلٌ كقولهم: جلّى محبٌّ نظره، وكقولهم: شاهد اللحظ أصدق. «انظر مجمع الأمثال للميداني ١/٣٩٧». وأنمّ من النميمة، وهي الوشاية.

(٤) نظرةٌ من ذي علق: أي ذي مودّة، مثل يضرب في نظر المحب. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٣٦٨».

(٥) الأثر: ما بقي من رسم الشيء، ويطلب أثرًا بعد عين: أي يترك شيئًا يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه.

من أطاع طَرْفَه، أصاب حَتْفَه.

وأيُّ عارٍ على عين بلا حَوَر.

والدَّمعُ قد يُعْلِنُ ما في الصُّدُور.

ومن الأبيات: [من الطويل]

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كَلِيلةٌ ولكنَّ عين السُّخط تُبْدِي المَسَاوِيَا[1]

وقال الأمير أبو الفضل الميكاليّ[2]: [من السريع]

كَمْ والِدٍ يَحْرِمُ أولادَه وخَيْرُه يَحْظَى به الأبْعَدُ[3]

كالعين لا تنظر ما حَوْلَها ولَحْظُها يُدْرِك ما يَبْعُدُ

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الأنف:

أنْفُك مِنْك وإن كان أجْدَعَ[4]، يضرب في القريب السَّوْء.

شفَيْتُ نَفْسِي وجَدَعْتُ أنْفِي.

لأمرٍ مَّا جُدِعَ قَصِيرٌ أنفُه[5].

كلُّ شيءٍ أخطأ الأنْفَ جَلَل[6].

لُدِغتُ حيثُ لا يضَعُ الرَّاقي أنْفُه، يضرب للأمر الذي لا دواء له.

---

(١) الكليلة: الضعيفة، أو هي التي تغضي، والسّخط: الغضب.

(٢) الأمير أبو الفضل الميكالي: هو الأمير عُبيد الله بن أحمد الميكالي، مكانه من آل ميكال كواسطة العقد، يتفرّد بمزيّة الأدب الذي هو ابن بجدته، وأبو عذرته، وأخو جملته، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأعمّ بلاغة. «انظر اليتيمة ٤/٤٠٧ وما بعدها».

(٣) الأبعد: الذي لا ينتمي إليه بصلة نسبٍ أو قرابة.

(٤) الأجدع: المقطوع.

(٥) في المستقصى من أمثال العرب: «لأمرٍ ما حزَّ قصير أنفه»، وهو قصير بن سعد، أخذ ثأر جذيمة، قال المتلمّس:

ومن حذر الأيّام ما حزّ أنفه قصيرٌ ورام الموت بالسّيف بيهس

«انظر المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢٤٠».

(٦) كلّ شيء أخطأ الأنف جلل: أي يسير وهيّن، وأصله أن رجلًا صرع رجلًا، وأراد جدع أنفه فأخطأه، وجرح وجهه، فحدّث به رجل فقال ذلك، مثل يضرب في وجوه المحاماة عن العزّ. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٢٦».

رُبَّ حامٍ لأنفِه وهو جادِعُه، يُضرب لمن أنِفَ من الشيء فتُوقعه الأَنَفَةُ في أشدّ منه.

مات حَتْفَ أنفِه(١).

جَدَع الحلالُ أنْفَ الغيرَةِ، قاله رسول الله ﷺ.

أنفٌ في السَّماءِ، وأَسْتٌ في السماء!(٢)

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الفم، واللسان، والأسنان:

كلُّ جانٍ يدُه إلى فِيه.

حدِّثَنِي، فاهُ إلى فِيّ.

فلان خفيفُ الشَّفَة، أي قليل المسألة.

سكتَ أَلْفًا، ونَطَق خَلْفًا(٣).

قَرَع سِنّ النادِم(٤).

كَدَمْتَ في غير مَكْدَمٍ(٥)، أي طلب غير مَطْلَب.

---

(١) مات حتف أنفه: هو أن يموت على فراشه من غير أن يقتل، فتخرج نفسه من أنفه وفمه. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٣٣٨».

(٢) أنفٌ في السّماء وإستٌ في الماء: مثلٌ يضرب لمن رفع نفسه وهو لئيم الحسب، قال النابغة الجعدي:

بالأرض استاههم عجزًا وأنفهم ... عند الكواكب بغيًا يا لذا عجبا

«المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٩٥».

(٣) سكت ألفًا ونطق خلفًا: أي رديئًا، وهو مثل قيل في رجلٍ أطال الصمت عند الأحنف حتى أعجبه، ثمّ تكلّم فقال له: يا بابحر! أتقدر أن تمشي على شُرَف المسجد، فقال الأحنف ذلك. «المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١١٩».

(٤) قرع سنّ النادم: أي ندم، قال الكميت:

سيقرع منها سنّ خزيان نادمٍ ... إذ اليوم ضمّ الناكثين العصبصب

وقال جرير:

إذا ركبت قيسٌ بخيل مغيرةٍ ... على القين يقرع سنّ خزيان نادم

«المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٩٦».

(٥) كدمت في غير كلام: أي عضِضت غير معضّ، مثلٌ يضرب لمن طلب الشيء في غير مطلبه. «المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢١٧».

وجُرْح الدّهْرِ ما جَرَحَ اللّسانْ.

وجُرْح اللّسان كجُرْح اليد.

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الأُذُن:

جاء فلانٌ ناشِرًا أُذُنَيْه.

لَبِستُ على ذلك أُذُنَيّ.

أساءَ سَمْعًا فأساء إجابةً.

كلامُه يدخُل في الأُذُن بلا إذْن.

جعلْتُ ذلك دَبْرَ أُذُني(١).

* * *

ما يتمثّل به من ذكر العُنُق:

حَسْبُك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق.

أذَلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال.

وقال أبو الفتح البستيّ: [من الوافر]

فكَمْ دَقَّتْ وشَقَّتْ واسترقَّتْ   فُضُولُ العيش أعناقَ الرِّجالِ(٢)

* * *

ما يتمثّل به من ذكر اليد:

أهْدَى من اليدِ إلى الفَم.

ألزمُ من اليمينِ للشّمال.

يَدَاكَ أوْكَتَا، وفُوك نَفَخ(٣).

---

(١) في «المستقصى في أمثال العرب ٢/٥٣»: جعلتُهُ دَبْرَ أُذُني: أي ألقيته خلفي ولم ألتفت إليه، والضمير في «جعلته» للقول.

(٢) فُضُول العيش: طلب الزّيادة على الحاجة والمطلوب.

(٣) يداك أوكتا وفوك نفخ: مثلٌ يضرب للجاني على نفسه، وأصله أنّ رجلًا نفخ في زقّ ولم يوثق وكاءَه، فركبه ليعبر نهرًا، فلمّا توسّط انحلّ الوكاء، وخرجت الرّيح، فغرق، وحين غشيه الموت استغاث برجل فقال له ذلك. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٤١٠».

اليَدُ العُلْيَا خيرٌ من اليد السُّفْلَى.

آثَرُ لدَيْه من يمين يَدَيْه.

ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا، أي متفرّقين.

بالساعِدِ تَبْطشُ الكفُّ.

على يَدِي دارَ الحديثُ، إذا كان خبيرًا بالأمر.

هو على حَبْل ذراعِه، أي موافق له.

تَرِبَتْ[1] يَدَاه، دعاء عليه بالفَقْر.

ما تَبُلُّ إحدَى يدَيْهِ الأُخْرَى، للبخيل.

تَرَكَه على أَنْقَى من الراحة.

فلان يُقَلِّب كَفَّيْه.

سُقِط في يَدَيْه، للنادم.

أَعْطاهُ عن ظَهْر يدٍ، أي ابتدأه لا عن مُكافَأة.

ما سَدَّ فَقْرَكَ مثلُ ذاتِ يَدِك.

إن الذَّلِيلَ الذي ليسَتْ له عَضُدُ[2].

يَدٌ تَشِجُّ، وأُخْرَى منك تَأْسُونِي[3].

على اليَدِ ردُّ ما أخذَتْ.

وما الكَفُّ إلا إصْبَعٌ ثم إصْبَعُ.

---

(١) تربت يداك: مثلٌ يضرب في الدّعاء على الرجل بالفقر، قال سليمان بن ربيعة:
تربت يداك وهل رأيت لقومه مثلي على يُسري وحين تعلّتي
«المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٢٣».

(٢) الذّليل: الخضوع المقهور، والعضُد: السّاعد، وهو من المرفق إلى الكتف. يريد: يذلّ المرء حين لا يتّكل على نفسه.

(٣) في «المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٤١١»: يدٌ تشُجُّ وأخرى منك تأسوني، ومن ذلك قول الشاعر:
إنّي لأكثر ممّا سمتني عجبًا يدٌ تشجُّ وأخرى منك تأسوني
مثلٌ يضرب لمن يسيء ويحسن.

ومن الأبيات: [من المنسرح]

قد تَطْرِفُ الكَفُّ عَيْنَ صاحِبِهَا ... ولا يَرَى قَطْعَها من الرَّشِدِ[١]

وقال آخر: [من الطويل]

فلَوْ أنّها إحْدَى يَدَيّ رُزِئْتُها ... ولكنْ يَدِي بانتْ على إثْرِها يَدُ[٢]

وقال أبو تمام: [من الطويل]

وهل يَسْتعيضُ المرءُ من خَمْسِ كَفِّه ... ولو صاغَ من حُرّ اللُّجَيْنِ بَنانَها؟[٣]

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الصدر والقلب:

صَدْرُك أوسع لسِرّك.

صُدُور الأحرار، قبُورُ الأسْرار.

لا بدّ للمَصْدُور من أن يَنْفُثَ[٤].

أَلْزَمُ له من شعَرَات صَدْره.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: الآية ٤].

القَلْب طَلِيعةٌ.

القلوبُ تتقَلّب.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

مَتَى تجمِع القلْبَ الذَّكِيَّ وصارمًا ... وأنْفًا حَمِيًّا، تجتَنِبْكَ المَظَالِمُ[٥]

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

إنَّ التباعُدَ لا يضُـ ... ـرُّ إذا تقارَبتِ القُلُوبُ

* * *

(١) تطرف: تصيبها بأذى. (٢) رزئتها: أصبت بها، وبانت: بعدت.
(٣) صاغ: صنع، والحرّ: الخالص من الشوائب، واللُّجين: الفضة.
(٤) المصدور: المسلول، أو من يشكو صدره، وينفُث: يخرج ما في صدره.
(٥) الذّكي: المتوقد، والقلب هنا: العقل، والصارم: السيف، والحميّة: الأنفة والكبرياء.

ما يتمثّل به من ذكر الظهر والبَطْن والجَنْب:

استظْهِر[١] على الدّهر بخِفَّة الظَّهْر.

قَلَب الأمْرَ ظهرًا لبَطْنٍ.

لا تجعل حاجتي بظَهْرٍ، أي لا تُلْقِها وراء ظهرِك.

انقطَعَ السَّلى[٢] في البَطْن، لتناهي الشِّدّة.

نَزَتْ[٣] به البِطْنَة، لمن لا يحتمل النّعمة.

لكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ.

لجَنْبه فلْتكُن الوَجْبَة، في الدعاء عليه.

دمِّثْ[٤] لجَنْبِك قبلَ النَّوْم مُضْطَجَعًا.

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الكبد والدّم والعروق:

يا بَرْدَها على الكَبِد!

فلانٌ بين الخِلْب[٥] والكَبِد.

ما ينفَعُ الكَبِد يَضُرّ الطِّحَال.

ويقال:

جَرَى منه مَجْرَى الدّم في العرُوق.

هو أعَزُّ من دَمِ الفُؤاد.

---

(١) استظهر: تقوَّ.

(٢) انقطع السَّلى في البطن: السَّلى: هو الذي يكون فيه الولد تثنيته سليان، وهو مثلٌ يضرب للأمر المتفاقم. «المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٩٧».

(٣) نزت به البطنة: مثل يضرب لمن لا يحتمل النعمة، قال غسان بن ذهيل:

ولقد نزت بك من شقائك بطنةٌ   أردتك حتى طحت في القمقام

«المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٣٦٦».

(٤) دمّث لجنبك قبل النوم مضطجعًا: هو من قول لقيط:

إذ عابه عائب يومًا فقال له   دمّث لجنبك قبل النوم مضطجعا

ويروى: «قبل الليل» مثل يُضرَب في الاستعداد للأمر قبل حصوله. «المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٨١».

(٥) الخلب: حجابٌ ما بين القلب والكبد.

سِرُّك مِنْ دَمِك.

لا تَكايُلَ[١] بالدّم.

لا يَحْزُنك دمٌ هَراقَهُ أهْلُه، للجاني على نفسه.

فلانٌ لا يشرَبُ الماء إلا بدَمٍ.

العِرْق نَزَّاع[٢].

ألَا إنَّ عِرْقَ السُّوء لا بُدّ مُدْرِكُ!

* * *

ما يتمثّل به من ذكر الساق والقدم، يقال:

الْتفَّتِ الساقُ بالساق، في الشدّة.

كشفَتِ الحربُ عن ساقها، وكَشرتْ عن نابِها.

قَدَحَ في ساقِه، إذا عمل في شيء يكرهه.

لا يُرسلُ الساقَ إلا مُمْسكًا ساقًا.

قد شَمَّرتْ عن ساقِها، فشمِّري! في الحثّ على الجِدّ.

ويقال:

له قَدَم في الخيرِ، أي سابقةٌ.

إنك لا تَسْعَى برجْلَيْ مَنْ أتى.

وقال الشاعر: [من الرجز]

إنَّ قُرَيْشًا ـ وهي من خَيْرِ الأُمَمْ ـ لا يَضَعُونَ قَدَمًا على قَدَمْ

* * *

من ضُرِب به المثلُ من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل:

يقولون:

أسْخَى من حاتِم[٣].

---

(١) التكايُل: يقال: تكايل الرّجلان: إذا تعارضا بالشّتم.

(٢) **العرق**: الأصل، ونزّاع: ميّال، ونزع الولد أباه: أشبهه.

(٣) السّخاء: الكرم، وحاتم: هو حاتم الطائي الشاعر الجاهلي المعروف. وفي «المستقصى من أمثال العرب ١/٥٣»: أجود من حاتم.

أجودُ من كَعْبِ بن مامَةَ(١).

أجودُ من هَرِم. قال الميداني: هو هَرِم بنُ سِنان بن أبي حارثة.

وفيه يقول زُهَيْر بن أبي سُلمى: [من البسيط]

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولـٰـكِنَّ الجوادَ على عِلَّاتِه هرِمُ(٢)

أقْرى من مَطاعِيم الرِّيح. ومطاعيم الريح أربعة: منهم أبو مِحْجَن الثقفيّ.

وكان لبيدُ بن ربيعة العامريّ يُطْعِم إذا هَبَّت الصَّبا.

أشْجَعُ من ربيعة بن مُكَدَّم(٣).

أعزُّ من كُلَيْب بن وائل(٤).

أعزُّ من مَرْوان القرَظِ(٥).

أسْودُ من قَيْسِ بن عاصم.

أحْلَمُ من الأحنفِ بن قيس.

أزْكَنُ من إياس بن معاويةَ(٦).

(١) أجود من كعب بن مامة الأيادي، ومامه اسم أمّه، يقال: خرج كعب في شهر ناجر مع رفاقٍ له، فضلّ الركب الطريق فتصافنوا الماء، فانتهى القعب إلى كعب، ورأى رجلًا من النّمر بن قاسط ينظر إليه، فقال للسّاقي: اسق أخاكَ النمري! وفعل اليوم الثاني كذلك حتى وردوا الماء فقال له: رد كعبُ إنّك ورّاد، فعجز عن الجواب، وتركوه فغاظ، أي مات. «المستقصى في أمثال العرب ١/ ٥٤».

(٢) على علّاته: على ما ينوبه من قلّة ذاتِ يدٍ وعَوَز.

(٣) هو ربيعة بن مكدم، من بني كنانة، أحد فرسان مُضَر المعدودين في الجاهلية، له أخبارٌ أشهرها حماية الظعن بعد مقتله، قتل نحو سنة ٥٥٨ م. «فهرس الأعلام ٣/١٧».

(٤) هو كليب بن ربيعة بن تغلب بن وائل، سيّد ربيعة وقائد نزار كلّها، وكان لا يظلم إلّا القويّ، ويحمي الكلأ فلا يقرب، ولقّب بكليب وائل، لأنه كان يكنع قوائم كلبه فيلقيه في روضة تروقه فحيث بلغ عواء الكلب كان حمىً لا يرعى. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ٢٤٦».

(٥) هو مروان بن زنباع العبسيّ، كان حمى القرظ بعزّه، وقيل: كان يغزو اليمن، وهي منابت القرظ. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/٢٤٧».

(٦) أزكن: أعلم وأفهم، وإياس بن معاوية، أبو وائلة، المعروف بالقاضي إياس، أحد أعاجيب الدّهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه وزكنه، توفي بواسط سنة ٧٤٠ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٣».

أَفْتَكُ من البَرَّاض بن قيس النمريّ، خليع بني كنانَة. فتك بعُرْوة الرحَّال، والمُسَاور بن مالك الغَطَفانيّ، وأسد بن خيثم الغنويّ بسبب لَطِيمة النعمان، وبسبب ذلك كانت أيّام الفجار الأخر[١]؛ وسنذكرها في وقائع العرب إن شاء الله تعالى.

أَوْفَى من الحارث بن عُبَاد، وخبره مشهور مع مهلْهِل أخي كُلَيْب لما أمنه يوم تَحْلاق اللِّمم[٢].

أوْفَى من عَوْفِ بن مُحَلِّم[٣].

أوْفَى من هانِيء بنِ قَبِيصة، وخبره مشهور في أدرع النعمان؛ وبسببها كانت وقعة ذي قار[٤].

أوفَى من السَّمَوْأل بن عادياء.

أجملُ من ذِي العِمامةِ، وهو سعيدُ بنُ العاص بن أمية، ويكنَى أبا أُحَيْحَة؛ وهو المقول فيه: [من البسيط]

أبُو أُحَيْحَة مَنْ يَعْتَمُّ عِمَّتَه ... يُضرَبْ ولو كان ذا مالٍ وذا وَلَدِ

أمضَى من سُلَيْك المَقَانِب[٥].

أغلَى فِداءً من حاجب بنِ زُرَارة؛ ومن بِسْطام بنِ قَيْس؛ ومن الأشعث. أسَرَتْه مَذْحِج ففدى نفسَه بثلاثة آلاف بعير.

أغدَى من الشَّنْفَرَى، ومن السُّلَيْك بن السُّلَكة.

---

(١) يوم الفجار: قيل: أيّام الفجار أربعة، وسمّت قريش هذه الحرب فجارًا لأنها كانت في الأشهر الحرم، فقالوا: قد فجرنا إذا قاتلنا فيها، أي فسقنا. «انظر مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٥١٢».

(٢) يوم تحلاق اللّمم أو «يوم التحالق»، كان ذلك اليوم بين بكر وتغلب، سمّي بذلك لأنّهم حلقوا رؤوسهم، أعني أحد الفريقين، ليكون علامةً لهم. «مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٥٢٢».

(٣) عوفِ بنِ محلِّم: هو أبو خماعة، من بني شيبان، من أشراف العرب في الجاهلية، طلب منه الملك عمرو بن هند رجلًا كان قد أجاره، فمنعه، وكانت تضرب له قبّة في عكاظ. «فهرس الأعلام ٥/ ٩٦».

(٤) يوم ذي قار: كان من أعظم أيام العرب، وهو يومٌ لبني شيبان، انتصرت فيه العرب على جيش إبرويز ملك العجم. «انظر معجم الأمثال للميداني ٢/ ٥١٣».

(٥) سُليك المقانب: هو عُمير بن يثرب السعديّ، الذي يقال له: سليك بن السلكة وسليك المقانب، أحد الأغربة، والسلكة أمّه، وكانت سوداء. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ٢٣٨».

أبطأُ من فنْد، وهو مولًى لعائشة بنت طلحة؛ وقال أبو هلال العسكري: عائشة بنت سعد بن أبي وَقَّاص، بعثت به مولاته ليقتبس[١] نارًا، فأتى مصر، فأقام بها سنة، ثم جاء يَشْتَد ومعه نارٌ، فتبدّدت فقال: تَعِسَت العجلةُ!

أنْوَمُ من عبُود، كان عبود عبدًا أسودَ، وكان الله عزّ وجلّ قد بعث نبيًّا إلى قومه. قال الميداني: إن النبيّ هو خالدُ بن صفوانَ، نبيُّ أهل الرَّسِّ، فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبدُ الأسودُ، وإن قومه احتفروا له بئرًا فصيّروه فيها وأطبقوا عليه صخرةً، فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحتطب، ويبيع الحطب فيشتري به طعامًا وشرابًا، ثم يأتي به إليه فيُعينُه الله تعالى على الصخرة فيرفعها ويدلي إليه الطعامَ والشرابَ، فاحتطب يومًا وجلس فنام على شقِّه الأيسر سبعَ سنين، ثم هبَّ من نومه فانقلب على شقِّه الأيمن، فنام سبع سنين، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار. ثم احتمل حُزْمته وأتى القريةَ، فباع الحطب وجاء إلى الحفرة فلم يجد النبيّ وكان قد بدا للقوم فأخرجوه، فكان يسأل عن الأسود، فيقولون: لا نَدْري، فضُرب به المثل لمن ينامُ نومًا طويلًا، وقيل فيه غير ذلك. وذكره الميداني في أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية، وإنما ذكرها صاحب كتاب المفاخر[٢].

أنْعَمُ من خُرَيْم الناعم، وهو رجل من ولد سنان بن أبي حارثة، كان في زمن الحجّاج.

أبْلَغُ من سَحْبانِ وائلٍ، ويقال أخْطَبُ من سَحْبان، وهو الذي يقول: [من الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليَمَانُون أنَّني إذا قلتُ: أمَّا بعدُ، أنِّي خَطيبُها

أخْطَبُ من قُسٍّ، هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَيْر بن إيَاد بن نزَار، وكان من حكماء العرب وهو أوّل من كتب من فلان إلى فلان؛ وأوّل من أقرّ بالبَعْث من غير علم؛ وأوّل من قال: «البيِّنةُ على من ٱدَّعى، واليمين على من أنكر»، وقيل: إنه عُمِّر مائةً وثمانينَ سنةً.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: وفَدَ وَفْد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ! فلما فرغ من حوائجهم، قال: أفيكُمْ مَنْ يعرفُ قُسَّ بنَ ساعدة

(١) يقتبس النار: أي يأتي بقبسٍ أو جذوة منها.
(٢) هو كتاب: الفاخر، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصريّة.

الإياديّ؟ فقالوا: كلّنا نعرفه! قال: ما فعل؟ قالوا: هَلَك! فقال النبيّ ﷺ: كأنّي به على جملٍ أحمرَ بعُكاظ قائمًا، يقول: «أيّها الناسُ اجتمعوا واسمعوا وعُوا! كلُّ مَنْ عاش ماتَ، وكلُّ مَنْ ماتَ فاتَ، وكل ما هو آتٍ آت! إنّ في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لَعِبَرًا: مهادٌ[1] موضوع، وسَقْف مرفوع، وبحارٌ تَمُوج، وتجارةٌ لن تَبُور، وليلٌ داجٍ[2]، وسماءٌ ذات أبراج! أقسَم قُسٌّ حقًّا: إن كان في الأرض رضًا ليكونَنَّ بعده سخط! وإن لله عزّ وجلّ دينًا وهو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم إليه! ما لي أرى الناس يذهبونَ فلا يرجِعُون! أرَضُوا فأقاموا؟ أم تُرِكوا فناموا!»، ثم أنشد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه شِعْرًا حفظه له، وهو: [من مجزوء الكامل]

فـي الـذاهـبـيـنَ الأوّلـيـن من القُرون لنا بَصائِرْ
لـمّـا رأيـتُ مَـوارِدًا للموت ليس لهَا مَصَادِرْ[3]
ورأيـتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهـا تسعى: الأصاغِر والأكابر
لا يَـرْجِـعُ الـمـاضـي إلَيّ ولا من الباقين غابِرْ[4]
أيـقـنـتُ أنّـي لا مَـحَـالةَ حيثُ صار القومُ صائِرْ!

ويقال: أعْيا من باقلٍ، وهو رجل من ربيعة ابتاع ظَبْيًا وحْشِيًّا بأحدَ عشرَ درهمًا، وجعل بقية الدراهم في فيه. فسُئل عن ثمنه، ففعل بيديه تُجاه السائل أي فتح أصابعَه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه، فحصل من ذلك انفلات الظبي، وسقوطُ الدراهم، والإساءة على السائل، فضُرِب به المثل.

أبَرُّ من العَمَلَّس، كان بَرًّا بأُمّه فكان يحملها على عاتقه.

أبَرُّ من فَلْحَسٍ، وهو رجل من شيبان، حمل أباه على ظهره وحجّ به.

---

(١) المهاد: الفراش، أو الأرض المنخفضة المستوية.
(٢) الداجي: المظلم الذي يعمّ بظلمته كلّ شيء.
(٣) الموارد: الذين يردون إلى الموت ليشربوا كأسه الذي لا يبقى ولا يذر، والمصادر: الذين يعودون بعد الشرب، ولكن في الموت لا يعود أحد، أي لا يصدر أحدٌ بعد أن يشرب كأس الموت.
(٤) الغابر: الباقي، أي لن يبقى أحدٌ بسبب الموت.

وفيه أيضًا يقال:

أسْألُ من فَلْحَسٍ، كان سيّدًا عزيزًا، يَسْألُ سهمًا في الجيش وهو في بيته فيُعطى لعزّه؛ فإذا أُعْطِي سألَ لامرأته، فإذا أُعْطِي سأل لبعيره، وكان له ولد يقال له زاهر، فكان مثلَه، فقيل فيه: «العَصَا من العُصَيَّة».

ويقـال:

أخيبُ صفقةً من شيخِ مَهْو، وهو حيّ من عبد القيس اشتروا الفَسْوَ[١] من إياد، وكانوا يُعْرَفون به، فعرفت به عبد القيس. قال الميداني: هذا الشيخ اسمه عبد الله بن بيدرة، اشترى الفَسْوَ من إياد ببُرْدَيْ حِبَرَةٍ[٢]، وقال لقومه: اشريتُ لكم عار الدهر، فقالت عبد القيس في ذلك: [من الرجز]

إنّ الـفُـسَـاةَ قـبـلنـا إيَـادُ ونـحـن لا نَـفْـسُـو ولا نَـكَـادُ

وفيهم يقول شاعر: [من الرجز]

يا مَنْ رأى كـصَـفْـقَـةِ ابن بَـيْـدَرَهْ مِـن صَـفْـقـةٍ خـاسـرة مُـخَـسَّـرَهْ؟
الـمُـشْـتَـرِي الـعـارَ ببردَيْ حِبَرَهْ! شَلَّتْ يمينُ صافِقٍ ما أخْسَرَهْ![٣]

أخسرُ صَفْقةً من أبي غَبْشَانَ، فإنه باع مفاتيح الكعبة من قُصَيّ بزِقّ خمر[٤].

أضَلُّ من سِنَانٍ، وهو ابن أبي حارثة المرّي، وكان قومه عنفوه على الجود، فركب ناقة له ورمى بها الفلاة، فلم يُرَ بعد ذلك. وسمّته العرب ضالَّة غَطَفان، وقالوا: إنّ الجانَّ استفحلته[٥] تطلبُ كرم نجله.

أبْطَشُ من دَوْسَر، وهي كتيبة النعمان.

أهْدى من قَيْس بن زُهَيْر.

أفرغُ من حَجَّام[٦] ساباطَ، يقال: إنه كان إذا أعوزه من يَحْجُمُهُ حجم أُمَّه، فلم يزل يحجُمُها حتى نَزَفَ دَمُها، فماتت.

(١) الفَسْو: الرّيح إذا خرج بلا صوت يسمع.
(٢) البردى الحبرة: ثوب مخطّط يلتحف به، وهو من الثياب التي تضع باليمن.
(٣) شَلَّت: أصيبت بالشّلل.
(٤) الزّق: وعاء من جلد، يجزّ شعره ولا ينتف، يستعمل للشّراب وغيره.
(٥) استفحلته: أي جعلته فحلًا ينزو على نسائها، وكرم نجله: كرم أصله.
(٦) الحجّام: محترف الحجامة، وهي امتصاص الدّم بالمحجم.

أَنْدَمُ من الكُسَعِيّ، واسمه مُحارب بن قيس، وقيل: غامد بن الحارث، وكان أرمى الناس، لا يخطىء له سهم، فخرج ومعه قوس وخمس سهام فرمى صيدًا في الليل فأصاب سهمُهُ ونفَذ، فوقع في الحَجَر فقدَح نارًا. ثم رمى كذلك حتى استنفد السِّهام، وهو يظنّ أنّه أخطأ في الجميع فكسر قوسه، وخلع إبهامه، فلما أصبح رأى رميَّته، فندم على فعله.

أمنعُ من الحارثِ بنِ ظالم، وسيأتي خبره في وقائع العرب[1].

أبْخَلُ من مَادِر، وسيأتي خبره في باب الهجاء[2].

أكْذَبُ من مُسَيْلَمَة الحَنَفِيّ، (وخبره مشهور في دعواه النبوّة)، ومن المُهَلَّبِ، (وكان يكذب لأصحابه في حرب الأزارقة[3]، يَعِدُهم بالنَّجْدَة والإمداد).

أحمقُ من راعِي ضأنٍ[4] ثمانينَ، (وذلك أن أعرابيًا بَشَّر كِسرى ببشارةٍ سُرّ بها، فقال له كسرى: سلْني ما شئتَ! فقال: أسألك ضأنًا ثمانين)؛ ومن هَبَنَّقَةَ، وهو ذو الوَدعَات، واسمه يزيد بن ثَرْوان أحد بني قيس بن ثعلبة، وبلغ من حُمْقِه أنه ضلّ له بعير، فنادى مَنْ وجد بعيري فهو له، فقيل له: فلمَ تُنْشِدُه؟ قال: فأين حلاوة الوِجْدان، وفيه يقول الشاعر: [من الخفيف]

عِشْ بِـجَـدٍّ وكُـنْ هَـبَـنَّـقَـةَ الـقَـيْـ ـسِيَّ نَوْكًا أو شيبةَ بنَ الوليدِ[5]
رُبَّ ذي إرْبَـةٍ مُـقِـلٌ مـن الـمـا ل وذي عُـنْـجُـهِـيَّـةٍ مَـجْـدودِ[6]

العنجهية: الجهل.

أحمقُ من ربيعَةَ البَكّاء، هو ربيعةُ بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بنِ صَعْصَعة، ومن حُمْقه أن أُمّه تزوّجَتْ بعد أبيه، فدخل عليها الخِبَاء، وكان قد ٱلتحى فوجد

(١) هو الحارث بن ظالم بن غيظ المرّي، أبو ليلى، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيمًا، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن خديجة، قتل في حوران نحو سنة ٦٠٠ م. «انظر فهرس الأعلام ٢/ ١٥٥».

(٢) أبخلُ من مادر: وهو أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة، سقى إبله ثم سلح في فضلةٍ بقيت في أسفل الحوض، ومدره بها لتعافه إبل غيره فلا ترده. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٣».

(٣) الأزارقة: فرقة من الخوارج.

(٤) الضأن: ذو الصوف من الغنم.

(٥) النوك: الحمق.

(٦) الإربة: الدّهاء والحيلة، والعنجهية: الجهل، والمجدود: المحظوظ.

زوجها يباضِعُها[١]، فتوهَّم أنه يريد قتلَها، فبكى وهَتَك الخباء، فٱجتمع الناس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وجده على بطنها يريد قتلها، فقالوا: «أهون مقتول»، فصار مثلًا.

أتْيَهُ من أحمقِ ثَقِيفٍ، وهو يوسف بن عمرو.

ألَصُّ من شِظَاظٍ، وهو رجل من بني ضَبَّةَ.

أزْنى من قِرْد، وهو قِرْد بن معاوية بن هُذَيْل.

أمْطَلُ[٢] من عُرْقوب.

وقال كعب بن زهير: [من البسيط]

كانَتْ مَواعِيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا ... وما مَـوَاعِـيـدُهـا إلَّا الأبـاطِـيـلُ[٣]

أشْأمُ من خَوْتَعةَ، وهو رجل من بني غُفَيْلَة بن قاسطٍ أخي النمر بن قاسِط.

أشْأَمُ من قُدَار (وهو عاقر الناقة)، ومن أحمر ثمودَ (وهو عاقرها أيضًا)،

أشأم من طُوَيْس، وهو مخنَّث، كان يقول إنه ولد يوم مات النبيّ ﷺ، وفُطِم يوم مات أبُو بكر؛ وبلغ يوم قَتْل عُمَر، وتزوَّج يوم قَتْل عثمان، وولد له يوم قَتْل عليّ.

أمْكَرُ من قيس بن زُهَيْر.

* * *

وأمّا من ضرب بها المثل من النساء:

يقال: أنْجَبُ من مارِيَةَ، ولدت لزُرارة حاجبًا، ولَقِيطًا، وعَلْقمة.

---

(١) يباضعها: أي يباشرها.

(٢) أمطل من عرقوب: عرقوب: قيل: هو رجل من خيبر، كان يهوديًا وكان يعد ولا يفي، فضربت به العرب المثل، وقيل: هو رجل من العماليق أتاه أخٌ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلمّا أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحًا، فلما أبلحت قال: دعها حتى تصير رطبًا، فلمّا أرطبت قال: دعها حتى تصير تمرًا، فلمّا أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذّها ولم يعط أخاه منها شيئًا، فصار مثلًا. «انظر ديوان كعب بن زهير ص ١١٠، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض».

(٣) الأباطيل: الأوهام والكذب.

أَنْجَبُ من بنت الحارث[١]، ولدَتْ لزِيَاد العبسيّ بَنِيه الكَمَلة، وهم: ربيعة الكامل، وعمارة الوهاب، وقيسٌ الحافظ، وأَنَسُ الفَوَارس.

أنجبُ من أُمّ البنين[٢]، ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب، مُلاعبَ الأسنة عامرًا، فارسًا.

أنجبُ من عاتِكةَ[٣]، ولدت لعبد مناف هاشمًا، وعبد شمس، والمطَّلبَ.

أَسْرَعُ من نِكاح أُمّ خارجةَ، وهي عُمَيْرة بنتُ سعد بن عبد الله بن قُدار بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبإ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان، ولدت في نَيِّف وعشرين حَيًّا من العرب، كان الرجل يقول لها: خِطْبٌ! فتقول: نِكْحٌ!

قال أبو الفرج الأصبهاني: فمن ولدت، الدِّيلُ، وليث، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة، وغاضرةُ بن مالك بن ثعلبة بنُ دودان بن أسد بن خُزَيمة، والعنبرُ، وأسيد، والهُجَيم بنو عمرو بن تميم، وخارجةُ بن يشكر (وبه كانت تكنّى)، وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزيقيا (وهو أبو المُصْطَلِق).

قال: وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حيّه إلى حيّها فلقيها راكب، فلما تبيّنته، قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شكَّ فيه، أفتراه يعجلني أن أنْزل عن بعيري، فجعل ابنها يسبُّها.

أحمقُ من المَمْهورة إحدى خَدَمَتَيْها، وذلك أن زوجها طلّقها، فطالبته بمَهْرها، فأخذ أحد خَلْخَاليها من رِجْلها وأعطاها إيَّاه، فرضيت به.

أحمقُ من دُغَةَ[٤]، هي ماريةُ بنت مَغْنج بن ربيعة بن عجل، وقيل بنت منْعج، تزوّجت وهي صغيرة في بني العَنْبر بن تميم، فحملت، فلما أدركها المخاض، ظنَّت أنها تريد الخلاء، فتبرّزت فولدت فاستهلّ الولدُ، فانصرفت وهي تقدّر أنها إنما

(١) الصواب: بنت الخُرشُب، وهي فاطمة بنت الخرشب الأنمارية. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٨٣».

(٢) أمّ البنين: هي بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء. «انظر المستقصى ١/ ٣٨٢».

(٣) عاتكة: هي بنت هلال بن مرّة السلميّة. «انظر المستقصى ١/ ٣٨٤».

(٤) أحمق من دُغَة: نقصانها واو أو ياء في الأصل من قولهم: فلان ذو دغوات ودغيات أي أخلاق رديّة، لقّبت بذلك لحمقها ورداءة أخلاقها. «المستقصى في أمثال العرب ١/ ٧٩».

أحدثت، فقالت لضرَّتها: يا هَنْتاه، هل يفْغُر الجَعْرُ فاه[١]؟ قالت: نعم، ويدعو أباه! فمضت ضرَّتُها للولد فأخذته، فبنو العنبر تسمّى بني الجَعْراء.

أبْصَرُ من زَرْقاءِ اليمامةِ، وهي امرأة من طَسْم، كانت تُبصر الراكبَ على مسِيرة ثلاث ليالٍ، وسيأتي إن شاء الله تعالى خبرُها في وقعة طَسْم وجَديس.

أزنى من هِرٍّ، وهي امرأة يهودية، وهي التي قطع المهاجِرُ يدَها فيمن قطع من النساء حين شَمِتْن بموت رسول الله ﷺ.

أشْبَقُ[٢] من حُبّى المدَنِيَّة.

أشأم من البَسُوس، وهي جارةُ جَسَّاس بن مُرَّة، صاحبةُ الناقة التي قتل بسببها كُلَيْب، وثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنةً.

ويقال:

أمنعُ من أُمّ قِرْفةَ، وهي امرأة مالك بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريّ، كان يُعَلَّق في بيتها سبعون سيفًا، كلُّ سيفٍ لذي مَحْرَم منها، فضُرِب بها المثل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث

من القسم الأوّل من الفن الثاني

في الغَزَل، والنَّسِيب، والهوى، والمحبّة، والعِشْق

ولْنبدأْ بذكر الهوى، لأنه السبب الباعث على الغَزَل، وذلك أنه إذا حلَّ في الأجسام ارتاحت النفوس، ورقَّت القلوب، وانجذبت الخواطر، وصَفَت الأذهان، وسَهُل على القرائح فأبرزته الألسُن، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

ذكر شيء مما قيل في الهوى، والمحبّة، والعشق، وما قيل في ماهية العشق، وحقيقته وسببه، وما قيل في مدحه، وذمّه، والممدوح منه، والمذموم، وضرر العشق

(١) يفغر: يفتح، وفغر فاهُ: فتحه على وسعه، والجعر: ما يبس في الدُّبر من العذرة، والجعراء: الدُّبر، والمُراد بالجعر هنا: القبل.

(٢) الشّبق: شهوة الجماع، وحُبّى: هي امرأة مزواج، تزوّجت على كبرها فتًى شابًا، ولها ابنٌ كهل، وكانت نساء المدينة يسمّونها حوّاء أمّ البشر لأنها علمتهنّ ضروب الجماع. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦».

في الدّنيا، والآفات التي تجري على العاشق: من المرض، والجنون، والضَّنا[١]، والمخاطرات بالنفوس، وإلقائها إلى الهلاك.

ثم نذكر أخبارَ. . . . ومن أخرجه عن دينه حتّى كفر بربّه، ومن قَتل، وقُتِل فيه، ومن قتل نفسه.

ثم نذكر ما ورد في التحذير من فتنة النساء، وذمّ الزّنى، والنظر إلى المُرْدان[٢]، والتحذير من اللّواط، وعقوبة اللائط، وغير ذلك من أمر العشق، على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى فنقول، وبالله التوفيق.

أمّا ماهية[٣] العشق وحقيقته، فقد تكلّم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من المسلمين، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

فقال أفلاطون[٤]: العِشق، حركة النفس الفارغة بغير فكرة.

وسئل ديوجانس[٥] عن العشق، فقال: سوء اختيارٍ صادف نفسًا فارغة.

وقال أرسطاطاليس[٦]: العشق، هو عمى الحِسّ عن إدراك عيوب المحبوب.

وقال فيثاغورس[٧]: العشق، طبع يتولّد في القلب ويتحرّك وينمى ثم يتربّى،

(١) الضّنا: المرض والهزال.

(٢) المردان: مفردها أمرد، وهو الغلام الذي طرّ شاربه، ولم تبدُ لحيته بعد.

(٣) الماهيّة: من الشيء أو الأمر أو الإنسان: حقيقته وطبيعته، وما يقوم به من صفات.

(٤) أفلاطون: هو ابن أرسطو بن أرسطوقليس من أثينية، معروف بالتوحيد والحكمة، ولد حوالي سنة ٤٢٧ ق.م. في زمان أردشير بن دارا، تتلمذ لسقراط، وقام مقامه بعد اغتياله بالسمّ. «انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٠٥».

(٥) ديوجانس: ولد بمدينة سينوب سنة ٤١٣ ق.م، وكان من قدرية الفلاسفة لما كان في كلامه من الميل إلى القدر، وكان يلقب بالكلبي تتلمذ في أثينا على يد أنتيثينوس، عاش حياة فقر وضنك، وآثر أن يظل حافيًا طوال حياته. «انظر المِلل والنحل ص ٤٧٢».

(٦) هو أرسطاطاليس: ابن نيقوماخوس، من أهل أسطاخرا، وهو المقدّم المشهور، والمعلّم الأول والحكيم، ولد سنة ٣٨٤ ق.م، تتلمذ على يد أفلاطون، وتعلّم مع فيليس أبي الإسكندر، وسمّي بالمعلّم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية. «انظر الملل والنحل ص ٤٤٤».

(٧) فيثاغورس: ولد في الجزيرة الأيونية، ولما ناهز الأربعين قصد إيطاليا الجنوبية، وكان بها المهاجرون اليونانيون، عرف بالفضل والعلم، ولقوّة شخصيته شاعت حوله الأساطير والقصص، وهو أحد الحكماء الذين اشتغلوا بالإلـٰهيات. «انظر الملل والنحل ص ٣٨٥، دار الكتب العلمية».

ويجتمع إليه موادّ من الحرص، وكلما قَوِيَ ازداد صاحبه في الاهتياج واللّجاج[١]، والتمادي في الطمع، والفكر في الأمانيّ، والحرص على الطلب، حتى يؤدّيه ذلك إلى الغمّ المقلق.

وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله: [من الطويل]

وما العِشْقُ إلا غِرَّةٌ وطَمَاعَةٌ يعرّض قلبٌ نفسَه فيُصابُ

وقال بعض الفلاسفة: لم أرَ حقًّا أشبَه بباطل، ولا باطلًا أشبه بحقّ من العشق: هَزْله جِدّ، وجدّه هَزْل، وأوّله لعب، وآخره عَطَب[٢].

وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسْواسيٌّ شبيه بالماليخوليا[٣].

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

فقد حكي عن أبي العالية الشاميّ، قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم[٤] عن العشق ما هو؟ فقال: هو سوانحُ للمرء يَهيم بها قلبه وتُؤْثرها نفسه! قال: فقال له ثمامة[٥]: اسكت يا يحيى! إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاقٍ أو مُحْرِمٍ صاد ظبيًا، أو قتلَ نملة؛ فأمّا هذه فمسائلنا نحن! فقال له المأمون: ما العشق؟ يا ثمامة، فقال: العشق جليسٌ مُمْتِع، وأليف مُؤنس، وصاحب مملّك، ومالك قاهر، مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة؛ مَلَكَ الأبدانَ وأرواحها، والقلوبَ وخواطرَها، والعيونَ ونواظرَها، والعقولَ وآراءَها، وأُعطِي عنانَ طاعتِها، وقيودَ تصرُّفها، توارى عن الأبصار مَدْخَله، وغِيض[٦] في القلوب مسلكه! فقال له المأمون: أحسنتَ والله، يا ثمامة! وأمر له بألف دينار.

وحكي عن الفضل بن يعقوب، قال: لما اجتمع ثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبِّرني عن العشق ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) اللّجاج: العناد والخصومة والتمادي فيها. (٢) العطب: الهلاك والفساد.

(٣) الماليخوليا: مرض نفسي يتوهّم فيه المصاب أشياء وتصوّرات.

(٤) يحيىٰ بن أكثم التميمي المروزيّ، أبو محمد، قاضٍ رفيع القدر، يتّصل نسبه بأكثم بن صيفي، حكيم العرب، متقدّم في الفقه والقضاء، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ٨/ ١٣٨».

(٥) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس النّميري، أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدّمين، وكان ذا نوادر وملح، وعدّه المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يُسمّون «الثمامية» نسبةً إليه، توفي سنة ٨٢٨ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٠٠».

(٦) غيض: من غاض الشيء: غاب واحتبس.

سوانح تسنَح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمّى عشقًا! فقال له ثمامة: يا يحيىٰ، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق[١] منك! فقال المأمون: فهاتِ ما عندك! فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجتْ خواطرُ النفوس بوصل المشاكلة[٢] نتجت[٣] لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول، ويتصوّر من ذلك اللّمح نور خاص بالنفوس متّصل بجواهرها يسمّى عشقًا! فقال له المأمون: صدقت، هذا وأبيك الجوابُ!

وحكي عن الأصْمَعِيّ[٤]، قال: دخلت على هارون الرشيد، فقال: يا أَصْمَعيّ، إني أرقت ليلتي هذه، فقلت: مِمّ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين، قال: فكّرت في العشق ممَّ هو، فلم أقف عليه، فصِفْه لي حتّى إخاله جسمًا مجسمًا! قال الأصمعيّ: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فأطرقت مليًّا، ثم قلت: نعم يا سيّدي، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة، لمح نورٌ ساطع يستضيء به العقلُ، وتهتزّ لإشراقه طِباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النورِ خُلُق خاص بالنفس متّصل بجوهريّتها يسمّى العشق! فقال: أحسنت والله! يا غلام، أعطِهِ أعطه وأعطه! فأعطيت ثلاثين ألف درهم.

وحُكي عن الأصمعيّ أنّه قال: لقد أكثر الناسُ في العشق، فما سمعت أوجزَ ولا أجمل من قول أعرابيّة (وقد سُئِلت عن العشق)، فقالت: ذلٌّ وجنونٌ. قلت: هذه صفة ثمرة العشق ومآله[٥].

والتحقيق أن العشقَ شدّةُ ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قويَ فكرها فيه تصوّرتْ حصولَها وتمنّتْ ذلك، فيتجدّد من شدّة الفكر مرضٌ.

وقيل لبعضهم: ما العشقُ؟ فقال: ارتياح في الخِلْقة، وفرح يجول في الرُّوح، وسرور ينساب في أجزاء القُوى.

---

(١) أحذق: من الحذق وهو المهارة والمعرفة الواسعة.

(٢) المشاكلة: المشابهة.

(٣) نتجت: ولّدت، واللمح: لمعة البرق أو قدرها من الزّمان.

(٤) الأصمعيّ: هو عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب وأحد أئمّة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته بالبصرة سنة ٨٣١ م، كان الرّشيد يسمّيه شيطان الشعر، له مصنّفات عديدة. «انظر فهرس الأعلام ١٦٢/٤».

(٥) المآل: المرجع والمصير.

وقال أبو العيناء[١]: سألت أعرابيًا عن الهوى، فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون[٢] النار في الحجر، إن قدحته[٣] أورى[٤]، وإن تركته توارى.

وسئل يحيىٰ بن معاذ عن حقيقة المحبّة، فقال: التي لا تزيد بالبرّ، ولا تنقص بالجفاء.

وسئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبّة، فقال: الهوى يحلّ في القلب، والمحبّة يحلّ فيها القلب!

وللعشق مراتب من ابتدائه إلى انتهائه.

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا: أوّل ما يتجدّد الاستحسان للشخص تحدُث إرادةُ القرب منه، ثم المودَّة، (وهو أن يودّ لو ملكه)، ثم يقوى الودّ فيصير محبّة، ثم يصير هوًى، (فيهوِي بصاحبه في محابِّ المحبوب من غير تمالك)، ثم يصير عشقًا، ثم يصير تَتَيُّمًا (والتتيّم حالة يصير بها المعشوق مالكًا للعاشق لا يوجد في قلبه سواه)، ثم يزيد التتيّم فيصير وَلَهًا (والوَلَه الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطّل عن أحوال التمييز).

وقال بعضهم: أوّل مراتب العشق المَيْل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحبّ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة تزيد بالمؤانسة، وتَدْرُس[٥] بالجفاء والأذى، ثم الخُلَّة[٦]، ثم الصَّبابة (وهي رقّة الشوق) تولّدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيجها الذكر، ثم تصير عشقاً، وهو على أضرب، فمبدؤه يصفّي الذهن، ويهذّب العقل؛ كما قال ذو الرياستين[٧] لأصحابه: «اَعشقوا، ولا تعشقوا حرامًا! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلّد ويطلق كفّ البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد، أخرج العقل وأزال الرأي فاستهلك، ثم يترقّى

---

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشميّ، أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكيًا جدًا وحسن الشعر، ضرير، مات سنة ٨٩٦ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٣٣٤».

(٢) كمون النار: اختفاؤها.

(٣) قدحته: استخرجت النار منه بالقدح أي بالاحتكاك.

(٤) أورى: أشعل نارًا، وأوقد.

(٥) تدرُس: تمّحي وتعفو.

(٦) الخلّة: الصّداقة والمحبّة.

(٧) ذو الرياستين: هو الفضل بن سهل.

فيصير وَلَهًا، ويسمَّى ذو الوله مُدَلَّهًا، ومستهامًا، ومستهْتَرًا، وحيرانَ؛ ثم بعدها التتيّم فيدعى متيَّمًا، والتتيّم نهاية الهوى، وآخر العشق؛ ومن التتيّم يكون الداء الدَّويّ[١]، والجنون الشاغل».

وقال بعض الحكماء: أوّل الحب العلاقة (وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطُر للبال، ويعرِض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللَّجاج، وإدمان الذكر)، ثم يقوى فيصير حُبًّا، ثم يصير هوًى، ثم يصير خُلَّة، ثم عشقًا، ثم وَلَهًا، فيسمَّى صاحبه مُدَلَّهًا، ومستهامًا، وهائمًا، وحيرانَ، ثم يصير متيّمًا، وهو أرفع منازل الحبّ؛ لأن التتيم التعبُّد، والوجد ألم الحبّ، والهَيَمان الذهاب في طلب غرض لا غاية له، والكَلَف والشَّغَف اللَّهَج بطلب الغرض.

وقال الفرّاء[٢]: اللَّوْعة، حُرقة القلب من الحبّ.

وقال أبو عُبَيد القاسم بن سلّام[٣]: العلاقة الحب اللازم للقلب، والجوى الهوى الباطن، واللَّوْعة حرقة الهوى، واللاعج الهوى المحرق، والشَّغَف أن يبلغ الحبّ شَغَاف القلب (وهو جلد دُونه)، والتَّتيم أن يستعبده الهوى، والتَّبْل أن يُسقمه الهوى، يقال: رجل متبول، والتَّدْلِيهُ، ذَهاب العقل من الهوى، يقال: رجل مُدَلَّهٌ، والهُيُوم أن يذهب على وجهه، والشَّغَف إحراق القلب مع لذّة يجدها وهو شبيه باللَّوْعة.

وقال أبو عبد الله بن عرفة[٤]: الإرادة قبل المحبّة، ثم المحبّة، ثم الهوى، ثم العشق.

وقال ابن دُرَيْد: الصَّبابة رقَّة الهوى، واشتقاق الحبّ من أحبّ البعير، إذا بَرَك من الإعياء.

---

(١) الدّاء: المرض، والدّوي: الشّديد.

(٢) الفرّاء: هو يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلمي، أبو زكريا، إمام الكوفيّين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان يقال: الفرّاء أمير المؤمنين في النحو، وكان فقيهًا متكلّمًا عالمًا بأيام العرب وأخبارها، مات سنة ٨٢٢ م. «فهرس الأعلام ٨/ ١٤٥».

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلّام: الهروي الأزدي الخزاعي، من كبار علماء الحديث والأدب والفقه، من أهل هراة له مؤلّفات عدّة، منها «الغريب المصنّف» في غريب الحديث، والمذكّر والمؤنّث، والمقصور والممدود، توفي بمكة سنة ٨٣٨ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٧٦».

(٤) ابن عرفة: هو محمّد بن محمد الورغمي، أبو عبد الله، إمام تونس وخطيبها وعالمها، تولّى إمامة الجامع الأعظم فيها، له مؤلّفات عديدة في الفقه، توفي سنة ١٤٠٠ م. «فهرس الأعلام ٧/ ٤٣».

ذكر ما قيل في الفرق بين المحبّة والعشق

قالوا: المحبّة جنس(١)، والعشق نوع(٢)، فإن الرجل يحبّ أباه وأُمّه، ولا يبعثه ذلك على تَلَف نفسه، بخلاف العاشق.

وقد حكي أن بعض العشّاق نظر إلى جارية كان يهواها، فارتعدت فرائصُه(٣) وغُشِيَ عليه، فقيل لبعض الحكماء: ما الذي أصابه؟ فقال: نظر من يحبُّه، فانفرج قلبه، فتحرّك الجسم لانفراج القلب! فقيل له: فنحن نحبّ أهالينا ولا يصيبنا ذلك! فقال: تلك محبّة العقل، وهذه محبة الرُّوح!

وقالوا: كل عشق يسمَّى حُبًّا، وليس كل حبّ يسمَّى عشقًا؛ لأن العشق اسم لما فَضَلَ(٤) عن المحبّة، كما أن السَّرَف(٥) اسم لما جاوز الجُود، والبُخْل اسم لما نقص عن الاقتصاد، والجبنَ اسم لما فَضَل عن شدّة الاحتراس، والهَوَج اسم لما فَضَل عن الشجاعة.

قال الشاعر:

ثلاثةُ أحبابٍ: فحبٌّ علاقةٌ ... وحُبٌّ تِمِلَّاقٌ، وحُبٌّ هو القتلُ!(٦)

***

وأمّا سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا: سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعَها فتستحسنه وتميل إليه، وأكثر أسباب المصادفة النظر. ولا يكون ذلك باللمح، بل بالتثبّت في النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبتْه النفسُ، ورامت التقرّبَ منه، وتمنّتْ الاستمتاعَ به، فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه في الغَيْبة حاضرًا، وشغلُها كلّه به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى، وكلما قويت الشهوة البدنيّة، قوِيَ الفكر في ذلك، وقد أمر الله عزّ وجلّ بِغَضِّ البصر، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النُّور: الآية ٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النُّور: الآية ٣١]، فقرن غضّ البصر بحفظ الفرج؛ لأنه يسببه ويؤول إليه.

---

(١) الجنس: الأصل، أو ما يدلّ على عددٍ من الأنواع كالحيوانيّة المشتملة على الحيوان والإنسان.
(٢) النّوع: الصّنف من كلّ شيء الذي يتّصف بصفات خاصة مميّزه له عن غيره.
(٣) الفرائص: مفردها الفريصة، وهي لحمة بين الكتف والصّدر ترتعد عند الفزع.
(٤) فَضَلَ: زاد. (٥) السّرف: التجاوز في البذل.
(٦) تملّاق: غير صادق من مالق: وهو التودّد باللّسان وليس بالقلب.

وعن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأُولى! وليسَتْ لك الآخِرةُ».

وعن أبي هُرَيْرة[١] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العَيْنانِ تَزْنِيانِ، وزِناهُما النظَرُ».

وعن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، اتَّقِ النظْرَة بعد النَّظْرة! فإنها سَهْم مَسْمومٌ، يُورِث الشَّهوةَ في القَلْبِ».

وعن أنسٍ[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَظَرُ الرجُلِ إلى مَحَاسِنِ المرأةِ سَهْمٌ مسمومٌ من سِهَامِ إبليس».

وعن يحيىٰ بن سعيد[٣] قال: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: «النظرُ يَزْرعُ في القلب الشهوةَ، وكفى بها خَطِيئةً!».

وعن سفيان[٤] قال: قال عيسى عليه السلام: «إيَّاكُم والنظَر! فإنَّه يزْرَعُ في القلبِ الشّهوة، وكفَى بها لصاحبها فِتْنةً!».

وقال الحسن البصريّ[٥]: من أطلق طَرْفه[٦]، أطال أَسَفَه.

---

(١) أبو هريرة: هو عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، قيل: كان اسمه عبد شمس فغيّر، كان حافظًا مثبتًا ذكيًا صاحب صيام وقيام، ولي إمرة المدينة مرّات، وهو من رواة الحديث المشهورين، توفي سنة ٥٧ هـ، وقيل: ٥٩ هـ. «الكاشف للذهبي ٣/ ٣٤١، دار الكتب العلمية».

(٢) أنس: هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، الصحابي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، من رواه الحديث، مات بالبصرة سنة ٩٣ هـ. «الكاشف ١/ ٨٨».

(٣) يحيىٰ بن سعيد: لعلّه يحيىٰ بن سعيد بن فروخ الحافظ الكبير، أبو سعيد التميمي مولاهم البصري القطان، ولد سنة ١٢٠ هـ، ومات سنة ١٩٨ هـ في صفر، وكان رأسًا في العلم والعمل. «الكاشف ٣/ ٢٢٥».

(٤) هو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله، كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد ونشأ في الكوفة، وهو أمير المؤمنين في الحديث، توفي بالبصرة سنة ٧٧٨ م. «فهرس الأعلام ٣/ ١٠٤».

(٥) هو الحسن البصريّ، أبو سعيد، إمام أهل البصرة، وحبر زمانه، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان، ولد بالمدينة وشبّ في كنف عليّ بن أبي طالب، أخباره كثيرة، وكلماته سائرة، توفي سنة ٧٢٨ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٢٦».

(٦) الطرف: النّظر.

وقال ذو النون[١]: اللَّحَظات تورث الحَسَرات: أوّلها أَسَفٌ، وآخرها تَلَفٌ، فمن تابع طَرْفه، تابع حَتْفه[٢].

وقال حكيم: أوّل العِشْق النظر، وأوّل الحريق الشَّرَر.

وقال أبو الفرج بن الجوزيّ[٣]: البصر صاحب خَبَر القلب، ينقل إليه أخبار المُبْصَرات، وينقش فيه صُوَرها، فيجول الفكر فيها فيشغَلُه ذلك عن الفكر فيما ينفعُه من أمر الآخرة. فاحذَرْ من شرّ النظر! فكم أهلك من عابد، وفَسَخ عزمَ زاهد! وهو سبب الآفات، إلّا أن علاجه في بدايته قريب، فإذا كرّر تمكن الشرّ فصعُب علاجه، فإن النظرة إذا أثّرت في القلب، فإن أعْجَلَ الحازم بُغْضَها وحسم المادّة من أوّلها سهُل علاجه، وإن كرّر النظر نَقَّب[٤] عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرّغ ونقشها فيه، فكلّما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسُد القلب، ويُعْرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به، ويخرج بصاحبه إلى المِحَن، ويوجب ارتكاب المحظورات، ويلقي في التلف.

وقد أكثر الشعراء في وصف ما يحدثه النظر من البلايا، فمن ذلك، قول الفرزدق: [من الطويل]

تَزوّدَ منها نظرةً لم تَدَعْ لَهُ فُؤادًا، ولم يَشْعُرْ بما قد تَزَوَّدَا
فلَمْ أرَ مقتُولًا ولم أر قاتِلا بغَيْرِ سلاح مِثْلَها حينَ أقْصدَا[٥]

وقال إبراهيم بن العبّاس بن صول الكاتب: [من الطويل]

فمَن كانَ يُؤْتى من عدوٍّ وحاسِدٍ فإنّيَ من عينِي أُتِيتُ ومن قَلْبِي![٦]
هما اْعتَوَرَاني نظرةً ثم فِكْرةً فما أبقَيَا لي من رُقادٍ ولا لُبِّ![٧]

(١) هو ذو النون المصري: هو ثوبان بن إبراهيم المصري، أبو الفيض، أحد الزهّاد والعبّاد المشهورين نوبيٌّ من أهل مصر، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، توفي بالجيزة سنة ٨٥٩ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٠٢».
(٢) الحتف: الموت.
(٣) أبو الفرج بن الجوزي: هو عبد الرحمٰن بن علي القرشي البغدادي، علّامة عصره في التاريخ والحديث، له مؤلّفات عديدة ومتنوّعة، مولده ووفاته ببغداد سنة ١٢٠١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١٦».
(٤) نقّب عن الشيء: فحص عنه فحصًا بليغًا.
(٥) أقصد السّهم: أصاب ولم يخطىء.
(٦) يؤتى: يصاب ويُرمى.
(٧) اعتور: تداول، واللّب: العقل.

وقال إسماعيل بن عمار الأعرابيّ[١]: [من المنسرح]

عَينانِ مشؤومتانِ، وَيْحَهُما! والقَلْبُ حَيْرانُ مُبْتَلَى بِهِما
عَرَّفتاه الهوى لِظُلْمِهما يا لَيْتني قبله عَدمتُهما!

وقال أبو عبد الله المارستانيّ: [من الطويل]

رَمَانِي بها طَرفِي فلم يُخْطِ مَقْتَلِي وما كُلُّ من يُرْمَى تُصابُ مقاتِلُهْ![٢]
إذا مُتُّ، فابكُوني قَتِيلًا لِطَرْفِهِ قَتيلَ عَدُوٍّ حاضر ما يُزايِلُهْ![٣]

وقال ابن المعتزّ: [من السريع]

مُتَيَّمٌ يَرْعَى نُجومَ الدُّجَى يَبْكِي عليه رحمةً عاذِلُهْ![٤]
عَيْنِي أشاطَتْ بدمِي في الهَوى فابكُوا قَتِيلًا بعضُه قاتِلُهْ!

وقال المتنبّي: [من الكامل]

وأنا الَّذِي اجتلَب المنيَّة طَرْفُه فَمَنِ المطالَبُ؟ والقتيلُ القاتلُ!

وقال ابن المعتزّ: [من الوافر]

وما أَدْرِي، إذا ما جَنّ ليلٌ أشوقًا في فُؤادي أم حَرِيقا؟[٥]
أَلَا يا مقلَتَيَّ، دهَيْتُمانِي بلحْظِكما فذُوقَا! ثم ذُوقَا!

وقال أبو عبد الله بن الحجّاج[٦]: [من مجزوء الكامل]

يا مَنْ رأى سُقْمي يَزِيـ ـد وعِلَّتي تُعْيِي طَبِيبي
لا تَعْجَبَنَّ فهكذا تَجْنِي العيونُ على القُلُوبِ!

---

(١) إسماعيل بن عمّار الأعرابي: لعلّه إسماعيل بن عمّار بن عيينة بن الطفيل الأسدي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ينزل بالكوفة، وكان هجّاءً مرًّا، مات نحو سنة ٧٧٤ م. «فهرس الأعلام ١/ ٣٢٠».

(٢) رماه طرفه: أي نظره، نظر إليها فرمته، وكان طرفه سببًا لما أصابه.

(٣) الطرف: النظر، ما يزايله: ما يفارقه.

(٤) يرعى نجوم الدُّجى: كناية عن سهره الليل، والعاذل: اللائم.

(٥) جنّ الليل: أظلم، فأخفى الأشياء بظلمته.

(٦) أبو عبد الله بن الحجاج: هو الحسن بن أحمد بن الحجّاج، كان من سحرة الشعر وعجائب العصر، فرد زمانه في فنّه الذي اشتهر به، وأنه لم يسبق إلى طريقته، شاعر هزل ماجن، مدح الأمراء والوزراء والرؤساء، له ديوان شعر. «اليتيمة ٣/ ٣٥».

وقال أبو منصور بن الفضل: [من الطويل]

لواحِظُنا، تَجْنِي ولا عِلْمَ عِنْدَها وأنْـفُسُنـا مـأْخـوذةٌ بـالـجَـرَائِرِ[١]
ولم أرَ أغْبَى من نُفُوسٍ عفائِفٍ تُصدِّقُ أخبار العُيونِ الفَواجِرِ[٢]
ومَنْ كانتِ الأجفانُ حُجَّاب قلبِه أذِنَّ عـلى أحْشـائِه بـالـفَـواقِـرِ![٣]

وقال أبو محمد بن الخفاجيّ[٤]: [من الطويل]

رمَتْ عَيْنُها عَيْنِي، وراحتْ سليمةً! فمَنْ حاكمٌ بين الكَحِيلة والعَبْرا؟[٥]
فيا طَرْفُ، قد حَذَّرْتُكَ النظرةَ التي خَلَسْتَ فما راقَبْتَ نهيًا ولا زَجْرا!
ويا قلبُ، قد أرْداكَ من قبلُ مرّةً! فوَيْحَكَ! لِمْ طاوعْتَه مرَّةً أُخْرى؟[٦]

وقال عبد المحسن بن غالب الصوري[٧]: [من السريع]

مـا نَـظْـرةٌ إلّا لـهـا سَـكْـرةٌ كـأنَّـمـا طَـرْفُـك خَـمَّـارُ
هـذا هـوًى يَصْـدُرُ عنه جَوًى يَـتْـلُوهُ لَوْعـاتٌ وأفْـكـارُ
وهـذه أفـعـالُهـا، هـذِه! ما بـعـد رَأْيِ الـعـيـنِ إخـبـارُ
ولـم يـكُـنْ أوّلَ مَـنْ غـرّنـي! كـلُّ غَـريـر الـطَّـرْف غَـرَّارُ![٨]

---

(١) الجرائر: الآثام والذنوب.
(٢) أغبى: من الغباء، وهو الجهل وقلّة الفطنة.
(٣) أذِنَّ: أبحن وسمحن، والأحشاء: مفردها الحشى: وهو ما انضمّت عليه الضلوع، والفواقر: مفردها الفاقرة: وهي الدّاهية.
(٤) أبو محمّد بن الخفاجي: هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعرّي، كانت له ولاية بقلعة «عزاز» من أعمال حلب وعصي بها، مات مسمومًا وله ديوان شعر وكتاب سرّ الفصاحة. «فهرس الأعلام ٤/ ١٢٢».
(٥) الكحيلة: العين التي عبّها الكحل، وهي عين المعشوقة، والعبرا: الدامعة، وهي هنا عين العاشق.
(٦) أرداك: قتلك وأهلكك.
(٧) هو عبد المحسن بن غالب الصوري، أبو محمد، ويلقّب بـ «ابن غبون»، شاعر حسن المعاني من أهل صور في بلاد الشام، مولده ووفاته فيها سنة ١٠٢٨ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١٥٢».
(٨) غرير الطرف: حَسَنه، والغرّار: الذي يغرّ ويُطمع بالباطل.

وقال أبو شجاع الوزير[(١)]: [من الكامل]

لأُعَـذِّبـنَّ الـعـيـنَ غَـيْـرَ مـفَـكّـرٍ ... فيها، جرَتْ بالدمعِ أم فاضَتْ دَمَا!
ولأَهْـجـرَنَّ مـن الـرُّقـاد لـذيـذَهُ ... حتَّى يصيرَ على الجُفُون مُحرَّما!
سفَكَتْ دمِي، فلأَسْفِكنّ دمُوعَها ... وهي التي بَدَأَتْ فكانتْ أظلَما!
هيْ أوقعَتْني في حبائل فتنةٍ ... لو لم تَكُنْ نظرَتْ، لكنتُ مُسَلَّما!

وقال آخر عفا الله عنه: [من مجزوء الكامل]

يـا عـيـنُ أنـت قـتَـلْـتـنـي ... وجعَلْتِ ذنْبَك من ذُنوبِي!
وأراكِ تَـهْـويـنَ الـدُّمـو ... عَ كـأنَّـهـا وَفْـق الـحـبـيـبِ
تـالله، أحـلِفُ صـادقًـا ... والصِّدقُ من شِيَم الأريبِ[(٢)]
لـو مُـيِّـزتْ نُـوَبُ الـزمـا ... ن من البعيد إلى القَريبِ
مـا كُـنَّ إلا دُونَ مَـا ... جنَتِ العيونُ على القُلُوبِ!

وقال آخر، وأجاد: [من مجزوء الرّمل]

أنـا مـا بَـيْـنَ عَـدُوّيْـ ... ـنِ هـمـا: قَـلْـبي وطَـرْفِـي
يـنـظُـر الـطَّـرْفُ ويـهـوى الـ ... ـقَـلْبُ، والـمـقـصـودُ حَـتْـفِي

وقال ابن الحريريّ[(٣)]: [من الخفيف]

فـتَـصـبَّـرْ، ولا تَـشِـمْ كـلَّ بَـرْقٍ! ... رُبَّ برقٍ فيه صَواعِقُ حَيْنِ![(٤)]
واَغْضُض الطَّرْفَ، تَسْتَرِحْ من غَرَام ... تـكـتَـسِـي فـيـه ثـوبَ ذُلٍّ وشَـيْـنِ
فَـقِـيـادُ الـفَـتـى مـوافـقـةُ الـنـفْـ ... ـس، وبَدْءُ الهوى طُموح العَيْنِ[(٥)]

---

(١) أبو شجاع الوزير: هو محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو شجاع الروذراوري، ظهير الدين، ولي الوزارة للمقتدي العباسي سنة ٤٧٦ هـ، وكان وافر العقل عالمًا بالأدب، له شعرٌ رقيق، توفي سنة ١٠٩٥ م. «فهرس الأعلام ٦/ ١٠٠».

(٢) تالله: التاء هنا للقسم، والأريب: العاقل الحكيم.

(٣) ابن الحريري: لعلّه أبو بكر بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الحريري، فقيه شافعي من أهل دمشق، رحل إلى القاهرة ومكّة، وناب في القضاء بدمشق وأفتى ودرّس إلى أن توفي سنة ١٤٤٧ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٦٨».

(٤) تشم: تنظر وتتأمّل، والحَيْن: الهلاك والموت.

(٥) قياد الفتى: انقياده واستعباده وخضوعه، وطموح العين، جموحها.

فصل

قالوا: ومن أسباب العشق، سماع الغِناء وإنشاد الغَزَل، فإن ذلك يصوّر في النفس نقوش صور فتخَمِّر خميرةَ صورة موصوفة، ثم تصادف نظراً مستحسنًا، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف.

فصل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل(١). واستدلّ بقول النبيّ ﷺ: «الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة ما تعارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تناكَرَ منها اختلَفَ»، قال: وقد كانت الأرواح موجودة قبل الأجسام، فمال الجنسُ إلى الجنس، فلما افترقت في الأجساد، بقي في كل نفس حبّ ما كان مقارنًا لها، فإذا شاهدت النفس من نفسٍ نوعَ موافقة، مالت إليها ظانَّة أنها هي التي كانت قرينَتَها، فإن كان التشاكل في المعاني كانت صداقةً ومودّة، وإن كان في معنى يتعلّق بالصورة، كان عشقًا. وإنما يوجد المَلَل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة.

وأنشدوا على ذلك: [من السريع]

وقائلٍ: كيفَ تهاجَرْتُما؟ ... فقلتُ قَوْلًا فيه إنْصافُ
لم يَكُ من شَكْلي ففارَقْتُه ... والناس أَشْكال وأُلّافُ

قال أبو الفرج بن الجوزيّ: فإن قيل إذا كان سبب العشق نوعَ موافقة بين شخصين في الطّباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبّه؟ فالجواب: أنّه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يتّفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق. فإذا كان سبب العشق اتّفاقاً في الطباع بطل قولُ من قال: إن العِشق لا يكون إلّا للأشياء المستحسنة، إنما يكون العِشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد يكون الشيء حسنًا عند شخص غير حسن عند آخر. وحكى على ذلك حكاية رفعها بالسّند(٢) إلى عليّ بن الحسين القرشيّ(٣)، عن رجل من أهل المدينة كان أديبًا ظريفًا

(١) التشاكل: التشابه.
(٢) رفعها بالسّند: أي سلسلها بالسّند أي بالقول عن فلان وفلان إلى القائل الأوّل.
(٣) لعلّه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المروانيّ الأموي القرشيّ، أبو الفرج الأصبهاني، من أئمّة الأدب الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسِّير والآثار واللغة=

طَلَّابًا[١] للأدب والمُلَح، قال: كنت يومًا في مجلس رجل من قريش ومَعَنا قَيْنة[٢] ظريفة حَسَنة الصورة، ومعنا فتًى من أقبح ما رأته العين، والقَيْنة مقبلة عليه بحديثها وغنائها؛ فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتًى من أحسنِ الناس وجهًا، وأسراهم ثوبًا، وأطيبهم ريحًا، فأقبل عليّ صاحب البيت، فقال: إن في أمر هٰذين لعجبًا! قلت: وما ذاك؟ قال: هذه الجارية تحب هذا (يعني القبيحَ الوجهِ) وليس لها في قلبه محبّة، وهذا الحسن الوجهِ يحبها، وليس له في قلبها محبّةٌ؛ فبينا نحن على شرابنا إذ سرّ الفتى الحسن الوجه فتغنّى وقال: [من الكامل الأحذّ]

بِيَدِ الذي شُغِفَ الفُؤادُ بِهِم   فَرَجُ الذي ألقَى من السُّقْم![٣]
فاستيقِنِي أنْ قد كَلِفتُ بكم   ثم ٱفْعَلِي ما شِئْتِ عن عِلْم![٤]

فأقبلت عليه، وقالت: قد علمنا ذاك، فمَهْ[٥]! ثم تركته، وأقبلت على القبيحِ الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تغنّى الفتى أيضًا: [من الطويل]

ألَا ليتني أعمى أصمُّ تقودُني   بُثَيْنَةُ لا يخفَى عليَّ كلامُها!

فقالت: اللّهمّ أعطِ عبدك ما سأل! فغاظتني، فقلت لها: يا فاجرة تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المُصِرِّين[٦]، على هذا الذي هو أحسنُ من توبة التائبين، فقالت لي: ليس الهوى بالاختيار! ثم أنشأت تغني وتقول: [من الوافر]

فلا تَلُمِ المُحِبَّ على هَوَاه   فكلُّ متيَّم كَلِفٍ عميدِ[٧]
يَظُنّ حبيبَه حَسَنًا جَميلًا   وإنْ كان الحَبِيبُ من القُرُودِ!

فقلت: أجل! إنه لكما قلتِ، وليس في هذا حيلة، وذكرت قول عُمَر بن أبي ربيعة: [من الرّمل]

فتَضاحَكْنَ، وقد قُلْنَ لنا   حَسَنٌ في كلِّ عينٍ ما تَودّ![٨]

= والمغازي، من كتبه «الأغاني»، توفي ببغداد سنة ٩٦٧ هـ. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٧٨».
(١) طلّابًا: كثير الطّلب. (٢) القينة: الأمة، وغلب اللقب على المغنّية.
(٣) الشغف: الولع في الحب، وألقى: أي استسلم.
(٤) كلف به: أحبّه وأولع به، وعن علم: عن معرفة ودراية.
(٥) مَهْ: اسم فعل مبني على السكون بمعنى «كُفَّ» وقد تكسر الهاء.
(٦) المصرّين: المعترفين بالذّنب ومعاودة ارتكابه.
(٧) العميد: الذي أضناه العشق. (٨) تودّ: تحبّ وتعشق.

فصل

قالوا: ويتأكد العشق بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث، فإن انضمّ إلى ذلك معانقة أو تقبيل، فقد تَمَّ استحكامُه.

وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعتْ القُبَل بين المُتَحابَّيْن ووصلت بِلَّة من ريق كل واحدٍ منهما إلى مَعِدة الآخر، اختلط ذلك بجميع البدن ووصل إلى جِرْم(١) الكبد، وهكذا إذا تنفّس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس شيءٌ من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استنشق من ذلك الهواء دخل في الخياشِيم(٢)، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسَرَيان النُور في جِرْم البِلَّور، ووصل بعضه إلى جِرْم الرئة، ثم إلى القلب فيَدِبّ(٣) في العروق الضوارب(٤) في جميع البدن، فينعقد في بَدَن هذا ما تحلّل من بَدَن هذا فيصير مزاجًا، فيتولّد به العشق ويَنْمى.

هذا ما قيل في سبب العشق، والله أعلم.

* * *

وأمّا ما قيل في مدحه وذمّه والممدوح منه والمذموم، قال ابن الجوزيّ في كتابه المترجم بـ «ذَمِّ الهوى»: اختلف الناس في العشق، هل هو ممدوح أو مذموم، فقال قوم: هو ممدوح، لأنه لا يكون إلا من لَطَافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع. ومن لم يجد منه شيئًا فذلك من غِلَظ الطبيعة، فهو يجلو العقولَ، ويصفّي الأذهان، ما لم يُفْرِط. فإن أفرط عاد سُمًّا قاتلًا. وقال آخرون: هو مذموم؛ لأنه يستأسر العاشق ويجعله في مقام المستعبَد. قال: قلت: وفصل الحكم في هذا الفصل أن نقول: أمّا المحبّة والودّ والمَيْل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يُذَم، وأما العشق الذي يزيد على حدّ الميل والمحبّة فيملِك العقلَ ويُصرِّف صاحبه على غير مقتضى الحكمة، فذلك مذموم، ويتحاشى من مثله الحكماء.

هذا ما قيل في مدحه وذمّه مجملًا، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

(١) الجِرْم: الجسم.
(٢) الخياشيم: مفردها الخيشوم، وهو أقصى الأنف.
(٣) يدبُّ: يمشي مشيًا بطيئًا.
(٤) الضوارب: المنتشرة.

فأمّا الممدوح منه، وهو الذي قدّمنا ذكره، فقد وقع فيه جماعة من الخلفاء والأكابر فلم يُعَب عليهم ولا نَقَصهم، وقد تكلّموا في مدحه وتفضيله بما سنذكر منه إن شاء الله تعالى طَرَفًا[١].

فقالوا: العشق يولِّد الأخلاقَ الحميدة! وقالوا: لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجِّع الجبانَ، ويصفِّي الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفًا!

وقال أعرابيّ: من لم يُحِبَّ قطّ فهو رديء التركيب جافي الطبع كَزٌّ[٢] المعاطف.

وقد روي أن الشعبيّ[٣] كان ينشد: [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ما الهوى فأَنْتَ وعَيْرٌ في الفَلَاة سَواء![٤]

وسمع ابنُ أبي مليكة[٥] غناء وهو يؤذِّن، فطَرِب، فقيل له في ذلك، فقال: [من الطويل]

إذا أنت لم تَطْرَبْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكن حَجَرًا من يابِسِ الصَّخر جَلْمَدا[٦]

وسُئل أبو نوفل[٧]: هل يَسْلَم أحدٌ من العشق؟ فقال: نعم الجِلْفُ[٨] الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فَهْم. فأمّا من في طبعه أدنى ظَرْف أو معه دَمَاثة أهل الحجاز ورقّةُ أهل العراق، فهيهات[٩].

---

(١) الطرف: الطائفة، وطرفًا من الحديث: أي طائفة منه.

(٢) الكزّ: القاسي الذي قلّ خيره، والمعاطف: من العطف.

(٣) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه، كان نديمًا لعبد الملك بن مروان ورسوله إلى ملك الروم، كان محدّثًا وفقيهًا وشاعرًا، توفي سنة ٧٢١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٥١».

(٤) العَيْر: حمار الوحش.

(٥) ابن أبي مليكة: هو عبد الله بن عبيد الله التيمي المكّي، قاضٍ، من رجال الحديث، ولاه ابن الزبير الطائف، مات سنة ٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١٠٢».

(٦) الجلمد: الصخر الصلب الشّديد.

(٧) أبو نوفل: لعلّه عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشميّ، صحابيّ من القضاة، استقضاه مروان بن الحكم بالمدينة، فكان أبو هريرة يقول: هذا أوّل قاضٍ رأيناه في الإسلام. «فهرس الأعلام ٤/ ١٤٢».

(٨) الجلف: الكزّ الغليظ الجافي.

(٩) هيهاتِ: اسم فعل مبني على الكسر، معناه: «بَعُد».

وحكى أبو الفرج بن الجوزيّ بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذي الرياستين، قال: كان ذو الرياستين يبعثني ويبعث أحداثًا من أهله إلى شيخ عالم بخُراسانَ، له أدبٌ وحسنُ معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلّموا منه الحكمة، فإنه حكيم! وكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين واعترض ما حَفِظناه فنخبره به، فقصدناه ذات يوم، فقال: أنتم أُدباءُ، وقد سمعتم الحكمة ولكم جِدَاتٌ[١] ونِعَمٌ، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا: لا، فقال: اْعشَقُوا، فإن العشق يُطْلِق اللسان العَيّ، ويفتح جِبِلّة[٢] البليد، ويبعث على التنظيف وتحسين اللّباس وتطييب المَطْعَم، ويدعو إلى الحركة والذّكاء، ويُشَرِّف الهمّة! وإياكم والحرام! فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألَنا عما أخذنا في يومنا ذلك فهِبْنَاه أن نخبره، فعزَم علينا فأخبرناه، فقال: صدَق والله! فهل تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا: لا، قال ذو الرياستين: إن بَهْرامَ جُور[٣] كان له ابن، وكان قد رشّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقصَ الهمّة، ساقطَ المُروءة، خامل النفس، سيّىء الأدب. فغمّه ذلك ووكّل به من يلازمة من المؤدّبين والحكماء ليعلّموه. فكان يسألهم عنه فيحكون عنه ما يغُمُّه من سوء فهمه وقلّة أدبه، إلى أن سأل بعض مؤدّبيه يومًا، فقال له المؤدِّب: قد كنّا نخاف سُوءَ أدبه، فحدث من أمره ما صيَّرنا إلى اليأس من فلاحه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: إنه رأى ابنة فلان المَرْزُبان[٤] فعشِقَها حتى غلب عليه هواها، فهو لا يَهْذِي إلّا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها. فقال بهرام: الآن رجوتُ فلاحه! ثم دعا بأبِي الجارية، فقال: إني مُسرٌّ إليك سرًّا فلا يعدُوَنَّك[٥]. فضمن له ستره، فأعلمه أن ابنه قد عَشِق ابنته، وأنه يريد أن يُنْكِحَها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها، فإذا استحكم طمعه فيها تجنّتْ عليه وهَجَرَتْه، فإن استعتبها أعلمتْه أنها لا تصلح إلا لملك ومَنْ همّته همّة الملوك، وأنه يمنعُها من مواصلته أنه لا يصلح للمُلْك، ثم ليعلمه خبرهما، فقبل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدِّب الموكل به خوّفه منّي وشجعه على مراسلة المرأة! ففعل ذلك وفعلتْ الصبيّة ما أمرها به أبوها، فلما انتهت إلى التجنّي عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته له، أخذ في الأدب وطلب

(١) الجدات: العطايا.

(٢) الجبلّة: الخلقة، والبليد: القليل الذّكاء والنّشاط.

(٣) هو بهرام جور بن يزدجرد الأثيم من ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» كانت مدّة ملكه ثلاثًا وعشرين سنة، وهو أوّل من سنّ للضّيف صدر المجلس. «انظر صبح الأعشى ٤/ ٤١٢ و١/ ٤٩١».

(٤) المرزبان عند الفرس: الرئيس.

(٥) يعدونّك: يتجاوزك إلى غيرك.

الحِكْمة والعلم والفُروسيّة والرِّماية وضرب الصوالجة[١] حتَّى مَهَر في ذلك، ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج من الدوابّ والآلات والمطاعم والملابس والندماء[٢] إلى فوق ما عنده، فسُرّ الملك بذلك، وأمر له بما طلب. ثم دعا مؤدّبه، فقال: إنّ الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حبّ هذه المرأة لا يُزْرِي[٣] به، فتقدّمْ إليه أن يرفع ذلك إليّ ويسألني أن أزوّجه إياها، ففعل، ورفع الفتى ذلك إلى أبيه، فاستدعى أباها، وزوّجه بها، وأمر بتعجيلها إليه، وقال له: إذا اجتمعتَ بها فلا تحدث شيئًا حتَّى آتيك! فلمّا اجتمع أتاه، فقال: يا بُنَيّ لا يضعَنّ[٤] منها عندك مراسلَتُها إيّاك، وليست في حبالك[٥]! فإني أنا أمرتها بذلك، وهي أعظم الناس مِنَّةً عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلّق بأخلاق الملوك، حتَّى بلغت الحدّ الذي تصلح معه للمُلْك بعدي، فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحقّ منك! ففعل الفتى ذلك، وعاش مسرورًا بالجارية، وعاش أبوه مسرورًا به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سرّه وطاعته، وأحسن جائزة المؤدّب، وعقد لابنه على المُلْك من بعده.

قال اليمان: ثم قال لنا ذو الرياستين: سلوا الشيخ الآن: لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدّثنا بحديث بهرام جور وابنه.

فهذا ممّن ارتفع بالهوى وترقّى بسببه إلى مرتبة الملك.

وحكى ابن الجوزيّ أيضًا، قال: حدّث القاسم بن محمد النُّمَيْرِيّ، قال: ما رأيت شابًّا ولا كهلًا من ولد العبّاس[٦] أصْوَنَ لنفسه، وأضبطَ لجأشه وأعفَّ لسانًا وفَرْجًا من عبد الله بن المعتزّ! وكان ربما عبَثْنا بالهزل في مجلسه، فجرى معنا فيه فيما لا يقدح[٧] به عليه قادح. وكان أكثَرَ ما يَشْغَل به نفسه سماعُ الغِناء، وكان كثيرًا

(١) الصوالجة: من الصولجة، وهي إحدى الألعاب التي يضرب بها الفارس الكرة بعصًا معقوفة الرأس.
(٢) النّدماء: جمع نديم، وهو الرّفيق والصاحب والمجالس على الطعام والشراب.
(٣) لا يزري به: لا يعيبه أو يقلّل من شأنه.
(٤) يضعنّ منها: أي يحطنّ من قيمتها ومكانتها.
(٥) في حبالك: أي في صلة من الصّلات التي تسمح لها أن تراسلك «كالزواج» أو غير ذلك.
(٦) العبّاس: أي العبّاس بن عبد المطّلب الهاشمي، عمّ النبيّ ﷺ، والذي إليه ينتمي الخلفاء العباسيون.
(٧) يقدح: يعيب ويذمّ.

ما يَعِيب العِشْق، ويقول: هو ضرب من الحمق! وكان إذا رأى منّا من هو مطرق أو مفكِّر اتّهمه بالعشق، ويقول: وقعْتَ والله يا فلان! وقلّ عقلك وسَخُفْتَ! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعارًا منها: [من مجزوء الرجز]

مــا لــي أرَى الــثُّــريَّــا ... ولا أرَى الــرَّقِــيــبــا؟[١]
يــا مُــرْسِــلًا غــزالًا ... أمــا تَــخَــافُ ذيــبَــا؟

وسمعناه مرّة أخرى ينشد، وهو يشرب في إناء قد لفّه، فاتّهمناه فيه، وكتب عليه هذا الشعر: [من المديد]

مــا قَــلِــيــلٌ مــنــكَ لــي بــقَــلِــيــلِ ... يا مُنى عيني وغايةَ سُولِي![٢]
سَــل بــحــقِّ الله عــيــنــيــكَ عــنِّــي ... هل أحَسَّتْ في الهوى بقَتِيلِ؟
أنــتَ أفــسَــدْتَ حــيــاتِــي بــهَــجْــرٍ ... ومَــمَــاتِــي بــحِــســابٍ طَــويــلِ!

وأنشد: [من مجزوء الرمل]

أسَــرَ الــحُــبُّ أمِــيــرًا ... لــم يَــكُــنْ قَــبْــلُ أسِــيــرا
فــارْحَــمُــوا ذُلّ عَــزيــزٍ ... صــار عَــبْــدًا مــسْــتَــجــيــرا!

وأنشد يومًا، وقد رأى دار بعض الناس، فقال: [من المتقارب]

أيــا دارُ كَــمْ فِــيــكِ مِــن لَذَّةٍ ... وعَــيْــشٍ لــنــا، كــانَ مــا أطْــيَــبَــهْ!
ومــن قَــيْــنــةٍ أفْــسَــدَتْ نــاسِــكًــا ... وكــانَــتْ لــه فــي الــتُّــقــى مَــرْتَــبَــهْ

وقال أيضًا مرّة: [من الطويل]

لقد قَتَلَتْ عيناكَ نَفْسًا كريمةً ... فلا تَأْمَنَنْ إن مُتُّ سَطْوَةَ ثائِرِ![٣]
كـأنَّ فُـؤادِي فـي الـسَّـمـاءِ مُـعَـلَّقٌ ... إذا غِبْتَ عن عيني، بمِخْلَب طائِرِ[٤]

وأنشد يومًا، وفي يده خاتم: [من المجتثّ]

حَــصَــلْــتُ مــنــك عــلى خــا ... تَــمِ حَــوَتْــه الــبَــنــانُ!

---

(١) الثريّا: اسم علم، أو هي مجموعة كواكب في السّماء، تعرف بهذا الاسم، والرّقيب: الحارس.
(٢) الغاية: القصد، وسولي: أصلها سؤلي، خفّفت الهمزة للضرورة الشعرية.
(٣) السّطوة: البطش.
(٤) المخلب: ظفر كلّ سبع من الحيوان والطائر.

فـمـا يُـفـارِقُ كَـفِّـي كـأنَّـه قَـهْـرَمـانُ[١]

يـا أهـلَ وُدِّي بَـعُـدْتُـم وأنـتُـمُ جِـيـرانُ!

قال النميريّ[٢]: فقلتُ له: جعلنا الله فداك! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منّا، ونحن الآن ننكرها منك! وكان يرجع عن بعض ذلك تصنّعًا، ثم لا يلبث مستوره أن يظهر حتى تحقّق عندنا عشقه، ودخل في طبقة المرحومين، فسمعته يومًا ينشد: [من الرجز]

مَـكْـتُـومُ، يـا أحـسَـنَ خـلقِ اللهِ لا تَـتْـرُكِـيـنِـي هـكـذا بـاللهِ!

ثم تنفّس إثر ذلك فأجبته:

قـد ظَـفِـر الـعِـشْـقُ بـعـبـد اللهِ وأنـهـتـكَ الـسِّـتْـرُ بـحـمـد اللهِ

فـقـل لـه: سَـمِّ لـنـا سَـيِّـدِي هـذا الـذي تَـهْـوَى، بـحـقِّ اللهِ!

فضحك وقال: لا، ولا كَرامة!

فكتبتُ إليه من الغدِ: [من المتقارب]

بـكَـتْ عَـيْـنُـه وشَـكَـا حُـرقَـةً من الوَجْد في القَلْب ما تنطفي

فـقـلـتُ لَهُ: سـيِّـدِي، مـا الـذي أرى بِـكَ؟ قـال: سِـقَـامٌ خَـفِـي

فقـلتُ: أَعِشْـقٌ؟ فـقـال: اُقْـتَـصِـر على مـا تـرى بِي، أَمَا تَكْـتَـفِي؟

فكتب إليّ: [من المجتثّ]

يـا مَـنْ يُـحـدِّث عَـنِّـي بـظَـنٍّ سـمـعٍ وعَـيْـنِ!

إن كـنـتَ تَـخْـطُـب سِـرِّي فـارجِـعْ بـخُـفَّـيْ حُـنَـيْـنِ![٣]

---

(١) القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه.

(٢) النّميري: هو القاسم بن محمد النّميري، نديم بن المعتزّ الشاعر.

(٣) خطب سرّه: استوضحه واستكشفه، وخفّي حنين: قيل: كان حُنين إسكافًا، فساومه إعرابي بخفّين، فاختلفا، فأراد غيظه، فألقى أحد الخفّين في طريقه ثم استقام على الطريق فألقى له الآخر وكمن له، فلمّا رأى الأعرابيّ الخفّ الأوجل قال: ما أشبه هذا بخفّ حُنين، ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى حتى انتهى إلى الآخر فأناخ راحلته ورجع ليأخذ الثاني فركب حنين راحلته ومضى بها، ورجع الأعرابي إلى أهله خائبًا. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٠٦».

فكتبت إليه: [من المجتثّ]

هَـيْـهَـاتَ لـحـظـك عِـنْـدِي ... يُـقِـرُّ فـيـه بـعِـشْـقِـك!

دَعْ عـنـك خُـفَّـيْ حُـنَـيْـنِ ... وٱحْرِصْ على حَلِّ رِبْقك![١]

تـعـالَ نَـحْـتـالُ فـيـمـا ... تـهـوى، بـرِفْـقِـي ورِفْـقـك!

وصرتُ إليه فقال: يا أبا طيب، قد عصيتُ إبليسَ أكثر مما عصى ربَّه إلى أن أوقعني في حبائله[٢]، فأنشدته: [من المجتثّ]

مـن أيْـنَ لا كـان إبـلـيـ ... ـسُ جـاءنِـي بِـكَ يَـسْـعَـى؟

أبْـداكَ لـي مـن بَـعِـيـدٍ ... فـقـلـت: طَـوْعًـا وسَـمْـعًـا!

فأخبرني بقصّته، فسعيت له بلطيف الحيلة وأعانني بحزم الرأي حتَّى فاز بالظفر.

قال أبو بكر الصولي[٣]: اعتل عبد الله بن المعتزّ فأتاه أبوه عائدًا[٤]، وقال: ما عراك، يا بنيّ؟ فأنشأ يقول: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـعـاذلُونَ، لا تَـعْـذُلُونـي ... وانظُرُوا حُسْنَ وجهها تَعْذِرُوني!

وانظروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها ... إن رَأَيْتُم شَبِيهها فٱعْذلُوني![٥]

بي جُنُونُ الهوى، وما بي جُنُونٌ ... وجُنونُ الهوى جُنونُ الجُنونِ!

قال: فتتبّع أبوه الحال حتَّى وقع عليها، فابتاع الجارية التي شُغف بها بسبعة آلاف دينار، ووجّهها إليه.

وحُكي أن الرشيد كان له ثلاث جوارٍ اشتدّ شغفه بهنّ، فقال العبّاس بن الأحنف على لسانه: [من الكامل]

مَلَكَ الثّلاثُ الآنِساتُ عنانِي ... وحَلَلْنَ من قلبي بكُلِّ مكانِ!

---

(١) الرّبق: حبلٌ ذو عُرى يربط به. (٢) الحبائل: الأشراك «للصيد».

(٣) أبو بكر الصّولي: هو محمد بن يحيىٰ بن عبد الله، من أكابر علماء العرب، وكان من أحسن الناس لعبًا بالشطرنج، نادم ثلاثة من خلفاء بني العبّاس، له مصنفات كثيرة، توفي بالبصرة مستترًا سنة ٩٤٦ م. «فهرس الأعلام ٧/ ١٣٦».

(٤) العائد: الزائر لمن به مرض. (٥) العذل: اللّوم.

مـا لـي تُـطـاوِعُـنـي الـبـرِيَّـةُ كـلُّهـا وأُطِيـعُـهـنَّ وهُـنَّ فـي عِـصْـيـانـي؟

مـا ذاك إلّا أنّ سـلـطـان الـهـوى وبـه عـززن أعـزُّ مـن سـلطـانِـي!

أخذ المعنى والرويَّ سليمان بن الحَكَم المستعين[1]، أحدُ خلفاء بني أُميّة بالأندلس، فقال: [من الكامل]

عَجبًا يهابُ الليثُ حدَّ سِنَانِي وأهابُ لَحْظ فَواتِرِ الأجْفانِ![2]

وأُقـارِعُ الأهـوالَ لا مُـتَـهَـيِّـبًـا منها سِوى الإعراض والهِجْرَانِ![3]

وتملّكتْ نفسِي ثلاثٌ كالدُّمى زُهر الوُجُوهِ نواعمُ الأبدانِ![4]

ككواكِبِ الظلْماء لُحْنَ لناظِرٍ من فوقِ أغصانٍ على كُثْبانِ[5]

هذي الهِلالُ، وتلك بنتُ المشترِي حُسْنًا، وهذِي أختُ غُصْنِ البانِ![6]

حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الصِّبا فقضى لسُلْطانٍ على سُلْطانِ[7]

فأبحْنَ من قلبي الحِمَى وثَنَيْنَنِي عن عِزِّ مُلْكِي كالأسِير العاني[8]

لا تَعْذلوا مَلِكًا تذلَّل في الهوى! ذُلُّ الـهـوى عِـزٌّ ومُـلْكٌ ثـانِـي!

إن لم أُطِعْ فيهنَّ سُلطانَ الهوى كَلَفًا بهنّ، فلَسْتُ من مَرْوانِ!

وإذا الـكـريـمُ أحَـبَّ، أمِـنَ إلْـفَـهُ خَطْبَ القِلَى وحَوادثَ السُّلْوانِ![9]

---

(١) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمٰن الناصر، الأموي، أبو أيّوب، من ملوك الدولة الأمويّة في الأندلس، قتل بقرطبة سنة ١٠١٦ م، وبمقتله انقطع ذكر بني أميّة على منابر الأندلس مدّة سبع سنين، وكان أديبًا شاعرًا. «فهرس الأعلام ٣/ ١٢٣».

(٢) السّنان: السيف والرمح، والفواتر: الضعاف. (٣) الإعراض: الصّدود.

(٤) الدّمى: مفردها الدّمية، وهي الصورة الممثلة من العاج وغيره، يضرب بها المثل في الحُسْن، وتشبّه النساء بها، والزّهر: البيض.

(٥) الكثبان: مفردها كثيب، وهو الرمل المستطيل المحدودب تشبه به أرداف النساء.

(٦) الهلال: القمر، والمشتري: نجم في السّماء منير، والبان: ضربٌ من الشجر ورقه كورق الصّفصاف، تشبّه به الحسان في الطول واللّين.

(٧) السّلوّ: الصّبر، والصِّبا: الشباب. (٨) العاني: الذليل، أو الأسير.

(٩) القلى: البغض والهجر.

وقال العبّاس[١]: [من البسيط]

لا عارَ في الحُبِّ إنَّ الحبَّ، مَكْرُمةٌ لكنَّه ربَّما أزْرَى بذي الخَطَر![٢]

* * *

وأما القِسْمُ المذموم منه، وهو الذي ثنّينا بذكره في صدر هذا الفصل، فقد أكثر الناس القول في ذمّه، وبيّنوا أسبابه.

فقال ابن الجوزيّ: بيان ذمّه أن الشيء إنما يعرف مذمومًا أو ممدوحًا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لَهَج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتُمْدَحَ، ولا فائدةَ في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشّهْوانية.

وقال بعض الحكماء: ليس العشق من أدواء الحُصَفاء[٣] الحكماء، إنما هو من أمراض الخُلَعاء الذين جعلوا دأبهم ولَهَجهم[٤] متابعةَ النفس وإرخاءَ عِنَان[٥] الشهوة وإمراح[٦] النظر في المستحسنات من الصور، فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تَتُوق، ثم تَلْهَج، فيقال: «عَشِق»، وليس هذا من صفة الحكماء؛ لأن الحكيم من استطال رأيُه على هواه، وتسلّطت حكمتُه على شهوته، فَرُعُونات[٧] طبعه مقيّدة أبدًا كصبيّ بين يدي معلّمه أو عبد بمرأى سيّده، وما كان العشق قط إلا لأرعن[٨] بَطّال، وقَلَّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك، ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء.

وقال ابن عُقَيْل: العشق مرض يعتَرِي[٩] النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواعٍ من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإلْف ويتمكّن الأُنس، فيصير بالإدمانَ شَغَفًا، وما عَشِق قطّ إلا فارغٌ، فهو من علل البَطّالين وأمراض

---

(١) العباس: هو العبّاس بن الأحنف، أبو الفضل، شاعر رقيق تقدّم ذكره. «انظر الأعلام ٣/ ٢٥٩».

(٢) أزرى: ألحق العيب والتقصير، وذو الخطر: أي ذو المكانة والقوّة «كالملك والقائد».

(٣) الحصفاء: مفردها: الحصيف: وهو من استحكم عقله وجاد رأيُه.

(٤) الدّأب: الجهد، واللّهج: العادة والمثابرة على اتباع أمرٍ من الأمور.

(٥) العنان: الزّمام.

(٦) إمراح النظر: إجالته.

(٧) الرعونة: الطيش والهوج.

(٨) الأرعن: الأهوج، والبطّال: الذي لا عمل له.

(٩) يعتري: يصيب.

الفارغين من النظر في دلائل العبر، وطلب الحقائق؛ المستدلّ بها على عِظَم الخالق. ولهذا قلّما تراه إلا في الرُّعْن البَطِرين[١]، وأرباب الخَلَاعة النَّوْكى[٢]، وما عَشِق حكيم قط؛ لأن قلوب الحكماء أشدّ تمنّعًا عن أن توقفها صورة من صُوَر الكون مع شدّة تطلبها، فهي أبدًا تلحظ وتَخْطَف ولا تقف، وقلّ أن يحصل عشق من لمحة، وقلّ أن يُضِيف حكيم إلى لَمْحة نظرةً، فإنه مارّ في طلب المعاني، ومن كان طالبًا لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب؛ لأنها تحجبه عن الصور.

وقال ابن الجوزيّ: واعلم أن العشّاق قد جاوزُوا حدّ البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات؛ لأنهم لم يرضَوْا أن يصيبوا شهوة الوطء[٣]، وهي أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أيّ موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضمُّوا شهوة إلى شهوة، وذَلُّوا للهوى ذلّا على ذلّ، والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها حسبُ، وهٰؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم.

ثم قال: والعشق بَيِّن الضرر في الدِّين والدنيا. أمّا في الدّين. فإنه يشغَلُ القلب عن الفكر فيما له خُلِق: من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه، ثم ينفذ ما ينال من موافقة غرضه المحرّم الذي يكون فيه خُسْران آخرته، ويعرّضه لعقوبة خالقه، فكلّما قَرُب من هواه، بَعُد من مولاه، ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه فإن وقع، فيا سَرْعان زواله! قالت الحكماء: كل مملوك مملول. وقال الشاعر: [من البسيط]

وزادني شَغَفًا بالحِبِّ أن مَنَعتْ أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

فإن كان المعشوق لا يباح، اشتدَّ القلق به والطلب له، فإن نيل منه غرض، فالعذاب الشديد في مقابلته، على أن بلوغ الغرض يزيد ألمًا فترْبِي[٤] مرارة الفراق على لذَّةِ الوصال؛ كما قال الشاعر: [من الخفيف]

كلُّ شَيْءٍ رَبِحْتُهُ في التَّداني والتّلاقِي، خَسِرته في الفِراق

فإن منعه خوفُ الله تعالى عن نيل غرض، فالامتناع عذاب شديد، فهو معذّب في كل حال.

(١) البطرين: من البطر، وهو التكبُّر عند حلول النعمة، أو شدّة المرح والرعونة.
(٢) النّوكى: الحمقى والجهّال. (٣) الوطء: الجُماع.
(٤) تربى: تزيد.

هذا ضرره في الدّين.

وأمّا ضرره في الدّنيا، فإنه يورث الهَمَّ الدائم، والفكر اللازم، والوِسْواس، والأرَق[١]، وقلّة المَطْعَم، وكثرة السهَر، ويتسلّط على الجوارح[٢] فتنشأ الصفرة في البدن، والرِّعدة في الأطراف، واللَّجْلجة[٣] في اللّسان، والنُّحول في الجسد، فالرأي عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحة، والدموع هواطل، والحَسَرات تَتَابع، والزَّفَرات تتوالى، والأنفاس لا تمتدّ، والأحشاء تضطرم، فإذا غشّى على القلب غشاء ثانيًا أخرج إلى الجنون، وما أقْرَبَه حينئذٍ من التّلف!

قال: هذا، وكم جنى من جناية على العِرْض[٤]، ووَهَّن الجاه بين الخلق، وربما أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحدود.

وقال جالينوس[٥]: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد.

وفي الدماغ ثلاثة مساكن:

مسكن للتخيُّل، وهو في مقدّم الرأس؛

ومسكن للفِكْر، وهو في وسطه؛

ومسكن للذُّكْر[٦]، وهو في مؤخَّره.

ولا يسمّى عاشقًا إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيّله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبِد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيّل والفكر والذكر، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به.

وقال الجاحظ: ذُكر لي عن بعض حكماء الهند أنّه قال: إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو امرأة، غَدَوْنا على أهله بالتعزية.

(١) الأرق: الامتناع من النّوم ليلًا.
(٢) الجوارح: مفردها الجارحة، وهي العضو العامل من أعضاء الإنسان كاليد والرِّجل.
(٣) اللّجلجة: التردّد في الكلام دون إيضاحه وإبانته.
(٤) العرض: الشّرف، وما يحافظ عليه.
(٥) جالينوس: أحد الحكماء اليونانيين المشهورين بالطبّ، مات بالفَرَما وهي بلدة خراب على شاطىء بحر الرّوم، وبها قبره. «انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٣٧».
(٦) للذّكر: أي التذكر، أو الذّاكرة في الإنسان.

قال: وبلغني أن عاشقًا مات بالهند عشقًا، فبعث ملِك الهند إلى المعشوق فقتله به.

وقال الربعي[١]: سمعت أعرابية تقول: مسكينٌ العاشق! كل شيءٍ عدوّه! هُبُوب الريح يُقْلِقه، ولَمَعان البرق يؤرّقه، ورسوم[٢] الديار تُحْرقه، والعَذْل يؤلمه، والتذكُّر يُسْقِمه، والبعدُ والقُرْب يهيجه، والليل يُضاعف بلاءَه، والرقاد يهرُب منه، ولقد تداويتُ بالقرب والبعد فلم ينجع[٣] فيه دواء، ولا عَزَّ بي عزاء.

وقال شاعر: [من الطويل]

وقد زَعَموا أنَّ المحبَّ إذا دنَا ... يُمَلُّ، وأن النَّأْيَ يَشْفي من الوَجْد!

بكلٍّ تداوينا، فلم يُشْفَ ما بِنَا! ... على أنَّ قُرْبَ الدار خَيْرٌ من البعد!

وأنشد المارستانيّ: [من الطويل]

إذا قَرُبتْ دارٌ كَلفْتُ، وإن نَأَتْ ... أسِفْتُ! فلا بالقُرْب أسلُو ولا البُعْد![٤]

وإن وعَدَتْ زاد الهَوى لانتظارها ... وإن بَخِلتْ بالوعد مُتُّ على الوَعْدِ!

ففي كُلِّ حبٍّ لا محالةَ فَرْحةٌ ... وحُبُّك ما فيه سِوى مُحْكَمِ الجَهْدِ![٥]

وحكى الزبير بن بَكّار[٦] قال: حدّثني موهوب بن راشد قال: وقفت امرأة من بني عُقَيْل على أختٍ لها، فقالت لها: يا فلانةُ، كيف أصبحتِ من حبِّ فلان؟ قالت: قَلْقَلَ[٧] والله حبُّه الساكنَ، وسكَّن المتحرّكَ! ثم أنشدتها: [من الطويل]

ولو أنَّ ما بي بالحصَى فَلَقَ الحصَى ... وبالرِّيح لم يسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ![٨]

ولو أنَّني أستَغْفِرُ الله كلَّما ... ذكرتُك لم يُكتَبْ علي ذُنُوبُ!

---

(١) الرّبعي: لعلّه محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة، أبو سليمان بن زبر الربعيّ، مؤرّخ من حفّاظ الحديث، كان محدّث دمشق وابن قاضيها، له تصانيف عدّة، توفي سنة ٩٨٩ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٥».

(٢) رسوم الدّيار: الآثار المتبقّية منها بعد عفائها.

(٣) ينجع: ينفع.

(٤) كلفتُ: من الكلف، وهو العشق الشديد.

(٥) المحكم: المتقن، والجهد: المشقّة والتعب.

(٦) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكّي، من أحفاد الزّبير بن العوّام، أبو عبد الله، عالمٌ بالأنساب وأخبار العرب، راوية، ولد في المدينة، وولي قضاء مكّة، وتوفي فيها سنة ٨٧٠ م، له تصانيف عدّة. «فهرس الأعلام ٣/ ٤٢».

(٧) قلقل: حرّك وزعزع.

(٨) فلق الحصى: شطرها وشقّها.

قالت: لا جَرَمَ[١] والله، لا أقف حتّى أسأله كيف أصبح من حبِّكِ! فجاءته فسألته فقال: إنما الهوى هَوَانٌ، وإنما خُولف باسمه، وإنما يعرف ما أقول من كان مثلي قد أبكته المَعَارِف والطلول[٢].

وقال مسلم بن عبد الله بن جندب[٣] الهذليّ: خرجت أنا وريّان السوّاق إلى العقيق[٤]، فلقينا نِسوةً نازلات من العقيق ذوات جمالٍ وفيهنّ جارية حسناء العينين، فأنشد ريّان قول أَبِي: [من الطويل]

أَلَا يــا عِــبــادَ اللهِ، هــذا أَخُــوكُــمُ قَـتِـيـلٌ! فـهَـلَّا فـيـكُـمُ الـيـومَ ثـائِرُ؟
خُـذُوا بـدَمِـي إن مـتُّ كـلَّ خَـريـدةٍ مريضةِ جَفْنِ العين، والطَّرْف ساحرُ![٥]

وأقبل عليّ، وأشار إليها فقال: يا ابن الكرام دمُ أبيك في أثوابها، فلا تطلب أثرًا بَعْدَ عين! قال: فأقبلت عليّ امرأة جميلة، أجملُ من تيك، فقالت: أنت ابن جندب؟ فقلت: نعم، قالت: إن أسيرنا لا يُفَكُّ، وقتيلنا لا يُودى[٦]، فاحتسب أباك، واغتنم نفسك! ومَضَيْنَ.

ذكر شيء من الشعر المقول في ذمّ العشق والحبّ

قال الأصْمَعِيّ: سئل أعرابيّ عن الحُبِّ، فقال: وما الحبّ؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلّا سحر أو جنون؛ ثم قال: [من الطويل]

هَـل الـحُـبُّ إلا زَفْـرةٌ بـعـد زَفْـرةٍ وحَرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْدُ؟[٧]
وفَـيْـضُ دمـوعِ الـعـيـنِ مـنّـيَ كـلَّـمـا بدا عَلَمٌ من أرضكُمْ لم يكُنْ يَبْدُو؟

(١) لا جَرَم: لا بدّ.
(٢) الطلول: مفردها الطّلل، وهو ما بقي شاخصًا من آثار الدّار أو نحوها.
(٣) مسلم بن عبد الله بن جندب الهذلي، من رواة الحديث، روى عن أبيه وجدّه. «انظر الكاشف للذهبي ٣/ ١٢٣».
(٤) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخل، والعرب تقول لكل مسيل ماء: شقّه السّيل في الأرض فأنهره ووسّعه: عقيق. «انظر معجم البلدان ٤/ ١٣٨ وما بعدها».
(٥) الخريدة: اللؤلؤة لم تثقب، والمراد بها الفتاة البكر.
(٦) يودى: أي لا تدفع دِيَته إلى أهله.
(٧) الأحشاء: ما انضمّت عليه الضلوع من الصدر، والبرد: هبوط الحرارة، وهو هنا: الوصل من الحبيب.

وقال: قلت لأعرابيّ: ما الحبّ؟ فقال: [من البسيط]

الحُبُّ مَشْغَلةٌ عن كلّ صالحةٍ   وسَكْرةُ الحبِّ تَنْفِي سَكْرةَ الوَسَنِ(١)

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر: [من مجزوء الرمل]

مَنْ فتًى أصبَحَ في الحُـ   ـبِّ سَقَاه الحُبُّ سُمّا؟
كُلّما أخْفَى جوى الحُـ   ـبِّ، عليه الدمعُ نَمّا(٢)
ساهرٌ لا يَطْعَمُ النوْ   مَ إذا الليل أدْلَهَمّا(٣)
كُلّما راقَبَ نَجْمًا   فَهَوى، راقبَ نَجْما
أنتُمُو هَمّي فإن لم   تَصِلُوني متُّ غَمّا
يا ثِقَاتِي، خَطَمَ الحُـ   ـبُّ لكُمْ أنْفِي وزَمّا!(٤)
يا أخِي، دائي جَوى الحـ   ـبِّ وداءُ الناسِ حُمّى
لا تَلُمْ مُفْتَضِحًا في الْـ   ـحُبِّ، إنّ الحُبَّ أعْمَى!

وقال محمد بن أبي أُميّة(٥): [من الطويل]

فوالله، ما أَدْري أمِن لوعةِ الهَوى   صَبَرتُ على التقصير أم ليس لي قَلْبُ؟
أُقَبِّحُ أمرًا، والفؤاد يودّه   أجُنَّ فُؤادي في الهَوى؟ بل هو الحُبُّ

وقال أبو عُبادة البحتريّ: [من الرّمل]

قال بُطْلًا وأفَال الرأي مَنْ   لم يَقُلْ إنّ المَنَايَا في الحَدَقْ!(٦)
إن تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قد ثَوى   بحِمام، فاحتَسِبْ من قد عَشِق!(٧)

---

(١) الوسن: النّعاس.
(٢) جوى الحبّ: حرقته وشدّته، ونمّ: أظهر ووشى.
(٣) ادلهمّ: اشتدّ ظلامه.
(٤) خطم الأنف: من الخطام، وهو حبلٌ يجعل في عنق الجمل ويُثنى في خطمه ليقاد به، وزمّ: شدّ، أي أنّ الحبّ أذلّه وأسره.
(٥) هو محمد بن أبي أُميّة، شاعر غزل، وكنيته أبو حشيشة، وصفه مخارق للمأمون وهو بدمشق، فخرج إليه وهو حدث وغنّاه، ومدح المتوكّل وغيره من الخلفاء العباسيّين. «المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٤١٨، ٤٢٧».
(٦) أفال الرأي: ابتعد به عن الصّواب، والمنايا: الموت، والحدق: العيون.
(٧) محتسبًا: من حَسَب الشيء: أي عدّه وقدره، وثوى: مات، والحمام: الموت.

وقال أبو تمام: [من الكامل]

أمَّا الهوى فهو العذابُ، فإن جَرَتْ فيه النَّوَى فالتَّيْمُ كُلّ التَّيْمِ

وقال ابن أبي حُصينة[١]: [من الكامل]

والعِشْق يجتَذِبُ النفوسَ إلى الرَّدَى بالطَّبْع، واحَسَدًا لمن لم يَعْشَقِ![٢]

طَرَق الخيالُ فهاج لي بطُروقهِ وَلَهًا، فليتَ خَيَالَها لم يَطْرُقِ![٣]

وقال صالح بن عبد القدّوس[٤]: [من السريع]

عاصِ الهَوى إنّ الهوى مَرْكَبٌ يَصْعُبُ بعد اللِّين منه الذَّلُولْ!

إن يَجْلُبِ اليَوْمَ الهَوى لَذَّةً ففي غَدٍ منه البُكا والعَويلْ

وقال ابن المعتزّ: [من الخفيف]

فكأنَّ الهَوى امرؤٌ عَلَوِيٌّ ظَنَّ أنّي وُلِيتُ قَتْل الحُسَيْنِ!

وكأنّي لَدَيْهِ نَجْلُ زِيادٍ فهو يَخْتارُ أوجَعَ القِتْلَتَيْنِ![٥]

وقال أبو عبد الله بن الحجاج: [من السريع]

وَيْحَكَ، يا قَلْبيَ ما أغْفَلَكْ! تَعْشَق مَنْ يَعْشَقُ أن يَقْتُلكْ؟

وأنتَ يا طَرْفِيَ أوقَعْتَنِي وَيْحَكَ يا طَرْفِيَ ما لي ولَكْ؟

قد كانَ من حَقِّ بكائي على تَبَتُّلِي بالحُبِّ أن يَشْغَلَكْ[٦]

حتَّى توصلت لقَتْلي، فلا كُنْتَ ولا كان الذي أرْسَلَكْ!

---

(١) ابن أبي حصينة: هو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار، أبو الفتح السُّلمي، شاعر من الأمراء، ولد ونشأ في معرّة النعمان بسوريا، وانقطع إلى دولة بني مرداس في حلب، له ديوان شعر مطبوع، توفي في سروج سنة ١٠٦٥ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٩٧».

(٢) واحسدًا، وا: حرف نداء مخصّص للندبة.

(٣) الولَه: اشتدادُ جوى الحبّ، والطارق: الزّائر ليلًا.

(٤) هو صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلّمًا يعظ الناس بالبصرة، وشعره كلّه أمثال وحِكم وآداب، اتّهم عند المهدي العبّاسي بالزندقة، فقتله نحو سنة ٧٧٧ م. «فهرس الأعلام ٣/ ١٩٢».

(٥) نجل زياد: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه والي معاوية ويزيد على البصرة، وفي أيّامه قتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه وعلى يديه. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ١٩٣».

(٦) التبتُّل: الانقطاع والتفرُّغ للعبادة والعشق.

وقال عبد المحسن بن غالب الصوريّ: [من المتقارب]

وكـانَ ابـتـداء الـذي بـي مُـجُـونـا فـلَمَّـا تـمـكَّـنَ أمـسـى جُـنـونَـا[١]
وكـنـتُ أظُـنُّ الـهـوى هَـيِّـنـا فـلاقَـيْـتُ مـنـه عَـذَبًـا مُـهِـيـنـا

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبريّ[٢]: [من السريع]

يا صاحِ، إنِّي مُذْ عرفْتُ الهوى غَـرِقْـتُ فـي بـحـر بِـلَا سـاحِـل!
عَـيْـنِـي لِحَـيْـنِـي نَـظَـرتْ نـظـرةً رُحْـت بـهـا فـي شُـغْـلٍ شـاغِـلِ
عُـلِّقـتُـه فـي الـبـيـتِ مـن فـارسٍ لـكـنَّـه فـي الـسِّـحْـر مـن بـابِـلِ[٣]
يَـظْـلِمُـنـي، والـعَـدْلُ مـن شـأنِـهِ! مـا أوْجَـعَ الـظُّـلْـمَ مـن الـعـادل!

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

مَـنْ سَـرَّهُ أنْ يَـرَى الـمَـنَـايَـا بِـعَـيْـنِـهِ مَـنْـظَـرًا صُـرَاحَـا[٤]
فـلْيَـحْـسُ كـأسًـا مـن الـتـجَـنِّـي ولْيَـعْـشَـقِ الأَوْجُـهَ الـمِـلَاحَـا![٥]
يـا أعْـيُـنَـا أرْسِـلَـتْ مِـراضـا فـاخـتَـلَـسَـتْ أعْـيُـنًـا صِـحـاحَـا![٦]

وقال آخر: [من البسيط]

ما أقْـتَـلَ الـحُـبَّ! والإنـسـانُ يـجـهَـلُهُ وكـلُّ مـا لـم يَـذُقْـه فـهـو مَـجْـهُـولُ
راح الـرُّمـاةُ إلـى بـعـض الـمَـهَـا، فـإذا بَعْضُ الرُّماةِ بِبَعْضِ الصَّيْدِ مَقْتُول![٧]

وأمّا الآفات التي تجري على العاشق من المرض والضّنا والجنون والمخاطرات بالنفوس، وإلقائها إلى الهلاك، فهي كثيرة جدًّا، مشاهَدة ومسموعة.

---

(١) المجون: قلّة الحياء.

(٢) هو محمد بن عمر العنبري، أبو بكر، أديب ظريف، حسن الشعر، من أهل بغداد، كان متصوّفًا وخرج على المتصوّفين وذمّهم بقصائد، أورد ابن الجوزي إحداها في كتابه: تلبيس إبليس، توفي سنة ١٠١٢ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٣١٢».

(٣) بابل: مملكة كانت مشهورة في التاريخ، وبابل عاصمتها. قال ابن حوقل: هي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل، وكانت ملوك الكنعانيين يقيمون بها. «انظر صبح الأعشى ٤/ ٣٣١».

(٤) الصراح: الواضح.

(٥) حسا الكأس: تناول ما فيه جرعة جرعة: «شربه».

(٦) المراض: التي فيها فتور وانكسار وضعف، وتكون أشدّ لأسر القلوب.

(٧) المها: البقر الوحشية، تشبه عيون النساء بعينيها.

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزيّ بسند يرفعه، قال: لما بعثت قُريشٌ عمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص[١] إلى النجاشيّ يكلّمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغَتْ إليه، فاطلع عمرو على ذلك فوَجِدَ[٢] على عمارة، وكان عمارة أخبر عَمْرًا أن زوجة النجاشيّ عَلِقته وأدخلته إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشيّ وأخبره بالخبر، فقال له النجاشيّ: آئتني بعلامة أستدلُّ بها على ما قلتَ! ثم عاد عمارة فأخبر عمرًا بأمره وأمر زوجةِ النجاشيّ، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعْطِيَك من دُهْن[٣] الملك الذي لا يَدَّهن به غيره، فكلّمها عمارة في ذلك، فقالت: أخاف من الملك فأبى أن يرضى منها حتّى تعطيه من ذلك الدُّهْن فأعطته منه، فأعطاه عمرًا فجاء به عمرو إلى النجاشيّ فنفخ سحرًا في إحليل[٤] عمارة، فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحّشًا يرد ماء في جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فرَصَده على الماء فأخذه فجعل يصيح به: يا بجير أرسلني[٥]! فإني أموت إن أمسكتني! فأمسكه فمات في يده.

وحكى عن محمد بن زياد الأعرابيّ[٦] قال: رأيت بالبادية أعرابيًا في عُنُقه تمائمُ[٧] وهو عُرْيانٌ وعلى سوأته خرقة وفي رجله حَبْل ومن خلفه عجوز آخذة بطَرَف الحبل وهو يَعضُّ ذراعيه، فقلت للعجوز: من هذا؟ فقالت: ابن ابنتي! فقلت لها: أبة مَسٌّ من الجنّ؟ فقالت: لا والله ولكنه نشأ وابنة عمّ له في مكان واحد، فعُلِّقها وعُلِّقته، فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار إلى ما ترى! فقلت لها: ما اسمه؟ قالت: عكرمة، فقلت: أيا عِكْرِمة ما أصابك؟ قال: أصابني داء قيس وعروة وجميل، فالجسم مني نحيل، والفؤاد عليل، قال: فتركته ومضيت.

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السّهمي القرشي، أبو عبد الله، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشدّاء على الإسلام، وأسلم في ذات الحديبية، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٤ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٧٩».

(٢) وجد عليه: حقد.

(٣) الدّهن: الطيب الذي يتطيّب به.

(٤) الإحليل: الذّكر من الرّجل.

(٥) أرسلني: أطلقني.

(٦) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله، راوية، ناسب، علّامة باللغة، من أهل الكوفة، ولم يُرَ أحدٌ في الشّعر أعلم منه، وهو ربيب المفضّل الضبّي، مات بسامراء سنة ٨٤٥ م، له تصانيف كثيرة. «فهرس الأعلام ٦/ ١٣١».

(٧) التمائم: مفردها تميمة، وهي عوذة تعلّق في العنق لدفع العين والسِّحر.

وحكي عن عباس بن عبيد، قال: كان بالمدينة جارية ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء فهَوِيتْ فتى من قريش، فكانت لا تُفارقه ولا يفارقها، فملَّها الفتى وفارقها، وتزايدت محبّتها له حتى ولِهَتْ، وتفاقم الأمر بها حتّى هامت على وجهها ومَزَّقت ثيابها، فرآها مولاها في ليلة من الليالي، وهي تدور في السِّكك[١] ومعه أصحاب له، فجعلت تبكي وتقول: [من الكامل]

الحُبُّ أوّل ما يكُونُ لَجَاجَةً ... تَأْتي به وتَسوقُه الأقدارُ[٢]
حتَّى إذا اقْتَحَمَ الفتى لُجَجَ الهوى ... جاءت أُمورٌ لا تُطاق كِبَارُ

قال: فما بقي أحدٌ إلا رحمها، فقال لها مولاها: يا فلانة، أمضي معنا إلى بيتنا! فأبَتْ وقالت: [من الخفيف]

* شَغَلَ الحَلْيُ أهْلَه أن يُعَارَا[٣] *

قال: وذكر بعض مَن رآها ليلة وقد لقِيتْها جاريةٌ أخرى مجنونةٌ فقالت لها: فلانة، كيف أنت؟ قالت: كما لا أُحبّ، فكيف أنت ومن وَلَهِك وحُبّك؟ قالت: على ما لم يَزَلْ، يتزايد على مَرِّ الأيّام! قالت لها: فغَنِّي بصوتٍ من أصواتك فإني قريبة الشَّبَه بك! فأخذت قصبة تُوقِّع بها وغنَّت: [من البسيط]

يا مَنْ شَكَا ألَمًا للحُبِّ شبَّهه ... بالنارِ في القَلْب من حُزْنٍ وتَذْكارِ!
إنِّي لأُعْظِمُ ما بي أن أُشَبِّهَه ... شيئًا يُقاس إلى مِثْلٍ ومِقْدار
لو أنَّ قَلْبِيَ في نارٍ لأَحْرَقها ... لأنَّ أجزاءه أذْكَى من النَّار![٤]

ثم مضت.

وحكى عن سليمان بن يحيىٰ بن معاذ[٥] قال: قدم عليّ بنيسابور[٦] إبراهيم بن

---

(١) السُّكك: مفردها سكّة، وهي الطريق المستوي، أو الصفّ من الشجر.
(٢) اللّجاجة: التمادي والملازمة.
(٣) شغل الحكيُ أهلَهُ أن يعارا: أي أهلُ الحكي احتاجوا أن يعلّقوه على أنفسهم، فلذلك لا يعيرون، مثلٌ يضربه المسؤول شيئًا هو أحوج إليه من السائل. «مجمع الأمثال ١/ ٤٧٢».
(٤) أذكى من النّار: أشدّ لهبًا واشتعالًا.
(٥) هو سليمان بن يحيىٰ بن معاذ بن جعفر الرّازي، من أهل الريّ، والده يحيىٰ واعظٌ زاهد، أقام ببلخ ومات بنيسابور، له كلمات سائرة. «انظر فهرس الأعلام ٨/ ١٧٢».
(٦) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، سمّيت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصبٌ كثير، فقال: يصلح أن يكون هاهنا مدينة، فقيل لها نيسابور. «انظر=

سبابة الشاعر البصريّ، فأنزلته عليّ فجاء ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاجَ، فجعل يَصِيح بي: يا أبا أيوب! فخشيت أن يكون قد غشيَتْه بليةٌ، فقلت: ما تشاء؟

فقال: [من مخلّع البسيط]

* أعْـيَـانِـي الـشـادِنُ الـرَّبِـيـبُ![١] *

فقلت: بماذا؟

فقال:

* أشْـكُـو إلـيـه فـلا يُـجِـيـبُ! *

فقلت: داره وداوه!

فقال:

مِـنْ أيْـنَ أبْـغِـي شِـفـاء دائِي؟ وإنّـمـا دَائِيَ الـطَّـبِـيـب!

فقلت: إذنْ يفرّج الله عزّ وجلّ!

فقال:

يـا رَبِّ، فَـرِّج إذًا وعَـجِّـل فـإنَّـك الـسَّـامِـعُ الـمُـجِـيـبُ!

ثم انصرف.

وحدّث عن علي بن محمد النوفليّ عن أبي المختار عن محمد بن قيس العبديّ، قال: إني لبمزدلفة[٢] بين النائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقًا وغِناء عاليًا، فاتبعتُ الصوت فإذا أنا بجارية كأنها الشمس حسنًا ومعها عجوز، فلَطئْت[٣] بالأرض لأمتع عيني بحسنها، فسمعتها تقول: [من الطويل]

دعـوتُـكَ يـا مـولاي سِـرًّا وجَـهْـرةً دعاءَ ضعيف القلب عن محمل الحبِّ!
بُلِيتُ بقاسي القلب لا يَعْرِف الهوى وأقـتـل خـلق الله لـلهـائم الـصبِّ![٤]

= معجم البلدان ٥/ ٣٣١».

(١) الشادن: ولد الظبية.

(٢) المزدلفة: المشعر الحرام، ومصلّى الإمام يصلي فيه العشاء والمغرب والصبح، وهو مبيت للحاج ومجمعٌ الصلاة إذا صدروا من عرفات، قيل: إنّ آدم لما هبط إلى الأرض لم يزدلف إلى حوّاء أو تزدلف إليه حتى تعارفا بعرفة، واجتمعا بالمزدلفة فسمّيت جمعًا ومزدلفة. «انظر معجم البلدان ٥/ ١٢٠، ١٢١».

(٣) لطئت بالأرض: لصقت بها.

(٤) الصبّ: العاشق الذي رقّ واشتاق.

فإن كنتَ لم تقض المودّة بيننا ... فلا تُخْلِ من حبٍّ له أبدًا قلبي!
رضيتُ بهذا ما حييتُ فإن أمُتْ ... فحسبي مَعَادًا في المعاد به حسبي![١]

قال: وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكي، فقمتُ إليها وقلت: بنفسي من أنتِ؟ مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك من تريدين؟ قالت: نعم! والله إنه يفعل تصبّرًا وفي قلبه أكثر مما في قلبي! قلت: فإلى كم البكاء؟ قالت: أبدًا! أو يصير الدمع دمًا وتتلَفَ نفسي غمًّا. فقلت: إن هذه آخر ليلة من ليالي الحجّ، فلو سألت الله تعالى التوبة مما أنتِ فيه، رجوتُ أن يذهب حبّه من قلبك! قالت: يا هذا، عليك بنفسك في طلب رغبتك، فإني قد قدّمت رغبتي إلى من ليس يجهل بغيتي! وحوّلتْ وجهها عني، وأقبلتْ على بكائها وشِعرها.

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمٰن بن عليّ بن محمد بن الجوزيّ في كتابه المترجم بـ «ذَمّ الهوى» بسند رفعه إلى هشام بن عروة[٢]، قال: أذِنَ معاوية بن أبي سفيان يومًا للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عُذْرة، فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذريّ بين السماطين[٣]، فأنشأ يقول: [من الطويل]

مُعَاوِيَ، يا ذا الفَضْلِ والحِلْم والعَقْلِ ... وذا البِرِّ والإحسانِ والجُودِ والبَذْلِ![٤]
أتَيْتُك لمَّا ضاقَ في الأرض مَسْكَني ... وأنْكَرْتُ ممّا قد أُصِبتُ به عَقْلِي
ففَرِّج - كَلَاكَ الله - عنِّي فإنّني ... لَقِيتُ الذي لم يَلْقَهُ أحدٌ قَبْلِي![٥]
وخُذْ لي - هداك الله - حقّي من الذي ... رماني بسَهْم كان أهونُه قَتْلي!
وكنت أُرَجّي عدْلَه إن أتيتُه ... فأكثر تَرْدادي مع الحَبْس والكَبْل![٦]
سَبَانِي سُعْدَى وانبرى لخُصُومتي ... وجارَ ولم يَعْدِلْ وغاصَبَنِي أهْلِي
فَطَلَّقْتُها من جَهْدِ ما قد أصابَني! ... فهذا أميرَ المؤمنين من العَدْل؟[٧]

(١) حسبي: يكفيني، والمعاد: الحشر، أي يوم القيامة.
(٢) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوّام القرشي الأسديّ، أبو المنذر، تابعي من أئمّة الحديث، من علماء المدينة، ولد وعاش فيها ووفد على المنصور العباسي في بغداد، فكان من خاصّته وتوفي هناك سنة ٧٦٣ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٨٧».
(٣) السّماطين: مثنى سماط، وهو الصفّ أو الجانب.
(٤) البذل: العطاء.
(٥) كلاك الله: حفظك الله ورعاك.
(٦) الكبل: القيد.
(٧) العذل: اللّوم.

فقال معاوية: ٱدْنُ بارك الله عليك! ما خَطْبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنّني رجل من بني عُذْرة، تزوّجت ابنة عمٍّ لي، وكانت لي صِرْمة[١] من الإبل وشُوَيْهات[٢] فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدّهر، رَغِب عني أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرِهَتْ مخالفة أبيها، فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخًا به راجيًا لنصرته، فذكرت له قصّتي، فأحضر أباها وسأله عن قضيّتي، وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوّجني بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابيّ! فرغب أبوها في البذل فصار الأمير لي خصمًا وعليّ منكرًا! فانتهرني وأمر بي إلى السجن وأرسل إليّ أن أطلّقها، فلم أفعل. فحبسني وضيّق عليّ وعذّبني بأنواع العذاب، فلمّا أصابني مَسّ الحديد وألَمُ العذاب ولم أجد بُدًّا عن ذلك، طلّقتها. فما استكملت عدّتها حتّى تزوج بها. فلما دخل بها أرسل إليّ فأطلقني. وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيرًا بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب، فهل من فرج؟ ثم بكى وقال في بكائه: [من المجتث]

فـي الـقَـلْـبِ مِـنِّـيَ نـارُ والـنـارُ فـيـهـا اسْـتِـعـارُ![٣]
والـجِـسْـمِ مِـنِّـي نَـحِـيـلٌ والـلّونُ فـيـه اصْـفِـرارُ
والـعَـيْـنُ تَـبْـكِـي بِـشَـجْـوٍ فـدَمْـعُـهـا مِـدْرارُ[٤]
والـحُـبُّ داءٌ عَـسِـيـرٌ فـيـه الـطَّـبِـيـبُ يَـحـارُ
حُـمِّـلْتُ مـنـه عَـظِـيـمًـا فـمـا عـلـيـه اصْـطِـبـارُ[٥]
فـلَـيْـسَ لَـيْـلِـيَ لَـيْـلًا ولا نَـهَـارِيَ نَـهـارُ!

فرقّ له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتابًا غليظًا، وكتب في آخره: [من البسيط]

رَكِبْتَ أمرًا عظيمًا لستُ أعْرِفُه أستغفِرُ اللهَ من جَوْرِ ٱمْرِئٍ زاني!
قد كُنتَ تُشْبِه صُوفِيًّا له كُتُبٌ مِنَ الفرائضِ أو آياتِ فُرقانِ

(١) الصرمة: الجماعة والقطعة.
(٢) الشويهات: من الغنم، «الشويهة»: الشاة الصغيرة.
(٣) استعرّت النار: توقّدت.
(٤) الشجو: الهمّ والحزن، والمدرار: السائل الذي لا ينقطع.
(٥) حُمّلت: عانيت، وحملت ثقيلًا منه.

حتّى أتانا الفتى العذْريُّ منتَحِبًا يَشْكُو إليّ بحقٍّ غَيْرِ بُهْتانِ[١]
أُعْطِي الإلٰه عُهُودًا لا أَخِيسُ بها أوْ لا فبُرِّئت من دِينٍ وإيمانِ![٢]
إن أنتَ راجَعْتَنِي فيما كَتَبْتُ به لأجعَلَنَّكَ لَحْمًا بين عِقْبان![٣]
طَلِّقْ سُعادَ، وجَهِّزها معجَّلَةً مع الكُمَيْتِ، ومعْ نَصْر بن ذبيان!
فما سمعتُ كما بُلِّغتُ من عَجَبٍ ولا فِعالُك حقًّا فِعْل إنْسانِ!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان، وقال: اذهبَا به إليه!

قال: فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفّس الصُّعَداء[٤]، وقال: وَدِدْتُ أن أمير المؤمنين خلّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السّيف! وجعل يؤامر[٥] نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلّقها وأسلمها إليهما، فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتابًا لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية، فكان مما كتب فيه يقول: [من البسيط]

لا تحنَثَنَّ أميرَ المؤمنينَ فقَدْ أُوفي بعَهْدك في رفْقٍ وإحسان
وما رَكِبْتُ حرامًا حينَ أعْجَبَني فكيفَ سُمِّيتُ باسمِ الخائنِ الزانِي؟
أعذرْ فإنك لو أبصرتها لجرَتْ منك الأماني على تمثال إنسانِ!
وسوف تَأْتِيكَ شمسٌ ليس يَعْدِلها عند البَرِيَّة من إنسٍ ومن جانِ!
حَوْراءُ يقصُر عنها الوصفُ إن وُصِفتْ أقولُ ذلك في سِرٍّ وإعلانِ![٦]

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أطنب[٧] في ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن النَّغْمة مع هذا الوصف الحسن فهي أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلتْ بين يديه، استنطقها فإذا هي أحسن الناس كلامًا وأكملُهم شَكْلًا ودَلَالًا، فقال: يا أعرابيّ، هذه سعدى! ولكن هل لك

---

(١) البهتان: الكذب والافتراء. (٢) أخيس بالعهد: أنقضه وأخونه.
(٣) العقبان: مفردها عقاب، وهو طائر من الجوارح، تأكل اللّحوم والحشرات.
(٤) تنفّس الصعداء: أي تنفّس نفسًا ممدودًا طويلًا من توجّع وحسرة.
(٥) يؤامر نفسه: يشاورها.
(٦) الحوراء من النساء: البيضاء، لا يقصد بذلك حور عينيها.
(٧) أطنب: أطال وبالغ.

عنها من سَلْوة بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرّقت بين رأسي وجسدي! فقال: أعوّضك عنها يا أعرابيّ ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار، وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كلّ سنة ويعينك على صحبتهنّ. فشهق شهقة ظنّ معاوية أنه مات، فقال له: ما بالك يا أعرابيّ؟ قال: أشرُّ بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول: [من البسيط]

لا تَجْعَلَنِّيَ والأمثالُ تُضْرَبُ بِي ... كالمُستغيثِ من الرَّمْضاءِ بالنارِ![1]
أُرْدُد سُعادَ على حَيْرانَ مكتئبٍ ... يُمْسِي ويُصْبِحُ في هَمٍّ وتَذْكَارِ!
قـد شَـفَّـه قـلَقٌ مـا مـثـلُه قَـلَقٌ ... وأَسْعِرِ القَلْبُ منه أيّ إسعارِ![2]
كَيْفَ السُّلُوُّ، وقد هام الفؤاد بها ... وأصبَحَ القلبُ عنها غَيْرَ صَبَّارِ؟

قال: فغضب معاوية غضبًا شديدًا، ثم قال: يا أعرابيّ، أنت مقرٌّ بأنك طلّقتها! ومَرْوان مقرٌّ بأنه طلّقها، ونحن نخيّرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعَقْدٍ جديدٍ، وإن اختارت سواك زوّجناه بها. ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، يا سُعْدى؟ أيما أحبُّ إليك، أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروانُ بن الحكم[3] في عَسْفه[4] وجَوْره، أو هذا الأعرابيّ في فقره وسُوء حاله؟ فأنشأت تقول: [من البسيط]

هـذا، وإنْ كـانَ فـي فَـقْـرٍ وإضـرارِ ... أَعَزُّ عندِيَ مِن قَوْمِي ومِن جارِي![5]
وصـاحـبِ الـتَّـاجِ أو مَـرْوَانَ عـامِـلِهِ ... وكـلِّ ذي دِرْهـمٍ عِـنْـدي ودينـارِ!

---

(١) الرّمضاء: الأرض أو الحجارة التي حميت من شدّة حرارة الشمس، وفي المثل: كالمستغيث من الرمضاء بالنار، يضرب مثلًا في الخلّتين من الإساءة تجمعان على الرجل. «انظر مجمع الأمثال ١٧٨/٢».

(٢) شفّه القلق: أذواه وبراه وأرّقه.

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، ولّاه معاوية، وقد تولّى الخلافة بعد معاوية بن يزيد، وإليه يُنسب بنو مروان ودولتهم المروانية، ولد بمكّة، توفي بدمشق سنة ٦٨٥ م.

(٤) العسف: الظلم.

(٥) لقد ورد في كتاب «ذمّ الهوى لابن الجوزي ص ٣٤١، تحقيق مصطفى عبد الواحد» ذكر هذه الأبيات على الشكل التالي:

هـذا وإن أصـبـح فـي أطـمـار ... وكـان فـي نـقـصٍ مـن الـيـسـار
أكـثـر عـنـدي مـن أبـي وجـاري ... وصـاحـب الـدّرهـم والـدّيـنـار
أخـشـى إذا غـدرت حـرّ الـنّـار

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغَدَرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تُنسى ومحبّة لا تَبلى! والله إني لأحق مَنْ صبر معه في الضرّاء كما تنعَّمت معه في السرَّاء! فعجب كلُّ من كان حاضرًا، فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار، فأخذها وانصرف يقول: [من الرجز]

خَلُّوا عن الطَّرِيق للأعْرابي! ألم تَرِقُّوا، وَيْحكُمْ ممَّا بِي؟

[قال: فضحَّك معاوية وأمر بها فأدخلت في قصوره حتى انقضت عدَّتها من ابن الحكم، ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي][1].

ولقد ساق ابن الجوزي في كتابه من أخبار العشّاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضّنا، وقصّ كثيرًا من أخبارهم، تركنا إيراد ذلك رغبةً في الاختصار، لأنه أمر غير منكور.

* * *

وأمّا من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه، فمن ذلك ما روى عن أبي ريحانة أحدِ حجاب عبد الملك بن مروان، أنّه قال: كان عبد الملك يجلِس يومًا في الأسبوع جلوسًا عامًا للناس، فبينا هو جالس في مُسْتَشْرِفٍ[2] له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قِصَّة غير مترجمة، فيها:

«إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنّيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ فيّ ما شاء من حكمه، فعل!».

فاستشاط[3] من ذلك غضبًا وغيظًا، وقال: يا رباح! عليَّ بصاحب هذه القصّة! فخرج الناس جميعًا فأدخل عليه غلام كما عذَّر[4]، من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك: يا غلام، هذه قصّتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرّكَ منّي؟ والله لأمثلَنَّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة[5]! ثم قال: عليّ بالجارية فجيء بها كأنها فِلقة قمر! وبيدها عودها ووضع لها كرسيّ، فجلستْ، فقال عبد الملك: مُرْها يا غلام! فقال لها: يا جارية، غنّيني بشعر قيس بن ذَرِيح[6]:

---

(١) ما بين قوسين زيادة من كتاب «ذمّ الهوى ص ٣٤١».
(٢) المستشرف: المكان الذي انتصب وعلا. (٣) استشاط غضبًا: ثار واشتدّ غضبهُ.
(٤) عذَّر: نبت شعر عذاره. (٥) الجسارة: الجرأة.
(٦) هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني، شاعرٌ من العشاق المتيّمين، اشتهر بحب «لبنى»=

[من الطويل]

لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ، لو دام ودنا ... ولكنما الدنيا متاع غُرورِ![1]

وكنَّا جميعًا قبل أن يَظْهَرَ الهوى ... بأنعَمِ حالَيْ غبطةٍ وسُرورِ

فما بَرِح الواشُونَ حتَّى بدَتْ لنا ... بُطُونُ الهوى مقلوبةً لظُهورِ

فغنّت، فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقًا[2]، ثم قال له عبد الملك: مُرْها تغنّك الصوت الثاني! فقال: غنّيني بشعر جميل: [من الطويل]

ألا لَيتَ شِعْرِي! هل أبِيتَنَّ ليلةً ... بوادي القُرى؟ إني إذًا لسَعِيدُ![3]

إذا قلتُ: ما بِي يا بُثينةُ قاتِلي ... من الحُبِّ! قالت: ثابتٌ ويَزِيدُ![4]

وإن قلتُ: رُدِّي بعضَ عَقْلِي أعِشْ بهِ ... مع الناس! قالتْ: ذاكَ مِنْكَ بَعِيدُ!

فلا أنا مردُودٌ بما جئتُ طالِبًا ... ولا حُبُّها فيما يَبِيد يَبِيدُ![5]

يموتُ الهوى منّي إذا ما لَقِيتُها ... ويَحْيَا إذا فارقْتُها فيعُودُ!

فغنّته الجارية، فسقط الغلام مغشيًّا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مُرْها فلتغنك الصوت الثالث! فقال: يا جارية! غنّيني بشعر قيس بن الملوّح[6]: [من الطويل]

وفي الجيرةِ الغادِينَ من بَطْنِ وَجْرةٍ ... غزالٌ غَضِيضُ المُقْلتيْنِ رَبِيبُ[7]

فلا تحسَبي أنّ الغَرِيبَ الذي نَأَى ... ولكنَّ من تَنْأَيْنَ عَنْه غَرِيبُ!

= بنت الحباب الكعبية، من شعراء العصر الأموي كان رضيعًا للحسين بن عليّ بن أبي طالب، أخباره مع لبنى كثيرة جدًا، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦».

(١) متاعُ غرور: أي متاع يخدع الإنسان ويغرّه ببعض الأشياء الزّائلة.

(٢) تخريقًا: تمزيقًا.

(٣) وادي القرى: موضع قرب المدينة كان يقيم فيه جميل بن معمر وبثينة. «ديوان جميل ص ٣٩، دار صادر».

(٤) ثابت: مقيم.

(٥) يبيد: يفنى ويهلك.

(٦) هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، مجنون ليلى، شاعر غزل من المتيّمين، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا وإنّما لقب بذلك لهيامه بليلى بنت سعد مات سنة ٦٨٨ م، وله ديوان مطبوع. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٠٨».

(٧) بطن وجرة: قال الأصمعي: وجرة بين مكّة والبصرة، ليس فيها منزل، فهي مربٌ للوحش. «معجم البلدان ٥/ ٣٦٢». وعضيض المقلتين: أي في طرفه فتور وانكسار.

فغنّته الجارية فطرح نفسه من المستَشْرَف، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض، فقال عبد الملك: ويحه[(١)]! لقد عَجَّل على نفسه! ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره، فأُخرجت، ثم سأل عن الغلام فقالوا: غريب، لا يعرف إلّا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق، ويده على رأسه: [من الطويل]

غَدًا يكثُر الباكُونَ منّا ومِنْكُمْ وتَزْدادُ دارِي من دِيارِكُمْ بُعْدَا!

وحُكي أن مثل هذه الحكاية جرت في مجلس سليمان بن عبد الملك.

حُكي عن أبي عثمان الجاحظ أنّه قال: قعد سليمان بن عبد الملك[(٢)] يومًا للمَظَالم[(٣)] وعُرِضتْ عليه القِصَص فمرّت به قصّة فيها: إنْ رأى أمير المؤمنين أن يُخرج إليَّ فلانة (إحدى جواريه) حتَّى تغنيني ثلاثةَ أصوات، فعل. فاغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه، ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخلَ الرجلَ إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: ما الذي حملك على ما صنعتَ؟ فقال: الثقة بحلمك، والاتّكال على عفوك! فأمره بالجلوس، فجلس حتى لم يبقَ من بني أمية أحد. ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود، ثم قال: اخترْ! فقال: تغني لي بقول قيس بن الملوّح: [من الطويل]

تَعلَّق رُوحي رُوحها قبْلَ خَلْقِنا ومن بَعْدِ أنْ كنَّا نِطَافًا وفي المَهْدِ![(٤)]
فعَاشَ كما عِشْنا فأصبح نامِيًا وليسَ - وإن متْنا - بمنقصِف العَهْدِ[(٥)]
يكاد فَضِيض الماء يَخْدِشُ جلْدَها إذا اغتسلت بالماء من رِقَّة الجِلْدِ[(٦)]
وإنِّي لمُشْتاق إلى رِيح جَيْبِها كما اشتاقَ إدريسٌ إلى جَنَّة الخُلْدِ[(٧)]

(١) ويحه: كلمة ترحُّم وتوجّع، أو هي بمعنى «ويلٌ».
(٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي. «انظر فهرس الأعلام ٣/ ١٣٠».
(٣) المظالم: أي الشكاوى، وهو يوم كان يجلس فيه الخليفة فيستمع بنفسه إلى شكاوى الناس، ومن ذلك كان «ديوان المظالم».
(٤) النّطاف: من النّطفة، وهي المنيّ.
(٥) منقصف العهد: أي منقطع، والعهد: الميثاق.
(٦) فضيض الماء: ما تناثر من الماء أو رذاذه.
(٧) الجيب: من القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه، يريد: عنقها، وإدريس: نبيٌّ من أنبياء الله ورد ذكره في القرآن الكريم «سورة مريم، الآية ٥٦».

فغنّت. ثم قال: تأمر لي برطل. فأمر له به فشربه. ثم قال: تغني بقول جميل: [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيدًا، فلم يَزلْ ... إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويَزِيدُ
وأفنيتُ عُمْري في انتظار نَوَالِها ... وأَبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالِبًا ... ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
إذا قلتُ: ما بي يا بُثينةُ قاتِلي ... من الحُبِّ! قالت: ثابت ويَزيدُ
وإن قلتُ: رُدّي بعضَ عَقْلي أعِشْ به ... مع الناسِ! قالتْ: ذاكَ منكَ بعيدُ

فغنَّت، فقال له سليمان: قل ما تريد؟ قال: تأمر لي برطل، فأمر له به فشربه.

ثم قال: تغنّي بقول قيس بن ذريح: [من المضارع]

* لقد كنت حَسْبَ النفس *

الأبيات.

فغنّت. فقال له سليمان: قل ما تشاء! قال: تأمر لي برطل! فأمر له به، فما استتمّه حتّى وثب فصعد إلى أعلى قبّة ثم زَجَّ[1] نفسه على دماغه فمات. فاسترجع سليمان وقال: أتُراه توهَّم الجاهلُ أني أُخرج إليه جاريتي وأردّها إلى ملكي؟ يا غلام خذ بيدها فانطلق بها إلى أهله إن كان له أهل، وإلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه. فلما انطلقوا بها، نظرتْ إلى حفرة في الدار قد أُعِدَّت للمطر، فجذبت يَدَها من أيديهم وأنشأت تقول: [من السريع]

مَنْ ماتَ عِشْقًا فليمُتْ هكذا! ... لا خَيْر في عشْقٍ بلا مَوْتِ!

وزجّت نفسها في الحفرة على دماغها. فماتت.

وقد حُكِيَ أيضًا مثل هذه، وأنها وقعت للرشيد.

رُوِيَ عن أبي بكر محمد بن عليّ المخزوميّ قال: اشتريتُ للرشيد جارية مدنية. فأُعْجِبَ بها وأمر الفضلَ بن الربيع[2] أن يبعث في حَمْل أهلها ومواليها لينصرِفُوا بجوائزها. وأراد بذلك تشريفها. فوفد إلى مدينة السلام[3] ثمانون رجلًا،

(١) زجّ نفسه: رمى بها.
(٢) هو الفضل بن الرّبيع بن يونس، أبو العباس، وزيرٌ أديبٌ حازم، كان من خصوم البرامكة ووراء نكبتهم من هارون الرّشيد، توفي بطوس سنة ٨٢٤ م. «فهرس الأعلام ١٤٨/٥».
(٣) مدينة السّلام: بغداد.

ووفد معهم رجل من أهل العراق استوطن المدينة كان يهوى الجاريةَ. فلما بلغ الرشيدَ خبرُ مَقْدَمِهم أمر الفضلَ أن يخرج إليهم ليكتب اسمَ كل واحد منهم وحاجتَه، ففعل. فلما بلغ إلى العراقيّ قال: ما حاجتك؟ قال له: إن أنت كتبْتَها وضمنت لي عَرْضَها مع ما يُعرَض، أنبأتك بها. فقال: أفعلُ ذلك. فقال: حاجتي أن أجلس مع فلانة حتَّى تغنِّيني ثلاثة أصوات وأشربَ ثلاثةَ أرطال، وأخبرها بما تُجِنّ[١] ضُلوعي من حبّها! فقال الفضل: أنت مُوَسْوس[٢] مدخُول عليك في عقلك! فقال: يا هذا، قد أُمِرتَ أن تكتب ما يقول كلُّ واحد منّا فاكتب ما أقول واعرضه، فإن أُجبت إليه وإلا فأنت في أوسع العذر، فدخل الفضل مغضَبًا فوقف بين يدي الرشيد، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم. فلما فرغ قال: يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون! سأل ما أُجِلُّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوّه به. فقال: قل، ولا تجزَعنّ![٣] فقال: قال كذا وكذا، فقال: أخرج إليه، وقل له: «إذا كان بعد ثلاث، فاْحضُرْ ليُنجزَ لك ما سألت»، وكن أنت متولِّيَ الاستئذان له. ثم دعا بخادم فقال له: اْمضِ إلى فلانة فقل لها: حَضَر رجل يذكر كذا وكذا، وقد أجبناه إلى ما سأل فكُوني على أُهْبة[٤]، وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد، فانصرف وجاء في اليوم الثالث، فعرّف الفضل الرشيد خبره فقال: يُوضَع له بحيث أرى، كرسيٌّ من فضّة، وللجارية كرسيٌّ من ذهب! وليُخرَج إليه ثلاثة أرطال! ففعلوا ذلك وجاء الفتى فجلس على الكرسيّ، والجارية بإزائه، فجعل يحدّثها والرشيد يراهما، فقال له الخادم: لم تُدْخَل فتشتُو وتُصَيِّف! فأخذ رطلًا وخرّ ساجدًا، وقال: إن شئت أن تُغَنِّي فغنّي: [من الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ عُـوجَـا! بـاركَ اللهُ فـيـكـمـا ... وإن لـم تَكُنْ هندٌ بأرضِكما قَصْدا![٥]
وقُـولَا لـهـا: لـيـس الـضـلالُ أجـازَنَـا ... ولـكـنَّـما جُـزْنـا لـنَـلْقاكُـمَا عَـمْـدا![٦]
غَـدًا يَـكْـثُـر الـبـاكُـون مـنّـا ومِـنْـكُـمُ ... وتَـزْدادُ داري مِـن دِيَـارِكُـمُ بُـعْـدَا!

فغنّت، فشرب الرطل، وحادثها ساعة، فاستحثّه الخادم فأخذ الرطلَ بيده، وقال: غنّي جعلني الله فداءكِ: [من الطويل]

تَـكَـلَّـمُ مِـنّـا فـي الـوُجـوه عُـيـونُـنـا ... فـنحنُ سُكوتٌ والـهوى يَـتَـكَـلَّـمُ!
ونَـغْـضَـب أحيانًا ونَرضى بطَرْفِنا ... وذلِكَ فـيـمـا بَـيْـنَـنـا لـيس يَـعْـلَـمُ!

---

(١) تجنُّ الضلوع: تخفي وتستر.
(٢) موسوس: داخله مسّ من جنون أو غيره.
(٣) الجزع: الخوف.
(٤) أُهْبة: استعداد.
(٥) عوجًا: عاج على المكان: عطف ومال.
(٦) أجازنا: جعلنا نجتاز دياركم ونؤمّ.

فغنّته وشرب الرطل الثاني وحادثها ساعة، واستعجله الخادم فخرّ ساجدًا يبكي وأخذ الرطل بيده واستودعها الله وقام ودموعه تستبق استباق المطر، وقال: إذا شئت أن تغنّي فغنّي: [من السريع]

أحْسَنَ ما كُنّا تفرّقْنا وخانَنا الدُّهْرُ وما خُنّا!
فليتَ ذا الدّهْرَ لنا مَرَّةً عادَ لَنا الدُّهرُ كما كنّا!

فغنّته الصوتَ، فقلّب الفتى طرفه فبَصُر بدرجة في الصحن، فأمّها[1]، فأتبعه الخدم ليَهْدُوه الطريقَ، ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه، فمات. فقال الرشيد: عجّل الفتى! ولو لم يعجّل لوهبتُها له!

* * *

وممن خاطر بنفسه في هواه وعَرَّضها للتلف فنجا ونال خيرًا، ما حكاه ابن الجوزيّ بسند يرفعه إلى أبي الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن الترسي قال: كنت جالسًا بحضرة أبي، وأنا حَدَث[2]، وعنده جماعة، فحدّثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة. وكان ممن حضر صديق لأبي، فسمعته يحدّث أبي، قال: حضرت عند صديق لي من التُّجّار - كان يتَّجِر بمائة ألف دينار - في دعوة. وكان حسن المرُوءة، فقدّم مائدة وقدّم عليها ديكريكة[3] فلم يأكل منها، فامتنعنا. فقال: كُلُوا! فإنّي أتأذّى بأكل هذا اللّون، فقلنا: نساعِدُك على تركه. قال: بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى! فأكل وأكلنا، فلمّا أراد غسل يده أطال، فعددت عليه أنّه قد غسلها أربعين مرّة. فقلت: يا هذا، وسوستَ! فقال: هذه الأذية التي قرفت منها! فقلت: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب، فلما ألححتُ عليه، قال: مات أبي وسني عشرون سنة، وخلّف لي نعمة وفيرة ورأس مال ومتاعًا في دكانه. فقال لما حضرته الوفاة: يا بُنَيّ! إنه لا وارثَ لي غيرك، ولا دَيْن عليّ

(١) أمّها: قصدها. (٢) الحدث: الصغير السنّ.

(٣) «ديكبريكة» في كتاب صفة الأطعمة، دار الكتب المصرية: يقطّع اللحم أوساطًا ويترك في القدور، ويلقى عليه يسير ملح وكفّ حمص مقشور وكفرة يابسة، ورطبة وبصل مقطّع وكرّات ويطرح عليه غمرة ماء ويغلى، ثم تؤخذ رغوته ويلقى عليه بعض الأفاويه، ويطبخ حتى يتبيّن طعمه، والظاهر أن صواب اللفظ «ديكبر ديكة» ثم اختصر وحرّف إلى «ديكريكة»، ففي المعاجم الفارسية «ديك برديك»، فمعنى «ديك» القدر، و «بر» فوق وعلى، فيكون المراد قدر فوق قدر، وتقول المعاجم: إن هذا النوع المزدوج يستعمل لأعمال التصعيد والتقطير، ولا يستبعد أن يكون هذا الطعام ممّا يعالج طبخه بهذه الطريقة فسمّي باسم وعائه...

ولا مَظْلِمة[١]! فإذا أنا مِتُّ فأحسِنْ جهازي وتصدّق عني بكذا وكذا، وأخرج عني حَجَّة بكذا، وبارك الله لك في الباقي! ولكن أحفظ وصيّتي! فقلت: قُلْ! قال: لا تسرف[٢]! في مالك، فتحتاجَ إلى ما في أيدي الناس فلا تجده. واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفساد قليل. فالزم السُّوقَ وكن أوّل من يدخلها، وآخِرَ من يخرج منها، وإن استطعت أن تدخلها سَحَرًا[٣] بليل فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام، ومات. فأنفذتُ وصيّته، وعملتُ بما أشار به، وكنت أدخُل السوق سَحَرًا، وأخرج منها عِشاء، فلا أعدَمُ من يجيء يطلب كفنًا فلا يجد من قد فتح غيري فأحتكم عليه، ومَن يبيع شيئًا والسوق لم تقم فأبتاع منه، وأشياء من هذه الفوائد، ومضى عليّ سنة وكسر، فصار لي بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا استقامتي وأكرموني. فبينا أنا جالس يومًا ولم تتكامل السوق، وإذا بامرأة راكبة حمارًا مصريًا وعلى كفله[٤] منديل دبيقيّ[٥] ومعها خادم وهي بزيّ القهارمة[٦]، فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي. فقمت إليها وأكرمتها، وقلت: ما تأمرين؟ وتأملتها فإذا بامرأة لم أرَ قبلها ولا بعدها إلى الآن أحسن منها في كل شيء، فتكلمتْ وقالت: أريد كذا وكذا (ثيابًا طلبَتْها). فسمعت نَغْمة ورأيت شكلًا قتلني فعشِقْتها في الحال أشدّ عشق، وقلت: أصبري حتى يخرج الناس، فآخذ ذلك لك فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك. وأخرجت الذي عندي وجلستْ تحادثني، وكأن السكاكين في فؤادي من عشقها، وكشفت عن أنامِل رأيتها كالطَّلْع[٧]، ووجه كدارة القمر. فقمتُ لئلّا يزيد عليّ الأمر، وأخذتُ لها من السوق ما أرادتْ، وكان ثمنه مع مالي نحو خمسمائة دينار، فأخذتْهُ وركبتْ ولم تعطني شيئًا. وذهب عني لما تداخلني من حبّها أن أمنعها من المتاع إلّا بالمال، وأن أستدلّ على منزلها ومِن دار مَن هي؟ فحين غابت عنّي، وقع لي أنها محتالة وأن ذلك سبب فقري. فتحيّرتُ في أمري وكتمتُ خبري، لئلا أفتضح بما للناس عليّ،

---

(١) المظلمة: ما يطلبه المظلوم من مالٍ مغتصب.

(٢) لا تسرف: لا تبذّر. (٣) السَّحر: آخر الليل، قبيل الفجر.

(٤) الكفل: العجز من الإنسان والدّابة.

(٥) دبيقي: نسبة إلى دبيق، مدينة كانت بالقرب من دمياط، وكانت مشهورة بنفائس المنسوجات التي تُعرف باسمها، ويقول ياقوت: إنّها كانت بين الفَرَما وتنيس من أعمال مصر. «معجم البلدان ٢/ ٤٣٨».

(٦) القهارمة: القهرمانة: مدبّرة البيت ومتولّية شؤونه.

(٧) الطّلع: من النّخل شيء كالكوز ينفتح عن حبّ منضود فيه مادة إخصاب النخلة.

وأجمعتُ على بيع ما في يدي من المتاع وإضافته إلى ما عندي من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلّة العقار الذي ورثتُه، وأخذتُ أشرع في ذلك مدّة أسبوع، وإذا بها قد أقبلتْ ونزلتْ عندي، فحين رأيتُها أُنسيتُ جميع ما جرى عليّ، وقمت إليها، فقالت: يا فتى، تأخرنا عنك لشُغُل عرض لنا، وما شككنا في أنك لم تشك أنا احتلنا عليك، فقلت: قد رفع الله قدرَكِ عن هذا! فقالت: هاتِ التخت[1] والطيار[2]، فأحضرته، فأخرجت دنانير عُتُقًا، فوفتني المال بأسره، وأخرجت تذكرة بأشياء أُخَر، فأنفذتُ إلى التجّار أموالهم وطلبتُ منهم الذي أرادت، وحَصَّلتُ أنا في الوسط ربحًا جيّدًا، وأحضر التُّجّار الثياب فقمتُ وثمّنتها معهم لنفسي. ثم بعتها عليها بربح عظيم، وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر مَن تألّف حبها، وهي تنظر إليّ نظر مَن فَطِنَتْ بذلك ولم تنكره. فهَمَمْت بخطابها ولم أقدر عليه، وجمعت المتاع فكان ثمنه ألف دينار، فأخذتْهُ، وركبت ولم أسألها عن موضعها، فلما غابتْ عنّي، قلتُ: هذه الآن الحيلة المُحكَمَة! أعطتني خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيعُ عقاري الآن، والحصولُ على الفقر! وتطاولت غيبتها عنّي نحو شهر، وألحّ التجّار عليّ بالمطالبة، فعرضتُ عقاري على البيع، ولازمنِي بعضُ التجّار فوزنت جميع ما كنت أملكه وَرِقًا[3] وعَيْنًا[4]. فبينا أنا كذلك، إذ نزلت عندي. فزال عني جميعُ ما كنت فيه برؤيتها. واستدعت الطيّار والتخت، فوزنت المال ورمت إليّ تذكرة يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير، فتشاغلتُ بإحضار التجّار ودفع أموالهم إليهم وأخْذِ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا، فقالت لي: يا فتى، ألك زوجةٌ؟ فقلت: لا، والله ما عرفت امرأة قطّ، وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هذا وقت خطابها، والإمساكُ عنها عجزٌ، ولعلّها تعود أو لا تعود. وأردت كلامها فهِبْتُها، وقمتُ كأنّي أحُثُّ التجّار على جمع المتاع. وأخذتُ يد الخادم وأخرجتُ إليه دنانير وسألته أن يأخذها ويقضي لي حاجة، فقال: أفعل، فقصصتُ عليه قصّتي وسألتُه توسّط الأمر بيني وبينها. فضحك وقال: والله إنها لك أعشق منك لها! ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذي تشتريه، وإنما تأتيك محبّةً لك وطريقًا إلى مطاولتك، فخاطِبها ودعني، فجسَّرني على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقي ومحبتي وبَكَيْت،

---

(١) التّخت: وعاء تصان فيه الثياب والأقمشة.

(٢) الطيّار: معيار الذهب لأنه على شكل الطائر، وهو ميزان لا لسان له.

(٣) الوَرْق: الدّراهم المضروبة، وتكون من فضّة أو غيرها.

(٤) العين: ما ضرب نقدًا من الدنانير، وتكون من ذهب أو غيره.

فضحكتْ. وتقبّلت ذلك أحسن قبول، وقالت: الخادم يأتيك برسالتي، ونهضَتْ ولم تأخذ شيئًا من المتاع، فرددتُه على أصحابه، وحصل لي ممّا اشترته أوّلًا وثانياً ألوفُ دراهم ربحًا، ولم أعرف النوم في تلك الليلة شوقًا إليها، وخوفًا من انقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم، فأكرمتُه وسألتُه عن خبرها، فقال: هي والله عليلة من شوقها إليك، فقلت: اشرحْ لي أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتدر[١] وهي من أخصّ جواريها، واشتهت رؤيةَ الناس والدخول والخروج. فتوصلتْ حتّى جعلتها قَهْرَمَانة[٢]. وقد والله حدّثت السيدةَ بحديثك وبكت بين يديها وسألتها أن تزوّجها منكَ، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستأهلك وإلا لم أدَعْك ورأيَكِ. وتحتاج أن تحتال في إدخالك الدار بحيلة، فإن تمَّت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن انكشفت ضرب عنقك. وقد أنفذتني إليك في هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرتَ على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إليّ، ولا لي إليك بعدها! فحملني ما في نفسي أن قلت: أصبِرُ، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المحرم، وادخل إلى المسجد، وبت فيه. ففعلت ذلك، فلما كان وقت السَّحَر، إذا بطيار[٣] قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغًا، فجعلوها في المسجد وانصرفوا. وخرجت الجارية فصَعدت إلى المسجد، والخادمُ معها. فجلستْ وفرّقتْ باقي الخدم في حوائج، واستدعَتْني فعانقَتْني وقبّلَتْني، ولم أكن نِلْتُ ذلك منها قبله، ثم أجلستني في بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التي كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصناديق، وأقفلتها، وحُملت إلى الطيّار وانحدر. فلما حصلت فيه ندمت وقلتُ: قتلت نفسي لشهوة، وأقبلت ألُومها تارةً، وأشجّعها وأُمنّيها أخرى، وأنذر النُّذور على خلاصي، وأُوطِّن[٤] مرّة نفسي على القتل إلى أن بلغنا الدار، وحمل الخَدَم الصناديقَ، وحمل صندوقي الخادم الذي يعرف الحديث، وبادر به أمام الصناديق وهي معي، والخدم يحملون بقيّتها. وكلّما جازت بطائفة من الخدم والبوّابين، قالوا: نريد أن نفَتِّش الصندوقَ، فتصيح عليهم وتقول: متى جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون عنها

(١) المقتدر العباسي: هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله بن المعتضد بن الموفّق، خليفة عبّاسيّ، وُلد في بغداد وبُويع بالخلافة بعد أخيه المستكفي فاستصغره الناس، فخلعوه، ونصّبوا عبد الله بن المعتزّ ثمّ قتلوا ابن المعتزّ ونصّبوه مكانه، قتل سنة ٩٣٢ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٢١».

(٢) القهرمانة: مدبّرة شؤون البيت والخدم. (٣) الطيّار: زورق من الزوارق الخفيفة.

(٤) وطّن نفسه على أمر: حملها عليه.

ورُوحي في السِّياق إلى أن انتهينا إلى خادم خاطبته هي بالأُستاذ، فعلمت أنه أجل الخَدَم، فقال: لا بدّ من فتح الصندوق الذي معك، فخاطبته بلين وذلّ، فلم يجبها. وعلمتُ أنها ما ذَلَّت ولها حيلة، فأغمي عليّ. وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه، فبُلْت من شدّة ما نالني من الفَزَع، فجرى البول من خلال الصندوق، فصاحتْ: يا أستاذ، أهلكتَ علينا متاعاً بخمسة آلاف دينار في الصندوق، ثيابٌ مصبَّغات وماء ورد، وقد انقلب على الثياب، والساعةَ تختلط ألوانها، وهي هلاكي مع السيدة! فقال لها: خذي صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو، مُرِّي! فصاحت بالخدم: ٱحملوا، فأُدخلتُ الدار ورجعتْ إليّ روحي، فبينا نحن كذلك إذ قالت: واويلاه! الخليفة والله! فجاءني أعظم من الأوّل. وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم: ويك يا فلانة! إيش في صندوقك؟ أريني هو، فقالت: ثياب لستّي يا مولاي، والساعة أفتحه بين يديها، وتراه، وقالت للخدم: أسْرِعُوا ويلكم! فأسرعوا فأدخلتني إلى الحجرة وفتحت الصندوق وقالت: ٱصعد من هذه الدرجة إلى الغُرْفة فاجلس فيها، وفتحت صندوقًا آخر فقلبت بعض ما فيه إلى الصندوق الذي كنت فيه، وأقفلت الجميعَ، وجاء المقتدرُ وقال: ٱفتحيه، ففتحته، فلم ير شيئًا فيه. فصعِدَت إليّ وجعلت تقبّلني وترشُفُني[1]. ونسيتُ ما جرى، ثم تركتني، وأقفلَتْ باب الحجرة يومها. ثم جاءتني ليلًا فأطعمتني وسقتني وانصرفَتْ. فلما كان من غد جاءتني، فقالت: السيّدة الساعةَ تجيء، فانظر كيف تخاطبها، ثم عادت بعد ساعة مع السيّدة، وقالت: ٱنزل، فنزلت، فإذا بالسيّدة جالسة على كرسيّ وليس معها إلّا وصِيفتانِ[2] وصاحبتِي، فقبَّلْتُ الأرض وقمتُ بين يديها، فقالت: ٱجلس، فقلت: أنا عبد السيّدة وخادمُها، وليس من محلي أن أجلس بحضرتها، فتأمّلَتْني وقالت: ما اخترتِ يا فلانة إلا حسن الوجه والأدبِ، ونهضت، فجاءتني صاحبتي بعد ساعة، وقالت: أبشر، فقد أذِنَتْ لي في تزويجك، وما بقي الآن عقبة إلا الخروج. فقلت: يسلم الله! فلمّا كان من غَدٍ حملتني في الصندوق، فخرجتُ كما دخلتُ بعد مخاطرة أُخْرى وفزع ثانٍ، ونزلت في المسجد ورجعت إلى منزلي، فتصدّقت، وحمدت الله تعالى على السلامة. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عينًا، وقال: أمرتني ستّي بإنفاذ هذا إليك من مالها. وقالت: اشتر به ثيابًا ومركوبًا وخدمًا، وأصلح به ظاهِرَك، وٱحضر يوم الموكب إلى باب العامَّة، وقِفْ حتّى تُطْلَب. فقد وافَق الخليفة أن يزوّجك بحضرته، فأخذتُ المال وأجبتُ عن رُقْعة كانت معه، واشتريت ما قالوه بشيء يسير منه وبقي الأكثر عندي.

---

(١) رشف الماء ونحوه: مصّه بشفتيه.

(٢) الوصيفة: الخادمة التي تقوم بأمر سيّدتها.

وركبتُ إلى باب العامّة في يوم الموكب بزيّ حسن، وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة، ووقفتُ إلى أن استُدْعِيتُ ودخلتُ. فإذا أنا بالمقتدر جالسًا والقضاة والقوّاد وغيرهم من الهاشميّين، فهِبْتُ المجلس وعُلِّمت كيف أُسَلِّم، ففعلت. وتقدّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لي وزوّجني، وخرجت من حضرته، فلما انتهيت إلى بعض الدهاليز، عُدِل[١] بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفُرُش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش ما لم أرَ مثله قَطُّ، وانصرف من أدخلني، فجلستُ يومي لا أقوم إلّا إلى الصلاة، وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون، وطعام عظيم يُنقل وهم يقولون: الليلة تُزَفّ فلانة (باسم صاحبتي) إلى زوجها البزّاز[٢]، وأنا لا أصدّق فرحًا، فلما جاء الليل أثَّرَ فيّ الجوع وأُقْفِلت الأبوابُ، ويئستُ من الجارية، فقمت أطوف الدار فوقعت على المَطْبَخ. ووجدت الطبّاخين جُلُوسًا فاستطعمتهم فلم يعرِفُوني وقدّروني بعض الوكلاء. فقدّموا إليّ هذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدي بأشنانٍ[٣] كان في المطبخ، وقدّرت أنها قد نقيت، وعدت إلى مكاني. فلما جنّ الليل إذا طبول وزمور وأصوات عظيمة، وإذا أنا بالأبواب قد فُتّحت وصاحبتي قد أُهْدِيت إليّ وجاؤوا بها فجلوها عليّ، وأنا أقدّر أن ذلك في النوم، ثم تُرِكتْ معي في المجلس، وتفرّق ذلك البَوْشُ[٤]، فلما خلونا، تقدّمْتُ إليها فقبلتها وقبّلتني، فلما شَمّت رائحة لحيتي، رفَسَتْني[٥] فرمت بي عن المِنَصّة وقالت: أنكرتُ والله أن تُفْلِح يا عامّي، يا سَفِلة، وقامت لتخرج، فقمت وعَلِقت بها وقبّلتُ الأرض ورجلَيْها، وقلت: عرّفيني ذنبي واعملي بعده ما شئت، فقالت: ويحك، أكلت ولم تغسِلْ يدك! فقصصت عليها قصّتي، فلمّا بلغت إلى آخرها قلتُ: عليّ وعليّ - وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل امرأة أتزوّجها وصدقة مالي وجميع ما أملكه والحجِّ ماشيًا على قدمي وكلِّ ما يحلف به المسلمون - لا أكلتُ بعدها ديكيريكة إلا غسلتُ يدي أربعين مرّة. فاستحيتْ وتبسّمت وصاحت: يا جواري! فجاء مقدار عشر جوارٍ ووصائف، فقالت: هاتوا شيئًا نأكل، فقُدّمتْ ألوان ظريفة وطعام من أطعمة الخلفاء، فأكلنا وغسلنا أيدينا. واستدعت شرابًا فشربْنا وغنّى أولئك الوصائفُ أطيبِ غِناء وأحسنَه، ثم قمنا إلى الفراش فخلوتُ بها وبتُّ بأطيبِ ليلة، ولم نفترق أسبوعًا. وكانت يوم الأسبوع وليمةٌ

---

(١) عُدِل: عُطف وأميل.

(٢) البزّاز: الذي يبيع البزّ، والبزّ نوعٌ من الثياب.

(٣) الأشنان: مفردها شنّ، وهو القِربة الصغيرة، والشّنانة: الماء السائل قطرة قطرة من إناءٍ.

(٤) البَوْش: الجماعة في كثرة واختلاط.

(٥) رفس: دفع بقدمه.

عظيمة اجتمع فيه الجواري، فلمّا كان من الغد، قالت لي: إن دار الخلافة لا تحتمل المُقامَ فيها أكثر من هذا مع جارية غيري، لمحبّة سيّدتي لي، وجميع ما تراه فهو هبة من السيّدة لي. وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر. ولي ذخائر[١] في خارج القصر كثيرةٌ من كل لون، وجميعها لك، فاخرج إلى منزلك، وخذ معك مالًا واشتر دارًا سَرِيَّةً[٢] واسعةَ الصحن[٣]، فيها بستان، كثيرةَ الحُجَر، وتحوّل إليها، وعرفّني لأنقل إليها هذا كلّه، ثم آتيك، وسلّمت إليّ عشرة آلاف دينار عينًا. فخرجت وابتعتُ الدار وكتبتُ إليها بالخبر، فحملت إليّ تلك النعمة بأسرها، فجميع ما أنا فيه منها، فأقامت عندي كذا وكذا سنة أعيش معها عيش الخلفاء، ولم أدع مع ذلك التجارةَ، فزاد مالي وعَظُمت منزلتي وأثْرَتْ حالي، وولدتْ لي هؤلاء الفتيان (وأومأ إلى أولاده)، ثم ماتت رحمها الله وبقي عليّ من مضرَّة الديكيريكة ما شاهدتَه.

وبالجملة فلا يغترّ أحد بهذه الحكاية وأمثالها، فيجهل[٤] بنفسه فيهلكها، «فما المُغَرِّر[٥] محمودٌ وإن سَلِمَا».



وأمّا من كفر بسبب العشق فكثير جدًّا لا ينحصرون، ومما ورد في ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهي مما حكاه ابن الجوزيّ في كتابه المترجم بـ «ذمّ الهوى»، قال:

سمعت شيخنا أبا الحسن عليّ بن عبيد الله الزّاغوني[٦] يحكي أن رجلًا اجتاز بباب امرأة نصرانيّة، فرآها فهَوِيَها من وقته، وزاد الأمر به حتّى غلب على عقله، فحمل إلى البيمارستان[٧]، وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها، ثم زاد الأمر

(١) الذّخائر: مفردها «ذخيرة» وهي ما اذُّخر وحُفِظ لوقت الحاجة.
(٢) السّريّة: أي جيدة حسنة.
(٣) صحن الدّار: ساحتها.
(٤) يجهل بنفسه: يحملها على الجهل ويغرّر بها.
(٥) المغرِّر: الذي يعرّض نفسه للهلكة.
(٦) هو علي بن عبيد الله الزّاغوني، كما ورد في كتاب «ذمّ الهوى ص ٤٥٩»، وقد جرى التصويب بعد أن كان الاسم محرَّفًا بالأصل إلى «الزعفراني»، وعليّ بن عبيد الله، مؤرّخ فقيه من أعيان الحنابلة، ومن أهل بغداد، كان متفنّنًا في علوم شتّى من الأصول والفروع والحديث والوعظ، توفي سنة ١١٣٢ م. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ٣١٠»...
(٧) البيمارستان: المستشفى «فارسي معرّب».

به، فقالت أُمّه لصديقه: إني أجِيء إليه فلا يكلّمني، فقال: تعالي معي، فأتت معه، فقال له: إن صاحبتك بعثت إليك رسالة، قال: كيف؟ قلتُ: هذه أمك تؤدّي رسالتها. فجعلت أمة تحدّثه عنها بشيء من الكذب، ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتي في الدّنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، فقال ذلك ومات.

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها عليلة فجعل يحدّثها، وأخبرها بموت صاحبها، فقالت: أنا ما لقيته في الدُّنيا وأنا أُريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية. فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرجَ، فقال له: قِفْ ساعة، فوقف، فما لبث أن ماتت.

قال: وبلغني عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذّن، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعْرَف بالصلاح)، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذّن، فرأى بنت رجل نصرانيّ كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت له: من أنت؟ قال: أنا صالح المؤذّن. ففتحت له الباب فدخل وضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك، فقالت: لا، إلّا أن تترك دينك، فقال كلمة الكفر وبرىء من الإسلام. ثم تقدّم إليها فقالت: إنما قلتَ هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخِنْزير، فأكل منه، قالت: فاشرب الخمر، فشرب. فلما دبَّ[1] الشرابُ فيه دنا منها فدخلت بيتًا وأغلقت بينها وبينه الباب، وقالت له: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك. فصعد فسقط فمات. فخرجت إليه ولفّته في مِسْح[2]، وجاء أبوها فقصّت عليه القصةَ فأخرجه في الليل ورماه في السكّة[3]. وظهر حديثه، فرُمِي على مَزْبلة.

* * *

وأمّا من قَتَل بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرةً، وأعظمه وأشدّه واقعة عبد الرحمٰن بن مُلْجم المراديّ، لعنه الله.

---

(١) دبّ الشراب: سرى في جسمه وفي عقله فأوهنهما.

(٢) المسح: الكساء من شعر. (٣) السكّة: الطريق.

قال النبيّ ﷺ لابن عمّه عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «يا عليّ أشقى الأوّلين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأوّلين والآخرين قاتلك، وهو هذا»، وأشار إلى ابن ملجم قبّحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته[١] وعذابه، وذلك نكالًا[٢] لما اجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وذلك أنّ ابن ملجم قبّحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطَام، كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأيَ الخوارج، وقد قتل عليّ رضي الله عنه قومها يوم النّهروان. فلما رآها ابن ملجم عَشقها فخطبها فقالت: لا أتزوّجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل عليّ بن أبي طالب. فحمله العشق على أن خسر الدُّنيا والآخرة، وتزوّجها على ذلك. وكان من خبره في قتل عليّ رضي الله عنه ما نذكره إن شاء الله تعالى في التاريخ.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فَلَمْ أَرَ مَهْرًا ساقه ذُو سَماحةٍ ... كمَهْر قَطَامٍ بَيِّنًا غَيْرَ مُعْجَمِ[٣]

ثلاثةُ آلافٍ، وعبدٌ، وقينةٌ ... وضربُ «عليٍّ» بالحُسَام المُصَمِّمِ[٤]

فلا مَهْرَ أغلى من «عليٍّ» وإن عَلَا ... ولا فَتْكَ إلّا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَمِ!

ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه، وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمٰن بن مروان بن عبد الرحمٰن الناصر، ويعرف هذا «بالطليق». كان يتعشّق جارية كان أبوه قد رَبّاها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها، فحمله العشق على أن انتضى[٥] سيفًا ورَصَد أباه في بعض خلواته بها فقتله. فسجنه المنصور بن أبي عامر[٦] سنين، ثم أطلقه. فلُقِّب بـ «الطَّلِيق» واعتراه من ذلك شبه الجنون، فكان يُصْرَع في بعض الأوقات.

* * *

(١) المقت: البغض.

(٢) النكال: العقاب.

(٣) البيّن: الواضح، والمُعجم: المبهم.

(٤) المصمِّم: الذي يمضي إلى العظم.

(٥) انتضى: شهر.

(٦) هو المنصور بن أبي عامر، محمد بن عبد الله المعافرين القحطاني، أمير الأندلس، وأحد الشجعان الدّهاة، وفي عهده تمّت فتوحات كثيرة، وجال المسلمون إلى أن وصلوا إلى جنوب فرنسا، مات في إحدى غزواته بمدينة سالم سنة ١٠٠٢ م. «انظر فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٦».

وأما من قُتل بسبب العشق، فروى عن الشعبيّ قال: دخل عمرو بن معديكِرب[١] على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا عمرو، أخبرني عن أشجع مَن لَقِيت، فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

خرجت مرة أريد الغارة، فبينا أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز[٢]، وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقًا، وهو محتبٍ[٣] بسيف. فقلت له: خذ حِذْرَكَ فإني قاتلك، فقال: ومَنْ أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، فشهق شهقة فمات.

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين.

وخرجت يومًا حتّى انتهيت إلى حيّ، فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز وإذا صاحبه في وهدة[٤] يقضي حاجةً، فقلت: خذ حِذْرك فإني قاتلك، قال: مَنْ أنت؟ قلتُ: أنا عمرو بن معديكرب، قال: أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك، وأنا في بئر، فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حِذري، فأعطيتُه عهدًا أنْ لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره. فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس. فقلتُ له: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم، فتركته ومضيت.

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت!

ثم إني خرجتُ يومًا آخر حتّى انتهيتُ إلى موضع كنت أقطع[٥] فيه، فلم أرَ أحدًا فأجريتُ فرسي يمينًا وشمالاً فظهر لي فارس. فلما دنا مني إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة، فلما قَرُبَ مني سلَّم فرددت عليه وقلت: مَن الفتى؟ قال: أنا الحارث بن سعد، فارس الشهباء[٦]، فقلت له: خذ حِذرك، فإني قاتلك، فقال: الويل لك! مَنْ أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، قال: الحقير الذليل؟ والله ما

---

(١) عمرو بن معديكرب بن ربيعة، فارس اليمن، وصاحب الغارات المعروفة، وفد على المدينة سنة ٩ هـ، فأسلم ومَن معه، شهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، وشهد القادسيّة، يكنّى أبا ثور، أخبار شجاعته كثيرة، وله شعر جيّد، توفي على مقربة من الريّ سنة ٦٤٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨٦».

(٢) المركوز: الثابت المستقرّ.

(٣) المحتبي: المتمنطق.

(٤) الوهدة: الأرض المنخفضة.

(٥) أقطعُ فيه: أي أقطع الطرق وأغير على المارّين فأسلبهم.

(٦) الشّهباء: القطعة العظيمة من الجيش، وهنا الشهباء: الصحراء.

يمنعني من قتلك إلا استصغارُك، فتصاغرت نفسي إليّ وعَظُم عندي ما استقبلني. فقلت له: خذ حَذْرك، فوالله لا ينصرفُ إلا أحدنا، قال: أغرب[١]، ثَكلتْك أُمُك![٢] فإني من أهل بيت ما نَكَلْنا[٣] عن فارس قطّ! فقلتُ: هو الذي تسمع، قال: اختر لنفسك، إما أن تُطْرِد لي[٤]، وإما أن أُطْرِد لك، فاغتنمتها منه، فقلت: أطرد لي، فأطرَدَ وحملتُ عليه، حتى إذا قلتُ إني وضعت الرمح بين كتفيه، إذا هو قد صار حرامًا لفرسه، ثم اتّبعني فقرع بالقناة[٥] رأسي، وقال: يا عمرو، خذها إليك واحدة، فوالله لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتُك، فتصاغرتْ إليّ نفسي، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إليّ مما رأيت، فقلتُ: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اْختر لنفسك، فقلت: أطردْ لي، فأطرد لي. فظننت أني قد تمكّنت منه واتبعته حتّى إذا ظننت أني قد وضعت الرمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار لببًا[٦] لفرسه، ثم اتبعني فقرع رأسي بالقناة، وقال: يا عمرو، خذها إليك اثنتين، فتصاغرتْ إليّ نفسي فقلت: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اْختر لنفسك، فقلت: أطرد لي، فأطرد حتّى إذا قلت إني وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه، فإذا هو على الأرض، فأخطأته ومضيتُ، فاستوى على فرسه واتبعني فقرع بالقناة رأسي، وقال: يا عمرو، خذها إليك ثالثة، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتُك، فقلتُ له: اقتلني، فإن الموت أحبّ إليّ مما أرى بنفسي وأن تسمع فِتيانُ العرب بهذا، فقال: يا عمرو! إنما العفو ثلاث، وإني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك، وأنشأ يقول: [من الرجز]

وَكّـدتُ أغْـلاظًـا مـن الأَيْـمـانِ ... إن عُدْتَ يا عمرو إلى الطِّعَانِ[٧]
لَتـوجَـرَنَّ لَهَـبَ الـسِّـنـانِ ... أوْ لا، فلَسْتُ من بَنِي شَيْبانِ![٨]

فلما قال هكذا، كرهت الموت، وهبتُه هيبة شديدة، وقلت: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قلت: أكون لك صاحبًا، ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين، قال: لست من أصحابي، فكان ذلك والله أشدّ عليّ وأعظم مما صنع. فلم أزل أطلب

(١) أغرب: ابتعد وارتحل.
(٢) ثكلتك أمّك: دعاء عليه بالهلاك.
(٣) نكلنا: جبّنا وتراجعنا.
(٤) أطرد له: فرّ منه كيدًا ثم كرّ عليه.
(٥) القناة: الرّمح.
(٦) اللّبب: ما يشدُّ في صدر الدابة ليمنع تأخّر الرحل أو السّرج.
(٧) وكّد الأيمان الغليظة: أقسم وصمّم أن لا تراجع.
(٨) وجره بالرمح: طعنه.

إليه حتى قال: ويحك، وهل تدري أين أريد؟ قلت: لا، قال: أريد الموت عيانًا[١]، فقلت: رضيت بالموت معك، فقال: أمضِ بنا، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتّى جَنَّنا[٢] الليل وذهب شطره. فوردنا على حيّ من أحياء العرب، فقال لي: يا عمرو في هذا الحيّ الموتُ، ثم أومأ إلى قبّة في الحيّ، فقال: وفي تلك القبّة الموت الأحمر، فإما أن تمسك عليّ فرسي فأنزل فآتي بحاجتي، وإما أن أمسك عليك فرسك فتنزل فتأتيني بحاجتي، فقلت: لا، بل انزل أنت، فأنت أعرف بموضع حاجتك، فرمى إليّ بعَنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له سائسًا[٣]. ثم مضى حتّى دخل القبّة فاستخرج منها جارية لم ترَ عيناي قطّ مثلها حُسْنًا وجمالًا، فحملها على ناقة، ثم قال: يا عمرو، قلتُ: لبّيك، قال: إما أن تحميني وأقود أنا، وإمّا أن أحميك وتقود أنت، قلت: بل تحميني أنت، وأقود أنا، فرمى إليّ بزمام[٤] الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتّى أصبحنا، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبّيك، ما تشاء؟ قال: التفت فانظر هل ترى أحدًا؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالًا، قال: أغذّ[٥] السير، ثم قال لي: يا عمرو، قلت: لبّيك، قال: أنظر، فإن كان القوم قليلًا فالجَلَد والقوّة والموت، وإن كانوا كثيرًا فليسوا بشيء، قال: فالتفتُّ، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغذّ السَّيْرَ، ففعلت، وسمع وَقْع الخيل، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبّيك! قال: كن عن يمين الطّريق، وقِفْ وحوّلْ وُجوه دوابنا إلى الطريق، ففعلتُ، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القومُ منّا، فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابّان، فسلموا فرددنا السلامَ، ووقفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خَلِّ عن الجارية يا ابن أخي، فقال: ما كنتُ لأُخَلِّيها ولا لهذا أَخَذْتُها، فقال لأصغر ابنيه: أُخرج إليه، فخرج وهو يجرّ رمحه وحمل عليه الحارث، وهو يقول: [من الرّجز]

مِنْ دُونِ ما تَرْجُوه خَضْبُ الذابِلِ ... مِن فارِسٍ مستَلْئِم مقاتِلِ[٦]
يُنْمى إلى شَيْبانَ خير وائلِ ... ما كان سَيْري نَحْوَها بباطِلِ![٧]

---

(١) العيان: أي رأي العين. (٢) جنّنا الليل: أخفانا وسترنا.
(٣) السّائس: الذي يخدم الخيل لأصحابها.
(٤) الزّمام: الخيط أو الحبل الذي تقاد به الناقة وغيرها.
(٥) أغذّ السّير: أسرع فيه.
(٦) الذّابل: الرمح، وخضب الذابل: أي أن يقطر الرّمح دمًا.
(٧) يُنمى: يعود في نسبه.

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً دقَّ منها صُلْبه[١]، فسقط ميتاً. فقال الشيخ لابنه الآخر: أُخرج إليه يا بُنَيَّ، فلا خير في الحياة على الذُّلِّ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول: [من الرجز]

لقَدْ رأيتَ كيفَ كانَتْ طَعْنتي! والطَّعْن للقِرْن الشديد هِمَّتِي[٢]
والموتُ خَيْرٌ من فراق خُلَّتي فقَتْلتي اليوم ولا مَذَلَّتِي!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً سقط منها ميتًا. فقال له الشيخ: خَلِّ عن الظعينة[٣] يا ابن أخِي، فإني لستُ كمن رأيتَ، قال: ما كنت لأُخَلِّيهَا ولا لهذا قصدتُ، فقال له الشيخ: اختر يا ابن أخي، فإن شئت طاردتك، وإن شئت نازلتك، فاغتنمها الفتى ونزل، ونزل الشيخ وهو يقول: [من الرجز]

ما أرتَجِي بعد فَناءِ عُمْرِي؟ سأجعلُ السِّنِينَ مثل الشَّهْرِ
شيخٌ يحامي دون بَيْضِ الخِدْر إنَّ استباحَ البيضِ قَصْمُ الظَّهر[٤]
* سوف ترى كيفَ يكونُ صَبْري *

فأقبل الحارث وهو يقول: [من الرجز]

بَعْد ارتحالي وطويلِ سَفَرِي وقد ظَفِرْتُ وشَفَيْتُ صَدْرِي
والموتُ خيرٌ من لِباسِ الغَدْر والعارِ أُهْديه لحَيِّ بكر

ثم دنا فقال له الشيخ: يا ابن أخي، إن شئت نازلتك، وإن بقيت فيك قوّة ضربتني، وإن شئت فاضربني، فإن بقيت فيّ قوّةٌ ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال: وأنا أبدؤك، قال: هات، فرفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضرب بطنَه ضربةً فقدّ مِعَاه[٥]، ووقعت ضربة الحارث في رأسه. فسقطا ميتين، فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلتُ إلى الناقة فعقدت أعنّة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها، فقالت الجارية: يا عمرو، إلى أين؟ ولستَ لي بصاحب، ولستَ كمن رأيت، ولو كنت صاحبي لسلكت

(١) الصُّلب: فقار الظهر.
(٢) القرن: الفارس المثيل لغيره في الشجاعة، والمقاوم.
(٣) الظعينة: المرأة التي في الهودج.
(٤) جمع بيضة وكلمة (بيضة) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية المكنونة في خدرها فيقولون (بَيْضَة خدْر)، والخدر: البيت الساتر للمرأة.
(٥) معاه: من المعي، وجمعه أمعاء، وقدّ: قطع.

سبيلهم! فقلت: اُسكتي، قالت: فإن كنت صادقًا فأعطني سيفًا ورمحًا، فإن غلبتَني فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك، فقلتُ لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفتُ أصلك وجُرأة قومكِ وشجاعَتَهم، فرَمَتْ بنفسها عن البعير وهي تقول: [من الرجز]

أبَعْدَ ما شَيْخِي وبعْدَ إخْوَتِي أطْلُبُ عَيْشًا بَعْدَهُم في لَذَّةِ؟

* هَلْ لا تَكُونُ قبلَ ذَا مَنِيَّتِي؟ *

وأهوت إلى الرُّمح فكادت تنتزعه من يدي، فلما رأيتُ ذلك خِفْتُ إن هي ظَفرت بي أن تقتلني، فقتلتها.

فهذا أشدّ ما رأيته يا أمير المؤمنين.

فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو.

وروى ابن الجوزيّ بسند يرفعه إلى اللّيث بن سعد[١] أنّه قال: أُتي عمر رضي الله عنه بفتًى أمردَ[٢] قد وجد قتيلًا مُلقًى في الطريق، فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف قاتله، فشَقَّ ذلك عليه، وقال: اللّهمّ ظَفِّرني بقاتله. حتَّى إذا كان رأسُ الحول[٣] أو قريب من ذلك، وُجِدَ صبيٌّ مولود مُلْقًى بموضع القتيل فأُتِيَ به عمر، فلما أُتِيَ به وأُخْبِر بمكانه، قال: ظَفِرتُ تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى، فدفع الصبيَّ إلى امرأة، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطاها نفقة. وقال: انظري مَن يأخذه منكِ، فإذا وجدتِ امرأة تقبّله وتضمّه إلى صدرها فأعلميني بمكانها. فلما شبّ الصبيّ جاءت جاريةٌ فقالت للمرأة: إن سيّدتي بعثتني إليك لتبعثي إليها بالصبيّ لتراه وتردّه إليك. قالت: نعم، اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبتْ بالصبيّ والمرأة معها إلى سيّدتها. فلما رأته أخذته فقبّلته وضمَّتْه إلى صدرها، وإذا هي بنت شيخ من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبرتْ عمر خبرها. فاشتمل[٤] على سيفه، ثم أقبل على منزلها، فوجد أباها متكئًا على باب داره، فسلّم عليه، وقال له: أبا فلان، قال: لَبَّيْك، قال: ما فعلت ابنتك

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثًا وفقهًا، أصله من خراسان، ووفاته في القاهرة سنة ٧٩١ م، كان من الكرماء الأجواد، له تصانيف، قال الشافعي: اللّيث أفقه من مالك، إلّا أن أصحابه لم يقوموا به. «فهرس الأعلام ٥/٢٤٨».

(٢) الأمرد: الذي طرّ شاربه، ولم تنبت بعدُ لحيته.

(٣) رأسُ الحول: أوّل العام.

(٤) اشتمل على السّيف: تمنطق به.

فلانة؟ قال: يا أمير المؤمنين، جزاها الله خيرًا، هي من أعرف الناس بحقّ الله تعالى وحقّ أبيها، مع حُسْن صَلَاتها وصيامها والقيام بدِينها، فقال عمر: قد أحببتُ أن أدخل إليها فأزيدَها رغبةً في الخير وأَحُثَّها على ذلك، فقال: جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين، اُمكُثْ مكانك حتّى أعود إليك، فاستأذن بعمر، فلما دخل عمر، أمر من كان عندها بالخروج عنها، فخرجوا. وبقيت هي وعمر ليس معهما ثالث. فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقيني وإلا ضربت عنقك، وكان عمر لا يُكذب، فقالت: على رِسْلك[١] يا أمير المؤمنين، فوالله لأصدُقَنَّك. إن عجوزًا كانت تدخل عليّ فاتّخذتها أُمًّا، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضتْ بذلك حينًا. ثم إنها قالت لي يومًا: يا بنية، إنه قد عرض لي سَفَر، ولي بنت في موضع أتخوّف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببتُ أن أضمّها إليك حتّى أرجع من سفري، فعمدَتْ إلى ابن لها شاب أمرد، فهيّأته كهيئة الجارية وأتتني به لا أشكّ أنه جارية، فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية، حتى أغفلني يومًا وأنا نائمة فما شعرتُ حتى علاني وخالطني[٢]. فمددت يدي إلى شَفْرة[٣] كانت إلى جنبي فقتلتُه، ثم أمرتُ به فأُلقي حيث رأيتَ، فاشتملتُ منه على هذا الصبيّ، فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه. فهذا والله خبرهما، فقال عمر: صدقتِ، بارك الله فيك، ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج، وقال لأبيها: بارك الله لك في ابنتك، فنعم الابنة هي! وقد وعظتها وأمرتها، فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجزاك خيرًا عن رعيّتك.

وروى أيضًا بسنده إلى أبي عباد قال: أدركتُ الخادمَ الذي كان يقوم على رأس الحجّاج[٤]، فقلت له: أخبرني بأعجب شيء رأيتَه من الحجّاج! قال: كان ابن أخيه أميرًا على واسط[٥]، وكان بواسط امرأة يقال لها أَبّة، لم يكن بواسطَ في ذلك الوقت أجملُ منها. فأرسل ابن أخيه إليه يراوِدها عن نفسها مع خادم له. فأبت عليه وقالت:

---

(١) على رسلك: اتّئد ولا تعجل، أي تمهّل. (٢) خالطها: باشرها، وجامعها.

(٣) الشَّفرة: السّكين وغيرها من الحديد المشحوذ.

(٤) الحجّاج: هو الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، أبو محمد، قائد داهية، سفّاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، قدّمه الأمويون، وولّاه عبد الملك بن مروان مكّة والمدينة والطائف والعراق، بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، أخباره كثيرة، مات بواسط سنة ٧١٤ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٦٨».

(٥) واسط: مدينة بناها الحجّاج، وسمّيت واسطًا لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. «انظر معجم البلدان ٥/ ٣٤٧».

إن أردتني فاخطبني إلى إخوتي، وكان لها أربعة إخوة فأبى، وقال: لا، إلا كذا. وعاودها فأبت، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها. وأرسل إليها عشية الجمعة: إني آتيكِ الليلة، فقالت لأُمّها: إن الأمير بعث إليّ بكذا وكذا، فأنكرتْ أمُّها ذلك، وقالت أُمّها لإخوتها: إن أختكم قد زعمت كيت وكيت، فأنكروا ذلك وكذّبوها. فقالت: إنه قد وعدني أن يأتيني الليلةَ، ترَوْنه. قال: فقعد إخوتها في بيت حيَال البيت الذي هي فيه، وجويريةٌ لها على باب الدار تنتظره. فجاء ونزل عن دابّته وقال لغلامه: إذا أذّن المؤذن في الغلس[١]، فأْتني بدابّتي، ودخل والجاريةُ أمامه. فوجد أبّةً على سرير مستلقيةً. فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها، وقال: إلى كم ذا المَطْلُ؟[٢] فقالت له: كفَّ يدك يا فاسقُ، ودخل إخوتها عليها بأيديهم السيوف فقَطَّعوه ثم لفّوه في نطع[٣] وجاؤوا به إلى سكّة من سكك واسط فألقوه فيها. وجاء الغلام بالدابّة فجعل يدُقُّ الباب دقًّا رفيقًا فلا يكلّمه أحد. فلما خَشِي الضوء وأن تعرف الدابةُ انصرف. وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة، فأتوا به الحجّاجَ فأخذ أهل تلك السكة، فقال: أخبروني ما قصّتُه؟ قالوا: لا نعلم حاله، غير أنا وجدناه ملقًى. ففطِن الحجاجُ فقال: عليّ بمن كان يخدمه، فأُتِيَ بذلك الخصيّ الذي كان الرسولَ بينهما، فقالوا: هذا كان صاحبَ سرّه، فقال له الحجّاج: اُصدقني عن خبره وقصّته، فأبى. فقال: إن صدقتني لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقني فعلتُ بك وفعلت. قال: فأخبره الأمر على جهته. فأمر بالمرأة وأُمّها وإخوتها، فجيء بهم، وعُزلت المرأة عنهم. فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصيّ، ثم سأل إخوتها، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا، وقالوا: نحن صنعنا به الذي ترى، فأمر برقيقه[٤] ودوابه للمرأة، فقالت المرأة: هديته عندي، فقال: بارك الله لك فيها، وكثَّرَ في النساء مثلك، هي لك، وما ترك من شيء فهو لك، وقال: مثل هذا لا يُدْفن. فألقَوه للكلاب، ودعا بالخصيّ فقال: أما أنت فقد قلت لك إني لا أضرب عنقك! وأمر بضرب وسطه، فقطع نصفين.

والأخبار في مثل هذا كثيرة، فلا نطوّل بذكرها.

* * *

(١) الغلس: الظلام.

(٢) المطل: التسويف بالوعد وعدم الوفاء به.

(٣) النطع: بساطٌ من الجلد، كثيرًا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(٤) الرقيق: العبيد والمملوك كلّه أو بعضه.

وأمّا من قتله العشق فكثير جدًّا لا يكاد يحصر، روي عن عكرمة[١] قال: إني لَمَعَ ابن عباس[٢] عشيّةَ عرفةَ، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتًى من بني عُذْرة في كساء، وهو ناحل البَدَن، أحلى من رأيت من الفِتْيان، فوضعوه بين يديه ثم قالوا: استشفِ لهذا يا ابن عمّ رسول الله، فقال: وما به؟ فترنّم الفتى بصوت ضعيف خفيّ الأنين، وهو يقول: [من الطويل]

بِنَا من جَوى الأحزان والحُبِّ لَوْعةٌ   تَكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيق تَذُوبُ![٣]
ولكنَّما أبقى حَشاشةَ مُعْوِلٍ   على ما به عُودٌ هناك صَلِيبُ![٤]
وما عَجَبٌ موت المحِبِّينَ في الهَوى   ولكنْ بقاءُ العاشِقِينَ عَجِيب!

قال: ثم حمل فمات في أيديهم، فقال ابن عباس: هذا قتيلُ الحُبّ، لا عَقْلٌ ولا قَوَد[٥].

قال عكرمة: فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلةَ ـ حتى أمسى ـ إلا العافيةَ مما ابتلي به ذلك الفتى.

وروي عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء[٦] قال: حدّثني رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ضالَّة[٧] لي، فبينا أنا أدور في أرض بني عُذْرة أنشُد ضالَّتي، إذا بيتٌ معتزل عن البيوت، وإذا في كِسْر البيت شابٌّ مغمًى عليه، وعند رأسه عجوز لها بَقِيَّة من جمال، وهي ساهيةٌ تنظر إلى وجه الفتى. فسلّمتُ فردَّت السلامَ. فسألتها عن ضالَّتي فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيَّتُها العجوزُ، مَن هذا الفتى؟ قالت: ابني، ثم قالت: هل لك في أجرٍ لا مَؤونةَ فيه؟ فقلت: والله إني

---

(١) عكرمة: لعلّه عكرمة بن خالد المخزومي، محدّث، من الثقات، روى عن أبي هريرة وابن عبّاس وطائفة، مات بمكّة. «انظر الكاشف ٢/ ٢٤٠».

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشميّ، أبو العبّاس، حَبْرُ الأمّة الصحابي الجليل، ولد بمكة، ولازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وسكن في آخر عمره الطائف وتوفي فينة سنة ٦٨٧ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٥».

(٣) الجوى: شدّة الوجد من حزنٍ وعشق، والشّفيق: من الشفقة.

(٤) الحشاشة: بقيّة الروح، والصليب: الشديد القويّ.

(٥) عَقْلٌ: أي عقال وأسر، والقَوَد: قتل القاتل بالقتيل «القصاص».

(٦) هو زبّان بن عمار التميمي، المازني المصري، أبو عمرو، ويلقّب أبوه بالعلاء، من أئمّة اللغة والأدب، وأحد القرّاء السبعة، نشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ٧٧١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٤١».

(٧) الضّالة: التائهة من الحيوانات الأليفة «كالناقة مثلًا».

لأُحبُّ الأجر وإن رُزِئت![١] فقالت: إن ابني هذا يهوى ابنةَ عمّ له عَلِقها وهما صغيران، فلما كَبِر حُجبت عنه، فأخذه شبيهٌ بالجنون. ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوّجها إياه. فنَحِل جسمُ ولدي واصفرّ لونه وذَهَل عقلُه. فلمّا كان منذ خمس، زُفَّت إلى زوجها، فهو كما ترى: لا يأكل ولا يشرب، مغمًى عليه. فلو نزلت إليه فوعظته!

قال: فنزلتُ إليه فلم أدَعْ شيئًا من المَوْعظة إلا وعظته به حتَّى أن قلت له فيما قلت: إنهنّ الغواني صاحباتُ يوسف[٢]، ناقضاتُ العهد، وقد قال فيهن كُثَيِّر عَزَّة: [من البسيط]

هَـلْ وَصْـلُ عَـزَّةَ إلا وَصْـلُ غـانـيـةٍ ... في وَصْلِ غانيةٍ من وَصْلِها خَلَفُ؟[٣]

قال: فرفع رأسه، محمرّةً عيناه كالمُغْضَب، وقال: لستُ ككُثَيِّر عَزَّة! إن كثَيِّرًا رجل مائقٌ[٤]، وأنا رجل وامقٌ[٥]، ولكنّني كأخي تميم حيث يقول: [من الطويل]

أَلَا لا يَضِيرُ الحبُّ ما كان ظاهِرًا ... ولكنَّ ما اخْتافَ الفؤاد يَضِيرُ![٦]

أَلَا قاتلَ اللهُ الهوى كيف قادَنِي ... كما قِيدَ مغلولُ اليدَيْنِ أَسِيرُ!

فقلتُ له: فإنه قد جاء عن نبيّنا ﷺ أنّه قال: «من أُصِيبَ منكم بمِصِيبةٍ فليَذْكُرْ مُصابه بي».

فأنشأ يقول: [من الوافر]

أَلَا مـا لـلمـلـيـحـة لا تَـعُـودُ؟ ... أَبُـخْـلٌ بـالـمَـلِـيـحـةِ أم صُـدُودُ؟

مَـرِضْـتُ فـعـادَنـي أهـلـي جـمـيـعًـا ... فـمـا لَكِ لا نَـرى فـيـمـن يَـعُـودُ!

فـقَـدْتُـكِ بـيـنـهُـمْ فـبـكَـيْـتُ شَـوْقًـا ... وفَـقْـدُ الإلْفِ يـا أمـلـي شَـدِيـدُ![٧]

---

(١) رزئت: أصبت برزية أي مصيبة.
(٢) صاحبات يوسف: يريد يوسف الصدّيق ابن النبيّ يعقوب، ورد ذكره في القرآن الكريم، «سورة يوسف، رقمها ١٢».
(٣) الغانية: المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الزّينة، والغانية: بائعة الهوى.
(٤) المائق: الأحمق. (٥) الوامق: العاشق.
(٦) اختاف: من الخفاء، أي كان باطنًا خفيًّا، ويضير: يضرُّ به.
(٧) الإلف: الأنيس والحبيب.

وما استَنْبَطأْتُ غيْرَكِ فاعلَمِيهِ وحَوْلِي من ذَوِي رَحِمي عَديدُ![١]

ولو كُنْتِ السقيمةَ، كُنْتُ أسعَى إليكِ ولم يُنَهْنِهْنِي الوَعِيدُ![٢]

قال: ثم شَهِق شهقةً وخَفَتَ، فمات. فبكت العجوز وقالت: فاضت والله نفسُه! فدخلني أمر لم يدخلني مثلُه قطّ. فلما رأت العجوزُ ما حلّ بي، قالت: يا فتى لا تُرَعْ! عاش بأَجَلٍ، ومات بقَدَر، وقدم على ربٍّ كريم، واستراح من تباريحِه[٣] وغُصَصه! ثم قالت: هل لك في استكمال الصنيعة؟ قلت: قولي ما أحببتِ! قالت: تأتي البيوت فتنعاه إليهم ليعاوِنُوني على رَمْسه[٤]، فإني وحيدة. قال: فركبت فرسي وقصدت البُيوتَ، وأقبلت أنعاه إليهم، فبينا أنا أنعاه، إذا خيمةٌ رُفع جانبٌ منها، وإذا امرأة قد خرجتْ كأنها القمر ليلة البدر، ناشرةً شعرها، تجرُّ خِمارها، وهي تقول: بِفِيك الكَثْكَثُ![٥] بفيك الحَجَرُ! مَنْ تَنْعى؟ قلت: أنعى فلانًا، قالت: أوَ قد مات؟ قلت: إي والله قد مات! قالت: فهل سمعت له قولًا، قلت: اللّهمّ لا، إلّا شعرًا، قالت: وما هو؟ فأنشدتُها قوله: [من الوافر]

* ألا مـا لـلـمـلـيـحـة لا تـعـود *

الأبيات.

فاستعبرتْ باكيةً وأنشأت تقول: [من الوافر]

عَــدَانِــي أنْ أزُورَك يــا مُــنــايَ مَعَاشِر كُلُّهم واشٍ حَسُودُ![٦]

أشاعُوا ما علِمْتَ من الدَّواهي وعابُونا، وما فِيهِمْ رَشِيدُ!

فأمّا إذ ثَوَيْتَ اليومَ لَحْدًا فكلُّ الناسِ دُورُهُمُ لُحُودُ

فلا طابَتْ ليَ الدُّنيا فُوَاقًا ولا لَهُمُ ولا أَثَري عديدُ![٧]

ثم شهقتْ شهقةً وخرَّتْ مغشيًّا عليها، وخرج النساء من البيوت واضطربت ساعة وماتت، فوالله ما برحتُ حتَّى دفنتهما جميعًا.

---

(١) ذوو الأرحام: القربى.
(٢) ينهنه: يمنع.
(٣) التباريح: الآلام.
(٤) الرّمس: الدفن.
(٥) بفيك الكثكث: يقال في الدّعاء عليه، والكثكث: التراب وفتاة الحجارة، أو التراب عامّة.
(٦) عداني: منعني.
(٧) الفُواق: ما يأخذ المحتَضَر عند النزاع، والفواق هنا: بمعنى العيش.

وروَى السّاجي[١] عن الأصمَعيّ قال: رأيت بالبادية رجلًا قد دقّ عظمه، وضَؤُلَ جسمه، ورقّ جلده، فتعجّبت ودنوت منه أسأله عن حاله، فقالوا: اُذكر له شيئًا من الشعر يكلمْك، فقلتُ: [من الكامل]

سَبَق القضاءُ بأنّني لك عاشِقٌ حتّى المماتِ، فأيْنَ منك مذاهبي؟

فشهق شهقة ظننتُ أن روحه قد فارقته، ثم أنشأ يقول: [من الكامل]

أَخْلُو بذكْرِكِ لا أريدُ محدّثًا وكفى بذكْرِكِ سامِرًا وسُرُورا!

قال: فقلت له: أخبرني عنك! قال: إن كنت تريد علم ذلك فاحملني وألْقني على باب تلك الخيمة! ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه: [من الوافر]

أَلَا ما للمَليحةِ لا تَعُودُ أبُخْلٌ بالمَليحَةِ أم صُدُودُ؟
فلو كُنتِ المريضَةَ كنتُ أسْعَى إليك ولم يُنَهْنِهْنِي الوَعِيدُ؟

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا، وطال ذلك، فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناسُ. فلما خفتُ عليهما الفضيحة، فرّقت بينهما، فإذا هما ميّتان، فما بَرِحْت حتّى صليت عليهما ودُفِنا، فسألت عنهما، فقيل لي: عامرُ بن غالب، وجميلة بنت أميل المُزَنِيّان.

ورَى ابن الجوزيّ بسند يرفعه إلى محمد بن خلف[٢] قال: ذكر بعض الرواة عن العمريّ قال: كان أبو عبد الله الجيشانيّ[٣] يعشَق صفراء العملاقميّة، وكانت سوداء، فاشتكى من حبّها، وضَنى حتّى صار إلى حدّ الموت. فقال بعض أهله لمولاها: لو وجهت صفراء إلى أبي عبد الله الجيشاني، فلعلّه أن يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلتْ عليه قالت له: كيف أصبحتَ يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم تبرحي! قالت: ما تشتهي؟ قال: قُرْبَك! قالت: ما تشتكي؟ قال: حُبَّك! قالت:

---

(١) السّاجي: هو المؤتمن بن أحمد بن عليّ، أبو نصر الربعي، المعروف بالسّاجي، عالمٌ بالحديث، ثقة، له نظم، سكن القدس زمانًا، وتوفي ببغداد سنة ١١١٣ م. «فهرس الأعلام ٧/ ٣١٨».

(٢) هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسّام، أبو بكر، مؤرّخ، مترجم، عالم بالأدب، نسبته إلى المحوّل، وهي قرية غربي بغداد كان يسكنها، له أكثر من خمسين منقولًا من كتب الفرس، وله تصانيف منها: الجلساء والنّدماء والنساء والغزل، ومن غدر وخان، وله شعر، توفي سنة ٩٢١ م. «فهرس الأعلام ٦/ ١١٥».

(٣) في كتاب ذمّ الهوى لابن الجوزي ص ٥٢٠: «أبو عبد الله الحُبشاني».

فتوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصيَ بكِ إن قبلوا مني! فقالت: إني أريد الانصراف! قال: فتعجلي ثوابَ الصلاة عليّ! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء، ومات من ساعته.

وروى أيضًا بسند يرفعه إلى عَوَانة بن الحكم(١) أن عبد الله بن جعفر(٢) وفد إلى عبد الملك بن مَرْوان فحدّثه، قال: اشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم، فوُصِفَتْ ليزيد بن معاوية فأرسل إليّ يقول: إما أن تهديها إليّ، وإما أن تبيعها بحكمك، فكتبت إليه: لا تخرج والله من ملكي ببيع ولا هبة أبدًا. ومكثتْ عندي لا أزداد لها إلا حُبًّا. حتّى أتتني عجوز من عجائزنا، فذكرتْ أن بعض عُزَّاب المدينة يهواها، وأنه يجيء في كل يوم متنكرًا فيقف بالباب حتّى يسمع غِناءها. فراعيتُ مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنّع الرأس حتّى قعد مستخفيًا فدعوت قيِّمة الجارية، فقلت: أنطلقي الساعة فأصلحي هذه الجاريةَ بأحسن ما أمكن، وعجّلي بها، ففعلتْ. فقمتُ وقبضتُ على يدها وفتحتُ الباب وأتيتُ إلى الرجل فحرّكتُه فانتبه مذعورًا. فقلت: لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هي لك، فإذا هممت ببيعها فارددها إليّ، فَدُهِش الفتى. فدنوتُ إلى أذنه فقلت: ويحك، قد أظفرك الله عزّ وجلّ ببُغْيتك، فانصرِفْ إلى منزلك، فإذا الفتى ميّت، فلم أرَ شيئًا قطّ أعجبَ من ذلك، وهانت عليّ الجاريةُ، فكرهتُ أن أُوجّه بها إلى يزيد فيعلم حالها أو تخبره عن نفسها فيحقِد ذلك عليّ. فمكَثَتْ مدّة مديدة ثم ماتت، ولا أظنّها ماتت إلا كمدًا وأسفًا على الفتى.

وروى ابن الجوزي أيضًا بسنده قال: حُكِيَ عن شَبَابة بن الوليد العُذْريّ أن فتًى من بني عُذْرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقًا لابنة عمّ له عشقًا شديدًا، فكان على ذلك مدّةً، ثم إنه فُقِد بضعَ عشرةَ سنةً، لا يُحَسُّ له خبر. قال شبابة: فأضلَلْتُ إبلًا لي، فخرجت في طلبها. فبينا أنا أسير في الرمال إذا بهاتفٍ(٣) يَهْتف بصوت

---

(١) هو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض، من بني كلب، أبو الحكم، مؤرّخ من أهل الكوفة، ضرير، كان عالمًا بالأنساب والشعر، فصيحًا، له كتاب في التاريخ، وسيرة معاوية، توفي سنة ٧٦٤ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٩٣».

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي، صحابي، ولد بأرض الحبشة لمّا هاجر أبواه إليها، وكان كريمًا يُسمى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، مات بالمدينة سنة ٧٠٠ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٧٦».

(٣) الهاتف: الصوت الذي يُسمع ولا يرى صاحبه.

ضعيف: [من البسيط]

يا ابنَ الوليدِ، ألا تَحْمونَ جارَكُمُ ... وتَحْفَظُون له حقَّ القَراباتِ؟
عهدي إذا جارُ قوم نابَهُ حَدَثٌ ... وَقَوْهُ من كلِّ مكروه الملِمَّاتِ!(١)
هذا أبو مالِك المشمى ببَلْقَعةٍ ... من الضِّباع وآسادٍ بغاباتِ!(٢)
طَلِيح شوقٍ، بنار الحبِّ محترقٌ ... تَعتادُه زَفَراتٌ إثْرَ لَوعاتِ!(٣)
أمّا النهار فيُنْضِيهِ تَذكُّرهُ ... والليلُ مرتقبٌ للصبح هل يَاتي(٤)
يَهْذي بجاريةٍ من عُذْرةَ اختلَسَتْ ... فُؤادَه، فهو مِنْها في بَلِيَّاتِ!(٥)

فقلت: دُلَّنِي عليه، رحمك الله! قال: نعم، اقصد الصوت، فقصدته، فسمعت أنينًا من خباء، فإذا قائل يقول: [من الخفيف]

يا رَسيسَ الهوى، أذَبْتَ فُؤادِي ... وحَشَوْتَ الحَشَا عذابًا أليما!(٦)

فدنوت منه فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم! قلت: ما بلغ بك إلى ما أرى؟ قال: حُبِّي سعادَ ابنة أبي الهندَام العذريّ. شكوت يومًا ما أجدُ من حبّها إلى ابن عمّ لنا فاحتملني إلى هذا الوادي، منذ بضع عشرة سنة، يأتيني كل يوم بخبرها ويَقُوتُني من عنده. فقلت: إنّي أصير إلى أهلها فأخبرهم ما رأيت، قال: أنتَ وذاك، قال: فانصرفت فأخبرتهم، فرَقّوا له فزوّجوه بحضرتي. فرجعتُ إليه لأفرّج عنه، فلما أخبرته الخبر، نظر إليّ، ثم تأوّه تأوُّهًا شديدًا بلغ من قلبي، ثم قال: [من البسيط]

ألآنَ إذ حَشْرَجَتْ نفسِي وخامَرَها ... فِراقُ دُنْيا وناداها مُناديها!(٧)

ثم زَفَرَ زَفْرة فمات، فدفنته في موضعه، ثم انصرفت فأخبرتهم الخبر. فأقامت الجارية بعده ثلاثًا لا تَطْعَمُ، ثم ماتت.

---

(١) نابه: أصابه، والحدث: المكروه، والملمّة: النازلة تنزل بالإنسان.
(٢) في كتاب ذمّ الهوى ص ٥٢٦: «هذا أبو مالك المُمْسِي»، والبلقعة: الأرض القفر.
(٣) الطليح: المتعب المهزول.
(٤) في كتاب ذمّ الهوى ص ٥٢٦: «أمّا النهار فيضنيه»، ويُنضي: يُتعب ويهزل.
(٥) يهذي: يردّد القول.
(٦) رسيس الهوى: يريد: الحبّ الثابت، أو الحبّ الأوّل.
(٧) حشرجت النفس: أوشكت أن تموت، وخامرها: راودها.

وحُكِي عن المبرد[١] قال: خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون، فلما قَرُبنا من الرَّقَّة[٢]، إذا نحن بدير كبير، فقال لي بعض أصحابي: مِلْ بنا إلى هذا الدير لننظر مَنْ فيه ونحمد الله تعالى على ما رَزَقنا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مُغَلْغَلين[٣]، وهم في نهاية القَذَارة، فإذا فيهم شابٌّ عليه بقية من ثيابٍ ناعمةٍ، فلما بَصُر بنا قال: مَن أنتم يا فِتيانُ؟ حيّاكم الله! فقلنا: نحن من العراق. فقال: بأبي العراقُ وأهلُها! بالله أنشدوني أو أنشدكم! فقال المبرد: قلت: والله إن الشعر من هذا لَظريف، فقلنا: أنشدنا، فأنشأ يقول: [من الكامل الأحذّ]

اللهُ يَعْلَمُ أنَّني كَمِدُ ... لا أسْتَطِيعُ أبُثُّ ما أجدُ![٤]
رُوحان لي: رُوحٌ تضمَّنها ... بلدٌ وأُخْرى حازها بَلَدُ!
وأرى المقيمةَ ليس يَنْفَعُها ... صَبْرٌ ولا يَقْوى لها جَلَدُ
وأظنُّ غائبتي كشاهِدَتي ... فكأنَّها تجدُ الذي أجدُ!

قال المبرد: بالله زدنا، فأنشأ يقول: [من البسيط]

لَمَّا أناخُوا قُبَيْل الصُّبحِ عِيرَهُمُ ... ورَحَّلُوها فثارَتْ بالهوى الإبلُ[٥]
وقلَّبتْ من خلَال السَّجْف ناظرَها ... تَرنُو إليَّ ودمعُ العينِ مُنهمِلُ[٦]
ووَدَّعتْ ببَنانٍ عقدُها عَنَمٌ ... ناديتُ: لا حَمَلَتْ رِجْلاك يا جَمَلُ![٧]
وَيْلي من البَيْنِ! ماذا حَلَّ بي وبِهَا ... مِنْ نازل البَيْنِ؟ حانَ البَيْنُ فارتَحَلُوا![٨]
يا راحِلَ العِيسِ، عَرِّجْ كَيْ نُودِّعها! ... يا راحِلَ العِيسِ، في تَرْحالك الأجَلُ؟[٩]
إنِّي على العَهْد لم أنقُضْ مودَّتَهم ... يا ليت شِعْرِيَ! بعد العهدِ ما فَعلُوا؟

(١) المُبرّد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العبّاس، إمام العربيّة ببغداد في زمنه، وأحد أئمّة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٨٩٩ م، من كتبه «الكامل». «فهرس الأعلام ٧/ ١٤٤».
(٢) الرّقة: هي مدينة مشهورة على الفرات، معدودة في بلاد الجزيرة لأنّها من جانب الفرات الشرقيّ، ويقال لها: الرقة البيضاء. «انظر معجم البلدان ٣/ ٥٩».
(٣) مغلغلين: أي مقيّدين بالأغلال. (٤) أبثّ: أظهر.
(٥) أناخوا: من أناخ العير، أي أبركها وحطّ عنها رحالها.
(٦) السَّجف: أحد الستّرين المقرونين على الرّحل بينهما فُرجة، وترنو: تنظر.
(٧) البنان: الأصابع، والعنم: نبات أملس دائم الخضرة، أزهاره قرمزية يُتّخذ منها خضاب.
(٨) البَيْن: الفراق.
(٩) العيس: النّوق التي يخالط بياضها شقرة، والأجل: الموت.

قال: فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتُوا! قال: قال: إذَنْ فأموتُ! فقال له: إن شئتَ! فتمطّى واستند إلى السارية التي كان مشدودًا فيها فمات، فما برِحْنا حتّى دفنّاه.

وحكي عن أبي يحيىٰ التيمي، قال: كنّا نختلف إلى أبي مِسْعَر بن كِدَام[(١)]، وكان يختلف معنا فتى من النُّسَّاك، يقال له أبو الحسن، ومعه فتى حسنُ الوجه يفتتِنُ به الناس إذا رأوْه، فأكثر الناسُ القولَ فيه وفي صحبته إيّاه، فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلّمه، فذهَلَ عقله حتّى خيف عليه التلفُ. فلقيته فأخبرته بذلك، فتنفّس الصُّعَداء، ثم أنشأ يقول: [من المنسرح]

يا مَنْ بدائعُ حُسْنِ صُورتِهِ ... تَثْني إليه أعِنَّةَ الحَدقِ![(٢)]
لي مِنْكَ ما للناسِ كُلِّهِم ... نَظَرٌ وتَسْليمٌ على الطُّرُقِ
لكِنَّهمْ سَعِدُوا بأمْنِهِم ... وشَقِيتُ حِينَ أراكَ بالفَرَقِ![(٣)]

ثم صرخ صرخة وشخص[(٤)] بصره نحو السماء وسقط إلى الأرض، فحرّكته فإذا هو ميّت.

وروى ابن الجوزيّ قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطيّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميديّ قال: حدّثني أبو محمد عليّ بن أحمد الفقيه الحافظ قال: حدّثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المَذْحجيّ الأديب[(٥)]، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحويّ في جماعة، أيام الحَدَاثة[(٦)]. وكان معنا أسلَمُ بن سعيد قاضي قضاة الأندلس. قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون. وكان معنا عند ابن خطاب

---

(١) في كتاب ذمّ الهوى ص ٥٣١: «إلى مسعر بن كدام» وهو الصواب، وهو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الروّاسي، أبو سلمة، من رواة الحديث وثقاته، كوفي، كان يقال له «المصحف» لعظم الثقة بما يرويه، توفّي بمكة سنة ٧٦٩ م. «فهرس الأعلام ٧/٢١٦».

(٢) أعنّة الحدق: يريد النظرات التي ترسلها العيون فتكون كالأعنّة، أو الشّباك التي يقع أسرى لها العاشقون.

(٣) الفرق: الخوف.

(٤) شخص: تطلّع ورفع نظره.

(٥) هو محمد بن الحسن المذحجي، أبو عبد الله، المعروف بابن الكتّاني، طبيب أندلسي من أهل قرطبة، له علم بالنجوم والفلسفة، ومشاركة في الأدب والشعر، خدم المنصور بن أبي عامر وابنه المظفّر، له رسائل وكتب توفّي نحو سنة ١٠٣٠ م. «فهرس الأعلام ٦/٨٣».

(٦) الحداثة: سنّ الشباب.

أحمدُ بن كُلَيْب، وكان من أهل الأدب والشعر فاشتدّ كلَفُه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستّرًا بذلك، إلى أن فشت[١] أشعارُه فيه وجرت على الألسنة، وأُنشدت في المحافل.

فلَعَهْدي بعُرس في بعض الشوارع و«البكوريّ» الزامر في وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب في أسلم: [من مجزوء المتقارب]

أَسَـــلَمَـــنِـــي فـــي هَـــوَا ... ه أَسْـلَمُ، هـذا الـرَّشَـا![٢]
غَـــزَالٌ لـــه مُـــقْـــلَةٌ ... يُـصِـيـبُ بـهـا مَـنْ يَـشَـا!
وشـى بـيـنَـنَـا حـاسِـدٌ ... سَـيُـسْـأَلُ عَـمَّـا وَشَـى!
ولَوْ شـاءَ أن يَـرْتَـشِـي ... على الوَصْلِ رُوحي، ٱرْتَشى!

ومغنٍّ محسن يسايره، فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيتَه والجلوسَ على بابه. فكان أحمد بن كليب لا شُغْل له إلا المرور على باب دار أسلم نهارَه كلّه. فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارًا، فإذا صلّى المغرب واختلط الظلام، خرج مستَرْوِحًا[٣]، وجلس على باب داره. فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيّل في بعض الليالي ولبس جُبَّة من جباب أهل البادية، واعتَمَّ بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دَجاجًا وبالأخرى قَفَصًا فيه بيض. وجاء كأنه قدم من بعض الضِّياع، فتقدّم إلى أسلم وقبّل يده، وقد اختلط الظلام، وقال: يا مولاي، مَنْ يَقْبِض هذا؟ فقال له أَسْلَمُ: مَنْ أنت؟ فقال: أجيرُك في الضَّيْعة الفلانية - (وقد كان يعرف أسماء ضِياعِه) - فأمر أسلَمُ غلمانَه بقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين في ضياعهم. ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضَّيعة، فلما جاوبه أنكر الكلامَ فتأمّله فعرفه، فقال له: يا أخي! وإلى هاهنا تتبَعُني؟ أما كفاكَ انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملةً، وعن القُعود على بابي نهارًا حتّى قطعت عليّ جميع ما لي فيه راحةٌ فصرتُ في سِجْنك؟ والله لا فارقتُ بعد هذه الليلة قَعْرَ منزلي، ولا جلستُ بعدها على بابي، لا ليلًا ولا نهارًا، ثم قام. وانصرف أحمد بن كليب حزينًا كئيبًا. قال محمد: واتّصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب: وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال: هات كلَّ ليل قُبلةً في يده، وأخسر أضعاف ذلك! فلما يَئِس من

---

(١) فشت: اشتهرت وشاعت.
(٢) الرّشا: ولد الظبية إذا قوي وتحرّك ومشى مع أمّه.
(٣) مستروحًا: مستريحًا وطالبًا لنسيم الريح.

رؤيته البتّةَ، نهكته العلّة وأضجعه المرض. قال محمد بن الحسن: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعُدْته فوجدته بأسوإ حالٍ، فقلت له: لِمَ لا تَتداوى؟ فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلةَ لهم فيّ البتةَ، فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرةٌ من أسلم! فلو سعيتَ في أن يزورني لأعظم الله جزاءك بذلك، وآجره. قال: فرحمته وتقطّعت نفسي عليه، فنهضت إلى أسلم فاستأذنتُ عليه، فأذن لي وتلقّاني بما يجب، فقلت: لي حاجةٌ، فقال: وما هي؟ قلت: قد علمت ما جمَعَك مع أحمد بن كليب من ذمام[1] الطلب عندي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برّح[2] بي، وشَهَّر أسمي وآذاني. فقلت له: كلّ ذلك يُغتفَر في مثل هذه الحال التي هو فيها، والرجل يموتُ، فتفضّل بعيادته. فقال لي: والله ما أقدِر على ذلك، فلا تكلّفْني هذا! فقلت: لا بدَّ من ذلك فليس عليك فيه شيء، وإنما هي عيادة مَرِيض. قال: ولم أزل به حتّى أجاب، فقلت له: فقم الآن، قال: لستُ والله أفعلُ، ولكن غدًا، فقلت له: ولا خُلْفَ[3]، قال: نعم، فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده فسُرَّ بذلك وارتاحتْ نفسه. فلما كان من الغد بكَّرتُ إلى أسلم، وقلت له: الوعدَ، قال: فوَجِم[4]، وقال: والله لقد تحملني على خُطَّة صَعْبة عليّ، وما أدري كيف أُطيق ذلك؟ فقلت له: لا بدّ أن تفي بوعدك لي، قال: فأخذ رداءه ونهض معي راجلًا، فلما أتينا منزل أحمد وكان يسكن في درب طويل. فعندما توسَّط الزُّقاق وقف واحمرّ وخجل، وقال: يا سيّدي، الساعة والله أموت! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسي! فقلت: لا تفعل بعد أن بلغت المنزل، قال: لا سبيل والله إلى ذلك البتَّةَ! ورجع هاربًا فاتَّبعته وأخذتُ بردائه، فتمادى وتمزّق الرداء وبَقِيتْ قطعة منه في يدي لشدّة إمساكي له. ومضى ولم أُدْركه، فرجعت ودخلت على أحمد، وكان غُلامه قد دخل عليه لما رآنا من أوّل الزقاق مبشّرًا، فلما رآني تغيّر وجهُه وقال: أين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة فاستحال[5] من وقته واختلط[6] وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الاسترجاع[7]. فاستبشعت الحال وجعلت أتوجّع وقمت، فثاب[8] إليه

(١) الذّمام: الحرمة والحقّ والعهد.
(٢) برّح: ألحّ عليه بالأذى.
(٣) الخُلْف: عدم الوفاء بالوعد.
(٤) وجم: سكت على غيظٍ، وقطّب.
(٥) استحال: تغيّر.
(٦) اختلط: أصابه الخبل والهذيان.
(٧) الاسترجاع: أن يقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.
(٨) أثاب إليه ذهنه: رجع إليه عقله.

ذهنُه، وقال لي: يا أبا عبد الله، قلت: نعم، قال: أسمع مني، وأحفظ عَنِّي، وأنشأ يقول: [من مخلّع البسيط]

أسْـلَمُ، يـا راحـةَ الـعَـلـيـل رِفْـقًـا عـلى الـهـائـم الـنَّـحِـيـل!
وصْـلُك أشـهـى إلـى فُـؤادي مـن رحـمـةِ الـخـالِقِ الـجـلِـيـل!

قال: فقلت له: اتّقِ الله، ما هذه العظيمة؟ قال: قد كان، فخرجت عنه فوالله ما توسّطت الزقاقَ حتّى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدّنيا.

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس، وأسلم هذا من بني خالد، وكانت فيهم وزارة وحجابة. وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول الشرح بذكرها.

* * *

وأمّا من قتل نفسه بسبب العشق، فحكي عن عبد الرحمٰن بن إسحٰق القاضي قال: انحدرْتُ من «سُرَّ مَنْ رأى» مع محمد بن إبراهيم أخي إسحٰق[1]، ودجلة تَزْخَر[2] من كثرة مائها. فلما سِرْنا ساعةً، قال: أَرْفُقُوا بنا، ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال: ما ترى في النبيذ؟ قلت له: أعزّ الله الأمير، هذه دِجلة قد جاءت بمدّ عظيم يُرْهَب مثله، وبينك وبين منزلك مَبِيتُ ليلة، فلو شئتَ أخّرته، قال: لا بدّ لي من الشراب، واندفعت مغنيةٌ فغنّتْ، واندفعت أخرى فغنته: [من مجزوء الكامل]

يـا رَحْـمَـتَـا لـلعـاشِـقِـيـنَـا مـا إنْ أرى لَهُـمُ مـعـيـنـا!
كـم يُـشْـتَـمُـون ويُـضْـرَبـو ن ويُـهْـجَـرُون، فـيـصـبِـرُونـا!

فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت: يصنعون هكذا، ورفَعَتِ الستارة وقذفتْ بنفسها في دِجْلَة. وكان بين يدي محمد غلامٌ ذَكَر أنْ شراه ألف دينار، بيده مَذَبَّة[3]، لم أر أحسن منه. فوضع المِذَبَّة من يده وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أنْـتِ الـتـي غَـرَّقْـتِـنِـي بـعـد الـقـضـا، لـو تَـعْـلَمِـينـا!

---

(١) إسحٰق: هو إسحٰق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد بن النّديم، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالمًا باللغة والموسيقى وعلوم الدين، راويًا للشعر، وشاعرًا وحافظًا للأخبار، فارسيُّ الأصل، ولد ببغداد وتوفي فيها سنة ٨٥٠ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٩٢».
(٢) تزخر: تفيض ماء قويًا.
(٣) المذبّة: ما يدفع به الذّباب.

فأراد الملّاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد: دَعُوهما يَغْرَقا إلى لعنة الله! قال: فرأيتهما وقد خرجا معتنقين ثم غَرِقا.

وحُكي عن جميل بن معمر العذريّ أنّه قال: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان فقال لي: يا جميل حدِّثني بعض أحاديثِ بني عذرة، فإنه بلغني أنهم أصحاب أَدَب وغَزَل، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، اّنتجعوا(١) عن حَيِّهم مرة فوجدوا النُّجْعة بموضع نازح(٢) فقطنوه. فخرجت أريدهم، فبينا أنا أسير، غلِطتُ الطريقَ وجنَّ(٣) عليّ الليلُ، فلاح لي باب فقصدته. فوردت على راعٍ في أصل جبل قد ألجأ غنَمَه إلى كهف في الجبل، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، وقال: أحسَبُك قد ضَلَلْتَ الطريق؟ قلت: قد كان ذلك، فأرشِدْني! قال: بل اّنزل حتَّى تُريح ظهرك، وتبيتَ ليلتَك، فإذا أصبحْتَ وقَّفْتك على القصد. فنزلت فرحَّب بي وأكرمني، وعمد إلى شاة فذبحها، وأجّج نارًا، وجعل يَشْوِي ويُلْقِي بين يديّ، ويحدّثني في خلال ذلك. ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهَّد لي جانبًا، ونزل جانبًا خاليًا، فلما كان في الليل سمعتُه يبكي ويشكو إلى شخص. فأرِقْت ليلتي، فلما أصبحت، طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافةُ ثلاثٌ! فأقمت عنده، وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب لي. فإذا هو من بني عُذْرة، من أشرافهم. فقلت: يا هذا، وما الذي أحلَّك هذا الموضعَ؟ فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عمّ له وتهواه، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيَّاها لقِلَّة ذات يده، وأنه زوّجها رجلًا من بني كلاب فخرج بها عن الحيّ وأسكنها في موضعه ذلك، وأنه تنكّر ورَضِي أن يكون راعيًا لتأتِيَه ويراها. وجعل يشكو إليّ صَبابتَه بها وعشقه لها، حتى إذا جنَّنَا الليل وحان وقت مجيئها، جعل يتقلقل(٤) ويقوم ويقعد كالمتوقِّع لها. فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق، وثبت قائمًا وأنشأ يقول: [من البسيط]

مـا بـالُ مَـيَّـةَ لا تـأتـي لِعـادتـهـا! أهاجَهَا طَرَبٌ أم صَدَّهَا شُغُلُ؟(٥)

لـكـنّ قَـلْبِـي لا يُـلْهِـيـهِ غَـيْـرُهُـمُ حَتَّى المَمَات، ولا لي غَيْرُهم أمَلُ!

لو تَعْلَمِينَ الَّذِي بي من فِرَاقِكُم لما اّعتَلَلْت ولا طابَتْ لَكِ العِلَلُ!(٦)

---

(١) انتجعوا: طلبوا النجعة والكلأ. (٢) النّازح: البعيد.
(٣) جنّ الليل: أظلم وستر الناس بظلامه. (٤) يتقلقل: يتحرّك ويضطرب.
(٥) هاجها: أثارها، والطّرب: اللّهو والغناء، وصدّها: صرفها.
(٦) العلل: التشاغل.

رُوحي فِدَاؤُك! قد هَيَّجْتِ لي سَقَمًا ... تَكادُ من حَرِّه الأعضاءُ تَنْفَصِلُ![١]
لـو أن عـادِيَّـهُ مـنِّـي عـلـى جَـبَـلٍ ... لزال وانْهَدّ من أركانِهِ الجبَلُ![٢]

ثم قال: يا أخا بني عذرة، مَكانَكَ حتى أعود إليك! فما أتوَهَّم أن أمْرَ ابنة عَمِّي صحيح! ثم مضى. فما لبث أن أقبل وعلى يده شيء محمول، وقد علا شَهِيقُه ونحيبُه، فقال: يا أخا بني عذرة، هذه ابنة عمي، أرادت أن تأتيني فاعترضها الأسد فأكلها! ثم وضعها عن يده، وقال: على رِسْلِكَ حتَّى أعودَ إليك، ومضى فأبطأ حتى يئستُ من رجوعه، ثم أقبل ورأسُ الأسد على يده، فألقاها وجعل ينكتُ[٣] على أسنان الأسد ويقول: [من الطويل]

ألَا أيُّـهـا الـلّـيـثُ الـمُـخِـيـلُ بـنـفـسـه! ... هَلَكْتَ! لقد جَرَّتْ يداكَ لنا حُزنا![٤]
وغـادَرْتَـنِـي فَـرْدًا وقـد كـنـتُ آلِـفًـا ... وصَيَّرْتَ بطنَ الأرض ثَمَّ لنا سِجْنَا!
أقـولُ لـدَهْـرٍ خـانَـنـي بـفِـراقِـهِ ... معاذَ إلٰهي أنْ أكونَ له خِدْنَا![٥]

ثم قال: يا أخا بني عُذْرة، إنك ستراني بين يديك ميِّتًا! فإذا متُّ فاعمِدْ إليّ وابنة عمِّي، فأدرجنا في كفن واحد، واحفرْ لنا جَدَثًا واحدًا، وادفِنّا فيه، واكتب على قبري هذين البيتين: [من البسيط]

كُنَّا على ظَهْرِهَا، والعَيْشُ في مَهَلٍ! ... والـشَّـمْـلُ يَـجْـمَـعُـنـا والـدارُ والـوطَـنُ
فَـفَـرَّقَ الـدَّهـرُ والـتـصـريـفُ أُلْـفَـتَـنـا ... فصار يجمَعُنا في بَطْنِهَا الكَفَنُ[٦]

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمْه بقصّتنا، ثم عَمَد إلى خِناق فطرحه في عنقه، فناشدته الله تعالى أن لا يفعل، فأبى وجعل يخنُق نفسه حتى سقطَ ميتًا. فكفَّنتهما ودفنتهما في قبرٍ واحد، وكتبت البيتين على قبرهما، وردَدْتُ الغنم إلى صاحبها، وأعلمته بقصتهما فحزِن حُزْنًا شديدًا أشفقتُ منه على نفسه.

(١) حرّه: شدّة حرارته وحرقته.
(٢) عاديّه: الهاء في عادية تعود للسقم، والعاديّ: ما يعودني منه من سقم وحرارة.
(٣) ينكث الأثر: يؤثّر فيها بعود أو نحوه.
(٤) المخيل: المعجب المتكبّر، وجرّت لنا: حملت إلينا.
(٥) الخدن: الصديق.
(٦) التّصريف: من صروف الدّهر، وهي غِيَرُه وأحداثه، وقد ألف ذلك منه لأنّه لم يكن له مواتيًا منذ البداية، والهاء في بطنها يعود إلى الأرض.

ذكر شيء مما ورد في التحذير من فِتنة النساء، وذَمِّ الزِّنى، والنظرِ إلى المُرْدان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبةِ اللّائط

أمّا ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد رُوِيَ عن أبي أُمامة بن يزيد، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما تَرَكْتُ في الناسِ بَعْدِي فِتنةً أضَرَّ على الرجال من النِّساءِ».

وعن أبي سعيد الخدريّ[1] رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله عزّ وجلّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها لِيَنْظُرَ كيف تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدُّنيا واتَّقُوا النساءَ؛ فإن أوّلَ فِتنةِ بني إسرائيل كانتْ في النِّساءِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ على أُمَّتِي النساءُ والخَمْرة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: لم يكُنْ كُفْرُ مَنْ مضى إلّا من قِبَلِ النساء، وهو كائن، كُفْر من بَقِي من قِبَل النساء.

وعن حسان بن عطيّة[2]، قال: ما أُتِيَتْ أمَّةٌ قَطُّ إلا من قِبَلِ نِسائِهم.

وعن سعيد بن المسيّب[3]، قال: ما يَئِسَ الشيطانُ مِنَ ابنِ آدم قطُّ، إلا أتاه مِنْ قِبَلِ النِّساءِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال إبليسُ لربّه عزّ وجلّ: يا رَبِّ قد أُهْبِطَ آدمُ، وقد علمت أن سيكُونُ لهم كِتابٌ ورسل، فما كِتابُهم ورُسُلُهم؟ قال الله عزّ وجلّ: رسلهم الملائكة والنَّبِيُّون مِنهم، وكُتُبُهم التوراةُ والإنجيلُ والزَّبُور والفُرْقان، قال: فما كِتابِي؟ قال: كتابُكَ الوَشْمُ[4]، وقُرْآنُكَ

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابيّ، كان من ملازمي النبيّ ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشر غزوة، توفي في المدينة سنة ٦٩٣ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٨٧».

(٢) هو حسان بن عطية، أبو بكر المحاربي، محدّث ثقة، عابد، نبيل، لكنه قدري المذهب. «الكاشف للذهبي ١/ ١٥٧».

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن الإمام، أبو محمد المخزومي، أحد الأعلام وسيّد التابعين، محدّث ثقة، حجّة، فقيه، رفيع الذّكر، رأس في العلم والعمل، عاش تسعًا وسبعين سنة، مات سنة ٩٤ هـ. «الكاشف ١/ ٢٩٦».

(٤) الوشم: ما يكون من غرز الإبرة في البدن، وذرّ النيلج عليه حتى يزرقّ أثره أو يخضرّ.

الشِّعْر، ورُسُلُك الكَهَنَة، وطعامُك ما لم يُذْكَرِ ٱسمُ الله عليه، وشَرَابُك من كل مُسْكِر، وصِدْقُك الكَذِبُ، وبَيْتُك الحَمَّام، ومَصَايِدُكَ النساءُ، ومُؤذِّنُك المِزْمار، ومَسْجِدُكَ الأسواقُ».

* * *

ومن فتنة النساء، ما رُوِي عن وهب بن منبِّه(١) أن عابدًا كان في بني إسرائيل، وكان من أعْبَد أهل زمانه. وكان في زمانه ثلاثةُ إخوة لهم أختٌ، وكانت بكرًا. فخرج البَعْثُ(٢) عليهم فلم يَدْرُوا عند من يُخَلِّفُون أختهُم، ولا من يَأْمَنُون عليها. فأجمعوا رأيَهُم على أن يُخَلِّفُوها عند العابد. فأتَوْه وسألُوه أن يخَلِّفوها عنده، فأبى ذلك. فلم يزالُوا به حتى قال: أنزلوها في بيتٍ جِوارَ صَوْمَعتِي، فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقُوا وتركُوها. فمكَثَتْ في جِوَار العابد زمانًا يُنْزِل إليها الطعامَ من صومعته فيضَعُه عند باب الصومعة(٣)، ثم يُغْلِق بابه ويَصْعَد صومعتَه، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يُرَغِّبه في الخير ويُعظِّم عنده خروجَ الجارية من بيتها نهارًا، ويخوّفه أن يراها أحدٌ فيَعْلَقَها. فلم يزل به حتّى مشَى بطعامها ووضعه عند باب بيتها، ولا يكلِّمُها. فلَبِث بذلك زمانًا، ثم جاءه إبليس فرَغَّبَه في الخَيْر والأجْر، وقال له: لو كنت تمشِي إليها بطعامها حتّى تضَعَه في بيتها، كان أعظَمَ لأجرك، فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، فلَبِث بذلك زمانًا. ثم جاءه إبليس فرَغَّبه في الخير وحَضَّه عليه، وقال له: لو كنتَ تكلّمها وتحدّثها، فتأنَسَ بحديثك، فإنها قد استوحشتْ وحشةً شديدة، فلم يزل به حتّى حدّثها زمانًا، يطلُعُ إليها من فوق صومعته، ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال له: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدّثها، وتقعد على باب بيتها فتحدّثك، كان آنسَ لها. فلم يزل به حتّى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدّثها، وتخرُج الجارية من بيتها حتّى تقعُد على بابها، فلبثا زمانًا يتحدّثان. ثم جاءه إبليس فرغَّبه في الخير، فقال: لو خرجت من باب صومعتِك فجلستَ قريبًا من بيتها فحدّثتَها، كان آنَسَ لها. فلم يزل به حتى فعل، فلبثا بذلك زمانًا، ثم جاءه إبليس فقال: لو دَنَوْتَ من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدّثتها ولم تتركها

(١) هو وهب بن منبّه الصنعاني، إخباري علّامة، قاصّ، صدوق، صاحب كتب، ولي قضاء صنعاء في آخر خلافة عثمان، مات سنة ١١٤ هـ. «الكاشف ٣/ ٢١٦».

(٢) البعث: أي خروجهم في الجيش الذي بعث، والبعوث: الجيوش.

(٣) الصومعة: مكان للتعبّد يكون بعيدًا عن الناس.

تُبرز[١] وجهها لأحدٍ، كان أحسنَ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدّثها نهاره كلّه. فإذا أمسى صَعِد في صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يُزَيِّنُها له حتّى ضرب العابدُ بيده على فَخِذها وقبّلها. ثم لم يزل يحسنها في عينه ويُسوّل[٢] له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت غلامًا. فجاء إبليس، فقال له: أرأيت إن جاء إخوتُها، وقد ولَدَتْ منك كيف تَصْنَع؟ فاعمِدْ إلى ابنها فاذبحه وادفِنْه، فإنها ستكْتُم ذلك عليك مخافَةَ إخوتها، فقتله. ثم جاءه، فقال: أتُراها تكتُم ما صنعتَ بها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها في الحُفْرة. فمكَثَ ما شاء الله حتى قَفَلَ[٣] إخوتُها من الغزو. فجاؤوه فسألُوه عن أختهم فنعاها لهم وتَرحَّم عليها وبَكَاها، وقال: كانت خَيْر امرأة، وهذا قبرها، فأتى إخوتُها القبْرَ فبَكَوْها وترحَّمُوا عليها، وأقاموا على قبرها أيامًا ثم انصرفوا إلى أهاليهم. قال: فلما جنَّهم الليلُ وأخذوا مضاجِعَهم، أتاهم الشيطانُ في النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وبموتها. فكذَّبهُ الشيطانُ، وقال: لم يَصْدُقْكُم أمْرَ أُختكم، إنه أحبلها وولدتْ منه غلامًا فذبحه وذبحها معه فَرَقًا[٤] منكم، وألقاهما في الحُفْرة خلفَ باب البيت، وأتى الأوسط في منامه، فقال له مثلَ ذلك؛ ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم، استيقظوا متعجّبين لما رآه كلُّ واحدٍ منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيتُ عَجَبًا! وأخبر بعضهم بعضًا بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حُلُمٌ، ليس هذا بشيء، فامضُوا بنا ودَعُوا هذا، فقال أصغرهم: لا أَمْضِي حتى آتِيَ ذلك المكانَ فأنظُرَ فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع، فوجدوا أُخْتَهم وابنَها مذبوحين. فسألُوا عنها العابد، فصدّق قولَ إبليس فيما صنع بهما. فاستَعْدَوْا عليه مَلِكَهم فأُنْزِل من صومعته وقدَّموه لِيَصْلُبوه. فلما أوْثقوه على الخشبة، أتاه الشيطانُ، فقال له: قد علمتَ أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبَلْتها وذبحتها وابنَها، فإن أنت أطعتَني اليوم وكفَرْت بالله الذي خلقك، خلَّصْتك مما أنت فيه، فكَفَر العابدُ بالله. فلما كَفَر، خلَّى الشيطانُ بينه وبين أصحابه فصَلَبُوه. قال وهب: ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: الآيتان ١٦، ١٧].

نسأل الله العافية من فتنتهنّ، ونعوذ به من الشيطان الرجيم.

* * *

(١) تُبرز: تظهر، وتحسُرُ عن وجهها.
(٢) سوّلت له نفسه: حبّبَت إليه الشيء وسهّلته له.
(٣) قفل: عاد، وآب.
(٤) فرقًا: خوفًا.

وأمّا ما جاء في ذمّ الزّنى، فكفى به ذمًّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَسْرِقُ السارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ» الحديث.

وعن عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا أُمَّةَ محمدٍ، ما أَحَدٌ أَغْيَرَ[١] من الله أن يَرَى عَبْدَه أو أمتَهُ تَزْنِي».

وعنه ﷺ أنّه قال: «اشْتدَّ غضَبُ الله تعالى على الزُّناةِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمانَ سِرْبال[٢] يُسَرْبِلُه اللهُ مَنْ يَشَاء، فإذا زنى العبدُ، نُزِع منه سِرْبالُ الإيمانِ، فإذا تاب رُدّ عَلَيْه».

وعنه ﷺ أنّه قال: «ما مِنْ ذنبٍ بعدَ الشِّرْكِ أعظَمَ عند الله من نُطْفةٍ وَضَعَها رجلٌ في رَحِمٍ لا يَحِلُّ له».

وعن أنس[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكُمْ والزِّنى، فإنَّ في الزِّنى سِتَّ خِصَال، ثلاثٌ في الدنيا، وثلاثٌ في الآخرة. فأمّا اللواتي في الدنيا، فذَهَاب نُور الوَجْهِ، وانقطاعُ الرِّزْق، وسُرْعة الفَناء؛ وأمّا اللّواتي في الآخرة، فغَضَبُ الربِّ، وسُوءُ الحِسَاب، والخُلودُ في النار، إلا أن يشاءَ الله تعالى».

وعن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظَمُ؟ قال: «أن تجعَلَ للهِ نِدًّا[٤]، وهو خَلَقَكَ!» قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تَقْتُل ولَدَكَ من أجل أن يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تَزْنِي بحليلةِ جَارِكَ».

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

* * *

---

(١) أغْيَرُ: من الغيرة، وهي شعورٌ بالثورة ينتاب أحد الزوجين أو الحبيبين إذا ما يراه تودّد لآخر.
(٢) السّربال: لباسٌ، كالقميص أو نحوه.
(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاريّ، أبو تمامة أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، محدّث روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا، توفي سنة ٩٣ هـ بالبصرة. «الكاشف ١/٨٨».
(٤) النِدّ: المثل والظهير.

وأمّا ما جاء في النهي عن النظر إلى المُرْدان ومجالستهم، روي عن أبي السائب[١] أنّه قال: لأنَا على القارىء من الغُلام الأمْرِدِ أخوفُ منِّي عليه مِن سَبْعين عَذْراء. وفي لفظ عنه: لأنَا أخوف على عابد من غلامٍ أمردَ من سبعين عَذْرَاء.

وعن سعيد بن المسيّب أنه قال: إذا رأيتم الرجلَ يُلِحُّ[٢] النظر إلى غلام أمرد، فاتَّهِموه.

وكان سفيان الثوريّ رضي الله عنه لا يَدَع أمْرَدَ يجالسه.

وعن يعقوب بن سوال قال: كنّا عند أبي نصر بشر بن الحارث[٣]، فوقفَتْ عليه جاريةٌ ما رأينا أحسَنَ منها، فقالت: يا شيخُ، أين مكانُ باب حَرْب؟ فقال لها: هذا الباب الذي يقال له بابُ حَرْب. ثم جاء بعدها غلام فسأله، فقال له: يا شيخ، أين مكانُ باب حرب؟ فأطرق بشرٌ. فردّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمَّض عينيه، فقلنا للغلام: أيُّ شيءٍ تريد؟ فقال: باب حرب، فقلنا: بين يديك، فلما غاب، قلنا: يا أبا نَصْر، جاءتْك جاريةٌ فأجبتها وكلّمتها، وجاءك غلام فلم تكلّمه؟ فقال: نعم، يروى عن سفيان الثوريّ أنه قال: مع الجارية شيطانٌ، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي من شيطانَيْه.

وعن أبي سعيد الخراز[٤]، قال: رأيت إبليس في النوم، وهو يمرّ عَنِّي ناحية، فقلت: تعالَ، فقال: أيّ شيء أعمل بكم؟ أنتم طَرَحتم عن نفوسكم ما أُخادعُ به الناسَ، قلت: ما هو؟ قال: الدنيا، فلما ولَّى، التفت إليّ فقال: غير أن لي فيكم لطيفةً، قلت: ما هي؟ قال: صحبةُ الأحداث.

---

(١) هو أبو السّائب الأنصاري، مولى هشام بن زهرة، محدّث ثقة، روى عن المغيرة وأبي هريرة، وروى عنه العلاء والزّهري. «الكاشف ٣/ ٢٩٩».

(٢) يلحُّ النظر: يديمه ويطيله.

(٣) هو بشر بن الحارث بن عليّ بن عبد الرحمٰن المروزيّ، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصالحين، له في الزّهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مروٍ، سكن بغداد وتوفّي بها سنة ٨٤١ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٥٤».

(٤) لعلّه أحمد بن الحارث بن المبارك، الخرّاز، مؤرّخ من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها سنة ٨٧٢ م، ذكر له ابن النديم كتبًا منها: الممالك والمسالك، وأسماء الخلفاء، والصحابة، ومغازي البحر في دولة بني هاشم. «فهرس الأعلام ١/ ١٠٩».

وعن مظفر القِرْمسينيّ[١] قال: من صَحِب الأحداث على شَرْط السلامة والنصيحة أدّاه ذلك إلى البلاء؛ فكيف من صَحبهم على غير وجه السَّلامة؟

وقد ذكر أبو الفرج في كتابه المترجم «بذمّ الهوى» من افتتن بالأحداث، وصرّح بأسمائهم، فلم تُؤثر التعرّض لذلك، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساويهم.

* * *

وأمّا ما جاء في التحذير من اللّواط وما ورد في سِحَاق النساء، روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُونٌ ملعونٌ من عَمِلَ بعَمَلِ قومِ لُوطٍ»، وعنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لَعَنَ اللهُ من عَمِلَ عَمَلَ قومِ لُوط».

وعن جابر بن عبد الله[٢]، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أُمَّتي عملُ قوم لُوطٍ». وفي لفظ آخر عنه ﷺ: «إن أخْوفَ ما أخافُ على أُمَّتي من بعدِي عملُ قَوْمِ لوط، ألَا فَلْتَتَرَقَّبْ أُمتي العذابَ إذا كان الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساءِ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظُرُ الله إلى رجل أتى رجُلًا أو امرأة في دُبُرِها».

وعن عبد الله بن عمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يَعْلُ فَحْلٌ فَحْلًا حتّى كان قومُ لُوطٍ، فإذا عَلَا الفحلُ الفحلَ، ارتَجَّ أو اهتَزَّ عرش الرحمٰن عزّ وجلّ، فاطّلعت الملائكة تعظيمًا لفعلهما، فقالوا: يا ربِّ، ألا تأمُر الأرضَ أن تَغُورَ[٣] بهما، وتأمُرُ السماءَ أن تَحْصِبَهما[٤]، فيقول الله تعالى: إنِّي حليم لا يفوتُنِي شيءٌ».

وعن سماك بن حَرْب، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنّه قال: إن الرجلَ ليأتِي الرجلَ فتَضِجُّ الأرضُ من تحتهما، والسماءُ من فوقهما، والبيت

(١) القرميسيني: نسبة إلى قرميسين، وهو تعريب كرمان شاهان، بلدٌ معروف قرب الدّينور، وهي بين همذان وحُلوان على جادة الحاج. «معجم البلدان ٤/ ٣٣٠».
(٢) هو جابر بن عبد الله السّلمي، عقبي، أي ممّن شهد العقبة، روى حوالي ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، مات سنة ٧٨ هـ. «الكاشف ١/ ١٢٢».
(٣) تغور: أي أن تذهب بهما فتنشق وتبتلعهما.
(٤) تحصبهما السّماء: ترجمهما بالشّهب فتحرقهما.

والسقفُ، كلّهم يقولون: أيْ ربِّ، ٱئْذَنْ لنا ينطبِقْ بعضُنا على بعض فنجعَلهم نَكَالًا[١] ومُعتبَرًا، فيقول الله عزّ وجلّ: إنّهم وَسِعَهُم حِلْمِي ولن يَفُوتُونِي.

وكان سفيان الثوريّ رحمه الله يقول: لو أنَّ رجلًا عَبَث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوةَ، لكان لِوَاطًا.

وروى عن مكحول[٢] عن واثلة بنِ الأسقع[٣] أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «سِحَاقُ النساء زنًى بينهن».

* * *

وأمّا ما ورد في عقوبة اللائط والمَلُوط به في الدنيا والآخرة:

أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نصُّ القرآن في قصة قوم لوط، وشَرْح أفعالهم، وما عذّبوا به في آي[٤] كثيرة.

وجاء في الأحاديث النبويّة، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، في عقوبة اللائط والملوط به ما يدلّ على التغليظ والتشديد.

فمن ذلك ما رُوِي عن عكرمة[٥] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيمن عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوط: يُقْتَلُ الفاعلُ والمفعولُ به، وفي لفظ آخر عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ: «ٱقْتُلُوا الفاعلَ والمفعولَ به»، في عَمَل قوم لوط.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بعمل قومِ لُوط فاقتُلُوه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوه يعملُ عملَ قومِ لُوط، فٱرْجُمُوا الأعْلى والأسْفَلَ».

---

(١) النّكال: العقاب.

(٢) مكحول: هو مكحول فقيه الشام، محدّث روى عن عائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٣ هـ. «الكاشف ٣/ ١٥٢».

(٣) هو واثلة بن الأسقع الليثيّ، من أهل الصفة، غزا تبوك، محدّث أخذ عنه مكحول ويونس بن ميسرة، عاش ثمانيًا وتسعين سنة، مات سنة ٨٥ هـ. «الكاشف ٣/ ٢٠٤».

(٤) الآي: جمع آية من آيات القرآن الكريم.

(٥) هو عكرمة بن خالد المخزومي، حدّث عن ابن عباس وأبي هريرة، وعنه قتادة وأيّوب والأوزاعي، مات بعد عطاء بمكّة، من الثقات. «الكاشف ٢/ ٢٤٠».

وعن محمد بن المنكدر(١) أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، أنه وجد رجلًا في بعض الأضاحي ينكح رجلًا كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر رضي الله عنه لذلك أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، فيهم عليّ بن أبي طالب، وقال: إن هذا ذنب لم تعملْ به أمّة إلا أمّة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتُم. أرى أن نُحَرِّقَه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على أن يُحرَّقَ بالنار، فأمر به أبو بكر رضي الله عنه أن يُحَرَّق بالنار، وقد حرّقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك.

- وعن يزيد بن قيس(٢) أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رَجَم لُوطِيًّا.

- وعن سعيد بن زيد(٣) قال: سئل عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما: ما حدّ اللوطيّ؟ قال: ينظر أعلى بيت في القرية فيرمى منكّسًا(٤) ثم يُتْبَع بالحجارة.

وللتابعين ولأئمة العلماء في ذلك أقوال:

فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزّنى، وفرّق بين المُحصن وغير المُحصن.

ومنهم من رأى أن حدّه القتلُ أحصَنَ، أو لم يُحْصِن.

روى سفيان عن جابر عن الشعبيّ(٥) أنّه قال: اللُّوطيّ يرجَمُ، أحْصَن أو لم يُحْصِن.

وعن ابن أبي نجيح عن عطاء(٦) قال: حدُّ اللوطيّ حدُّ الزاني، وإن أحْصَن(٧) رُجِم، وإلا جلد. وبه قال الهيثم(٨).

---

(١) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدير القرشي التيميّ، المدني الزّاهد من رجال الحديث، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، توفي سنة ٧٤٨ م. «فهرس الأعلام ٧/ ١١٢».

(٢) هو يزيد بن قيس، أو قُبَيْس، محدّث ثقة. «الكاشف ٣/ ٢٤٨».

(٣) هو سعيد بن زيد الفزاري، حدّث عن أبيه، وحدّث عنه مسعر وحجاج بن أرطأة، ثقة. «الكاشف ١/ ٢٨٦».

(٤) المنكّس: الذي جعل رأسه إلى أسفل.

(٥) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتّصل بعبد الملك بن مروان، وكان رسوله إلى ملك الرّوم، من رجال الحديث الثقات، مات فجأة بالكوفة سنة ٧٢١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٥١».

(٦) لعلّه عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشيّ، أحد الأعلام عاش ثمانين سنة، مات سنة ١١٤ هـ. «الكاشف ٢/ ٢٣١».

(٧) المحصن: المتزوّج.

(٨) لعله الهيثم بن رافع، حدّث عن عطاء وأبي يحيىٰ المكّي، صدوق. «وانظر الكاشف ٣/ ٢٠٣».

وعن قتادة[١] عن الحسن[٢] أنّه قال في الرجل يخالط الرجل: إن كان أحْصن، جُلد ورُجم؛ وإن كان لم يُحْصِن، جُلد ونُفِي.

وعن مالك بن أنس[٣] عن الزهريّ[٤] قال: يُرْجَم، أحْصن أو لم يُحْصِن.

وعن الطيالسيّ[٥] قال: حدّثنا إسحٰق الكَوْسج[٦]، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أيرجم اللوطي، أحْصَن أو لم يُحْصِن؟ قال: يرجم، أحْصن أو لم يُحْصِن.

وقد روي عن أحمد بن حنبل[٧] أنّ حدّ اللوطيّ كحدّ الزاني، يختلف بالثُّيوبة[٨] والبَكَارة[٩]، وهو قول محمد عن الشافعيّ[١٠].

وقال الحكم[١١]: يُضْرَب اللوطيّ دون الحدّ. قال ابن الجوزيّ: وإلى هذا مال أبو حنيفة[١٢].

---

(١) لعلّه قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي، الأعمى، الحافظ المفسّر، مات كهلًا سنة ١١٨، وقيل ١١٧ هـ. «الكاشف ٢/ ٣٤١».

(٢) لعلّه الحسن البصري، الإمام أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، رفيع الذّكر، كان رأسًا في العمل والعلم، مات في رجب سنة عشر ومائة هـ. «الكاشف ١/ ١٦٠».

(٣) هو مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد الله الإمام، روى عن نافع والزّهري، ولد سنة ٩٣ هـ، وتوفي في ربيع الأوّل سنة ١٧٩ هـ، محدّث ثقة. «الكاشف ٣/ ٩٩».

(٤) الزُّهري: هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهري، من قريش، أبو بكر، أوّل من دوّن الحديث، وأحد كبار الحفّاظ الفقهاء، تابعي من أهل المدينة، مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز وأوّل حدّ فلسطين سنة ٧٤٢ م. «فهرس الأعلام ٧/ ٩٧».

(٥) الطيالسيّ: هو هشام بن عبد الملك الباهلي، أبو الوليد، من كبار حفّاظ الحديث من أهل البصرة، روى عنه البخاري ١٠٧ أحاديث، توفي سنة ٨٤١ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٨٧».

(٦) هو إسحٰق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزيّ، المعروف بالكوسج، فقيه حنبلي من رجال الحديث، من أهل مرو، استوطن نيسابور ومات فيها سنة ٨٦٥ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٩٧».

(٧) هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيبانيّ الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمّة الأربعة، أصله من مرو، من كتبه «المسند»، توفي سنة ٨٥٥ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٠٣».

(٨) الثيوبة: من الثيّب، وهي المتزوّجة التي ليست بكرًا.

(٩) البكارة: التي لم تتزوّج ولم يُدخل عليها.

(١٠) الشافعي: هو محمد بن إدريس الإمام، صاحب المذهب الشافعيّ وأحد الأئمّة الأربعة، ولد في غزة بفلسطين، توفي بالقاهرة سنة ١٩٩ هـ. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٦».

(١١) لعلّه الحكم بن أبان العدني، محدّث ثقة، صاحب سنّة، كان سيّد أهل اليمن، عاش ثمانين سنة مات سنة ١٥٤ هـ، حدّث عن طاوس وعكرمة. «الكاشف ١/ ١٨١».

(١٢) أبو حنيفة: هو النّعمان بن ثابت، صاحب المذهب الحنفي، وأحد الأئمّة الأربعة، قيل: أصله=

وأما مذهب ابن حزم الظاهريّ[١] فإنّه لا يضرب في اللّواط فوقَ عشرة أسواط.

وقال النخعيّ[٢]: لو كان أحد ينبغي أن يُرجم مرّتين، لكان ينبغي أن يُرجم اللوطيّ مرّتين.

وحكى أبو الفرج بن الجوزيّ، قال: أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن عليّ، قال: أخبرنا عليّ بن جعفر الصوفيّ، قال: سمعت الموازيني يقول: قال لي رجل من الحاج: مررت بدار قوم لوط، وأخذتُ حجرًا مما رُجِمُوا به، فطرحته في مخلاة، ودخلت مصر. فنزلت في بعض الدور في الطبقة الوسطى، وكان في سُفْل الدار حَدَثٌ[٣]، فأخرجت الحجر من خُرْجي، ووضعته في رَوْزَنة[٤] في البيت. فدعا الحدث الذي كان في البيت صبيًا إلى عنده واجتمع معه، فسقط الحجر على الحَدَث من الروزنة، فقتله.

وقال أيضًا: أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكيّ، قال: أخبرني جدّي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى[٥] يقول: خرجتُ حاجًا إلى مكّة، فلما كانت ليلةُ عرفاتَ، رأى الإمامُ الذي حَجَّ بنا تلك الليلةَ منامًا. فلما صِرْنا إلى مكّةَ بعد انقضاء الحجّ، سمعنا مناديًا ينادي فوق الحجر: أنصتوا يا معشر الحجيج، فأنصَتَ الخلقُ، فقال: يا معشر الحجيج، إن

= من أهل الفرس، ولد ونشأ بالكوفة حبسه المنصور إلى أن مات سنة ٧٦٧ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٣٦».

(١) هو عليّ بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد، الإمام، عالم الأندلس في عصره، صاحب مذهب وأتباعه يقال لهم: الحزميّة، ولد بقرطبة، توفي في بادية «كَيْلة» من بلاد الأندلس سنة ١٠٦٤ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٥٤».

(٢) لعلّه حفص بن غيّاث بن طلق بن معاوية النخعيّ الأزدي الكوفيّ، أبو عمر، قاضٍ من أهل الكوفة، كان من الفقهاء حفّاظ الحديث الثّقات، وهو صاحب أبي حنيفة، توفي سنة ٨١٠ م.

(٣) الحدث: الغلام الصغير السنّ. (٤) الروزنة: الكوّة غير النافذة.

(٥) هو يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي، من كبار الفقهاء، انتهت إليه رئاسة العلم بمصر، كان عالمًا بالأخبار والحديث، وافر العقل، صحب الشافعي، توفي سنة ٨٧٧ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٢٦١».

إمامكم رأى أن الله عزّ وجلّ قد غفر لكلّ من وافى البيتَ العامَ إلّا رجلًا واحدًا فإنه فَسَق بغلام.

* * *

وأمّا عقوبته في الآخرة، فقد رُوِي عن أبي سلمة[١] عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، قالا: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «مَنْ نَكَحَ امرأةً في دُبُرِها أو غُلامًا أو رَجُلًا، حُشِرَ يوم القيامةِ أَنْتَنَ من الجيفة، يتأذّى به الناسُ حتى يُدْخِلَه الله نارَ جهنّم، ويُحبطُ الله عملَه، ولا يقبَلُ منه صَرْفًا[٢] ولا عَدْلًا[٣]، ويُجعلُ في تابوتٍ من نار، ويُسَمَّر عليه بمساميرَ من حديد من نار، فتشتبك تلك المسامير في وجهه وفي جَسَده»، قال أبو هريرة: وهذا لمن لم يَتُبْ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «سبعةٌ لا ينظرُ الله إليهم يومَ القيامة ولا يُزَكِّيهم ولا يجمَعُهم مع العالمين، يَدْخُلونَ النارَ أوّلَ الداخلين إلّا أن يَتُوبُوا؛ فمن تاب، تاب الله تعالى عليه: الناكح يَدَه، والفاعلُ والمفعولُ به، ومُدْمِنُ خمرٍ، والضاربُ أبوَيْهِ حتى يستغيثا، والمُؤْذِي جيرانَهُ حتى يلعنوه، والناكِحُ حليلةَ جاره».

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللُّوطِيَّان لو اغْتَسَلا بماء البحر، لم يَجْزهما إلا أن يَتُوبَا».

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات من أُمَّتي يعمَلُ عملَ قومِ لُوط، نقلَهُ الله إليهم حتّى يُحْشَر مَعَهم».

قلتُ: وقد بلغني من كثير من الناس أن رجلين مَشَيا على جانب البِرْكة المعروفة ببِرْكة قوم لُوط، وهي في غَوْر[٥] الكرك[٦] على جانبها ضِياعٌ، منها الصافية واللاخية

(١) هو أبو سلمة بن عبد الرحمـٰن، أحد الأئمّة، حدّث عن أبيه عبد الرحمـٰن بن عوف، وعن عائشة وأبي هريرة، توفي سنة ٩٤ هـ، وقيل: ١٠٤ هـ. «الكاشف ٣/ ٣٠٢».
(٢) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. «النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٤».
(٣) العدل: الفدية، وقيل: الفريضة. «النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٤».
(٤) لعلّه عبدالله بن عباس، رضي الله عنه، «تقدّم ذكره».
(٥) الغور: الأرض المنخفضة.
(٦) الكرك: كلمة أعجميّة، وهي اسم لقلعة حصينة جدًا في طرق الشام من نواحي البلقاء في جبالها، بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سنّ جبلٍ عالٍ تحيط بها أودية. «معجم البلدان ٤/ ٤٥٣».

وسويمة وغيرها، وتعرف هذه البركة أيضًا بالمنتنة، ويقال: إنها إحدى المدائن التي خُسِف بها (من مدائن قوم لوط). فجعلا يتباسطان، فكان من جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للآخر فلم ينكره: هذه بركة أصحابِنا، فطلعت من البركة مَوجة اختطفَتْهما معًا، وألقتهما في البركة، فكان آخرَ العهد بهما.

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد، لا ينكرها سامع منهم على قائل، ولا يبعُد أن يُعاقَب مَن تجاهر بمعاصي الله وانتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسولَه أن يعاقبه الله بما عاقبهم به ويلحقه بهم، وفي بعض هذا عبرة لمن اعتبر.

ولنرجع إلى سياق ما جاء في ذلك من الأحاديث والأخبار.

روى أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزيّ بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَبَّل غُلامًا بشهوة، عَذَّبه الله في النار أَلْفَ سنةٍ؛ ومن جامعه لم يَجِدْ رائحةَ الجنّةِ، وريحُها يُوجدُ من مَسيرة خمسمائة عام، إلا أن يَتُوبَ».

وعن خالد عن إسماعيل بن كثير[1] عن مجاهد[2]، قال: لو أن الذي يعمل ذلك العملَ (يعني عمل قوم لوط) اغتسل بكل قَطْرة في السماء وكلِّ قطرة في الأرض، لم يزل نجسًا.

وعن عبَّاد بن الوليد العنبريّ قال: سمعت إبراهيم بن شَمَّاس يقول: سمعت الفُضَيل بن عياض[3] يقول: لو أنَّ لُوطِيًّا اغتسل بكل قَطْرة من السماء، لقَى الله تعالى غير طاهر.

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبي المنيب عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: يُحْشَر اللوطيون يوم القيامة في صورة القِرَدة والخنازيرِ.

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ، صاحب «البداية والنهاية»، ولد سنة إحدى وسبعمائة هجرية، وقريته «مجدل» من أعمال «بصرى» مسقط رأسه، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ، ودفن بمقرّ الصوفيّة، خارج باب النصر بدمشق. «الدّرر الكامنة ١/ ٣٧٧ ـ ٣٩٩».

(٢) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج المكي، تابعي، مفسّر، من أهل مكّة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسّرين، أخذ التفسير عن ابن عبّاس، مات سنة ٧٢٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٧٨».

(٣) هو الفُضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكّي، من أكابر العبّاد الصالحين، كان ثقة في الحديث، ولد في سمرقند، وأصله من الكوفة، سكن مكّة وتوفي بها سنة ٨٠٣ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٥٣».

وعن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير[١] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: مَن خرج من الدنيا على حالٍ، خرج من قَبْره على تلك الحال، حتى إن اللوطيّ يخرج يعلق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

هذا ما أمكن إيراده في هذا الفصل على سبيل الاختصار والإيجاز، وإلا فالأخبار في العشق وتوابعه وما يتولّد عنه كثيرة جدًّا، ووقفنا منها على كثير، ولا يحتمل أن يُورد في الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثرُ مما أوردناه. فلنذكر الآن نبذة ممّا قيل في الغزل والنسيب.

ذكر نبذة مما قيل في الغَزَل والنسيب

هذا الباب ـ أكرمك الله وعافاك، ووقاك من فتنته وكفاك ـ بابٌ متّسع، قد أكثر الشعراء القول فيه، وتنوّعوا في أساليبه ومعانيه، لو استقصيناه لطال به هذا التصنيف، وانبسط هذا التأليف؛ وكان بمفرده كُتُبًا مبسوطة وأسفارًا كبيرة، فلخصنا منه دررًا نفيسة وأعلاقًا[٢] خطيرة، واقتصرنا منه على ما رَقَّ معناه وراق[٣]، وحَسُن لفظه وشاق، وارتاحت إليه النفوس، وتحلّت به الطروس[٤]، ولمَحَته النواظر، وانجذبت إليه الخواطر[٥]، وقد تنوّع الشعراء في الغَزَل، فتغزَّلوا في المحبوب باسمه، وكَنَوْا عنه واستعاروا له، ووصفُوا أعضاءه وشبّهوها بأشياء، فشبّهوا العيون بالنَّرْجِس، وأفعالَها بالخمر والسِّهام، وشبَّهوا الحواجب بالقِسِيّ[٦]، والجبين بالصَّباح، والشُّعور بالليالي، والسَّوالف بالغَوالي[٧] والصوالج[٨] والعقارب؛ وشبّهوا الوجه بالشمس والقمر؛ وشبّهوا الخدود بالورد والتُّفّاح؛ وشبَّهوا الثُّغور بالأُقْحُوان، واللّمى[٩]

(١) هو سعيد بن جبير الوالبي، أحد الأعلام، قتل شهيدًا في شعبان سنة ٩٥ هـ، قتله الحجّاج بسبب خروجه مع ابن الأشعث. «الكاشف ١/ ٢٨٢».

(٢) العِلق: النفيس من كلّ شيء. (٣) راقَ: خَلُص وحَسُن.

(٤) الطروس: الصحائف.

(٥) الخواطر: مفردها الخاطرة، وهي القلب أو النفس «على المجاز».

(٦) القسيّ: مفردها قوس، آلة على شكل الهلال ترمى بها السّهام.

(٧) الغوالي: أخلاط الطيب.

(٨) الصوالج: مفردها الصولجان، عصا معقوفة يضرب بها الفرس كرة في رياضة خاصة.

(٩) اللّمى: سمرة مستحبّة في الشّفاه.

بالخَمْر، والريق بالشّهد، والشِّفَاهَ بالعقيق، والأسنان باللُّؤلؤ؛ وشبّهوا النُّهود بالرُّمّان، والقَوَام بالغُصون، والأرداف بالكُثْبان، وغير ذلك. وقد تقدّم إيراد ذلك كلّه مستوفًى في موضعه، وهو في الباب الذي قبل هذا الباب.

وتغزّلوا أيضًا في أصناف الفواكه المأكُولة والمشمومة؛ وتغزّلوا في الرياض والأزهار.

وسنورد إن شاء الله ذلك في موضعه، وهو في القسم الثاني والثالث والرابع من الفنّ الرابع من كتابنا هذا، في السفر العاشر من هذه النسخة.

فلنورد الآن هٰهنا من باب الغزل والنسيب خلافَ ما قدّمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى.

والذي نورده في هذا الباب نبذة مما قيل في المذكّر، والمؤنّث، والمُطْلق[١]، والمشتَرَك، وطَيْف[٢] الخيال، والردّ على العَذُول، ورُجُوع العذول، والوِصال، والفراق، والبَيْن، والتوديع، والصدّ، والهِجْران، وما قيل في الزيارة وتخفيفها، وموانعها، والمدامع، والرّضا من المحبوب باليسير، والنُّحول؛ وما قيل في المحبوب إذا اعتلّ، وما قيل على لسان الورقاء[٣]، والمراجعات[٤]، والمردوف[٥]، والجناس[٦]، والمُوشَّحات[٧].

* * *

---

(١) المُطْلق: الذي لا يشترك مع شيء آخر.
(٢) طيف الخيال: ما يصوّره الخيال في أحلام اليقظة والنّوم.
(٣) الورقاء: الحمامة. (٤) المراجعات: المحاورات.
(٥) المردوف: لعلّه يريد الرّدف في الشعر، وهو حرف ليّن قبل الروي، أو هو المتبّع من كل شيء.
(٦) الجناس: من فنون البديع اللفظيّة «وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في حروفها وليس في معناها».
(٧) الموشّحات: نمط من الشعر نشأ في الأندلس، وذاع فيها، حافظ على العروض العربي إجمالًا، وخرج إلى أعاريض جديدة أحيانًا، ولكنّه في كلتا الحالتين نهج في التأليف نهجًا جديدًا قائمًا على المبالغة في الرقّة والموسيقى والتزويق والسهولة، وفي الشكل استخدم القِفل والدّور واللازمة، واختلف بذلك عن شكل القصيدة العربية التقليدي، وقد استعيرت الكلمة من «الوشاح».

فممّا قيل في المذكر:

قال العماد الأصفهانيّ الكاتب: [من المتقارب]

وأحْوَرَ يَسْبِي بِطَرْفٍ يكِلّ ... وتَخْجَلُ منه الظُّبا والظِّباءُ[(١)]
بخدَّيه من حُسْنِه والشبابْ ... تَجَمَّعَ ضِدّان: نارٌ وماءْ
وفي مُقْلتيه وقد صَحَّتا ... كما صَحَتَا سَقَمٌ وانتشاءُ[(٢)]
عَفَفْتُ وعِفْتُ الحَيَا في هوا ... ه حتّى استوى صَدُّه واللِّقاءُ![(٣)]
وكلُّ حياءٍ يَذُود العَفَا ... فَ عن وُدِّه، فعليه العَفَاءُ![(٤)]

وقال آخر: [من الكامل]

وكأنَّ بهجةَ وجهِهِ في شَعرِه ... قمرٌ بَدَا في لَيْلةٍ لَيْلاءِ[(٥)]
وكأنّ عَقْربَ صُدْغِهِ في خَدِّه ... وقَفَتْ مخافَةَ نارِهِ والماءِ
قمرٌ رجوتُ من الزمانِ وِصالَهُ ... يومًا، فأخلَفَ بالصُّدود رَجَائي!

وقال عبد الجليل بن وهبون[(٦)]: [من مخلّع البسيط]

وافَتْ به غَفلةُ الرَّقِيبِ ... والنجمُ قد مالَ للغُرُوب[(٧)]
نَشْوان قد هَزَّت الحُميَّا ... منه قَضِيبًا على كَثِيبِ[(٨)]
يَعْثُرُ في ذيله فيَحْكِي ... عَثْرةَ عينيه في القُلُوبِ!
واللهِ لو نالَتِ الثُّرَيَّا ... ما نال من بَهْجَةٍ وطِيبِ
دَنَا إليها الهلال حتّى ... قَبَّل في كَفِّها الخَضيبِ!

وقال ابن حجّاج: [من الكامل]

ومُدَلَّلٍ! أما القضيبُ فقَدُّه ... شَكْلًا وأمّا رِدفُه فكَثِيبُ!

---

(١) يكلّ: يفتر ويضعف، الظُّبا: مفردها ظبة، وهي حدّ السيف والسّنان وما شابههما، والظِّباء: الغزلان، وفي الكلام جناس تامّ بين «الظُّبا والظِّباء».
(٢) صحَّتا: سلمتا كل من كل عيب، وصَحَتا: من الصّحوة: الانتباه، وفي الكلام جناس تامّ.
(٣) عاف الهوى: تذمّر منه وكرهه. (٤) العفاء: الإمّحاء والزوال.
(٥) الليلاء: الشديدة الظلام.
(٦) هو عبد الجليل بن وهبون، أبو محمد الأندلسيّ، ولد في مرسية وكان يتردّد على المعتمد بن عبّاد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية، وقد رثا ابن عمّار لما قتله المعتمد.
(٧) وافت به: أتت. (٨) الحميّا: الخمر وتأثيرها.

يَمْشِي وقد فَعَلَ الصَّبا بقَوامِهِ فِعْلَ الصَّبا بالغُصْنِ، وهو رَطيبُ[١]
مُتَلَوِّن يُبدي ويُخفِي شَخْصَه كالبَدْرِ يطلُع تارةً ويغِيبُ
أرْمِي مَقاتِلَه فتُخْطِئُ أسْهُمِي غَرضِي، ويَرْمِي مُهْجَتي فيُصيبُ!
نفسي فِداؤُكَ! إنَّ نَفْسِي لم تَزَلْ يَحْلُو فِداؤُكَ عندها ويَطِيبُ!
ما لِي وما لَكَ لا أراكَ تَزُورُني إلّا ودُونَكَ كاشِحٌ ورقِيبُ![٢]

وقال أبو نُوَاس: [من الوافر]

شَبِيهٌ بالقَضِيبِ وبالكَثِيبِ! غريبُ الحسنِ ذُو دَلٍّ غَرِيبِ![٣]
بعيدٌ، إن نظَرْتَ إليه يومًا رجعْتَ وأنت ذُو أجلٍ قَريبِ!
تَرى للصَّمْتِ والحَركات فيه سُوَامًا لا يُذَادُ عن القُلوبِ[٤]
ويمتحنُ القلوبَ بمقلتَيْه فينكشفُ البريءُ من المُريب![٥]

وقال أبو الوأواء الدمشقي[٦]: [من مجزوء الكامل]

بَدْرٌ تَقَنَّع بالظَّلا م على قَضِيبٍ في كَثِيبِ!
تَدْعُو محاسِنُه القلو بَ إلى مُشافَهةِ الذُّنوبِ
فعلَتْ به ريحُ الصَّبا ما ليس تَفْعل بالقَضيبِ
عُقِلَتْ ركائبُ حُسْنِه بعقُولنا عند المَغِيبِ[٧]
وتلطَّمتْ وجَناتُنا بيد الدُّموع من النَّحِيبِ!

---

(١) الصِّبا: الشّباب، والصَّبا: ريحٌ باردة، وفي الكلام جناس تامّ.
(٢) الكاشح: العدو المبغض، والرّقيب: الحارس والمراقب.
(٣) الدلّ: الدلال والغنج.
(٤) السّوام: اللحوم، وسام الطائر على الشيء: حام، وسامت الرّيح: مرّت واستمرّت.
(٥) المريب: الذي في أمره شك واتّهام.
(٦) الوأواء الدمشقي: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسّاني، الملقّب بالوأواء، كان مناديًا في دار البطيخ بدمشق، ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «اليتيمة ١/ ٢٧٢».
(٧) عقلت: ربطت بالعقال.

وقال الأمير تاج الملوك بن أيّوب[١]: [من الكامل]

سَلَبَ الفؤادَ فلا عَدِمْتُ السالبا! ... وَرَنا، فكان اللحظُ سَهْمًا صَائِبا![٢]
قمرٌ مَشَارِقُه الجيوبُ، فلا تَرى ... أبدًا له إلا القُلوبَ مَغَارِبَا![٣]
مَلَكَ الفؤادَ بمقلتين وحاجبٍ ... أمسى لحُسْن الصبر عَنِّي حاجِبَا
وحكى القضيبَ شمائلًا عَبَثَتْ به ... أيدي النَّسيم شمائِلًا وجَنَائِبا!

وقال أيضًا: [من مجزوء الرّجز]

يا أيُّها البدرُ الَّذِي ... مَطْلَعُهُ طَوْقُ القَبَا![٤]
يا جَنَّةَ القلب الَّذِي ... أضْرَمَ فيه لَهَبَا!
فَدَّيتُ هذا الوجهَ، ما ... أَحْسَنَه وأعجبا!
لم تَرَ عيني قَبْله ... صُبْحًا تردَّى غَيْهبا![٥]

وقال أبو نُوَاس: [من المجتثّ]

يا بِدْعةً في مِثَالِ ... يَجُوزُ حدَّ الصِّفات!
فالوجهُ بدرُ تَمامٍ ... بعَيْنِ ظَبْيِ فَلاةٍ!
والقَدّ قدُّ غُلامٍ ... والغَنْج غَنْج فَتاة!
مذكَّر حين يبدُو ... مؤنَّثُ الخَلَواتِ!
زَهَا عَلَيَّ بصُدْغٍ ... مُزَرْفَنِ الحَلَقات[٦]!
مِنْ فوق خَدٍّ أسِيلٍ ... يُضيءُ في الظُّلُماتِ![٧]

---

(١) تاج الملوك بن أيوب: هو أبو سعيد بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملقب مجد الدين، أخو السلطان صلاح الدين، وكان أصغر أولاد أبيه، له ديوان شعر فيه الغثُّ والسمين... «وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠».

(٢) رنا: أدام النظر في سكون طرف.

(٣) الجيوب: جيب القميص: ما يدخل منه الرأس عند لبسه.

(٤) القبا: ثوب يلبس فوق الثياب، والطّوق: ما يحيط بالعنق من الثوب أو القميص.

(٥) تردّى: لبس، والغيهب: شدّة الظلام من الليل.

(٦) زها: افتخر، والمزرفن: شبيه بحلقة الباب، الزُّفين والزّنين فارسي معرّب، وقد زرفن صُدغه: كلمة مولّدة «اللسان مادة زرفن».

(٧) الأسيل: الناعم الرقيق.

وقال كُشاجم[١]: [من السريع]

مُـعْـتَـدلٌ مـن كُـلّ أعـطـافِـه! مُسْتَحْسَنُ الإقبال والمُلْتَفَتْ!
لـو قـيـسـتِ الـدُّنـيـا ولَذَّاتُـهـا بـسـاعـةٍ مـن وصـلـه، مـا وفَـتْ!
سُـلِّطـت الألـحـاظُ مـنـه عـلى قلبي؛ فلو أوْدَتْ به ما اشْتَفَتْ![٢]
واستـعـذَبَـتْ رُوحِي هـواه فـمـا تسلُو ولا تَصْحُو، ولـو أُتْلِفَتْ!

وقال فضل الرَّقَاشيّ[٣]: [من البسيط]

وشـاطـرٍ فـاتـكِ الـشَّـمـائِلِ قَـدْ خـالَطَ منه المُجونُ تَخْنِيثَا[٤]
تـراه طَـوْرًا مـذَكَّـرًا؛ فـإذَا عـاقـرَ راحًـا، رأيـتَ تَـأْنِـيـثَـا[٥]
ألْثَغُ إن قـلـت يـا فـديـتـك: قُـلْ مُوسى، يقُلْ من رُطوبة: مُوثَا[٦]
ما زال حتّى الصباحِ معتنقِي مُطارِحي في الدُّجى الأحادِيثَا

وقال كُشاجم: [من الوافر]

بـلـيـتُ بـوَجْـدَيْـنِ وَجْـدِي بـظَـبْـيٍ يَـصُـدّ، ومـا بـه إلا لَـجَـاجُ[٧]
وعـذَّبَـنِـي قـضـيـبٌ فـي كَـثِـيـبٍ تَـسَـاوى فـيـه لِـيـنٌ وانْـدِمَـاجُ
أغـارُ إذا دَنَـتْ مِـنْ فـيـه كـاسٌ عـلى دُرٍّ يُـقَـبِّـلُه زُجَـاجُ

(١) كشاجم: هو محمود بن الحسين، أبو الفتح، أديب شاعر، كان يعمل في بلاط سيف الدّولة الحمداني، وله ديوان شعر، اهتمّ بنسخه ابن الرّفاء، وهو من أهل الرّملة بفلسطين، توفي سنة ٩٧٠ م. «فهرس الأعلام ٧/ ١٦٧».
(٢) أودت به: ذهبت به إلى الهلاك.
(٣) فضل الرقاشي: هو الفضل بن عبد الصمد البصري، أبو العبّاس، شاعر مجيد من أهل البصرة، مدح الخلفاء وانقطع إلى البرامكة ورثاهم بعد نكبتهم، وكان متهتّكًا خليعًا، توفي نحو سنة ٨١٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٥٠».
(٤) الشّاطر: المتّصف بالدّهاء والحنكة، والشّمائل: الطّباع، والمجون: المزاح وقلّة الحياء، والتخنيث: من الخنث: وهو من فيه لين النّساء وتثنّيهن.
(٥) عاقر الراح: شرب الخمرة.
(٦) الألثغ: من كان في لسانه لثغة، وهو أن يحوّل نطق الحرف إلى حرفٍ آخر، كالشّين يلفظها سينًا.
(٧) كذا في الأصول، إلّا أن صدر البيت مخالف للوزن الشعري، والذي هو في ديوان كشاجم: «بليت ولجّ بي وجد بظبيٍ» وهو الصواب، واللّجاج: التمادي في الخصومة.

وقال أيضًا: [من المديد]

يـا لَقَـومـي! مَـنْ لـمُـكْـتَـئِبِ دَمْـعُـه فـي الـخَـدِّ مُـنْـسَـفِـحُ؟[١]
لامَـــهُ الـــعُـــذَّال فـــي رَشَـــإٍ عُـــذْرُه مـــن مِـــثْـــلِهِ يَـــضِـــحُ[٢]
وٱدّعَـوْا نُـصْـحِـي! وأخْـوَنُ مـا كـان عُـذَّالـي إذا نَـصَـحُـوا!
خـوّفُـونـي مـن فَـضِـيـحَـتِـهِ لَـيْـتَـه وافـى وأفْـتَـضِـحُ!
كَـيْـفَ يَـسْـلُو الـقَـلْبُ عن غُـصُـنٍ عَـلَّـه مـن مـائِه الـمَـرِح؟
ذَهَـبِـيُّ الـحُـسْـن تـحـسَـبُ من وجـنَـتَـيْـهِ الـنـارَ تَـقْـتَـدَحُ!
وكـأنَّ الـشـمـسَ نِـيـطَ لـهـا قـمـرٌ، يُـمـنـاه والـقَـدَحُ[٣]
صَـدّ أنْ مـازَحْـتـه غَـضَـبًـا! مـا عـلى الأحـبـاب إن مَزَحُـوا؟
وهـو لا يـدري لـنَـخْـوَتِـهِ أنّـنـا فـي الـنَّـوْم نَـصْـطَـلِحُ!
ثُـمَّ لا أنـسـى مـقـالَـتَـهُ أطُـفَـيْـلِـيٌّ ومُـقْـتَـرِح؟[٤]

وقال تاج الملوك ابن أيّوب: [من مخلّع البسيط]

فَـدَيْـتُ وجـهَ الـحـبـيـبِ بَـدْرا! والـبَـدْرُ يُـفْـدِي، ولـيـس يَـفْـدِي!
سَـبـى فُـؤادِي بـلَـيْـلِ شَـعـرٍ وصُـبْـحِ وجـهٍ وغُـصْـنِ قَـدِّ
فـي فَـمِـهِ عَـنْـبَـرٌ مُـدَافٌ فـي قَـهْـوَةٍ خُـولِطَـتْ بـشَـهْـدِ[٥]
كـأنَّـمـا خَـدُّه شـقـيـقٌ نُـقِّـطَ مِـنْ خـالِهِ بـنَـدٍّ[٦]
ظَـبْـيٌ مـن الـتُّـرك ذُو دَلَالٍ يَـسْـتَـحْـسِنُ الـجـورَ والـتَـعَـدّي
كـأنَّـهُ غُـصْـنُ خَـيْـزُرَانٍ إذا ٱنْـثَـنَـى أو قَـضِـيـبُ رَنْـدِ[٧]
يَـحُـلُّ فـي الـحُـبِّ عَـقْـد صَـبْـرِي إن شَـدَّ فـي الخَصْر عَقْد بَنْدا![٨]

(١) يا لَقومي: الياء حرف نداء للاستغاثة، وتكون اللّام بعد الاستغاثة مفتوحة كما هو الحال هنا، وكقولنا: يا لَلْحاكم العادل. والمنسفح: المصبوب.
(٢) العذّال: اللّائمين، والرشأ: الغزال، ويضِح: ينجلي ويظهر.
(٣) نيط لها: علق بها.
(٤) الطّفيلي: المتطفّل الذي يدخل دون دعوة، والمقترح: المبتدع دون أن يعلم الأمر من غيره، أي أنّه يتدخل فيما لا يخصّه دون علم.
(٥) المداف: المخلوط، والقهوة: الخمرة.
(٦) الشقيق: وردّ الشقيق، والنّد: عودٌ يتبخّر به، والخال: شامة سوداء في الوجه أو في البدن.
(٧) الرّند: شجرٌ طيّب الرائحة، والخيزران: شجرٌ قضبانه ليّنه تنثني دون أن تنكسر.
(٨) البند: القيد.

وقال أبو نُواس: [من المتقارب]

أيا مَنْ بحُبِّي عَليّ اُجترى؟ ... ومَنْ بلساني عليّ اُفترى؟
ومَنْ بِيَدي غَلَّني للهوى ... فأصْبَحْتُ للحُبِّ مستأسِرا؟
أمَا والذي جَعل المُسْتَهَام ... صَدِيقَ السُّهادِ عَدُوّ الكَرى![1]
لقد ذهبَتْ مُهْجَتِي باطلًا ... لَئِن متُّ منك على ما أرى!

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

ومُهَفْهفٍ طاوِي الحَشا ... خَنِثِ المَعَاطِفِ والنظَرْ![2]
مَلأَ القلوب بصُورةٍ ... تُلِيَت مَحَاسِنُها سُوَرْ!
فإذا رَنَا وإذا شَدَا ... وإذا سقى وإذا سَفَرْ[3]
فَضَحَ الغزالَة والحَمَـ ... ـامة والمُدامَةَ والقَمَرْ!

وقال آخر: [من الطويل]

إذا أكْثَرَ الواشُونَ فينا مَقَالَهُمْ ... وليس لهمْ عِنْدِي وعِنْدَك من ثار
وشَنُّوا على أسماعِنا كُلَّ غارةٍ ... وقَلَّتْ حُماتِي عِنْدَ ذاكَ وأنْصارِي
لَقِيناهُمُ من مُقْلَتَيْك وأدمُعِي ... وأنفاسِنا بالسَّيف والسَّيْل والنار

وقال آخر، من شعراء اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

وأغَنَّ أغيدَ حُبُّه ... مستأنسٍ لي، وَهْو نافِرْ![4]
إنْ قُلْتُ: زُرْني! قال: نَمْ ... فالطَّيْفُ ليس يَزُور ساهِرْ!
كيفَ السبيلُ إلى الرُّقا ... دِ كما رَسَمْتَ، وأنت هاجِرْ؟
ويقولُ لي فيما يقو ... لُ: نَعَمْ! وما للقَوْلِ آخِرْ!
حتَّى أُشاوِرَا! قلت: لـ ... ـكِنِّي هَوِيتُ ولم أُشَاوِرْ!

---

(١) المستهام: العاشق، والسُّهاد: السهر، والكرى: النعاس والنّوم.
(٢) المهفهف: ضامر الخصر، وطاوي الحشا: ضامر البطن، والخنث: الذي يتمايل بلين ورقّة النّساء، والمعاطف: من العِطف: وهو جانب الإنسان من عنقه إلى عجزه.
(٣) رنا: نظر، وسفر: كشف عن وجهه.
(٤) الأغنّ: الذي في صوته غُنّة، وهي صوت يخرج من اللّهاة والخيشوم، والأغيد: الوسنان المائل العنق، أو المنثني في نعومة.

وقال تاج الملوك: [من السريع]

يا قمرًا أقبلَ يَسْعى على ... دِعْصٍ من الأرداف مَهْزُوز![1]

وَصْلُك، وا ويلي! على طِيبِه ... أصبَح ذا مَنْعٍ وتَعْزِيزِ[2]

ما كانَ إلّا بَيْضةَ الدِّيك لي ... أو مَطْرةً في شهر تَمُّوز[3]

وقال أبو نُوَاس: [من السريع]

عَذَّبَنِي قلبي بمَنْ قَلْبُه ... للصَّبِّ مِثْلُ الحَجَر القاسِي

أحْوَرَ فَتّانٍ قَطُوفِ الخُطَا ... أغْيَدَ مثل الغُصْنِ مَيَّاسِ[4]

أبِيتُ لَيْلي ونَهَارِي مَعًا ... مُعَلَّقًا منه بوسْوَاسِ

إنّي وإنْ لم يَكُ لي نائلٌ ... مِنْه لأرْجُوه على يَاس

وقال سيف الدّين المشدّ: [من المتقارب]

إلى قَدِّك اللَّدْنِ يُعْزى الهَيَفْ! ... فما هبَّتِ الرِّيحُ إلا انْعطفْ![5]

قَوَامٌ أرادَ قَضيبُ النَّقا ... يُحَاكيه، لمّا انْثَنى، فانقصَفْ![6]

فيا رَامِيًا قد رَمَاني هَواهُ ... بنار الأسى في بِحار الأسَفْ!

سِهَامُ جُفونِك قَلْبي غَدَا ... لها غَرَضًا، وضُلُوعي هَدَفْ![7]

وأَوْرَدْتَني في الهَوى مَوْرِدًا ... تجرّعْتُ فيه مَرِيرَ التَّلفْ[8]

وأعرضْتَ عنّي، ولا ذَنْبَ لِي! ... فكَمْ ذا الدّلال! وكَمْ ذَا الصَّلَفْ[9]

ومُخْطَفُ خَصْرٍ على رِدْفه ... فكلُّ فُؤادٍ به مختَطَفْ![10]

---

(١) الدّعص: الكثيب من الرّمل.
(٢) وا ويلي: الواو: حوف نداء مختصّ بباب الندبة، والويل: الهلاك.
(٣) بيضة الديك: تطلق على الأمر الذي لا يتمّ حصوله، أو لا يمكن تحقيقه.
(٤) الأحور: الأبيض، وقطوف الخطا: الذي في مسيره بطء، والميّاس: المتمايل والمختال.
(٥) اللّون: الطري، ويعزي: ينسب، والهيف: الضمور.
(٦) النّقا: القطعة من الرّمل محدودبة. (٧) الغرض: الهدف.
(٨) المورد: مكان ورود الماء، تجرّعت: شربت، والمرير: القاسي، والتّلف: الهلاك.
(٩) الصّلف: التكبُّر والغرور. (١٠) المخطف الخصر: الضامر.

وقال أبو القاسم العطّار: [من البسيط]

وبِـي غَـزالٌ، إذا صـادَفْـت غِـرَّتَـهُ جنَيْتُ من وجْنَتَيْهِ رَوضةً أُنُفَا!(١)
كـالبَدْر مكتَمِلًا، كـالظَّبْي ملتَفتًا كالروض مُبْتَسِمًا، كالغُصن مُنْعطفًا!(٢)

وقال تاج الملوك: [من الرّجز]

يـا قـمرًا فـي غُصُنٍ مـن بـانَةٍ يَميلُ عُجْبًا في كَثِيبٍ من نقا!(٣)
أصبَح قَلْبُ المُستهام مَغْرِبا لـه، وأطْواقُ القُبَاءِ مَشْرِقَا!(٤)
أغْيَدُ، لا يَقْصد إلّا تـلفِي! ولـم يَزَلْ قـلبـي بـه مُعَلَّقا
ذكَّرَنِي حسنُ ابتسامِ ثَغْرة الـ ـواضِحِ لَمْعَ البَرْقِ إذ تَأَلَّقَا
وطالَمَا ذكَّرني رُضابُه الـ ـبارِدُ صِرْفَ الراح إذ تَعَتَّقَا(٥)
أغنّ، ما فَوقَ سَهْمَ لَحْظِه إلا أصاب القَلْبَ لَمَّا فَوّقا(٦)
حاجِبُه قوسٌ ولَحظُ عينِه سهمٌ، فما يُخْطِي إذا ما رَشَقا

وقال أبو نُوَاس: [من الخفيف]

جالَ ماءُ الشَّباب في خَدَّيْكا وَتَلالَا البَهاءُ في عارضَيْكا(٧)
ورمى طَرْفُك المُكَحَّلُ بالسِّحْـ ـر فُؤادي فصار رَهْنًا لَدَيْكا
أنا مستَهْتَرٌ بحُبِّكَ صَبٌّ لستُ أشكُو هَواك إلّا إلَيْكا
يا بديعَ الجَمَالِ والحسن والدَّلّ حياتِي ومِيتَتِي في يَدَيْكا
بأبِي أنتَ! لو بُليتَ بوَجْدِي لم يَهُنْ ما لَقِيتُ منك عَلَيْكا!(٨)
أصبحَتْ بالهوى سِهامُ المنايَا قاصداتٍ إليَّ من عينَيْكا!

(١) الغرّة: الغفلة، والرّوضة الأنف: التي لم يُرعَ نبتها.
(٢) المنعطف: المتمايل.
(٣) البانة: شجرة ليّنة، وعُجبًا: حسنًا، والكثيب: الرّمل المستطيل المحدودب، تشبّه به الأرداف، والنّقا: القطعة من الرمل المحدودبة.
(٤) أطواق القباء: الطّوق: ما يحيط بالعنق، والقباء: ثوب يلبس فوق القميص.
(٥) الرّضاب: الرّيق، وصرف الرّاح: الخمرة الصافية الخالصة.
(٦) الأغن: الذي في صوته غنّة، وفوّق السّهم: جعل له فوقًا، والفوف: هو موقع الوتر من رأس السّهم.
(٧) العارض: صفحة الخدّ. (٨) الوجد: شدّة الحبّ.

وقال أيضًا: [من المجتث]

يـا مَـنْ جَـدَاهُ قـليـلُ ... ومَـنْ بَـلَاه طـويـلُ![1]
ومَـنْ دعـانِـي إلـيـه ... طَـرْفٌ أحَـمُّ كـحيـلُ[2]
وواضِـحُ الـثَّـغْـرِ يَـحْـكِي ... مـزاجَـهُ الـزَّنْـجَـبِـيـلُ[3]
ووَجْـنَـةٌ جـائـلٌ مـا ... ؤُهـا وخـدٌّ أسِـيـلُ[4]
وغُـصْـنُ بـانٍ تَـثَـنَّـى ... قـدًّا، ورِدْفٌ ثَـقـيـلُ
ويـجـمـع الـحسنَ فـيـه ... وجْـهٌ وَسِـيـمٌ جَـمِـيـلُ!
فـكُـلُّ نـاحِـيَـةٍ مـن ... قَـلْـبِـي إلـيـه تَـمِـيـلُ!

وقال الوأواء الدمشقيّ: [من مجزوء الرّجز]

رمـاهُ رِيـمٌ فـأصـا ... بَ القَلْبَ منه، إذ رمى[5]
واحْـتَـجَّ فـي قَـتْـلَـتِـه ... بـأنَّـه مـا عَـلِـمـا
يـا مـعـشـرَ الـنـاسِ! أمـا ... يُـنْـصِـفُـنـي مَـنْ ظَـلَـمـا؟
عَـلَّـم سُـقْـمُ طَـرْفِـه ... جِـسْـمِـيَ مـنـه سَـقَـمَـا
فسُقْمُ جِسْمِي في الهوى ... مـن طَـرْفِـهِ تـعـلّـمـا
لو قِيلَ لي: ما تشتَهِي؟ ... مـخَـيَّـرًا مـحَـكَّـمـا
لـقـلـتُ أنْ ألـثُـمَـه ... نَـحْـرًا ووَجْـهًـا وفَـمَـا!

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جَهْوَر: [من مجزوء الكامل]

أحْوَى النـواظِرِ، ألْعَسُ الشَّـ ... ـفتَيْن، عذْبُ الرِّيق، ألْمَى![6]
لـو زارَنـي طَـيْـفٌ لـه ... عِـنْـد الـهُـجُوع ولـو ألَمَّـا[7]
لأفـادَ رُوحًـا أو لـفـ ... ـرّجَ من هُمُوم النفس هَمَّا!

---

(١) جداه: عطاؤه. (٢) الأحمّ: الذي اسودّ.
(٣) الواضح: الأبيض، والزنجبيل: نبات من الفصيلة الزنجبارية، له عروق في الأرض حرّيقة الطعم، والزّنجبيل: الخمر.
(٤) جائل: طائف، والأسيل: الأملس الناعم. (٥) الرّيم: الظبي الخالص البياض.
(٦) الأحوى: من كان به حوّة، وهي لونُ صدأ الحديد، واللّعس: سواد مستحسن في باطنه الشفّة، والألمى: الذي شفته سمرة مستحسنة.
(٧) الهجوع: الرّقاد، وألمّ به: أتى ولم يُقِم.

وقال آخر: [من الطويل]

وأهيفَ، مهزوزِ القَوَام إذا انثنَى ... وهِبْتُ لعُذْرِي فيه ذَنْبَ اللَّوائم(١)
بثغرٍ كما يبدُو لك الصُّبْحُ باسِمٍ ... وشعرٍ كما يبدُو لبك الليلُ فاحِمِ
مَلِيحِ الرّضا والسُّخْط، تلقاه عاتِبًا ... بألفاظِ مظلومٍ وألحاظِ ظالِمِ
وممّا شَجَاني أنَّني يومَ بَيْنِهِمْ ... شكوتُ الذي ألقى إلى غير راحِمِ
وحَمَّلتُ أثقالَ الجوَى غيرَ حامِلٍ ... وأودعتُ أسرارَ الهوى غَيْرَ كاتِمِ
وأبرحُ ما لاقَيْتُه أنَّ مُتْلِفِي ... بما حَلَّ بي في حُبِّه، غيرُ عالِمِ(٢)
ولو كنتُ مذ بانُوا سهِرْتُ لساهِرٍ ... لهانَ، ولكِنِّي سَهِرْتُ لنائِمِ(٣)

وقال أبو نُواس: [من المنسرح]

يا رِيمُ هاتِ الدَّواةَ والقَلَمَا ... أكْتُبُ شَوْقِي إلى الَّذِي ظَلَمَا!
غَضْبانُ قد غَرَّني رضاه ولَوْ ... يُسْأَلُ ممَّا غضِبْتَ، ما عَلِما
فلَيْسَ ينفَكُّ منه عاشِقُهُ ... في جَمْعِ عُذْرٍ لغَيْرِ ما اجترَمَا(٤)
أظَلُّ يَقْظانَ في تَذَكُّره ... حتَّى إذا نِمْتُ، كان لي حُلُما
لو نَظَرَتْ عينُه إلى حَجَرٍ ... ولَّد فيه فُتُورُها سَقَما!

وقال سيف الدين المشدّ: [من مخلّع البسيط]

وبِي رَشِيقُ القَوامِ لَدْنٌ ... لِقَدِّه يُنْسَبُ الرُّدَيْني!(٥)
ما نَظَرَتْه العُيُونُ إلَّا ... فَدَتْه من نَظْرةٍ وعَيْنِ!
قابَلَ بالكأس وجْنَتَيْهِ ... فحُفَّ نَجْمٌ بنَيِّرَيْنِ(٦)
وزَيَّنَتْ كَفُّه الحُمَيَّا! ... ما أحْسَنَ التِّبرَ في اللُّجَيْنِ!(٧)

---

(١) الأهيف: الضامر الخصر.
(٢) البرح: العذاب والألم، والمتلف: المهلك. (٣) بانوا: فارقوا وهجروا.
(٤) اجترم: ارتكب الجرم والذّنب.
(٥) اللّدن: الطري، والرّديني: الرّمح، ينسب إلى ردينة، امرأة كانت تقوّم الرّماح.
(٦) حفّ: أحيط.
(٧) الحميّا: الخمرة، والتّبر: قراضة الذّهب، واللّجين: الفضّة.

وقال كُشاجِم: [من الكامل]

بـالله يـا مُـتَـفَـرِّدًا فـي حُـسْـنِـهِ ومُقَلِّبًا هارُوتَ بَيْنَ مَحاجِرِه![١]
ومُـحَـكِّـمًـا أردافَـهُ فـي خَـصْـرِهِ ومُـصَـافِـحًـا خَـلْخـالَهُ بِـضَـفـائِرِه!
لا تغضَبَنَّ على فتًى يَرْضى بما أوْلَيْتَه، ولـو انتعَلْتَ بناظِرِهِ[٢]
ويُـكـاتِـمُ الأسـرارَ حَـتَّـى إنّـه لـيَـصُـونُـها عن أن تمرَّ بـخاطِرِه

وقال أبو تمام الطائيّ: [من مجزوء الوافر]

لَهَـــا، وأعـــارنِـــي وَلَهَـــا! وأبـــصَـــرَ ذِلَّتِـــي فـــزَهَـــا![٣]
لَـــه وَجْـــهٌ يَـــعِـــزُّ بـــهِ ولِي حُـــرَقٌ أَذِلُّ بِـــهَـــا!
دقـيـقُ مـحـاسِـنٍ، وُصِـلَتْ مَـحَـاسـنُ وجْـنَـتَـيْـه بـهـا
أُلاحِـظُ حـسـنَ وَجْـنَـتِـه فـتَـجْـرَحُـنـي وأجْـرحُـهـا

وقال أيضًا: [من البسيط]

نَشَرْتُ فيك رَسِيسًا كُنْتُ أَطْوِيهِ! وأَظْهَرَتْ لَوْعَتِي ما كنتُ أُخْفِيهِ![٤]
إن كان وجهُك لي تَتْرى محاسِنُه فإنَّ فِعْلَك لي تَتْرى مَسَاوِيه[٥]!
مُـرْتَـجَّـةٌ فـي تَـهـاديـه أسـافـلُهُ مـهْـتَـزَّةٌ فـي تـثَـنِّـيـهِ أعـالِيـه![٦]
تاهتْ على صُوَرِ الأشياءِ صُورتُه حتَّى إذا كَمُلَتْ، تاهتْ على التِّيهِ![٧]

وقال المخزوميُّ[٨]: [من السريع]

أيُّ مُـحِـبٍّ فـيـك لـم أحْـكِـهِ؟ وأيُّ لَيْـلٍ فـيـك لـم أبْـكِـهِ؟
إنْ كـان لا يُـرْضـيـك إلّا دَمِـي فـقَـدْ أذِنَّـا لـك فـي سَـفْـكِـهِ!

---

(١) هاروت: رفيق ماروت، ملكان هبطا ببابل، فعلّما الناس السّحر، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، «انظر سورة البقرة الآية ١٠٢».
(٢) انتعل: لبس النّعل.
(٣) لها: من اللّهو، والوله: شدّة الوجد، وزها: سُرَّ وانتشى.
(٤) الرّسيس: الثابت من الحبّ. (٥) تترى: متتابعة.
(٦) تهاديه: مشيةُ ببطء، يريد أنّ أردافه تهتزّ وترتجّ عند مسيره.
(٧) تاهت: تباهت وافتخرت، والتّيه: التكبُّر.
(٨) هو عليّ بن محمّد بن سلمة بن حريق، أبو الحسن، البلنسي المخزومي، شاعرٌ كان عالمًا بالأدب، له ديوان شعر في جزأين، وشرح مقصورة ابن دريد، توفي سنة ١٢٢٥ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٣٣١».

وقال أبو نُوَاس: [من المجتثّ]

يا قابِري بِمَلالَهْ ودامِري بِمِطالِهْ![١]
ويا مُبَدِّلَ لَيْلي قِصاره بِطِوَالِهْ!
أعوذُ مِنْك بِوَجْهِ بَدْرُ الدُّجى في مِثَالِهْ
لكنَّه مِنْه أخْلَى لِحُسْنِ موضع خالِهْ[٢]
هَلَّا رَحِمْتَ صَرِيعًا تحتَ الرَّدَى وطِلَالِهْ؟[٣]
مَنْ لا يُرى منه فوق الْـ ـفراش غَيْرُ خَيَالِهْ
مثلَ الخِلَال نَحِيلًا يَخْفى على عُذَّالِهْ[٤]
فمَنْ بَغى لكَ سُوءًا فكان في مِثْلِ حالِهْ

وقال محمد بن عبد الله السلاميّ[٥]، شاعر اليتيمة: [من المتقارب]

ومُخْتَصَرِ الخَصْر، من بُعْدِهِ هَرَبْتُ فأُلْقِيتُ في صَدِّهِ!
وقابَلَني وَجْهُه مُقْبِلًا بحَدِّ الحُسَامِ وإفرِنْده[٦]
فما زِلْتُ أعْصِرُ من خَمْرِهِ وأقْطُف من مُجْتَنى وَرْدِهِ
وأظْما فأرْشِفُ من رِيقِهِ! فيا حَرَّ صَدْرِيَ من بَرْده!

وقال أبو هلال العسكريّ: [من السريع]

أقولُ لَمَّا لاحَ مِنْ خِدْرِهِ واللَّيْلُ يُرْخي الفَضْلَ من سِتْرِهِ[٧]
أبَدْرُهُ أحسَنُ من وَجْهِهِ أم وَجْهُه أحسَنُ من بَدره؟
قد مالَتِ الرِّقَّةُ في شَطْرِهِ ومالَتِ الغِلْظَةُ في شَطْره[٨]

---

(١) الملال: التقلّب والتغيّر، والسأم، والمطال: عدم الوفاء بالوعد.
(٢) الخال: بثرة سوداء في الوجه أو الجسد.
(٣) الرّدى: الموت، وطِلاله: ما شخص من آثاره.
(٤) الخِلال: العود الذي يُتخلّل به.
(٥) هو محمد بن عبد الله السّلامي، أبو الحسن، من أشعر أهل العراق، قولًا بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق، ولد في كرخ بغداد سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، ونسبته في بني مخزوم بن لؤي بن غالب، قال الشعر وهو ابن عشر سنين. «اليتيمة ٢/ ٤٦٧».
(٦) الإفرند: ما يلمع في صفحة السيف من أثر تموّج الضوء.
(٧) الخدر: الستار الذي يستره، يرخي الفضل: يزداد ظلامه شيئًا فشيئًا.
(٨) الرّقة والغلظة: يريد نحافة خصره، وغلظة أرادفه.

فــأُزْرُهُ غَــصَّــتْ بــأَرْدَافِــهِ ... ووُشْحُه جالَتْ على خَصْرِهِ[1]
أصبَحْتُ لا أدْرِي ـ وإنْ لم يَكُنْ ... فـي الأَرض شَـيْءٌ أنـا لـم أدْرِهِ ـ
أشَـعْـرُه أحـسَـنُ مـن قَـدِّه؟ ... أم قَـدُّه أحـسـنُ مـن شَـعْـرِهِ؟
ودُرُّه يُـؤخَـذُ مِـن لَـفْـظِـه ... أم لَـفْـظُـه يُـؤخَـذُ مِـن دُرِّهِ؟
وثَـغْـرُه يـنـظَـمُ مـن عِـقْـدِهِ ... أمْ عِـقْـدُه يـنـظَـمُ مـن ثَـغْـرِهِ؟
فمَنْ عَذِيرُ الصَّبِّ من صَدِّهِ؟ ... ومَن مُجيرُ القَلْبِ من هَجْرِهِ؟[2]
يـا لَيْـتَـهُ يَـعْـرِفُ حُـبِّـي لـه! ... عَسَاه يَجْزِيني على قَدْرِه!

وقال تاج الملوك بن أيوب: [من المديد]

يـا هِـلالًا لاحَ فـي غُـصُـنِ ... تُـشْـرِقُ الـدُّنْـيَـا بـطَـلْعَـتِـهِ!
وغـزالًا طـالَـمَـا خـضـع ... الأَسَـدُ الـضـاري لـهـيـبَـتِـهِ!
مـا رَنَـا إلّا وجَـرَّد لِي ... صـارِمًـا مِـنْ لَـحْـظ مُـقْـلَـتِـهِ[3]
صِـلْ عَـلِـيلًا، أنْـتَ أعْـلَـمُ مـن ... كـلِّ مَـخْـلوقٍ بـعِـلَّـتِـهِ[4]
قـد أطـالَـتْ مُـقْـلتـاكَ بِـلا ... سَـبَـبٍ تَـعْـذِيـبَ مُـهْـجَـتِـهِ
كُـلَّـمـا لَجَّـت عَـوَاذِلُهُ ... أجَّـجَـتْ نِـيـرانَ لَوْعَـتِـهِ
فـاتَّـئِدْ مـن طُـولِ عَـذْلِكَ لـي ... يـا عَـذُولِي فـي مـحَـبَّـتِـهِ![5]
مـن بَـنِـي الأَتْـراكِ مُـعْـتَـدِل ... قـد تَـمَـادَى فـي قَـطِـيـعَـتِـهِ
لـيس يَشْفِي الـقَـلْبَ من ظَمَإٍ ... غَـيْـرُ رَشْـفِـي راحَ رِيـقَـتِـهِ![6]
لا، ولا يُـطْـفِـي لَظَـى كَـبِـدِي ... غَـيْـرُ تَـقْـبِـيـلِي لـوجْـنَـتِـهِ!
لَيْـتَ أن الـدَّهْـرَ مـكَّـنَـنِـي ... بـيَـدِي مـن حَـلِّ تِـكَّـتِـهِ![7]

(١) الأزر: الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، والوشاح: ما يتّشح به في النصف الأعلى من لباس.
(٢) الصبّ: العاشق.
(٣) رنا: أدام النظر، والصارم: السيف القاطع.
(٤) صِلْ: فعل أمر من وصل، والوصل: اللّقاء.
(٥) اتّئد: فعل أمر من اتئد: أي تمهّل وترفّق.
(٦) الرّشف: التقبيل واحتساء خمرة الريق من العاشق.
(٧) التكّة: ما يربط به السّروال.

وقال آخر: [من الكامل]

ومُهَفْهفٍ! عنّي يَميلُ ولم يَمِلْ يومًا إليّ، فقُلْتُ من ألَم الجَوى(١)
لِمَ لا تَميلُ إليّ، يا غُصْنَ النَّقا؟ فأجابَ: كَيْفَ، وأنتَ من جِهَة الهوَى؟

وقال ابن منير الطرابلسيّ(٢): [من البسيط]

مَنْ رَكَّب البَدْرَ في صَدْرِ الرُّدَيْنِيِّ ومَوَّهَ السِّحْرَ في حَدِّ اليَمَانِيِّ؟(٣)
وأنزلَ النَّيِّرَ الأعْلَى إلى فَلَكٍ مَدارُه في القَباءِ الخُسْرُوانِيِّ؟(٤)
طَرْفٌ رَنا أمْ قِرابٌ سُلَّ صارِمُهُ؟ وأغْيَدٌ ماسَ أم أعْطافُ خَطِّيّ؟(٥)
وبرقُ غادِيَةٍ أم بَرْقُ مُبْتَسِمٍ يفْتَرُّ من خِلَلِ الصُّدْغِ الدَّجُوجِيّ؟(٦)
وَيْلاهُ، من فارِسيِّ النَّحْرِ مُفْتَرِسٍ بفاتِرٍ أسَدِيِّ الفَتْكِ رِيمِيِّ!(٧)
يُكِنُّ ناظِرُه ما في كِنَانَتِهِ! فليس يَنْفَكُّ من إقْصادِ مَرْمِيِّ!(٨)
أذلَّني بَعْدَ عِزٍّ؛ والهوى أبدًا يَسْتَعبِدُ اللَّيْثَ للظَّبْي الكِناسِيِّ(٩)
ماماَنَ مانِيُّ، لولا ليلُ عارِضِهِ ما شَدَّ خيلَ المناي بالأمانِيِّ(١٠)
تكَنَّفَ الحسنُ منه وَجْهَ مُشْتَمِلٍ نِفَارَ أحْوَرَ في تأنيثِ حُورِيّ(١١)

---

(١) المهفهف: الضامر البطن والخصر، والجوى: شدّة العشق.
(٢) ابن منير الطرابلسي: هو أحمد بن منير، أبو الحسين، مهذّب الدّين، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشّام، كان هجّاءً مرًّا، همّ صاحب دمشق أن يقطع لسانه، لكنّه اكتفى بنفيه، فرحل إلى حلب ومات فيها سنة ١١٥٣ م، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ١/ ١٦٠»، وانظر: «وفيات الأعيان ١/ ١٥٦».
(٣) الرديني: الرمح، واليماني: السّيف.
(٤) النيّر: الكوكب المضيء، والقباء: الثوب، والخسرواني: المنسوب إلى خسروان، وربّما يريد: فارس.
(٥) الطّرف: يريد العين أو النّظر، ورنا: أدام النظر، والقراب: غمدُ السيف، وماس: تمايل وازدهى، والخطيّ: الرمح.
(٦) الغاوية: السحابة، ويفترّ: يبرق ويتكشف، والدّجوجي: من الدُّجى، أي الليل.
(٧) النحر: أعلى الصدر وموضع القلادة منه، والفاتر: الضعيف، ويقصد: العيون، والرّيم: الظبيّ الخالص البياض.
(٨) يكن: يستر ويخفي، والكِنانة: جعبة السّهام، والإقصاد: الإصابة القاتلة.
(٩) اللّيث: الأسد، والكناس: وكر الظبي.
(١٠) ماني: يريد ماني صاحب المذهب المنسوب إليه، والقائل بالنّور والظلام.
(١١) تكنّف الحسن: أحاط به، والأحور: الذي في عينه شدّة بياض وشدّة سوادٍ معًا، والحوريّ: من النّساء: البيضاء.

أَمّـا وذائِبِ مِـسْـك مـن ذوائِبِـه ... عـلى أعالِي القَضِيبِ الخَيْزُرانِيِّ؟
لو قيل للبَدْرِ: مَنْ في الأرض تحسُدُه؟ ... إذا تَجلّى، لقال ابنُ الفُلانِيِّ!
أربى عليّ بشَتّى من مَحَاسِنه ... تألّفت بين مسموعٍ ومَرْئيِّ(١)
إباءُ فارِسَ مَعْ لينِ الشَّآم مع الظَّـ ... ـرفِ العِراقيّ في النُّطْقِ الحِجازيِّ
وما المُدامةُ بالألبابِ ألعَبُ من ... فَصاحةِ البَدْوِ في ألفاظِ تُرْكيِّ!
أشبهتُه ببعادِي، ثم كان له ... مَزِيةُ الخَلْق والأخْلاق والزِّيِّ
من أينَ لي لَهبٌ يَجْرِي على ذَهَبٍ ... في صَحْنِ أبيضَ صافِي الماءِ فِضّيِّ؟
وروضةٌ لم تَحُكْها كفُّ ساريةٍ ... ولا شَكا خدُّها من لَثْم وَسمِيِّ؟(٢)
يحُفُّها سَوْسنٌ غَضٌّ يُغازلُهُ ... بنَرْجس بنِطَافِ السِّحر مَوْليِّ(٣)
مَنْ مُنْقِذِي أو مُجِيرِي من هَوى رشإٍ ... أفْتى وأفتَكُ من عمرو بن مَعْدِيٍّ؟(٤)
لا يَعْشَق الدّهْرَ إلا ذِكْرَ مَعْرَكَةٍ ... أو خوضَ مَهْلكة أو ضَرْبَ هنديِّ
ولا يُحدِّثُ إلا عن رِبابته ... من المِهارِ العوالي والمَهارِيِّ(٥)
والصَّافِناتُ ولُبْسُ الضافيَاتِ وشُرْ ... بُ الصافِياتِ وإطْرابُ الأغانيِّ(٦)
أشهى إليه من الدَّوح الظّليلِ على الرُّ ... وح العَليل وتَغريدِ القَماريِّ(٧)
شَدّ الجِياد لأيّام الجِلاد وإر ... شاد الصِّعاد إلى طَعْن الأناسيِّ؟(٨)
وحَثّ بازٍ على نَأْيٍ وحَمْل قطا ... مِيٍّ تَكَدَّر منه عَيْشُ كُدْرِيِّ؟(٩)

---

(١) أربى: زاد، وشتّى: متفرّقة.
(٢) تُحكها: تنبت نبتها، والسّارية: السّحابة الممطرة، والوسميّ: مطر الرّبيع الأوّل.
(٣) النّطاف: مفردها النطفة، وهي القطرة أو الماء الصافي، والمُوليّ: المتتابع من المطر، أو المطر الربيعي الذي يأتي بعد المطر الأول.
(٤) الرّشأ: الغزال، وعمرو بن معدي: هو عمرو بن معديكرب، فارسي عربيّ مشهور، أدرك الإسلام وأسلم وغزا، تقدّمت ترجمته.
(٥) ربابته: أي تربيته وعنايته، العوالي: الرّماح، والمهاريّ: الإبل المهريّة وهي إبلٌ أصيلة تسبق الخيل، منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان.
(٦) الصافنات: مفردها الصّافن، وهو من الخيل الذي يجمع بين يديه، والضافيات: الثياب الواسعة.
(٧) القماري: مفردها القمري، وهو ضرب من الخمام مطوّق، صوته حسن.
(٨) الصّعاد: الرّماح، والأناسيّ: الناس.
(٩) القطامي: الصقر، والكدريّ: القطا الذي في لونه كدرة، وهو ضربٌ من الطير يشبه الحمام، ويقيم في الصحراء.

فـي غِـلْمـةٍ كـغُـصُـونِ الـبـانِ يـحـمِـلُـهـا كُـثْـبـانُ بُـرِدٍ عـلـى غـادات بَـرديٍّ؟[١]
يمشُون في الوَشْي أسرابًا، فتحسَبُهم روضَ الـرَّبـيـع عـلى بَـيْـضِ الأداحِـيِّ[٢]
والـسـاحِـرُ الـسـاحـرُ الـغَـرَّارُ بـيـنـهـم كـالـشـمـسِ تـكْـسِـفُ أنـوارَ الـدّرارِيِّ[٣]
مُهَفْهَفُ القدِّ، سَهْلُ الخدِّ، أغْرَبُ في الـ ـجـمـالِ مـن لُثْغـةٍ فـي لـفـظ نَـجْـدِيِّ[٤]
يُـلْـهِـيـهِ عـن كُـتُـبٍ تُـروى ونُـصـرتِـه لـشـافِـعِـيٍّ فـقـيـهٍ أو حَـنِـيـفـيِّ
عُـوجُ الـقِسِيِّ وقُبُّ الأعوجِيَّةِ والـشُّهـ ـبُ الـهـمـالـيـجُ تُـرْبـى فـي الأَوَارِيِّ[٥]
والشِّعْر في الشَّعَر الداجي على الغَنِج السَّـ ـاجِـي يُـلَـيِّـنُ مـنـه قَـلْـبَ حُـوشِـيِّ[٦]
فـلـو بَـصُـرتَ بـه يَـصْـغـي وأُنْـشِـدُه قلتَ النُّواسيّ يَشْجُو قلبَ عُذْرِيِّ[٧]
أو صـائـدُ الإنْـس قـد ألـقـى حـبـائـلَه لـيـلًا فـأوقَـع فـيـهـا صَـيْـدَ وَحْـشِـيِّ[٨]
أغْـراه بـي بـعـدَ مـا جَـدَّ الـنِّـفـارُ بـه شَـدْوُ الـقَـريـض وألـحـانُ الـسُّـرَيْـجِـيِّ[٩]
فـصـار أطْـوَعَ لـي مـنـه لـمُـقْـلَـتِـهِ وصـرتُ أُغْـرَف فـيـه بـالـعَـزيـزيِّ

***

(١) الغادات: مفردها غادة، وهي الفتاة الحسناء الشابّة، والبرديّ: نباتٌ ماعي صنع منه المصريون القدماء ورق البُردى.
(٢) الوشي: الأثواب الموشاة المطرّزة، والأسراب: الجماعات، والأداحي: مفردها الأدحية: أي النعامة.
(٣) الدّراري: مفردها الدرّي: الكوكب المتلألىء المضيء.
(٤) اللّثغة: رطنة في اللسان، تلفظ الحرف مكان حرفٍ آخر، كالسين تلفظ شينًا، والنّجدي: نسبة إلى نجد.
(٥) القبّ: الضامرة، والأعوجيّة: يريد البطون التي تلي ضلوع الصدر، والهماليج: الحسنة السّير، والأواري: حرّ الشمس وشدّة اللّهب.
(٦) الداجي: الأسود، والسّاجي: الهادىء الساكن، والحوشيّ: الرجل الذي يكاد يخالط الناس «الوحشيّ».
(٧) النّواسيّ: يريد «أبا نواس» الحسن بن هانىء، شاعر الخمرة والغزل في العصر العباسي، ويشجو: يستميل.
(٨) الحبائل: الشّباك.
(٩) القريض: الشعر، والسُّريجي: نسبة إلى ابن سُريج عبيد الله، أبو يحيىٰ، من أشهر المغنّين في صدر الإسلام، من أهل مكّة، وأوّل من ضرب على العود بالغناء العربي، توفي سنة ٧١٦ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١٩٤».

ومما قيل في المؤنث، قال ابن الرومي: [من الوافر]

مُـخَـفَّـفَـةٌ مُـثَـقَّـلَةٌ، تَـرَاهـا ... كأنْ لـم يَغْدُ نِضْفَيها غِذاءُ![1]
إذا الإغبابُ جَدّد حُسْنَ شَيْءٍ ... من الأشياء، جدّدها اللِّقاءُ[2]
لـهـا رِيـقٌ تَـشِـفُّ لـه الـثَّـنَـايَـا ... ويَرْوِي عنه ـ لا منه ـ الظَّماءُ
وأنـفـاسٌ كـأنـفـاس الـخُـزَامـى ... قُبَيْلَ الصُّبْح، بَلَّتْها السَّماءُ![3]
تنفَّسَ نَشْرُها سحرًا، فجاءتْ ... به سَحَرِيَّة المَسْرى رُخاءُ![4]

وقال أبو نُوَاس: [من المديد]

مـا هَـوًى إلّا لـه سَـبَـبُ ... يـبـتـدِي مـنـه ويَـنْـشَـعِـبُ
فـتـنَـتْ قَـلْـبـي مُـحَـجَّـبَـةٌ ... وَجْهُها بالحُسن منتَقِبُ[5]
خُـلِّيَـتْ والـحُـسْـنَ تـأخُـذُه ... تَـنْـتَـقـي مـنـه وتَـنْـتَـخِـبُ
فـاكـتـسَـتْ مـنـه طـرائـفَـهُ ... واستزادَتْ بعضَ ما تَـهَـبُ
صـار جِـدًّا مـا مَـزَحْـتُ بـه ... رُبَّ جِـدٌّ سـاقـه الـلَّـعِـبُ!

وقال أيضًا: [من السريع]

يـا قَـمَـرًا، أبـصـرْتُ فـي مـأْتَـمٍ ... يـنـدُبُ شَـجْـوًا بـيـنَ أتْـرابِ![6]
يَبْكِي فيُذْرِي الدُّرَّ من نَرْجِسٍ ... ويَـلْـطِـمُ الـوردَ بـعُـنَّـاب
أبْـرَزَهُ الـمـأْتَـمُ لـي كـارِهًـا ... بـرَغْـم دايَـاتٍ وحُـجَّـابِ![7]
لا تَـبْـك مَـيْـتًـا حَـلَّ فـي رَمْـسـه ... وأبْـكِ قَـتِـيـلًا لـكَ بـالـبـاب![8]

(١) لم يعدُ: لم يتجاوز. (٢) الإغباب: الزيارة بين الفينة والفينة.
(٣) الخزامى: جنس نبات من الفصيلة الشفويّة، أنواعه عطره واحدته خزاماة.
(٤) النّشر: الطّيب، رخاء: أي الرّيح الهادئة «النسيم».
(٥) المنتقب: التي تلبس النّقاب، وهو القناع.
(٦) الشجوّ: الحزن، والأتراب: مفردها «ترب» وهو المماثل في السنّ.
(٧) الدّايات: مفردها داية، وهي الحاضنة والقابلة.
(٨) الرّمس: القبر.

وقال سيف الدين المشدّ: [من مجزوء الكامل]

وبِـمُـهْـجَـتِـي! مَـنْ لـو بَـدَتْ لـلشمـسِ مـن تَـحْـتِ الـنِّـقـابْ
سـتَـرتْ مَـحـاسِـنَ وَجْـهِـهـا خَـجَـلًا، ولاذَتْ بـالـسَّـحـابْ! [١]

وقال القاضي أبو علي التّنوخيّ، شاعر اليتيمة[٢]: [من الطويل]

أقولُ لَهَا والحَيُّ قد فَطِنُوا بنا وما لِيَ عن أيدِي المَنُون بَرَاحُ [٣]
لَمَا ساءني أنْ وشَّحتْني سُيُوفُهم وإنّي لكُمْ دُونَ الوِشاح وِشَاحُ [٤]

وقال عمارة اليمانيّ[٥]: [من السريع]

طَرَقْتُها، واللَّيْلُ وَحْفُ الجَنَاحْ وما تَـلبَّسـتْ بـثَـوْب الـجُـنَـاحْ [٦]
فـي لـيـلـةٍ بـات نِـجَـادِي بـهـا ذوائبًا يَـخْـفِـقْـنَ فـوقَ الـوِشَـاحْ [٧]
والـحـسـنُ قـد ألّفَ أشـتـاتَـهُ غُـصْـنٌ تـثـنّـى فـوقَ رِدْف رَدَاحْ [٨]
نـامَ رقـيـبُ الـصُّـبْـحِ عـن لَـيْـلَـتِـي وبـاتَ لِي كـلُّ مَـصُـونٍ مُـبَـاحْ!
أجْـمَـعُ مـن خَـدٍّ ومـن مَـبْـسِـمٍ بِـحُـمْـرَةِ الـوَرْدِ بَـيـاضَ الأَقَـاحْ [٩]
حـصَـلْـتُ مـن رِيـقٍ ومـن مَـنْـطِـقٍ عـلـى اقْـتِـراحٍ ونَـمِـيـرٍ قَـرَاحْ [١٠]

---

(١) لاذت: احتمت، والسّحاب: الغيوم التي تحجب الشّمس إذا ظهرت في السّماء.

(٢) القاضي التنوخي: هو علي بن محمد بن داود بن فهم التنوخي، أبو القاسم، من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشّيم، تقلّد قضاء البصرة والأهواز، ورد سيف الدولة فأكرمه وأحسن مثواه. «انظر اليتيمة ٢/ ٣٩٣».

(٣) البراح: المتّسع من الأرض.

(٤) وشّحته السّيوف: أحاطت به أو نالت منه، والوشاح: نسيجٌ عريض يرصّع بالجواهر، وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٥) هو عمارة بن أبي الحسن عليّ بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني، أبو محمد، نجم الدّين، شاعر معروف، قيل: إن وطنه اليمن من مدينة يقال لها ورطان. «وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٢».

(٦) طرقتها: أتيتها ليلًا، والوحف: المظلم، والجُناح: الإثم.

(٧) النّجاد: حمائل السّيف.

(٨) ألّف أشتاته: نَظَم ما كان متفرّقًا منه، والرّداح: الضخمة، ورِدفٌ رداح: أي ضخم.

(٩) الأقاح: مفرده أقحوانة: وهي نبت زهره أصفر وأبيض ورقه، كأسنان المنشار.

(١٠) الاقتراح: الرأي، والنّمير: العذب الطيّب من الريق والماء.

تـرنَّـحـتْ مِـنْ نَـشَـوات الـصِّـبـا فـبِـتُّ مَـسْـرُورًا بـنَـشْـوانَ صـاحْ[١]
وفـاحَ مِـنْ نَـشْـرِ الـصَّـبَـا عَـنْـبَـرٌ أحْرقه الفَجْر بجَمْر الصَّبَاحْ![٢]

وقال أبو نُوَاس: [من المجتثّ]

وذاتِ خَـــــدٍّ مُـــــوَرَّدْ قُـــوهِـيَّـةِ الـمـتـجَـرّدْ[٣]
تـأمَّـلُ الـعَـيْـنُ مـنـهـا مـحـاسِـنًـا لـيـس تَـنْـفَـدْ
فـالـحُـسْـن فـي كـلِّ جُـزْءٍ مـنـهـا مُـعـادٌ مُـرَدَّدْ
فـبـعـضُـه فـي انـتـهـاءٍ وبـعـضُـه يَـتَـوَلَّـدْ
وكُـلَّـمـا عُـدْتُ فـيـه يـكـونُ لـي الـعـودُ أحـمَـدْ!

وقال عليّ بن عبد الرحمٰن بن المنجم[٤]: [من السريع]

شبَّهْتُها بالبَدْرِ فاستَضْحَكتْ وقـابَـلَـتْ قـولِـيَ بـالـنُّـكْـرِ
وسفَّهتْ قولي وقالتْ: متى سَمُجْتُ حتّى صِرتُ كالبَدْرِ[٥]
الـبَـدْرُ لا يـرنُـو بـعَـيْـنٍ كـمـا أرنُـو، ولا يَـبْـسِـمُ عـن ثَـغْـرِ[٦]
ولا يُـمـيـط الـمِـرْطَ عـن نـاهـدٍ ولا يَـشُـدُّ الـعِـقْـد فـي نَـحْـرِ[٧]
مَـنْ قـاسَ بـالـبدر صِـفـاتِـي، فـلا زالَ أسـيـرًا فـي يَـدَيْ هَـجْـرِي!

وقال العماد الأصفهانيّ: [من مخلّع البسيط]

لُثْـنَ الأهـلَّـةَ بـالـمَـعَـاجِـرْ وكَحَلْنَ بالسُّقْم المَحَاجِرْ[٨]
ونـظَـرْن عـن حَـدَقٍ حَـجَـرْ نَ بِـهَـا عـلـى آرام حـاجِـرْ[٩]

(١) ترنّحت: تمايلت نشوة.
(٢) نشر الصَّبا: ريح طيبة باردة، والعنبر: عودٌ يتبخّر به طيّب الرائحة.
(٣) القوهيّة: ضربٌ من الثّياب بيض، أي أنها بيضاء البشرة.
(٤) لعلّه علي بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن يونس، أبو الحسن، فلكي من العلماء، كان عارفًا بالأدب وله شعرٌ كثير، اختصّ بصحبة الحاكم الفاطمي، وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٠٩ م. «فهرس الأعلام ٤/٢٩٨».
(٥) سُمجت: قبحتْ، أو صارت ثقيلة غير محبّبة.
(٦) يرنو: يُديم النظر في سكون. (٧) أماط: كشف ونحّى، والمرط: الملاءة.
(٨) لاث: أحاط وستر، والمعاجر: جمع معجر، وهو ثوبٌ تشدّه المرأة على رأسها، والمحاجر: ما يحفظ العيون في مكانها.
(٩) الآرام: جمع «رئم» وهو الغزال الأبيض الخالص البياض، وحاجر: موضع قبل معدن النّقرة، =

شَـهَـرتْ لِحـاظُ ظِـبَـائِهِـ ـنّ الـقُـلُوب ظُـبًّـا بـواتـرْ[١]
آرامُ خِـدْرٍ بـالـلّحـا ظ تَـصِـيـدُ آسـادًا خَـوادِرْ[٢]
غِـيـدٌ لـسَـفْـك دَم الـمُـحِـ ـبّ تَضَافَرتْ منها الضَّفائِرْ[٣]
بـيـضُ الـتَّـرائـب حُـمـرُها خُضْرُ اللّمى سُود الغدائِرْ[٤]

وقال كُشاجم: [من مجزوء المتقارب]

جـعـلـتُ إلـيـكِ الـهـوى شَـفِـيـعًـا فـلم، تُـشْـفِـعِـي!
ونـاديـتُ مـسـتـعْـطِـفًـا رضـاكِ فـلـم تَـسْـمَـعِـي
أتـارِكـتـي مُـدْنَـفًـا أخـا جَـسَـدٍ مُـوجَـعِ![٥]
ومُـغْـرِيـتـي والـدُّمـو عُ قـد أحـرقَـتْ مَـدْمَـعِـي
أحـيـنَ سـبَـيْـتِ الـفُـؤا دَ بـالـنـظـر الـمُـطْـمـعِ[٦]
جـفَـوْتِ وأقـصَـيـتِـنِـي؟ فـهَـلّا، وقـلْـبـي مَـعِـي؟

وقال ابن المعلم[٧]: [من الرّمل]

صَـعْـدةُ الـقَـدِّ وسـيـفُ الـكَـحَـلِ حَكَما حُكْمَ الهوى في أجلِي[٨]
يـا لـقَـوْمِـي! حـمَـلتْ ثِـقْـلَ دَمِـي غـادةٌ يُـثْـقِـلُها حَـمْـلُ الـحُـلِي!
قَـدُّهـا مُـعْـتَـدِلٌ يَـظْـلِـمـنـي! حَـزنِـي مـن قَـدِّهـا الـمـعـتَـدل!
خَـصْـرُهـا يَـنْـشَـطُ، لـكـن رِدْفُـهـا أبـدًا يـقْـهَـرُه بـالـكَـسَـل

= وقال: دون فيد حاجر، والحاجر: في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي. «معجم البلدان ٢/ ٢٠٤».

(١) شهرت: أخرجت وسلّطت، والألحاظ: العيون، والظّباء: الغزلان، والظُّبا: حدّ السيف والسهم، والبواتر: القواطع.

(٢) الخدر: ما يسترُ النساء من مكان، والخادر: الأسد في عرينه.

(٣) الغيد: الحسان، وتضافرت: تعاونت، والضّفائر: خصل الشعر المضفورة.

(٤) الترائب: من الصدر موضع القلادة، واللّمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة، واخضرّ الليل: اسودّ.

(٥) المدنف: المريض في الرّمق الأخير. (٦) سبى الفؤاد: أسرهُ.

(٧) ابن المعلم: هو محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم، أبو الغنائم، الواسطي الملقّب نجم الدين، كان شاعرًا رقيق الشعر، لطيف حاشية الطبع، يكاد شعره يذوب رقّة. «وفيات الأعيان ٥/ ٥».

(٨) الصعدة: قصبة الرّمح.

نـظـرةٌ مـن مُـقْـلَـتَـيْ جـاريَـةٍ ... وثـنَـتْ عِـطْـفَ الـقَـضِـيب الـثَّـمِـلِ
لـسْـتُ أدري: قـمـرٌ فـي كِـلَّـةٍ ... ما أرى، أم دُمْيَةٌ في هَيْكلِ؟[1]
سـألـتْ جِـسْـمِـيَ عـن سـاكـنِـهِ! ... ومـن الـجَـهْـلِ سُـؤالُ الـطَّـلَلِ![2]

وقال سيف الدين المشدّ: [من السريع]

وغـادةٍ، أعـشَـقُ مـن أجْـلِهـا ... بدرَ الدُّجَى والظَّبْيَ والخَيْزُرانْ
لأنَّ ذا يُـشْـبِـهُـهـا بـهـجـةً ... وذاكَ ألـحـاظًـا، وهـذا بَـنـانْ

وقال أبو نُواس: [من السريع]

يـا مُـنْـسِـيَ الـمَـأْتَم أشـجـانَـهُ ... لـمـا أتـاهُـمْ فـي الـمُـعَـزِّيـنَـا![3]
حَلَّتْ عِجَارَ الوَشْي عن صُورةٍ ... ألـبـسـهـا الله الـتَّـحـاسـيـنَـا![4]
اسـتَـفْـتَـنْـتَـهـنّ بـتِـمْـثـالـهـا ... فـهُـنَّ لـلـتَّـكـلـيـفِ يَـبْـكِـيـنَـا
حَـقٌّ لـذاكَ الـوجـه أن يَـزْدَهِـي ... عـن حُـزْنـه مَـنْ كـان مَـحْـزُونـا

وقال أيضًا: [من المتقارب]

أيـا لَيْـتَ شِـعْـرِي أمِـنْ صَـخْـرةٍ ... فُـؤادُكِ هـذا الـذي لا يَـلِـيـنْ!
تـقـولُ إذا مـا اشـتـكـيـتُ الـهـوى ... كما يَشْتكي البائسُ المُسْتَكِينْ
أفـي الـنَّـوْمِ أبْـصَـرْتَ ذا كـلَّه؟ ... فـخَـيْـرًا رأيـتَ، وخَـيْـرًا يـكُـونْ!

وقال المشوق الشامي[5]: [من مجزوء الكامل]

أتُــرَى بـثـارٍ أو بـدَيْـنِ ... عَلِقتْ محاسِنُها بعَيْنِي؟[6]
فـي خَـصْـرِهـا وقَـوامِـهـا ... ولِحَـاظـهـا مـا فـي الـرُّدَيْـنـي
وبـوَجْـهِـهـا مـاءُ الـشَّـبـا ... ب خـلـيـطُ نـار الـوجـنَـتَـيْـن

---

(١) الكلّة: الغلالة الرقيقة، والدّمية: الجميلة من النساء، والهيكل: الصورة والشخص والتمثال.
(٢) الطّلل: ما تبقّى من آثار الدّار بعد عفائها.
(٣) المأتم: مكان الحزن، أو اجتماع الناس في الأحزان، والأشجان: الأحزان.
(٤) العجار: ثوبٌ تلفّه المرأة على استدارة رأسها، والوشي: المنقوش من الأثواب.
(٥) المشوّق الشامي: أو الخليع الشّامي، كنيته أبو عبد الله، وكان شاعرًا مفلّقًا قد أدرك زمان البحتري، وبقي إلى أيام سيف الدولة الحمداني، فانخرط في سلك شعرائه، وقد أنشد بعضًا من شعره الخوارزمي. «اليتيمة ١/ ٣٣٣».
(٦) الثار: من الثأر، وهو أن يقتصّ أهل القتيل من قاتله.

وقال السريُّ الرفَّاء[١] شاعر اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

قـامـتْ وخُـوطُ الـبـانـة الـ ... ـمَـيَّـاسُ فـي أثْـوابـهـا[٢]
ويَـهُـزُّهـا سُـكـرانِ: سُـكـ ... ـر شَـرابـهـا وشَـبَـابِـهـا!
تَـسْـعَـى بـصَـهْـبَـاوَيْـنِ من ... ألـحـاظِـهـا وشَـرابِـهـا[٣]
وكـأنّ كـأْس مُـدامِـهـا ... لَمَّـا ارْتَـدَتْ بـحُـبـابِـهـا[٤]
تـوريـدُ وَجْـنـتِـهـا إذا ... مـا لاح تـحـتَ نِـقـابِـهـا

وقال ابن الروميّ: [من الرمل]

مِـنْ بـنـاتِ الـرُّوم، لا يَـكْـذِبُـنـا ... لـونُـهـا الـمُـشْـرِقُ عـن مَـنْـصِـبـهـا
قـامـةُ الـغُـصْـنِ - إذا مـا اعـتـدَلَتْ ... قـامـةُ الـغُـصْـنُ - إلـى مَـنْـكَـبِـهـا[٥]
شَـهِـدَ الـشـاهـدُ مـن أحـسـنـهـا ... فـحـكـى الـغـائـبَ مـن أطْـيـبِـهـا
تَـشْـفَـعُ الـحـسـنَ بـإحـسـانِ لـهـا ... يَـجْـلُـب الأفـراحَ مـن مَـجْـلَـبِـهـا
تَـشْـرَع الألْـحـاظُ فـي وَجْـنَـتِـهـا ... فَـتُـلاقِـي الـرِّيَّ فـي مَـشْـرَبِـهـا
وجْـنَـةٌ لـلـغـنْـج فـيـهـا عَـقْـرَبٌ ... وبَـلاءُ الـصَّـبِّ مـن عَـقْـرَبِـهـا[٦]
وإذا قـامَـتْ إلـى مَـلْـعَـبِـهـا ... كَـمَـهـاةِ الـرَّمْـلِ فـي مَـلْـعَـبِـهـا
سـألَـت أردافُـهـا أعـطـافَـهَـا ... هَـلْ رأتْ أوْطَـأَ مـن مَـرْكَـبِـهـا؟[٧]

---

(١) السرّيّ الرفّاء: هو السّري بن أحمد الكندي المعروف بالرّفاء، كان يرفو ويطرز بالموصل طيلة باكورة شبابه، وتكسّب بالشعر، ثم انتقل من تطريز الثياب إلى تطريز الكلمة والكتاب، فشعر بجودة شعره وشعر غيره، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر «كشاجم» اتّصل بسيف الدولة ومدحه، فاشتهر وذاع صيته، وحسن موقعه وموقع شعره عند الأمراء. «اليتيمة ٢/ ١٣٧ وما بعدها».
(٢) الخوط: الغصن الناعم، أو كلّ قضيب لان، والبان: مفردها بانة: شجرة ليّنة بيضاء الزهراء طويلة الورق، والميّاس: المتثنّي من دلال.
(٣) الصهباوان: مثنّى صهباء، وهي الخمرة.
(٤) المدام: الخمرة، والحُباب: الفقاقيع التي تظهر على سطح الماء أو الخمرة.
(٥) المنكب: مجتمع رأس الكتف إلى العضد.
(٦) الوجنة: صفحة الخدّ، والعقرب: خصلة الشعر بين الأذن والصدغ، والصبّ: العاشق.
(٧) الأرداف: مفردها ردف وهو ما ظهر من المؤخّرة، والأعطاف: مفردها عطف، وهو جانب الإنسان من عاتقه إلى ردفه، وأوطأ: أسهل وألين.

وقال أبو الحسين بن فارس[١]: [من السريع]

مَـرَّتْ بـنـا هَـيْـفـاءُ مَـقْـدُودةٌ   تُـرْكِـيَّـةٌ تُـنْـمـى لِـتُـرْكِـيِّ
تـرنُـو بـطَـرْفٍ فـاتـرٍ فـاتـنٍ   أضـعَـفَ مـن حُـجَّـةِ نَـحْـوِيِّ

❊ ❊ ❊

ومما قيل في المُطْلَق والمشترك، قال الطغرائيّ[٢]: [من البسيط]

فيمَ التَّعَجُّبُ من قَلْبِي وصَبْوتِهِ   كأنَّكُم لم تَرَوْا من قَبْلِهِ عَجَبَا!
ذوُقوا الهَوى ثمَّ لُومُوا ما بَدَا لَكُمُ   أَوْ لا، فخَلُّوا مَلَامِي واربَحُوا التَّعَبَا!

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكنْتُ أُرانِي مُفْلِتًا شَرَكَ الهوَى   وقد صادَنِي سحرُ العُيونِ النَّوافِثِ[٣]
وأسْمَعَنِي داعِي الغَرام نِداءَه   فقمتُ إليه مُسْرِعًا غير لابِثِ
وأعطَيْتُ إخْوانَ البَطالةِ صَفْقَتِي   وبعتُ قدِيمًا من غَرامِي بحادثِ
فما صَفْقَتِي في البيعِ صَفقةُ خاسِرٍ   ولا بَيْعَتِي للحُبِّ بيعةُ ناكِثِ
فلا تَعْذِلُوني في غرامِيَ بعدَمَا   تولَّى الصِّبا، فالعَذْل أوّلُ باعث!
ولا تبحَثُوا عن سِرِّ قلبيَ إنَّه   صَفًا، ليس يَمْضِي فيه مِعْوَل باحِثِ[٤]
أرى صَبَواتِ الحبِّ قد جَدّ جدُّها   وقد كان بدءُ الحبِّ مَزْحةَ عابِث!

وقال الأرّجانيّ[٥]: [من الرجز]

قِفَا مَعِي في هذه المَعَاهِدِ!   لا بُدَّ للصَّبِّ من المُساعِدِ![٦]

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، كان بهمذان من أعيان العلم وأفراد الدّهر، يجمع إتقان العلماء وظرف الكتّاب والشعراء، له كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار مليحة وتلامذة كثيرة، منهم بديع الزّمان الهمذاني. «انظر اليتيمة ٣/ ٤٦٣ وما بعدها».

(٢) الطغرائي: هو فخر الكتّاب أبو إسمٰعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقّب مؤيّد الدّين الأصبهاني، المنشىء المعروف، كان عزيز الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والشعر. «وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥».

(٣) شَرَك الهوى: حبائلة، والنّوافث من السّحر: ما يسحر الإنسان ويسلبه لبّه.

(٤) الصّفا: الصخر الصلد الأملس.

(٥) الأرّجاني: هو أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر ناصح الدين، الأرّجاني، شاعرٌ، في شعره رقّة وحكمة، ولي قضاء تستُر، له ديوان شعر مطبوع، وهو عربي المحتد. «فهرس الأعلام ١/ ٢١٥».

(٦) المعاهد: الدّيار، والصبّ: العاشق.

لا تَبْخَلَا يا صاحبَيَّ واسمَحا بوقْفةٍ على المُعَنَّى الواجد[١]
في مَنْزِلٍ عَهِدْتُ في عِرَاصِه لو ردّ معهودًا بكاءُ عاهِد[٢]
كواعبًا من الدُّمى لواعِبًا مُشْبِهَة الثُّغور بالقلائِدِ[٣]
يمشِين من فرط النَّعيم والصِّبا كالقُضب المَوائل المَوَائِد
فيهنَّ ظَبْيٌ عَلقَ القلبُ به من الظِّباء النُّفُرِ الشوارد
إذا تَبَدَّى مرضٌ بطَرْفِهِ لم يخلُ من أفئدة عوائِدِ
رميتُه، فصادني، فمن رأى صَيْدًا يمرّ بفؤاد الصائِدِ؟
قطعتُ من قلبي رجائي في الهوى! والقَطْعُ طِبُّ كلِّ عُضو فاسدِ![٤]

وقال أبو القاسم عبد الله الدينوريّ[٥]، شاعر اليتيمة: [من الخفيف]

يا لِعَصْرِ الخَلاعةِ المودود ولظِلّ الشَّبيبةِ الممدُود!
وارتشافِي الرُّضابَ من بَرَد الثَّغـ ـر ولَثْمي عليه ورْدَ الخُدُودِ!
وبُكُورِي إلى مجالسِ عِلْمٍ ورَواحي إلى كواعبَ غيد!
في قميصٍ من السُّرور مُذَالٍ ورداء من الشَّباب جَديد![٦]

وقال تاج الملوك بن أيّوب: [من المنسرح]

ألَّا رحِمْتُمْ متيّمًا دنِفًا ما زالَ من جَوْرِكم بكُمْ عائذْ![٧]
صَبًّا قضى الله أن يَهيم بكُمْ ولا مردّ لحكمِهِ النافِذْ!
يلوذُ حُبًّا دُونَ الأنام بكم وحَسْبُه أنّهُ بكُم لائذْ!

---

(١) المعنّى: الأسير.
(٢) العراص: الساحات، مفردها: عرصة، والعاهد: المحافظ على العهد.
(٣) الكواعب: مفردها «كاعب» وهي الفتاة الناهد.
(٤) الطبّ: العلاج.
(٥) هو عبدالله بن عبد الرحمٰن الدينوري، أبو القاسم، أديبٌ من رؤساء الكتاب ووجوه العمّال بخراسان، ينتسب إلى العباس بن عبد المطلب، قال الثعالبي: ومصنّفاته في محاسن الأدب تربى على الثلاثين وله شعر كثير. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٦».
(٦) المذال: من الثوب الذي له ذيل، يريد: قميصًا فضفاضًا من السُّرور.
(٧) الدّنف: الذي اشتدّ مرضه، والعائذ: المستجير.

وقال فخر الدين الوركانيّ، شاعر الخريدة: [من الطويل]

أأحبابَنَا أمّا حياتِيَ بَعْدكم فموتٌ، وأما مَشْرَبي فمنَغَّصُ
وأسعَدُ شيءٍ فيَّ قلبي لأنّه لدَيْكم، وجِسْمي بالبِعاد مخصَّصُ!

وقال العماد الأصفهانيّ: [من الطويل]

بذلتُ لهم - أبْغِي رِضاهُم - مودَّتِي وقلبي وصَبْرِي والرُّقادَ، فما رَضُوا
وهِبْنِيَ عن كلٍّ تعوّضتُ بَعْدَهم فقُلْ لي: بماذا عنهُمُ أتعَوّض؟
وما كان ظنّي أنَّ عَيْشِيَ يَنْقَضِي ونجمَ الصِّبا ينقَضُّ والعَهْد يُنْقَضُ

وقال الطغرائيّ: [من المنسرح]

إنّ الأُلى أرضاك قولُهُمُ بالأمس، تحتَ رضاهُمُ سُخْطُ!
لَمَّا صَفا ذاك الجمالُ لَهُمْ تاهُوا على العُشّاق واشتَطُّوا[١]
هَمُّوا ببَيْنٍ فاستطارَ له قلبي، فكيفَ يكون إنّ شَطُّوا؟[٢]

وقال الطغرائيّ أيضًا: [من الكامل]

في القَلْب من حَرِّ الفراقِ شُوَاظُ والدمعُ قد شَرقتْ به الألحاظ[٣]
ولقد حفِظْت عُهودَكُمْ، وغدرتُم شتَّانَ غَدْرٌ في الهوى وحفَاظُ!
لله أيُّ مواقِفٍ رقَّتْ لنا فيها الوسائلُ، والقلوبُ غلاظُ!

وقال أيضًا: [من البسيط]

وسائلٍ عن جَوى قلبي، فقلتُ له: ما أنتَ عِنْدِي على سِرٍّ بمتَّهَمِ!
طابَ الجوَى في الهوَى حتّى أَنِسْتُ به فهو المَرارةُ يَحْلُو طَعْمُها بفمي!

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه[٤]: [من الطويل]

أتقتُلُني ظُلْمًا وتجحَدُني قَتْلِي وقد قام من عينيكَ لي شاهِدًا عَدْل![٥]

---

(١) اشتطّ: ظلم.
(٢) البَيْن: الفراق، واستطار القلب: خفق من الخوف، وشطّوا: بعدوا.
(٣) الشّواظ: الشّرر المتطاير من النار، أو اللّهب لا دخان له.
(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه، أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلًا وأدبًا ونبلًا، شعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة، من مصنّفاته العقد الفريد، وقد أورد فيه جلّ أشعاره، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ، وأصيب بالفالج قبل وفاته سنة ٣٢٨ هـ. «انظر فهرس الأعلام ١/٢٠٧».
(٥) تجحد: تنكر.

أطُلَّابَ ذَحْلي، ليس لي غَيْرُ شادِنٍ بعينيه سِحْرٌ فاطلُبُوا عِنْده ذَحْلي![١]
أغارَ على قلبي، فلما أتيتُهُ أُطالِبُه فيه، أغارَ على عَقْلِي![٢]
بنفسِي التي ضَنَّتْ بِرَدِّ سلامها! ولو سألَتْ قتلي، وهبْتُ لها قَتْلِي![٣]
إذا جئتها صَدَّتْ حَياءً بوجهها فتَهْجُرُني هَجْرًا ألذَّ من الوَصْلِ
وإن حَكَمَتْ جارتْ عَلَيَّ بحُكْمِها ولكنَّ ذاكَ الجورَ أشهى من العَدْلِ
كتمتُ الهوى جَهْدِي، فجوّده الأَسَى بماء البُكا، هذا يَخُطُّ وذا يُمْلِي!
وأحبَبْتُ فيها العَذْلَ حُبًّا لذِكْرِها فلا شَيْءَ أحلى في فُؤادي من العَذْلِ!
أقولُ لقلبِي كُلَّما ضامه الأسى إذا ما أبيتَ العِزَّ، فاصبِرْ على الذُّلِّ![٤]
برأيكَ لا رأيي تعرَّضْتَ للهوى وأمرِكَ لا أمرِي وفعلِك لا فِعْلِي
وجدْتَ الهوى نصلًا من الموت مُغْمدًا فجرّدتَهُ ثم اتّكأتَ على النّصل![٥]
فإن كنتَ مَقْتُولًا على غَيْرِ رِيبةٍ فأنتَ الذي عَرَّضتَ نفسَكَ للقَتْلِ!

وهذه الأبيات معارضة لصريع الغواني[٦] في قوله: [من الطويل]

أدِيرَا عَلَيَّ الكأس، لا تَشْرَبَا قَبْلِي ولا تَطْلُبَا من عند قاتلتِي ذَحْلِي!
فما حَزَنِي أنّي أموتُ صَبابةً ولكنْ على مَنْ لا يَحِلُّ لها قَتْلِي!
فَدَيْتُ التي صَدَّتْ وقالت لِتِربها دَعُوهُ، الثُّريَّا منه أقربُ من وَصْلِي![٧]

وقال ابن عبد ربّه: [من الطويل]

صَحا القلبُ، إلا خَطرةً تبعثُ الأسى لها زَفرةٌ موصولةٌ بحَنِينِ[٨]
بلى، رُبَّما حلتْ عُرَى عَزَماتِهِ سوالِفُ آرام وأعيُنُ عِينِ[٩]

(١) الذّحل: الثأر والحقد.
(٢) أغار: هجم ليسلب.
(٣) ضنّت: بخلت.
(٤) ضامه: ظلمه، والأسى: الحزن.
(٥) النصل: حديدة الرمح والسّهم والسّكين.
(٦) صريع الغواني: هو مسلم بن الوليد الأنصاري، أبو الوليد، شاعر من أهل الكوفة نزل بغداد ومدح الرّشيد والبرامكة، واتّصل بالفضل بن سهل، فورًا، يريد جرجان فاستمرّ إلى أن مات فيها سنة ٨٢٣ م، وهو أوّل من أكثر من البديع في شعره. «فهرس الأعلام ٧/ ٢٢٣».
(٧) الترب: الرفيق من عمرٍ واحد، والثريّا: مجموعة نجوم في السّماء.
(٨) أصحا القلب: زال عنه الغمّ، والخطرة: ما يرد على البال.
(٩) العزمات: الفرائض، الآرام: الغزلان البيضاء، والعِين: بقر الوحش.

لـواحـظ حَـبَّـات الـقـلوب إذا رنَـتْ ... بـسِـحْـرِ عُـيُـونٍ وانـكـسـارِ جُـفُـونِ
ورَيْـط مـن الـمَـوْشِـيِّ أيْـنَـعَ تـحـتَـهُ ... ثِـمـارُ صُـدورٍ، لا ثِـمـارُ غُـصُـونِ[1]
بُـرُودٌ كـأنـوارِ الـربـيـع لـبِـسْـنَـهـا ... ثـيـابَ تَـصـابٍ لا ثـيـابَ مُـجُـون
فَـرَيْـنَ أدِيـمَ الـلـيـلِ عـن نُـورِ أوجُـهٍ ... تُـجَـنُّ بـهـا الألـبـابُ كـلَّ جُـنـونِ[2]
وجـوهٌ جرى فـيـهـا الـنـعـيـمُ فكُـلِّلَـتْ ... بـوَرْدِ خـدودٍ يُـجْـتَـنَـى بـعُـيـونِ
سـألْبَـسُ لـلأيَّـام دِرْعًـا مـن الـعَـزَا ... وإنْ لـم يـكُـن عـنـد الـلِّقَـا بـحَـصـيـنِ
وكيـفَ، ولـي قَـلْـبٌ إذا هَـبَّـت الـصَّـبا ... أهـابَ بـشَـوْقٍ فـي الضُّلوعِ دَفِينِ؟[3]

وقال آخر: [من الكامل]

هَـزُّوا الـقُـدودَ وجَـرَّدوا الأجْـفَـانـا! ... فـاطـلُبْ لـنـفـسِـك، إنْ قـدَرْتَ أمـانـا
وألْـقِ الـسِّـلاحَ إذا انْـثَـنَـوْا وإذا رنَـوْا ... وكُـنِ الـجَـبَـانَ وإن مَـلَـكْـتَ جَـنَـانَـا[4]
واحـذَرْ ضِـرَامًـا بـالـعـيُـون، وسَـلْ بـه ... مِـثْـلِـي، وجـانـب بـالـقُـدُود طـعَـانـا
فـلـقـد رأيْـتُ الأُسْـدَ وهـي كـواسـرٌ ... تَـخْـشَـى بـمـعـتَـرَكِ الـهـوى الـغُـزْلانـا
لا تـعـبَـثَـنَّ بـذابـلٍ وبـبـاتِـرٍ! ... وخَـفِ الـمُـهَـفْـهَـفَ واحـذر الـوَسْـنـانـا![5]
لَـوْلا تـشـابُـهُ مـقـلـةٍ أو قـامـةٍ ... مـا خـفْـتُ يـومًـا صَـعْـدَةً وسَـنَـانـا[6]
وأنـا الَّـذي حَـضَـرَ الـوقـائِـعَ فـي الـهـوى ... وأقـامَ فـي أَسْـرِ الـغَـرام زَمَـانَـا
ولـكَـمْ رأيـتُ بـه الـشَّـدائِدَ مُـرَّةً! ... ولَـكَـمْ رأيـتُ بـه الـمَـمـاتَ عـيَـانَـا!
وثَـبَـتُّ بـيـنَ مَـعَـاطِـفٍ ولـواحِـظٍ ... فـي مَـوْقِـفٍ يَـذَرُ الـشُّـجـاعَ جَـبَـانَـا!
مُـسْـتَـسْـلِـمًـا لـلـعِـشْـق: لا مُـسْـتَـصْـرِخًـا ... صَـبْـرًا، ولا مـسـتَـنْـجِـدًا سُـلْـوانـا
أرجُـو الـشـهـادةَ إن قُـتِـلْـتُ بـه، ومـا ... ولَّـيْـتُ فـيـه ولا ثـنَـيْـتُ عِـنَـانـا
يـا وَيْـحَ قـلـبٍ مـا خَـلَا مـن شُـغْـلِـهِ ... بـصَـبـابـةٍ ومَـحـبَّـةٍ مـذ كـانَـا!
لـو فَـتَّـشُـوهُ لـمـا لَـقُـوا لِـسِـوى الـهـوى ... فـيـه ولا غَـيْـرِ الـغـرام مَـكـانَـا

---

(١) الرّيطة: الملاءة، والموشي: المزيّن. (٢) فرى: قطع وكشف، وأديم الليل: سواده.
(٣) الصَّبا: ريح باردة منعشة، وأهاب: دعا.
(٤) انثنوا: تمايلوا دلالًا، ورنوا: نظروا، والجنان: العقل.
(٥) تعبثنّ: تلعبن، والذّابل: الرّمح، والباتر: السيف، والمهفهف: الضامر الخصر، والوسنان: يريد الطّرف الناعس الفاتر.
(٦) الصّعدة: قصبة الرّمح، والسّنان: نصل الرّمح.

وقال التلعفريّ[١]: [من الكامل]

هذا العَذُول عليكُمُ، ما لي ولَهْ؟ أنا قد رَضِيتُ بذا الغَرام وذا الوَلَهْ![٢]
شرْطُ المحبّةِ أنّ كلّ متيَّمٍ صَبٌّ يُطِيع هَواه، يَعْصِي عُذَّلَهْ
وأخذْتُموني حينَ سار بحبِّكُم مَثَلِي، ومِثْلِي سِرّه لن يَبْذُلَهْ!
ما عربَتْ واللهِ عن وَجْدِي بكُمْ وصبابَتِي إلّا دُموعِي المُهْمَلَهْ
جُزْتُمْ مَدَاكُمْ في قطيعتِكُمْ، فلا عطفٌ لعائدكُمْ يُرامُ، ولا صِلَهْ
أألومُكُمْ في هَجْرِكم وصُدُودِكُمْ ما هذه في الحُبِّ منكم أوّلَهْ!
قَسَمًا بكُمْ، قد جِزْتُ مما أشْتَكِي! حَسْبِي الدُّجَى، فعَدِمْتُه ما أطْوَلَهْ!
لَيْلي كيومِ الحَشْر معنًى إن يكُنْ لا ليلَ ذاكَ له، فذا لا صُبْحَ لَهْ
يا سائلي مِنْ بَعْدِهِمْ عَنْ حالَتِي! تركُ الجوابِ جوابُ هذي المسألَهْ!
حالِي إذا حَدَّثتُ لا لُمَعًا ولا جُمَلًا لإيضاحي لها من تَكْمِلَهْ[٣]
عِنْدِي جَوًى يَذَرُ الفصيحَ مُبَلَّدًا فاترُكْ مفَصَّله! ودُونَك مجمَلَهْ![٤]
القلبُ ليس من الصِّحاحِ فيُرْتجى إصلاحُه، والعينُ سُحْب مُثْقَلَهْ[٥]
يا نازِحينَ، وفي أكِلَّةِ عِيسِهِمْ رَشَأٌ عليه حَشَا المُحِبِّ مقَلْقَلهْ![٦]
قمرٌ له في الطَّرْف بل في القَلْب بل في النَّثْرة الحَصْداء أشرفُ مَنْزِلَهْ[٧]
الصُّدْغ منه عَقْرَبٌ، ولِحاظُه أسَدٌ، وخلفَ الظَّهْر منه سُنْبُلَهْ[٨]

---

(١) التلّعفري: هو محمد بن يوسف، شهاب الدين، أبو عبد الله، شاعر نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل، وُلد في الموصل، وسافر إلى دمشق فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف الأيوبي، كان يستجدي بشعره ويقامر، توفي سنة ١٢٧٧ م. «فهرس الأعلام ٧/ ١٥١».
(٢) العذول: اللّائم، والوَلَه: الحب الشديد.
(٣) في البيت إشارة إلى الكتب الشهيرة: اللُّمع، الجُمل، الإيضاح، التكملة، وكلّها في علم العربية.
(٤) يشير إلى «الفصيح» الثعلب، والمفصّل: للزمخشري، والمجمل: لابن فارس وكلّها كتب في اللغة.
(٥) يشير إلى: الصّحاح للجوهري، وكتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهما من كتب اللّغة ومعاجمها.
(٦) النازح: المنتقل من بلدٍ إلى آخر، والأكلّة: مفردها كلّة وهي ستار رقيق يحيط بالرّحل على ظهر الناقة، والعيس: النوق، والرشأ: الغزال ، والحشا: ما انضمّت عليه الضلوع، والمقلقلة: المضطربة.
(٧) يشير إلى بعض منازل القمر، وهي «الطرفة» و«القلب» و«النثرة».
(٨) يشير إلى بعض البروج التي في السّماء، وهي: العقرب، والأسد، والسنبلة.

مـا أجـورَ الألـحـاظ مـنـه إذا رَنَـا! وإذا أَنـثـنـى، فـقَـوامُـه مـا أعْـدَلَهْ!
لـو لـم يُـصِبْ صُدْغَيْهِ عارضُ خدِّه ما أصبحَتْ في عارِضَيْهِ مُسَلْسَلَهْ
لله مــنــه مُــهَــفْــهَــفٌ أجْــنــيْــتُــهُ عَسَلَ الهوى فجنَيْتُ منه حَنْظَلَهْ[1]
لـو كـنـتُ فـيـه قَـبِلتُ نُصْحَ عَوَاذِلي مـا أدبـرتْ أيـامُ حَـظِّي الـمُـقْـبِـلَهْ!

وقال الطغرائيّ: [من الطويل]

رُوَيْـدكُـمُ! لا تَـسْـبِـقُـوا بِـقَـطِـيـعَـتـي صُروفَ الليالي، إنَّ في الدّهر كافِيَا
ويا قلبُ، وعاوِدْ ما أَلِفتَ من الجوَى! مَعَاذَ الهوى أن تُصْبِح اليومَ سالِيَا!
ويا كَبِدي، ذُوبِي! ويا مقلتي، اسْهَري! ويا نَفْسِ لا تُبْقِي من الوَجْدِ باقِيَا!
فلا تَطْمَعُوا في بُرْءِ ما بِي، فإنَّه هو الداءُ قد أعْيَا الطبيب المُدَاوِيَا!

* * *

ومما قيل في طَيْف الخيال، قال قيس بن الخطيم[2]: [من الكامل]

إنّي شَرِبْتُ، وكنتُ غير شَرُوب! وتُـقـرِّبُ الأحـلامُ غَـيْـرَ قَـرِيـب
ما تَمْنَعِي يَقْظَى، فقد تُؤْتِينَهُ في النَّوْم غَيْرَ مُكدَّر مَحْسُوبِ
كـان الـمُـنَـى تِـلْقاءَهـا، فـلقِـيـتُـهـا ولهَوْتُ من لَهْو امرىءٍ مَكْذُوبِ!

وقال عمرو بن قَمِيئَةَ[3]: [من المتقارب]

نَــأَتْــكَ أُمــامَــةُ، إلّا سُــؤَالَا وإلّا خَـيَـالًا يُـوافِـي خَـيَـالَا[4]
خَـيَـالًا يُـخَـيِّـلُ لـي نَـيْـلَهَـا ولـو قَـدَرتْ لـم يُـخَـيِّلْ نَـوَالَا!

قال أبو هلال العسكري: ومن هاتين القطعتين أخذ المحدّثون أكثرَ معانيهم في الخَيال.

(١) المهفهف: الضامر القدّ والقوام، والحنظل: نبات تمرُهُ مرّ.
(٢) هو قيس بن الخطيم، شاعر جاهلي أنصاري جيّد الشعر حسنه، وهو شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهليّة، أدرك الإسلام ومات قبل أن يسلم، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٠٥».
(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد الوائلي النزاري، شاعر جاهلي مقدّم، صحب امرىء القيس في طريقه إلى ملك الرّوم فمات في الطريق، وكان واسع الخيال في شعره، توفي نحو سنة ٥٤٠ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨٣».
(٤) نأتك: من النأي وهو البعد، ويوافي: يأتي، ويتلو.

وقال البَعِيث[١]: [من الطويل]

أزارَتْكَ ليلى، والرِّكابُ خَواضِعٌ؟ وقد بَهَرَ اللَّيْلُ النُّجُومَ الطَّوالِعُ!
وأعطَتْكَ غاياتِ المُنى غير أنَّها كَـواذِبُ إنْ حَـصَّـلتَـهـا وخَـوَادِعُ

وقال أبو تمام: [من الخفيف]

إسْتَـزَارَتْـه فِـكْـرَتِـي فـي الـمَـنَـام فـأتـاهـا فـي خِـفْـيـةٍ واكْـتِـتـام
يـا لـهـا لَـيْـلَـةً تـزاوَرَتِ الأرْ واح فـيـهـا سِـرًّا عَـنِ الأجْـسـام!
مجلِسٌ لم يكن لنا فيه عَيْبٌ غَـيْـرَ أنَّـا فـي دَعْـوة الأحْـلام!

وقال الحمدونيّ[٢]: [من الخفيف]

لـم أنَـلْه، فـنِـلْتُـه بـالأمَـانِـي في مَنَامِي سِرًّا من الـهِـجْـرانِ!
واصل الحُلْمُ بينَنَا بَعْدَ هَجْرٍ فـاجـتـمَـعْـنـا ونـحـنُ مُـفْـتَـرِقـانِ
وكـأنَّ الأَرواحَ خـافَـتْ رَقِـيـبًـا فَـطَـوَتْ سِـرَّهـا عـن الأبْـدان
مَـنْـظَـرٌ كـان نُـزهـةَ الـعَـيْـنِ إلَّا أنَّـه مَـنْـظَـرٌ بـغـيـرِ عِـيَـان[٣]

وقال ابن الروميّ: [من الرّمل]

طَـرقَـتْـنـا، فـأنـالَتْ نـائـلًا شُكْرُه ـ لو كان في النُّبْه ـ الجُحُودُ[٤]
ثـم قـالـتْ، وأحَـسَّـتْ عَـجَـبِـي من سُرَاها حيثُ لا تَسْرِي الأُسُودُ[٥]
لا تعَجَّبْ من سُرَانا، فالسُّرى عـادةُ الأقـمـار والـنـاس هُـجُـودُ[٦]

أخذ العسكريّ المعنى، فقال: [من الخفيف]

رقَـبَـتْ غَـفْـلَةَ الـرَّقِـيـبِ، فـزارَتْ تـحـتَ لَـيْـلٍ مُـطَـرَّزٍ بـنَـهـارِ

---

(١) البَعِيث: هو خداش بن بشر بن خالد المجاشعي، أبو زيد، خطيبٌ شاعرٌ من أهل البصرة، توفي بالبصرة سنة ٧٥١ م. «فهرس الأعلام ٢/٣٠٢».
(٢) الحمدوني: هو محمد بن أحمد الحمدوني، شاعرٌ ورد ذكره في اليتيمة، وقد مدح الوزير أبو نصر سابور بن أردشير، بعد أن أعيد إلى الوزارة بعد خلعه. «انظر اليتيمة ٣/ ١٤٥».
(٣) العِيان: المشاهدة، ومنظر بغير عيان، أي بلا مشاهدة بالعين لأنه كان خياليًّا.
(٤) طرقتنا: زارتنا ليلًا، والنّائل: العطاء، والنُّبه: اليقظة، والجحود: النكران.
(٥) سُراها: أي مَسراها ليلًا حيث يكون الخوف.
(٦) الهجود: الرّقاد.

فتعجَّبْتُ من سُراها، فقالتْ ... غَيْرُ مستَغْرَبٍ سُرى الأقمار!
ثم مالَتْ بكأسِها فسَقَتْنِي ... جُلَّنارِيَّةً على جُلِّ نارِي![1]

وقال آخر: [من الطويل]

فيا لَيْتَ طَيْفًا، خيَّلَتْه لِيَ المُنى ... وإنْ زادَنِي شوقًا إليك، يَعُودُ!
أُكلِّف نفسي عنك صَبْرًا وسَلْوَةً ... وتَكْليفُ ما لا يُستطاعُ شديدُ!

وقال العسكريّ: [من الكامل]

طَرَق الخَيالُ، فزَارَ منه خَيالا ... فسرى يُغازِلُ في الرُّقاد غَزَالا
يا كَشْفَةً للكَرْب، إلَّا أنَّهُ ... وَلَّى على دُبُرِ الظَّلام فزَالا
قَعَد المتيَّمُ، وهو أكثَرُ صَبوةً ... وأشَدُّ بِلبالًا وأكسَفُ بالًا![2]

وقال العماد الأصفهانيّ: [من الكامل]

ظَبْيٌ طَرِبتُ لِطَيْفِه المتأوِّبِ ... طَرَب العليلِ لرُؤْية المُتَطَبِّبِ[3]
لم أدْرِ زَوْرَتَهُ، أكانت خَطْفَةً ... من بارقٍ أم لمعةً من كَوْكَبِ
زار الكَرى متهيِّبًا رُقَباءَه ... أهْلًا به من زائرٍ متهيِّبِ![4]
لَمَّا رأى وَجْدِي، تأوَّهَ رحمةً ... للهِ مِنْ مُتَأَوِّهٍ متأوِّبِ![5]
وأتى ليقرُبَ من وِسادِ مُتَيَّمٍ ... لَمَّا أحَسَّ بنارِهِ، لم يَقْرُبِ

وقال محمد بن بختيار[6]: [من مخلّع البسيط]

لو أنَّ طَيْفَ الخيالِ يَسْرِي ... بَلَّ سُراهُ غليلَ صَدْرِي[7]

---

(١) الجلناريّة: نسبة إلى الجلّنار، وهو زهر الرّمان، يريد خمرة لونها لون زهر الرّمان، والجلّ: الكثير.
(٢) الصّبوة: جهل الفتوّة ولهوها، والبلبال: شدّة الهمّ والوسواس.
(٣) الطّيف: الخيال، المتأوّب: الرّاجع أوّل الليل.
(٤) الكرى: النعاس، والمتهيّب: الخائف أو الذي فيه حياء.
(٥) المتأوّه: المتوجّع الذي يقول «آه» ألمًا وشكوى، والمتأوّب: الذي عاوده الألم أو الشوق.
(٦) هو محمد بن بختيار بن عبد الله البغدادي، شاعر من أهل بغداد، كان ينعت بالأبله لقوّة ذكائه، في شعره رقّة وحسن صناعة، وكان هجّاءً خبيث اللّسان، له ديوان شعر مخطوط، توفي سنة ١١٨٣ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٥٠».
(٧) بلّ: أنعش من ظمأ، والغليل: ظمأ العشق هنا.

ولـــو أرادَ الـــحـــبـــيـــبُ أنْ لا يَضِيمَني، ما استطابَ هَجْرِي
يَـلومُـنِـي فـي هَـوَاه مَـنْ لا يَـعـلَمُ أنَّ الـمَـلَامَ يُـغْـرِي
كَـمْ لـيـلةٍ زار فـي دُجـاهَـا فـكـان تَـحْـتَ الـظَّـلام بَـدْرِي
يُـتْـحِـفُـنـي بـاحْـمِـرار خَـدٍّ مُـوَرَّدٍ وابـيـضـاض ثَـغْـر
يَـجْـمَـعُ لـي بَـيْـنَ سُـكْـرِ لَحْظٍ وسُـكْـرِ رِيـقٍ وسُـكْـرِ خَـمْـر
ودُرِّ لَـفْـظٍ ودُرِّ ثَـغْـرِ ودُرِّ كـأسٍ ودُرِّ نَـحْـرِ

وقال آخر: [من الخفيف]

قلتُ للمُعْرِض الَّذِي صَدَّ عَنِّي إنَّ طَيْفَ الخيالِ لي عنكَ يُغْنِي
قال: لا تَحْمَد الخيَالَ فما زا رَكَ إلَّا عنِ اخْتِيارِي وإذْنِي
كِدْتَ تَقْضِي أسًى، فقلتُ لِطَيْفِي أَحْيِ لي روحَهُ بِزُور التَّمَنِّي![1]
ليس شُحًّا بأن تموتَ؛ ولكِنْ خِفْتُ أنْ تَسْتَرِيحَ بالموتِ مِنِّي!

وقال آخر: [من الطويل]

فإنْ يَحْجُبُوهَا بالنهار، فَمَا لَهُمْ بأن يَحْجُبُوا بالليل عَنِّي خَيَالَها!

وقال المجنون[2]: [من الطويل]

وإنِّي لأَسْتَغْشِي، وما بي نَعْسَةٌ لعَلَّ لِقاهَا في المَنَامِ يَكُونُ![3]
تُخَبِّرُني الأحلامُ أنِّي أراكُمُ ألَا لَيْتَ أحلامَ المَنامِ يَقِينُ!

وقال المؤمل[4]: [من الطويل]

أتانِي الكَرَى لَيْلًا بشَخْصٍ أُحِبُّه أضاءَتْ له الآفاقُ، والليلُ مُظْلِمُ
فكلَّمَنِي في النَّوْمِ غَيْرَ مُغَاضِبٍ وعَهْدِي به يَقْظانَ لا يَتَكَلَّمُ

---

(١) الزّور: الكذب.
(٢) المجنون: هو قيس بن الملوّح العامري، شاعر غزل، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا ولكنّه لقب بذلك لحبّه «ليلى بنت سعد»، توفي سنة ٦٨٨ م. «فهرس الأعلام ٥/٢٠٨».
(٣) استغشى: تلحّف بالغطاء طلبًا للنوم.
(٤) هو المؤمّل بن أُميل بن أسيد المحاربي، شاعر من أهل الكوفة، اشتهر في العصر العباسي، انقطع إلى المهدي، وقد عمي في أواخر عمره، ومات نحو سنة ٨٠٥ م.

وذكر العباس بن الأحنف[١] العلةَ في طُروق الخيال، فقال: [من الوافر]

خَيَالُكَ حِينَ أرْقُدُ نُصْبَ عَيْنِي ... إلى وقتِ أنتِباهي لا يَزُول
وليس يَزُورُني صِلةً، ولكِنْ ... حديثُ النَّفْس عنكَ به الوُصولُ

وتبعه الطائيّ فقال: [من البسيط]

زار الخيالُ لها، لا بل أزارَكَهُ ... فِكْرٌ، إذا نامَ فِكْر الخِلْو لم يَنَم
ظَبْيٌ تقنَّصتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ له ... في آخر الليلِ أشْراكًا من الحُلُمِ[٢]

* * *

ومما قيل في الردّ على العذول، قال أبو نُوَاس: [من السريع]

ما حَطَّك الواشُون من رُتْبةٍ ... عِندِي، ولا ضَرَّك مُغتابُ
كأنَّما أثنَوْا - ولم يَشْعُروا - ... عليكَ عِندي بالذي عابُوا

وقال تاج الملوك: [من الكامل]

مَهْ يا عَذُولُ عن المُحِبِّ، فإنَّما ... عَذْلُ المُحِبِّ يَزِيدُ في بِلْبَالِهِ![٣]
لا تَعْذُلَنَّ على الصَّبابةِ مُغْرَمًا ... حتَّى تَبِيتَ من الزَّمانِ بحالِهِ!

وقال أيضًا من قصيدة: [من الخفيف]

ولقد قُلْتُ للَّذِي لامَنِي فيـ ... ـك، وما زَالَ حالُه مِثْلَ حالي
يا عَذُولِي في حُبِّه، كُفَّ عَذْلِي ... أنا ما للعَذُولِ فيه وما لي!
كُلَّما زِدتَ في مَلامِي وعَذْلِي ... زِدْتُ في لَوْعَتِي وفي بَلْبالِي!

وقال الأرّجاني: [من الكامل]

وَجْدِي بلَوْمكَ، يا عَذُولُ يَزِيدُ! ... فاسْتَبْقِ سَهْمَكَ، فالرميُّ بَعِيدُ![٤]

---

(١) هو العبّاس بن الأحنف بن الأسود الحنفي، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، نشأ في بغداد ومات فيها سنة ٨٠٨ م، كان كلّ شعره في الغزل. «فهرس الأعلام ٣/٢٥٨».

(٢) تقنّصته: اصطدته، والأشراك: الحبال.

(٣) مَهْ: اسم فعل مبني على السّكون بمعنى «كفّ»، والعذول: اللّائم، والبلبال: الوسواس وشدّة الهمّ.

(٤) الرّميّ: الذي يريد العذول أن يرميه بسهمه ليصميه أو يصيب منه مكانًا، يقول: احتفظ بسهمك فلن تصيب الغرض لأن ما تقصد إيذاءهُ بعيدٌ عن مرمى سهمك وعذلك.

بَلَغ الهوى من سِرِّ قَلْبِيَ مَوْقِعًا ... لا العَذْلُ يَبْلُغه ولا التفنيدُ![(١)]
وتُنِمُّ بالشَّجْوِ المُكَتَّم عَبْرَتِي ... ومن الدُّموعِ على الغَرامِ شُهُودُا![(٢)]

وقال سيف الدين المشدّ: [من المجتثّ]

يا عاذلِي، خَلِّ عَنِّي! ... أسمعْتَ غيرَ سَمِيعِ!
لا تَرْجُ مِنِّي سُلُوًّا! ... فما فُؤادِي مُطِيعِي!
وكَيْفَ أكْتُمُ ما بِي ... مِنْ لَوْعَةٍ ووَلُوعِ
والذَّارِياتُ جُفُونِي ... والمُرْسَلاتُ دُمُوعِي![(٣)]

وقال ابن الخيمي[(٤)]: [من الطويل]

وتأمُرني العُذَّال بالصَّبر عَنكُمُ ... ومَنْ ذا الذي يَرْضى عن الحُلْوِ بالصَّبْرِ؟
ومِنْ أعْجَبِ الأشياءِ أنَّ عَوَاذِلِي ... يُطيلون لَوْمِي في الهوى، والهوى عُذْرِي!

* * *

ومما قيل في رجوع العذول، قال ابن وكيع[(٥)]: [من السريع]

أقْبَلَ والعُذَّالُ يَلْحُونَنِي ... فكلُّهم قال: مَنِ البَدْرُ؟[(٦)]
فقلت: ذَا مَن طالَ في حُبِّه ... منكم ليَ التعنيفُ والزَّجْرُ![(٧)]
قالوا: جَهِلْنا، فاغتفِرْ جَهْلَنا ... فليس عنْ ذا لامْرِئٍ صَبْرُ!
عُذْرُكَ في الحُبِّ له واضِحٌ ... وما لَنَا في لَوْمِنَا عُذْرُ!

---

(١) التفنيد: الكذب، والإتيان بالقول الباطل.
(٢) تنمُّ: تشي وتظهر، والشجوّ: حزن الحب، والمكتمّ: المستور الخفيّ.
(٣) «الذّاريات» و «المرسلات» سورتان في القرآن الكريم.
(٤) هو محمد بن علي، أبو طالب، مهذّب الدّين الحلّي، المعروف بابن الخيمي، عالم بالأدب، ولد بالحلّة المريدية، ورحل إلى بغداد وسوريا، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٤٥ م، له مصنّفات عدّة منها: أمثال القرآن، والمؤانسة في المقايسة. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٨٢».
(٥) هو الحسن بن علي الضبّي التنيسي، أبو محمد، المعروف «بابن وكيع» شاعر مجيد، أصله من بغداد، ومولده ووفاته في «تنيس» بمصر له ديوان شعر مطبوع، وكانت في لسانه عجمة، توفي سنة ١٠٠٣ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٠١».
(٦) لحاه: لامه.
(٧) التعنيف: اللوم بقسوة، والزّجر: المنع والرّدع.

وقال أيضًا: [من مخلّع البسيط]

أبْصَره عاذِلي عَلَيْه ولم يكنْ قبلَ ذا رآهُ
فقال لي: لو عَشقْتَ هذا ما لامَكَ الناسُ في هَواهُ!
قل لي: إلى من عَدَلْتَ عنه فليس أهْلَ الهوى سِوَاهُ؟
وظَلَّ من حيث ليس يَدْرِي يأمر بالحُبِّ مَنْ نَهاهُ!

* * *

ومما قيل في الوِصال، قال ابن الروميّ: [من الكامل]

ولقد يؤلّفنا اللّقاءُ بليلةٍ جُعلَتْ لنا حتَّى الصباحِ نِظامَا[1]
نَجْزِي العيونَ جزاءَهُنَّ عن البُكَا وعن السُّهاد ولا نُصِيب أثَامَا[2]
فنُبِيحهُنَّ مَرادهَنَّ، يَرُدْنَهُ فيما ادَّعَيْنَ، مَلَاحةً ووَسَاما
ونُكافىءُ الآذانَ، وهي حَقِيقةٌ إذ لا تَزالُ تُكابِدُ اللُّوَّاما
فنُثِيبهُنَّ من الحديث مَثُوبةً تَشْفِي الغليلَ وتَكْشِفُ الأسقامَا[3]
ونُكافِىءُ الأفواهَ عن كِتْمانها إذْ لا يَزالُ لها الصُّمَاتُ لِجاما[4]
فنبِيحهُنَّ مَلَاثمًا ومَراشفًا ما ضَرَّها أنْ لا تَكُونَ مُدَاما!
نَجْزِي الثلاثةَ أنصباءَ ثلاثةً مقسومةً آناؤُها أقساما[5]

* * *

ومما قيل في الفراق والبَيْن، قال بعض الكُتَّاب: في الفراق مصافحةُ التسليم، ورجاءُ الأَوْبةِ، والسلامةُ من المَلَال، وعمارةُ القلب بالشوق، والدلالةُ على فضل المواصلة واللّقاء.

---

(١) يؤلّفنا: يجمعنا، والألفة: الصداقة والمودّة في المعشر، والنّظام: العقد.
(٢) السُّهاد: الأرق.
(٣) أثاب: جزى، والمثابة: الأجر والجزاء الحسن، والغليل: الظّمأ.
(٤) الصّمات: من الصّمت أي السكوت، واللّجام: ما يجعل في فم الفرس وغيره من الحديد ومعه السّير وغيره، وهنا: ما يمنع به المرء عن الكلام.
(٥) الأنصباء: الشهود، يريد العيون والأذان والأفواه، والآناء: الأوقات، يريد أنه يعطي لكلّ واحد من الثلاثة المذكورة حقّه من الجزاء.

قال شاعر: [من الطويل]

جَزى الله يومَ البَيْنِ خيرًا، فإنَّهُ ... أرانَا على عِلَّاتِهِ أُمَّ ثابتِ![١]

وقال ابن الروميّ: [من الخفيف]

فإذا كان في الفِرَاقِ ٱعْتِناقٌ ... جعَلَ اللهُ كلَّ يوم فِرَاقا!

وقال أبو حفص الشطرنجيّ[٢]: [من الخفيف]

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الفِراقَ، فإنِّي ... أشْتَهِيهِ لموضِعِ التَّسْلِيمِ!
إنَّ فيه ٱعْتِناقَةً لِفِراقٍ ... وانتظارَ ٱعتناقةٍ لِقُدومِ

وقال سيف الدولة بن حَمْدان: [من الخفيف]

راقبَتْنِي العُيُونُ فيكَ، فأشْفَقْـ ... ـتُ؛ ولم أخْلُ قَطُّ من إشفاقِ
ورأيتُ العَدُوّ يَحْسُدني فيـ ... ـكَ مُجِدًّا بأنْفَس الأعْلاق[٣]
فتمَنَّيتُ أنْ تكونَ بَعِيدًا ... والذي بَيْنَنا من الوُدِّ باقِ!
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ من خوفِ هَجْرٍ ... وفِراقٍ يَكُونُ خَوْفَ فِراقِ!

وأرى هذا كلَّه على سبيل التعلّل ليس إلّا، وإنما الفراقُ لا شكَّ في إيلامه للقلوب.

قال بعض الشعراء: [من الوافر]

فلِمْ لا تُسْبَلُ العَبَراتُ منِّي ... ولَسْتُ على اليقينِ من التَّلاقِي؟
فلا وأبِيكَ، ما أبصَرْتُ شيئًا ... أمَرَّ على النُّفُوسِ من الفِراقِ!

وقال آخر: [من الكامل]

يا رَبِّ، باعِدْ بَيْنَ جَفْنِي والكَرَى ... ما دامَ مَنْ أهواهُ في هجْراني![٤]
إنِّي لأَخْشَى أنْ أنامَ فألْتَقِي ... بخيَالِهِ، خَوْفَ الفرَاق الثانِي!

---

(١) البين: الفراق، وعلى علّاته: أي على كلّ حال، أو قُبِل وأخذ على أحواله.
(٢) هو عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، أبو حفص، شاعر عليّة بنت المهدي، كان منقطعًا إليها، وكان غزلًا أديبًا ظريفًا، شغف بالشّطرنج فنسب إليه، توفي نحو سنة ٨٢٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٥٠».
(٣) المجدّ: المجتهد، والأعلاق: النفيس من كل شيء.
(٤) الكرى: النُّعاس.

وقال آخر: [من البسيط]

فـارقْـتُـه وبـوُدّي لـو تُـفـارِقُـنِـي رُوحُ الـحـيـاة، وأنّي لا أُفـارقُـهُ!

وقال أبو تمام: [من مجزوء الكامل]

الـمـوتُ عِـنـدِي والـفِـرا قُ: كِـلاهُـمـا مـا لا يُـطـاقُ!
يَـتَـاوَنَـان عـلـى الـنـفُـو سِ: فذا الحِمامُ وذا السِّياقُ![1]
لـو لـم يـكُـنْ هـذا كـذا مـا قـيـلَ: مَـوْتٌ أو فِـرَاقُ!

وقال غريبُ بن سعيد[2] شاعر «اليتيمة»: [من المنسرح]

ألَآنَ يـومُ الـفِـراق قَـسْـوَتَـهُ حـتّـى جَـرى دَمْـعُـه ومـا شَـعَـرا
فـخِـلْتُ مـا سـالَ مِـن مَـدامِـعِـهِ دُرًّا عـلـى وجْـنَـتَـيْـهِ مُـنْـتَـثِـرَا
لم يَبْكِ شَوْقًا، لكِنْ بكى جَزَعًا لِهَـوْلِ يـومِ الـفِـراقِ إذْ حَـضَـرَا
فـي مَـشْـهَـدٍ لـو أطـاقَ شـاهِـدُه فـيـه آسْـتِـتـارًا لـوجـهـه، سَـتَـرَا
أبَـى أسـاهُ وفـيـضُ أدْمُـعِـهِ إلّا اشْتِهارًا في الحُبِّ، فاشْتَهَرا

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: [من الرمل]

هَـيَّـجَ الـبَـيْـنُ دواعِـي سَـقَـمِـي وكَـسَـا جِـسْـمِـيَ ثـوبَ الأَلَمِ!
أيُّـهـا الـبَـيْـنُ، أقِـلْـنـي مَـرَّةً فـإذا عُـدْت، فـقـد حَـلَّ دَمِـي[3]
يا خَلِيَّ الرُّوع، نَمْ في غِبْطةٍ! إنَّ مَـنْ فـارَقْـتَـه لـم يَـنَـمِ[4]
ولـقـدْ هـاجَ لِقَـلْـبِـي سَـقَـمًـا ذِكْرُ مَنْ لو شاء، داوى سَقَمِي

وقال آخر: [من المتقارب]

بَـكَـتْ وبـكَـيْـتُ لـوَشْـكِ الـفِـراقْ فقِفْ، تَرَ مِنْ مَدْمَعَيْنا العَجَبْ!
فـذا فِـضَّـةٌ فـي عَـقـيـقٍ جـرَى وهـذا عـقـيـقٌ جرى في ذَهَبْ!

---

(١) الحمام: الموت، والسّياق: أي الذي يسوق الإنسان إلى حتفه.
(٢) هو غريب بن سعيد شاعر ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٢/٥٩ ـ ٦٠».
(٣) أقال عثرته: صفح عنه، والبَيْنُ: الفراق.
(٤) الخليّ: الخالي من هموم العشق، والرُّوع: الذهن والقلب والبال.

وقال آخر: [من المنسرح]

قلتُ له والرَّقيبُ يُزعِجُهُ مُسْتَعْجِلًا للفِراق: أيْنَ أنا؟

فمَدّ كفًّا إلى ترائبِه وقال: كُنْ آمنًا، فأنْتَ هُنا![1]

وقال آخر: [من الكامل الأحذّ]

قد قلتُ إذ سارَ السَّفِينُ به والشَّوْقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبَا

لو كانَ لي مُلْكٌ أصُولُ به لأَخَذْتُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصْبَا[2]

وقال كُشاجم: [من مجزوء الكامل]

مُزِجَتْ دُموعُ العينِ مِنـ ـي يومَ بانُوا بالدِّمَا[3]

فكأنَّما مَزَجَتْ بخدّ ي مُقْلَتِي خَمْرًا بما!

وقال آخر: [من المنسرح]

لم أَنْسَ يومَ الفِراقِ مَوْقِفَها وطَرْفُها في دُمُوعِهَا غَرِق

وقَولَهَا، والرِّكابُ سائرةٌ تَتْرُكُنا هكذا، وتَنْطَلِقُ؟

ومنه ما قيل في مفارقة الأصحاب: [من الكامل]

لَمَّا رأيتُ مُصاحِبي ومُعَاشِرِي لَجديدِ وُدّي بالقطيعة مَزَّقَا

فارقْتُه وسلَلْتُ من يَده يَدي وقرأتُ لي وله: «وإنْ يَتَفرَّقا»[4]

وقال آخر: [من الكامل]

قالوا: قَطعْتَ صديقَكَ البَرَّ الَّذِي منه استَفَدْتَ مَكارمَ الأخْلاقِ[5]

فأجبتُهمْ: بعضُ المَفَاصل رُبّما فسَدَتْ، فتُقْطع في صَلَاح الباقي!

---

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر، يريد: أنت أمانةٌ في عنقي، أتعهّدها وأتفقّدها.

(٢) صال: سطا، وقوله: «لأخذت كلّ سفينة غصبًا» يشير إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

(٣) بانوا: فارقوا وابتعدوا.

(٤) وإن يتفرّقا: يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٣٠].

(٥) البرّ: الصالح والكريم، وقطع الصديق: تركه وهجر مودّته.

وقال آخر: [من الكامل]

ولـقـد شَـكَـرْتُ مُـفـارِقِـي إذْ سـاءَ فـي أخْـلاقِـهِ
لـو كـان أحْـسَـنَ عِـشْـرَتِـي لـهَـلَـكْـتُ يـومَ فـراقـه

ومثله قول الآخر: [من الخفيف]

علَّمَتْنِي بهَجْرِها الصَّبْرَ عَنْها فهي مَشْكُورةٌ على التَّقْبِيحِ!
وأرادَتْ بـذا قَـبِـيـحَ فَـعَـالٍ صنَعَتْه، فكان عينَ المَلِيحِ!

ومما قيل في التوديع، قال البحتريّ: [من المتقارب]

أقـولُ لـه عِـنْـد تَـوْدِيـعِـهِ وكُلٌّ بِعَبْرتِهِ مُبْلِسُ[1]
لَئِن قَعَدَتْ عنكَ أجسامُنَا لقد سافَرَتْ معَك الأَنْفُسُ!

وقال أبو الطيّب المتنبّي: [من المنسرح]

يـا راحـلًا، كـلُّ مَـنْ يـودِّعُـهُ مُـوَدِّعٌ دِيـنَـه ودُنْـيـاه
إنْ كـان فـيـمـا نـراهُ مِـنْ كَـرَمٍ فـيـكَ مَـزِيـدٌ، فـزادَكَ اللهُ!

وقال البحتريّ: [من المتقارب]

ألـم تَـرَنـي يـومَ فـارقْـتُـهُ أوَدِّعُه، والهوى يَسْتَزِيدْ
أُوَلّي إذا أنـا ودَّعْـتُـهُ فيغْلِبُني الشوقُ حتَّى أَعُودْ

وقال أبو تمّام: [من مجزوء الكامل]

نَـأْيٌ وَشِـيـكٌ وانْـطِـلاقُ وغَلِيلُ شَوْقٍ واحْتِرَاقُ[2]
بـأبِـي فَـتًـى وَدَّعْـتُـه تاهَتْ بصُحْبته الرِّفاقُ!
بـدرٌ يُـضـيءُ لـعـاشِـقـيـ ـه فما يُطِيفُ به المِحَاقُ![3]

---

(١) المبلس: المتحيّر.
(٢) النأي: الفراق والبعد، والوشيك: القريب.
(٣) يُطيف: يحيط، وطاف به: أتاه، والمحاق: ما يرى في القمر من نقصٍ بعد اكتمال، والمحاق: ليالٍ ثلاث من آخر الشهر القمري.

وقال ابن زيدون[1]: [من الرّمل]

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ حافظٌ من سِرِّه ما اسْتَوْدَعَكْ!
يَقْرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يَكُنْ زاد في تِلْكَ الخُطَا، إذ شَيَّعَكْ![2]
يا أخا البَدْرِ سَناءً وسَنَا حَفِظَ الله زماناً أطْلَعَكْ!
إنْ يَطُلْ بَعْدَكَ ليلي، فلَكَمْ بِتُّ أشْكو قِصَرَ الليل مَعَكْ!

وقال أبو عبد الرحمٰن[3] شاعر «اليتيمة»: [من مخلّع البسيط]

إذا دَهَاكَ الوداعُ فاصبر ولا يَهُولَنَّك البعادُ!
وانتظر العود عن قريب فإنَّ قلبَ الوَداع عادُوا[4]

وقال آخر: [من المنسرح]

وَدَّعتُه حيثُ لا تُودِّعُهُ رُوحي، ولكِنَّها تسير معَهْ
ثم تَوَلَّى وفي القُلوب له ضيقُ مجالٍ وفي الدموع سَعَهْ

وقال الإمام الصولي[5]: [من المنسرح]

لو كُنْتَ يوم الوَدَاعِ حاضِرَنا وهُنَّ يَشْكُونَ عِلَّةَ الوجدِ
لم تَرَ إلا الدُّموعَ جاريةً تَسْقُطُ من مُقْلةٍ على خَدِّ
كأنَّ تِلْكَ الدُّموعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُر من نَرْجِسٍ على وَرْدِ!

---

(١) ابن زيدون: هو أحمد بن عبد الله المخزومي الأندلسي، أبو الوليد، شاعرٌ كاتب وزير، من أهل قرطبة، وعاشق ولّادة بنت المستكفي، له ديوان شعر مطبوع، توفي بأشبيلية سنة ١٠٧١ م. «فهرس الأعلام ١/ ١٥٨».
(٢) يقرع السنّ: يصكّها ندمًا، وشيّعه: تبعه وودّعه.
(٣) هو أبو عبد الرحمٰن بن عبد العزيز النيلي، من الأعيان الأفراد في الفقه، أديب شاعر آخذٌ بأطراف الفضائل، يعدّ من حسنات نيسابور ومفاخرها. «اليتيمة ٤/ ٤٩٤».
(٤) العود: الرّجوع، وقَلْب: عكس الحروف.
(٥) الصّولي: هو إبراهيم بن العباس بن محمّد بن صول، أبو إسحٰق، كاتب العراق في عصره، قرّبه الخلفاء، قال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدّم وتأخّر من الكتّاب أشعر منه، له ديوان شعر، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ١/ ٤٥».

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللّخمي[١]: [من البسيط]

وَقَفْتُ يومَ النَّوى منهم على بَعَدٍ ... ولـم أُودِّعْـهـمُ وَجْـدًا وإشْـفـاقَـا
إنّي خَشِيتُ على الأظعان من نَفَسِي ... ومن دُموعِيَ: إحـراقًا وإغْراقا[٢]

وقال ابن نُباتة[٣]: [من الطويل]

ولَمَّا استقَلَّتْ للرَّواح حُمُولـهُمْ ... ولـم يَبْـقَ إلا شامِـتٌ وغَـيُـورُ[٤]
وقَفْنا: فمِن باكٍ يُكَفْكِفُ دَمْعَه ... ومُـلْتَـزِمٍ قـلبًـا يَـكـادُ يَـطِـيـرُ![٥]

وقال آخر: [من الطويل]

ولَمَّـا وَقَـفْـنـا لـلوَداعِ، وقَـلْبُـهـا ... وقَلْبِي يَبُثَّان الصَّبابَةَ والوَجْدا
بَكتْ لُؤلؤًا رَطْبًا ففاضَتْ مَدَامِعِي ... عَقيقًا فصارَ الكُلُّ في نَحْرها عِقْدا

وقال آخر: [من البسيط]

وَدَّعتُها ولَهِيبُ الشَّوقِ في كَبِدِي ... والبَيْنُ يُبْعِدُ بَيْنَ الرُّوح والجَسَد
وَدَاعَ صَبَّيْنِ لـم يـمْكنْ وَدَاعُـهـما ... إلا بـلَحْـظـةِ عَـيْـنٍ أو بَـنـانِ يَـدِ
وحاذَرتْ أعيُنَ الواشينَ فانصرفَتْ ... تَعَضُّ من خَوْفِها العُنَّابَ بالبَرَدِ[٦]
وكـان أوّلُ عَـهْـدِ العَيْنِ يوم نَأَتْ ... بالدَّمْعِ آخِرَ عَـهْـدِ القَلْبِ بالجَلَدِ

وقال الهيثم الكلاعيّ[٧]، من شعراء «اليتيمة»: [من الطويل]

ولـم أنْـسَـهـا يـومَ الـوَدَاعِ، ومَـسْـحَـهـا ... بـوادِرَ دَمْـعِ الـعَـيْـنِ، والـعَـيْـنُ تَـذْرِفُ

---

(١) هو أبو منصور أحمد بن محمد بن زياد اللخمي، الملقّب بالقاضي الحبيب، من قضاة قرطبة، كان من أكمل الناس وآدبهم، نشأ أثيرًا عند الخلفاء، توفي سنة ٩٢٤ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٠٦».
(٢) الأظعان: المرتحلين، والظّعن: المرأة الظاعنة في الهودج.
(٣) ابن نباتة: هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة السّعدي، أبو نصر، من فحول شعراء العصر وآحادهم وصدور مجيديهم، وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رقّ المعاني، شعره كقطع الرّوض غبّ القطر. «انظر ترجمته في اليتيمة ٢/ ٤٤٧ وما بعدها»...
(٤) استقلّت للرّواح: تهيّأت وارتحلت، والحمول: النّوق وما عليها.
(٥) طار القلب: خفق واضطرب وكاد يخرج من بين الجوانح فرقًا وحزنًا.
(٦) العنّاب: شجرٌ ثمرُهُ معروف يكنّى به عن «الشّفاه»، والبرد: الأسنان.
(٧) الهيثم الكلاعي: هو إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي، ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٢/ ٦٠».

أفـانِـيـنُ تَـجْـرِي مِـن دُمـوعٍ ومِـن دَمٍ على الـخدِّ منها تَسْتَهِلُّ وتَرْعُفُ[(١)]
وتـكـرارَنَـا نَـجْوَى الـهـوى ذاتَ بَيْنِنا وكـلٌّ إلـى كـلٍّ يـلِيـنُ ويَـعْـطـف
جـعَـلْنا هُـنـاكَ الـهَـجْرَ مِنّا بـجـانِـبٍ ولِـلـبَـيْـنِ داعٍ بـالـتَّـرحُّـلِ يَـهْـتِـفُ
ولولا النوى، لم نَشْكُ ضَعْفًا عن الأسى! ومَنْ يَحْمِلُ الأشْجَانَ بالبَيْنِ يَضْعُفُ!
فـقـلـتُ: كِـلَانـا مُـثْـقَـلٌ مِـن صَـبَـابَـةٍ ولكنَّني عن حَمْلِهَا مِنْكِ أضْعَفُ[(٢)]

وقال الظاهر البصريّ[(٣)]: [من البسيط]

نَفْسِي الفِداءُ لمن جاءَتْ تُودِّعُني يومَ الفِراقِ بقَلْبٍ خائِفٍ وجِلِ!
قد كنتُ فارقتُ رُوحِي يوم فُرْقَتِها لكن حَيِيتُ بطيبِ الضَّمِّ والقُبَلِ!

وقال يزيد بن معاوية: [من البسيط]

جاءتْ بـوَجْهٍ كـأنَّ الـبدْرَ بَرْقَعَهُ حُسْنًا على مِثْلِ غُصْنِ البانةِ الثَّمِلِ
إحْدَى يَدَيْهَا تُعاطِينِي مُعَتَّقَة كخدّها عَصْفَرَته خُمرةُ الخَجَلِ[(٤)]
ثُمَّ استبدّتْ وقالت وَهْيَ عالِمةٌ بما تقول وشمسُ الكأس لم تَفِلِ[(٥)]
لا ترحَلَنَّ، فما أبقيْتَ لي جَلَدًا مـمّا أُطِيق به تَـوْدِيعَ مُرْتَحِلِ!
ولا مِن الصَّبْرِ ما ألقى الفِراقَ بهِ ولا من الدَّمْعِ ما أبْكِي على طَلَلِ!

ومن الناس من كره الوداع، وفي ذلك يقول البحتريّ: [من مجزوء الكامل]

اللهُ جـارُكَ فـي انْـطِـلاقِـكْ تِـلقـاءَ شـامِـكَ أو عِـراقِـكْ!
لا تَـعْـذُلَنّـي فـي مَـسِـيـ ـري يـومَ سرت ولـم أُلاقِـكْ!
إنِّـي خَـشِـيـتُ مَـواقِـفًـا للبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ ماقكْ![(٦)]
وعـلـمـتُ أنَّ بُـكـاءَنَـا حسبُ اشْتياقي واشتِيَاقِكْ!

---

(١) الأفانين: مفردها «أفنون» وهو الغصن الملتفّ، ومن الكلام: الأسلوب والطريقة، والأفانين هنا: أنواعٌ من الدمع والدّم.
(٢) في اليتيمة ٢/ ٦٠: «فقلت: كلانا مشتكٍ».
(٣) الظاهر البصري: هو أبو الحسين الظاهر البصري، من شعراء البصرة، ذكره صاحب اليتيمة، وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٢/ ٤٣٢».
(٤) المعتقة: الخمرة، وعصفرته: صبغته بالعصفر، وهو نبات يستخرجُ منه صبغٌ أحمر.
(٥) استبدّت: انفردت بالرأي، ولم تفل: لم تغب، من «أفل».
(٦) تسفح: تسيل وتسكب، والغَرْب: الدّمع، والماق: مجرى الدمع من العين.

وذكَـرْتُ مـا يَـجِـدُ الـمـو دّعُ عـنـد ضَـمِّـكَ واعْـتِـنـاقِـكْ
فـتَـركْـتُ ذاكَ تـعـمُّـدًا وخـرجـتُ أهْـرُبُ مـن فـراقِـكْ

وقال آخر: [من الكامل]

الله يـعْـلَـمُ مـا تَـرَكْـت وَداعَـهُ ولـقـد جَـزِعْـت لـبُـعْـدِه وفِـراقِـهِ
إلا مـخـافـةَ أنْ يُـذيـبَ فُـؤادَهُ ما في فُؤادِي منه عِنْد عِنَاقِه!

وقال آخر: [من الخفيف]

إنّ تَـرْكِـي فَـضِـيـلَةَ الـتَّـشْـيِـيـعِ لاجْـتِـنَـابِـي مَـشَـقَّـةَ الـتَّـودِيـعِ
مـا يَـفِـي أُنْـسُ ذا بـوَحْـشـة هـذا فـرأيـتُ الـصَّـوابَ تَـرْكَ الـجـمـيـعِ!

وقال آخر: [من الخفيف]

مـا تـركْـتُ الـوَداعَ يـوم افـترقْـنـا عـن مَـلَالٍ ولا لـوجـهٍ قَـبِـيـحِ
أنتَ رُوحِي على الحقيقة ما زلْـ ـتُ، وما اخْتَرْتُ أن أُودِّعَ رُوحي!

* * *

ومما قيل في الصدّ والهِجْران، قال أبو عُبادة البحتريّ: [من الكامل الأحذّ]

هَـجَـرَ الـحـبـيـبُ، فـمـتُّ من شَـغَـفٍ لَـمَّـا حُـرِمْـتُ عَـزِيـمَـةَ الـصَّـبْـرِ!
فـإذا قَـضَـيْـتُ، فـنـادِ: يـا حَـزَنِـي هـذا قَـتِـيـلُ الـصَّـدّ والـهَـجْـرِ![1]
والـبـدرُ فـي حـلٍّ وفـي سَـعَـةٍ مـن سَـفْـكـه دمَ عَـبْـدِهِ الـحُـرِّ!

وقال ابن مَيَّادة[2]: [من المنسرح]

كـانُـوا بَـعِـيـدًا، فـكـنـتُ آمُـلُـهُـمْ حـتَّـى إذا مـا تَـقَـارَبُـوا، هَـجَـرُوا
فـالـبُـعْـدُ مـنـهـم عـلى رجـائـهِـمْ أنْـفَـعُ مـن قـربـهـم إذا هَـجَـرُوا!

وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النَّهروانيّ: [من مجزوء الوافر]

عـلى قَـلْـبِـي الأَحِـبَّـةُ بـالـتَّـمـ ـادِي فـي الـهـوى غَـلَـبُـوا[3]

---

(١) الصدّ: الإعراض.

(٢) ابن ميّادة: هو الرّمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري، أبو شرحبيل، ويقال: أبو حرملة، شاعرٌ رقيق، هجّاء، من مخضرمي الدولة الأمويّة العباسية، اشتهر بنسبته إلى أمّه ميّادة، وأخباره كثيرة، توفي سنة ٧٦٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١».

(٣) التّمادي: الهجران، أو بالمداومة على الهجران.

وبـالـهـجْـرانِ مـن عـيـنــ ـيَّ طِـيـبَ الـنـومِ قـد سَـلَبُـوا
ومـا طَـلَبُـوا سِـوى قـتـلي فـهـانَ عَـلَـيَّ مـا طَـلَبُـوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل[1] هذه الأبيات، عارضها، وأنشدني لنفسه في صَفَر الأغرّ الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة: [من مجزوء الوافر]

لَئِنْ غَـلَبُـوا عـلى عَـقْـلِي لـقـد سَـلَبُـوا لِـمَـنْ غَـلَبُـوا!
وإنْ أبْـكَـى تَـبَـسُّـمَـهُـمْ فـخُـلَّبَ بَـرْقِـهِـم خَـلَبُـوا![2]
وإن تَـرْجُ الـعـيـونُ، فَـقَـدْ إلـيـهـا الـسُّـهْـدَ قـد جَـلَبُـوا!
وإنْ عَـطَـفُـوا بـرِقَّـتِـهـم فـدَرَّ مَـدامـعـي حَـلَبُـوا

* * *

ومما قيل في الزيارة، قال الوزير أبو عبد الله بن الحدّاد[3]: [من المتقارب]

إذا جـاءنـي زائِرًا حُـسْـنُـه أقـامَ عـلـيـه رَقِـيـبًـا عَـتِـيـدَا[4]
إذا مـا بَـدَا، سَـرْبَـلَـتْـهُ الـعُـيـون وخَـرَّتْ وُجُـوهٌ إلـيـه سُـجُـودَا
هـو الـبَـدْرُ والـغُـصْـن: خَـدًّا وقَـدًّا كـمـا أنـهُ الـظَّـبْـيُ: لَـحْـظًـا وَجِـيـدَا
أتـى زائـرًا وفُـؤادِي خَـلِـيّ فـمـرَّ بـه مُـشْـتـهـامًـا عَـمِـيـدَا[5]
وغـادَرَنـي بـعْـدَهُ فـي غَـرَام تَـضَـرَّم بـيـن ضُـلُوعـي وَقُـودَا!

وقال نصير الخُبْزَأَرْزِّي، شاعر «اليتيمة» عفا الله عنه: [من الطويل]

خَلِيلَيَّ! هَلْ أبْصَرْتُمَا أوْ سَمِعْتُما بأكْرَم من مَولًى تَمَشَّى إلي عَبْد!
أتى زائِرًا من غَيْرِ وَعْدٍ وقال لي: أصُونُك عن تعليق قَلْبك بالوَعْدِ!

---

(١) ابن الوكيل: هو محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله، صدر الدين «ابن المرحّل» شاعرٌ من العلماء بالفقه، ولد بدمياط ونشأ في دمشق وتوفي بالقاهرة سنة ١٣١٧ م، كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يومًا، وديوان المتنبّي في أسبوع. «فهرس الأعلام ٦/ ٣١٤».

(٢) الخلّب: السّحاب يومض برقه حتى يرجى مطره، ثم يخلف وينقشع، وخلبوا: خدعوا.

(٣) ابن الحدّاد: هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، أبو عبد الله، شاعرٌ أندلسي، له ديوان شعر كبير مرتّب على حروف المعجم، اختصّ بالمعتصم بن معن بن صمادح، فأكثر من مدحه، توفي بالمرية سنة ١٠٨٧ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٣١٥».

(٤) العتيد: المهيّأ والحاضر.

(٥) العميد: الشديد الحزن.

وقال الوأواء الدمشقي[١]: [من مخلّع البسيط]

زارَ بــلــيــلٍ عــلــى صــبَــاحِ ... على قَضِيبٍ على كَثيبِ!

حــتَّــى أتــت ألْسُــنُ الــلــيــالي ... مُـعْـتَـذِراتٍ مـن الـذُّنُـوبِ

فــيــا لَهَــا زَوْرةً أخَــذْنــا ... بـهـا أمـانًـا مـن الـخُـطُـوب!

وقال أبو عبد الله الحدّاد: [من الكامل]

يـا زائـرًا، مَـلأ الـنَّـواظِـرَ نُـورا ... والنَّفْسَ لَهْوًا والفُؤادَ سُرورا!

لو أسْتَطِيعُ، فرشْتُ كلّ مَسَالِكي ... حَدَقًا وبِيضَ سَوَالِفٍ ونُحُورَا

وقال آخر: [من المنسرح]

أهْـلًا وسَـهْـلًا بـطـارِقٍ طَـرَقَـا ... أحْبَبْتُ فيه السُّهاد والأرَقَا![٢]

زارَ على غَفْلةِ الرَّقِيبِ ويُمْنـ ... ـاهُ تُداري وِشاحَه القَلِقَا[٣]

فبِتُّ منه مُعانِقًا صَنَما ... يَنْفَحُ مِسْكًا وعَنْبَرًا عَبِقَا[٤]

لو شِئْتُ، أنشأتُ من ذَوائِبِه ... لَيْلًا، ومن نُور وَجْهِه فَلَقَا![٥]

وقال أبو عبد الله الحامدي[٦]، من شعراء «اليتيمة»: [من البسيط]

مُشتاقةٌ طَرَقَتْ في الليل مُشْتاقًا! ... أهلًا بمَنْ لم يَخُنْ في العَهْدِ مِيثاقَا!

أهْلًا بمن ساقَ لي طَيْفَ الأحِبَّةِ في ... لَيْلِ الدُّجُنَّةِ، بل أهْلًا بما ساقَا![٧]

يا زائرًا زارَ من قُرْبٍ على بَعَدٍ ... آنسْتَ مستوحِشًا! لا ذُقْتَ ما ذَاقَا!

---

(١) الوأواء الدمشقي: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي، الملقب بالوأواء من حسنات الشام، وصاغة الكلام، كان مناديًا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «انظر اليتيمة ١/ ٣٣٤ وما بعدها».

(٢) الطّارق: الزّائر ليلًا. (٣) القلق: المتحرّك.

(٤) الصنم: التمثال الذي يعبد، وينفح: يعبق ويفوح، والعبق: المنتشر الرائحة.

(٥) الذوائب: مفردها ذؤابة، وهي خصلة الشعر في مقدّم الوجه.

(٦) أبو عبد الله الحامدي: شاعر نسبته إلى حامدة من أعمال واسط، ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بعضًا من مقطوعاته الغزلية الرقيقة. «انظر اليتيمة ٢/ ٤٣٧».

(٧) في اليتيمة ٢/ ٤٣٨:

أهلًا بمن ساق لي طيف الأحبّة من ... أرض الأحبّة ....

اللهُ يَعْلَمُ لو أني ٱستَطَعْتُ، لقد فرَشْتُ مَمْشاكَ آماقًا وأحْداقًا![1]

يا لَيْلُ، عَرِّجْ على إلفَيْنِ قد جَعَلَا عَقْد السواعِدِ للأعناق أطْواقًا![2]

وقال مؤيّد الدين الطغرائيّ: [من الطويل]

وزائـرةٍ وافَـتْ، فـأجـلـلْتُ خَـدُّهـا وقـبَّـلْتُ إكـرامًـا لـمَـوْرِدِهَـا الأرْضَـا!

فـيـا زَورةً جـاءتْ عـلى غَـيْـرِ مَـوْعِـدٍ فـقَـرَّتْ عُـيـونٌ واشـتَـفَـتْ أنْـفُـسٌ مَـرْضـى!

فـلَـمْ أرَ إلّا مـا ألَذُّ وأشْـتَـهِـي ولـم أرَ إلّا مـا أوَدّ ومـا أرضَـى!

عـلى أنَّـهـا وَلَّتْ ولـم أقْـضِ سُـنَّـةً ـ من الوَطَر الممطُول دَهْرًا ـ ولا فرضًا![3]

ومـا سوّغَـتْـنـا لـيـلةَ الـوصـلِ قَـرْضَـهـا إلى أنْ بدَا الإصْباحُ يَسْتَرْجع القَرْضا[4]

وقال ابن سُكَّرة[5]، من شعراء «اليتيمة»: [من البسيط]

أهـلًا وسَـهْـلًا بـمَـنْ زارَتْ بـلا عِـدَةٍ تحْتَ الظلام ولم تَحْذَرْ من الحَرَسِ![6]

تستَّرتْ بالدُّجى عَمْدًا، فما استَتَرَتْ وبـاتَ إشـراقُـها لَيْـلًا عـلى قَـبَسِ![7]

ولـو طَـوَاهَا الدُّجى عَنّا، لأظْهَـرَهـا برقُ اللِّثاث وعِطْرُ النَّحْر والنَّفَسِ![8]

* * *

ومما قيل في تخفيف الزيارة وموانعها، قال شاعر الحماسة[9]: [من الكامل]

ولَمَّـا رأيـتُ الـكـاشِـحِـيـنَ تَـتَـبَّـعُـوا هَوانًا وأبْدَوْا دُوننا نَظَرا شَزْرا[10]

جعَلْت ـ وما بي من جَفاءٍ ولا قِلَى ـ أزورُكُم يومًا وأهْجُرُكُم شَهْرا![11]

---

(١) الآماق: مجاري الدمع.

(٢) الإلف: الحبيب والعشير، والطّوق: ما يحيط بالعنق، يريد: الضمّ.

(٣) السّنّة: الشريعة والطريقة، والوطر: الحاجة والمأرب، والممطول: الذي لم يتحقّق وفاؤه، والفرض: الفريضة الواجبة.

(٤) سوّغتنا: سهّلت لنا، والقرض: ما يقدّم من عمل يستوجب الجزاء.

(٥) ابن سكرة: هو محمد بن عبد الله بن محمد، الهاشمي، أبو الحسن، شاعر متّسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول الملح والظّرف، أحد الفحول الأفراد، وكان يقال في بغداد: إنّ زمانًا جاد بابن سكرة وابن الحجّاج لسخيٌّ جدًّا. «انظر يتيمة الدّهر ٣/٣ وما بعدها».

(٦) بلا عدة: بلا ميعاد. (٧) القبس: الشعلة من النار.

(٨) اللّثاث: مفردها لثة، يريد برق الأسنان في اللّثة.

(٩) الحماسة: ديوان لشعراء عدّة اختار قصائده الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي «أبو تمام» وشرحه التبريزي، ولعلّه يريد بشاعر الحماسة: أبا تمام نفسه.

(١٠) الكاشح: المبغض، ونظرة الشّزر: نظرة الغضب.

(١١) القلى: البغض.

وقال مسلم بن الوليد: [من مجزوء الكامل]

أَقْلِلْ زِيارَتَكَ الصَّدِيـ ـقَ، يَرَاكَ كالثَّوْبِ استَجَدَّهْ!
إنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّه أنْ لا يَزَالَ يَراكَ عِنْدَهْ
إلَّا الكِرامَ ذَوِي النُّهَى إنَّ الكَرِيمَ يُدِيمُ عَهْدَهْ!

وقال آخر: [من المتقارب]

إذا ما كَثُرْتَ على صاحبٍ وقد كان يُدْنِيك من نَفْسِهِ
فلا بُدّ من مَلَلٍ واقِعٍ يُغَيِّر ما كان مِنْ أُنْسِه!

وقال آخر: [من البسيط]

لَئِنْ تأخَّرْتُ عن مَفْرُوضِ خِدْمَتِكُمْ تَجَشُّمًا، فضَمِيري غير مُتَّهَمِ!(١)
سعى وِدَادِي إليكُمْ بالوفاءِ لكم والسَّعيُ بالقَلْب فوقَ السَّعْي بالقَدَمِ!

وقال ابن المعلم: [من الكامل]

لم أَجْوَ بَحْرَ نَداكَ ـ مع قُرْبي ـ قِلًى إلا مَخافَةَ مَوْجِهِ المُتراكِبِ(٢)
وعَلِمْتُ أنِّي إن أتَيْتُكَ زائرًا ثَقَّلتُ، والتثقيلُ ليس بواجب(٣)

وقال المعوّج: [من البسيط]

ثلاثةٌ مَنَعَتْها من زِيارَتِنا وقد دجى الليلُ خَوْفَ الكاشِحِ الحَنِقِ(٤)
نُورُ الجَبِينِ، ووَسْواسُ الحُليّ، وما يَمَسُّ أردانَها من عَنْبَرٍ عَبِقِ(٥)
هَبِ الجَبِينَ بفَضْلِ الثوبِ تَسْتُره والحَلْيَ تَنْزِعه، ما الشأنُ في العَرَقِ؟

وقال أبو فراس الحمدانيّ: [من الهزج]

لقد نافَسَني الدَّهْرُ بتأخيري عن الحَضْرَهْ
فما أَلْقى من العِـ ـلَّةِ ما أَلْقى من الحَسْرَهْ!

* * *

(١) تجشّم: تكلّف المشقّة والعناء.
(٢) الندى: الكرم، والمراكب من الموج: المتتابع بعضه بعد بعض لكثرته.
(٣) ثقلت: أي كنت ثقيلًا مكروهًا ومُملًا. (٤) الكاشح: المبغض.
(٥) الأردان: مفردها الرّدن، وهو الكمّ.

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زُرَيق الكوفيّ[١] الكاتب: [من مجزوء الخفيف]

يــا مَــرِيــضًــا لِسُــقْــمِــهِ   مَــرِضَ الــعِــلْمُ والــوَفــا!
لــم يَــكُــنْ تَــرْكِــيَ الــعــيــا   دةَ هَــجْــرًا ولا جَــفَــا
لـــم أُطِـــقْ أنْ أراكَ يـــا   أكـرمَ الـنـاس مُـذْنـفـا![٢]
طـالَ خَـوْفِـي عـليـك، والـ   ـحـمـدُلله إذ كَـفـى!

وقال آخر: [من الخفيف]

مـنَـعَـتْـنِـي عـلـيـكَ رِقَّـةُ قَـلْبِـي   مـن دُخُـولِي عـليـكَ فـي الـعُـوّادِ
لـو بـأُذْنِي سـمـعـتُ مـنـكَ أنِـيـنًا   لـتَـفَـرّى عـلى الأَنِـيـنِ فُـؤادِي[٣]

وقال آخر: [من المتقارب]

فـواللهِ! لَيْـسَ انْـقِـطـاعـي جَـفًـا   وفـي كَـبِـدي مـنـك نـارٌ تـشـبّ!
ولـكـنّـنـي قَـطُّ لا أشْـتَـهِـي   أرى مَـنْ أُحِـبُّ كـمـا لا أُحِـبّ!

* * *

ومما قيل في المدامع، قال العسكري: أبلغُ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قولُ بعض الأعراب: [من الطويل]

فَـظَـلْتُ كـأنّـي مـن وراءِ زُجـاجـةٍ   إلى الدّار من فَرْط الصَّبابة أنظُرُ[٤]

وقال البحتريّ: [من الوافر]

ويـحـسُـنُ دَلُّهـا والـمـوتُ فـيـه   وقد يُسْتَحْسَنُ السيفُ الصَّقِيل!
وَقَـفْـنـا والـعُـيـونُ مُـثَـقَّـلاتٌ   يُـعـالِـجُ دَمْـعَـهـا طَـرْفٌ كَـلِـيلُ!
نَـهَـتْـهُ رِقْـبَـةُ الـواشـيـنَ حـتّـى   تـعَلّق: لا يَغيضُ ولا يَسيلُ![٥]

---

(١) هو ابن زريق الكوفيّ الكاتب، أبو محمد، شاعرٌ ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بعضًا من مقطوعات شعره الرقيقة «انظر اليتيمة ٢/٤٤٢».
(٢) المدنف: الذي اشتدّ مرضه.
(٣) تفرّى: تشقّق وتفطّر ألمًا.
(٤) فرط الصّبابة: شدّة الحبّ.
(٥) غاض الماء: غار في جوف الأرض، وسال الماء: جرى.

وقال السريّ(١): [من الطويل]

بنفسِيَ مَنْ رَدَّ التحيَّةَ ضاحِكًا ... فجدّدَ بعد اليَأسِ في الوَصْلِ مَطْمَعِي!
إذا ما بَدَا، أبدى الغَرامُ سرائِري ... وأظهَرَ للعُذَّال ما بين أضْلُعِي(٢)
وحالَتْ دُموعُ العينِ بَيْنِي وبَيْنَهُ ... كأنَّ دُموعَ العينِ تَعْشَقُه مَعِي

وقال الصوليّ(٣): [من الكامل]

قد كانَ في طُولِ البُكاليّ راحةٌ ... وعِنَانُ سِرِّي في يَدِ الكِتْمان(٤)
حتَّى إذا الإعْلانُ نَبَّه واشِيًا ... رَقَأتْ دُمُوعي خَشيةَ الإعْلان!(٥)

وقال بشّار: [من البسيط]

ماءُ الصَّبابةِ، نارُ الشَّوْقُ تَحْدِرُه ... فهل سَمِعْتُم بماءٍ فاضَ من نَارِ؟

وقال أبو هلال العسكريّ: [من البسيط]

أشْكُو الهوى بدُموعٍ قادها قَلَقُ ... حتَّى عَلِقْنَ بجَفْنٍ ردَّها الفَرَقُ(٦)
ففي الفُؤادِ سَبِيلٌ للأسى جَدَدٌ ... وفي الجُفُونِ مَقِيل للكَرى قَلِقُ(٧)
لَهيبُ قلبي أفاضَ الدَّمْعَ من بَصَرِي ... والعُودُ يَقْطُر ماءً وهو يَحْتَرِقُ!

وقال الصوليّ: أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يومًا بيتَ ذي الرّمّة(٨): [من الطويل]

«لَعَلَّ انْحدارَ الدمع يُعْقِب راحةً ... من الوَجْدِ أو يَشْفِي شَجِيَّ البَلابِلِ!»(٩)

وقال: من قال في مثله، فقد ملح.

(١) هو السّريّ الرّفاء «تقدمت ترجمته». (٢) السّرائر: النوايا.
(٣) الصّولي: هو إبراهيم بن العباس، أبو إسحٰق الكاتب «تقدمت ترجمته».
(٤) العنان: الزّمام. (٥) رقأ الدمع: سكَن وقطع جريانه.
(٦) الفرق: الخوف.
(٧) الجدد: الأرض المستوية، والمقيل: مكان القيلولة والرّاحة.
(٨) ذو الرّمة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدويّ، أبو الحارث، «صاحب ميّ» شاعرٌ من فحول الطبقة الثانية، كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه إلى السواد له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٢٤».
(٩) البلبال: الهمّ والوسواس.

وقال الحسن بن وهب[١]: [من السريع]

إبْـكِ! فـمـا أكْـثَـرَ نَـفْـعَ الـبُـكـا! والـحُـبُّ إشـفـاقٌ وتَـغْـلِـيـلُ!
اِفْـزَعْ إلـيـه فـي اَزْدِحـام الـجـوى فـفـيـه مَـسْـلاةٌ وتَـسْـهِـيـلُ[٢]
وهـو إذا أنـت تـأمَّـلْتَـهُ حُـزْنٌ عـلـى الـخـدَّيْـنِ مَـحْـلُول!

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف: [من الكامل]

إنّـي لأَجْـحَـدُ حُـبَّـكـم وأُسِـرُّهُ والـدَّمْـعُ مُـعْـتَـرِفٌ بـه لـم يَـجْـحَـدِ
والـدَّمْـعُ يـشـهـدُ أنَّـنـي لـكِ عـاشِـقٌ والناسُ قد علمُوا وإن لم يَشْهَدِ!

وقال آخر: [من الطويل]

فـلا تُـنْـكِـرَنْ لَوْنَ الـدّمـوعِ فـإنَّـمـا يُبَيِّضُها تصعيدُها من دَمِ القَلْب!

وقال العسكريّ: [من مجزوء الخفيف]

آفَـةُ الـسِّـرِ مِـن دُمُـو عِ دَوامٍ دوامِـع!
كـيـفَ يـخـفـى مـع الـدُّمُـو ع الـهـوامِـي الـهـوامِـع؟[٣]
مـا رأيـنـا أخـا هَـوًى سِـرُّه غَـيْـرُ ذائِعِ!
إنّ نِـيـران حُـبِّـه بـاديـاتُ الـطـلائِعِ!

وقال خالد الكاتب[٤]: [من الطويل]

بـكَـيْـتُ دمًـا حتّى بَقِيتُ بـلا دَمٍ بُكَاءَ فَتًى فردٍ على شَجَنٍ فَرْدِ![٥]
أَأَبْكِي الذي فارقْتُ بالدَّمْع وحدَه؟ لقد جَلَّ قدرُ الدمعِ فيه إذًا عِنْدِي!

---

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي، كاتب من الشعراء، كان معاصرًا لأبي تمّام، استكتبه الخلفاء ومدحه أبو تمام ورثاه البحتري لمّا مات نحو سنة ٨٦٥ م. «فهرس الأعلام ٢/٢٢٦».
(٢) افزعْ إليه: لُذْ به واستعِنْ.
(٣) الهوامي: الهاطلة، والهوامع: البواكي.
(٤) خالد الكاتب: هو خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم المعروف بالكاتب شاعر غزل، من الكتّاب، توفي في بغداد سنة ٨٧٦ م. «فهرس الأعلام ٢/٣٠١».
(٥) الشجن: الحزن والهمّ.

وقال آخر: [من الوافر]

غـدَتْ بـأحِبَّتِـي كُـومُ الـمَـطَايَـا ... فـبـانَ الـنـومُ وامـتـنَـعَ الـقَـرارُ[١]

وكـان الـدَّمْـعُ لـي ذُخْـرًا مُـعَـدًّا ... فأنـفـقْـتُ الـذَّخِـيـرةَ يـومَ ساروا!

وقال آخر: [من الخفيف]

طـالَ عَـهْـدِي بـهـا فـلمَّـا رأتْـنِـي ... نـظَـمَـتْ لُؤلـؤًا عـلى تُـفَّـاح!

وقال آخر: [من البسيط]

إذ لا جَـوابَ لـمُـفْـحَـم مُـتَـحَـيِّـرٍ ... إلّا الـدموعُ تُـصانُ بـالأَطْـرافِ[٢]

وقال آخر: [من الطويل]

تـقـول غَـداةَ الـبَـيْـنِ عِـنْـد وَدَاعِـهـا ... إلى الكَبِدِ الحَرّى: فَسِرْ، ولك الصَّبْر!

وقـد سـبـقَـتْـهـا عَـبْـرةٌ: فـدمُـوعُـهـا ... على خدّها بِيضٌ، وفي نحرها حُمْرُ!

معناه: أن الدّموع إذا انحدرت إلى نحرها احمرّت من الطِّيب.

قالوا: وأحسن ما قيل في صفة الدُّموع إذا امتزجت بالدماء، قول أبي الشِّيص[٣]: [من الطويل]

لَهَوْنَ عن الإخوانِ إذْ سَفَرَ الضُّحَى ... وفـي كَـبِـدِي مـن حَـرِّهـنّ حَـرِيـقُ

مزجْتُ دَمًا بالدَّمْع حتَّى كأنّما ... يُـذابُ بِـعَـيْـنِـي لـؤلـؤٌ وعَـقِـيـقُ

وقول أبي تمّام: [من الكامل]

نَـثَـرتْ فَـرِيـدَ مَـدامِـعٍ لـم تُـنْـظَـمِ ... والدمعُ يَحْمِلُ بعضَ ثِقْل المُغْرَمِ![٤]

وصَلَتْ نَجِيعًا بالدُّموع، فخدّها ... في مثل حاشِيَةِ الرِّداءِ المعلم![٥]

(١) الكوم: مفردها الكوماء، من النوق: ما عظم سنامها.

(٢) المفحم: العيي عن الكلام، والأطراف: الأيدي.

(٣) أبو الشّيص: هو محمد بن عبد الله بن رزين، ابن عمّ دِعبل بن علي بن رزين الشّاعر، كان في عصر الرّشيد، وقد ذكره صاحب الشعر والشعراء، وأورد بعض قصائدة الجيّدة. «انظر الشعر والشعراء ص ٥٧١ وما بعدها».

(٤) المغرم: الذي أثقله الدّين، أو العشق. (٥) المعلم: المطرّز.

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدّ قول الصوليّ: [من المنسرح]

كأنَّ تلكَ الدُّموعَ قَطْرُ نَدًى يَقْطُر من نَرْجِس على وَرْدا!

وهي أبيات تقدّمت في التوديع.

ونحوه قول ابن الروميّ: [من الرّجز]

لَمَّا دَنَا البينُ وزاح الدَّلُّ ودّعتُها ودمعُها منهَلُّ
وخدُّها من قَطْره مخضَلُّ كأنه وَرْدٌ عليه طَلٌّ![1]

وقال آخر: [من المتقارب]

كأنَّ الدُّموعَ على خَدّها بَقِيَّةُ طَلٍّ على جُلَّنارِ[2]

***

ومما قيل في الرّضا من المحبوب باليسير، فمن ذلك قول حُمَيْد بن ثَور[3]: [من الطويل]

أُقلِّب طَرْفِي في السماء لعَلَّه يُوافقُ طَرْفِي طَرْفَها حين تَنْظُرُ!

ومثله قول ابن المَغْلُوط[4]: [من الوافر]

أليس اللَّيْلُ يجمع أمَّ عمرٍو وإيَّانَا؟ فذاكَ لنا تَدانِي!
بلى، وأرى السماء كما تَرَاها ويَعْلُوها النهارُ كما عَلَانِي!

وقال جميل[5]: [من الطويل]

وإنّي لأَرْضى مِنْكِ، يا بثْن، بالَّذِي لو ٱسْتَيْقَنَ الواشِي لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ![6]

---

(١) المخضلُّ: النديّ الطريّ.
(٢) الجلّنار: زهر الرّمان، شبّه به لون خدودها.
(٣) هو حميد بن ثور الهلالي، من بني عامر بن صعصعة، شاعرٌ إسلاميٌّ مجيد، ذكره صاحب الشعر والشعراء، وأورد بعضًا من أبياته وشعره. «الشعر والشعراء ص ٢٤٧».
(٤) ابن المعلوط: لعلّه المعلوط بن بدل السّعدي، شاعرٌ ورد ذكره في ديوان الحماسة. «شرح التبريزي ٢/١٤٧».
(٥) هو جميل بن معمر، الشاعر العذري المشهور، صاحب بثينة «تقدّمت ترجمته».
(٦) في الديوان ص ١١٥، دار صادر:
وإنّي لأرضى من بثينة بالذي لوَ أبصره الواشي لقرّت بلابله =

بِلَا، وبأنْ لا أستطِيع، وبالمُنى وبالأملِ المكذوب قد خابَ آملُهْ!
وبالنَّظْرة العَجْلى، وبالحول ينقضي أواخِــرهُ لا نــلتَــقــي وأوائِلُهْ!

وقريب منه قول الآخر: [من الطويل]

يَـودُّ بـأنْ يُـمْـسِـي سَـقِـيـمًا لَعَلَّها إذا سَمِعَتْ منه بشَكْوى تُراسِلُهْ!
ويهتَزُّ للمعروف في طَلَبِ العُلا لتُحْمَدَ يومًا عند سَلْمى شمائِلُهْ!

أخذ العسكريّ المعنى، فقال: [من الطويل]

وقلتُ: عساها إن مَرِضتُ تَعُودُنِي فأحبَبْتُ لو أنّي غَدَوْتُ مَرِيضًا!
وزِدتُ ٱتّساعًا في المَكارِمِ والعُلا ليُصْبِحَ جاهي عندهُنَّ عَرِيضا!

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز(١): [من الرجز]

يـا مَـنْ هَـجَـرَتْ فـلا تُـبـالي! هـل تَـرْجِـع دولـةُ الـوِصـالِ؟
هـل أطْـمَـعُ يـا عـذابَ قـلـبي أن يَـنْـعَـمَ فـي هـواك بـالـي؟
الـطَّـرْف كـمـا عَـهِـدْتِ بـاكٍ والـجسـمُ كـمـا تَـرَيْـنَ بـالـي!
مـا ضَـرَّكِ أن تُـعَـلِّلِيـنـي في الوَصْل بموعد المُحَال!
أهْـواك وأنـت حَـظُّ غـيـري يـا قـاتِـلتـي، فـمـا ٱحْـتِـيـالـي؟

* * *

ومما قيل في النحول، فمن ذلك قول المتنبي: [من البسيط]

أبْلى الهَوى أسَفًا يومَ النَّوى بَدَنِي وفَرَّقَ الـهَـجْرُ بيـن الجَفْـن والوَسَـنِ!
رُوحٌ تَـرَدَّدُ فـي مـثـل الـخِـلَال إذا أطارَت الريحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ(٢)
كفى بجِسْمي نُحُولًا أنّني رجلٌ لـولا مُخَاطَبتِي إيَّاكَ ـ لـم تَـرَنِي!

وقال آخر: [من الوافر]

أُسَرّ إذا بَـلِيـتُ، وذاب جِـسْـمِي لـعـلَّ الـريـحَ تَـحْـمِـلُنـي إلـيـهِ!

= وقرّت: هدأت وسكنت، والبلابل: الهموم.
(١) لعلّه عبد الحميد بن عبد العزيز، قاضٍ فرضيّ من أهل البصرة، له شعر، وله كتبٌ منها: أدب القاضي، والفرائض، توفي سنة ٩٠٥ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٨٧».
(٢) الخلال: عودٌ دقيق يتخلّل به.

وقال ابن المعتزّ: [من مجزوء الرّجز]

مــاذا تَــرى فــي مُــدْنَــفٍ يَـشْـكُـوك طُـولَ سُـقْـمِـهِ؟[١]
أضــنَــيْــتَــه فــمـا يَـطِـيـ ـقُ ضَـعْـفُـه حـمـلَ اسْـمِـهِ
ولا يَــــراكَ عــــائــــدًا إلّا بِــعَــيْــنِ وَهْــمِــهِ![٢]

وقال كُشاجِم: [من الطويل]

وما زالَ يَبْرِي أعظَمَ الجسم حُبُّها ويَنْقُصها حتَّى لطُفْنَ عن النَّقْص[٣]
فقد ذُبْتُ حتَّى صِرْتُ لو أنا زُرْتُها أمِنْتُ عليها أنْ يَرى أهلُها شَخْصِي

ومن أبلغ ما قيل في ذلك، قول ديك الجنّ[٤]: [من الخفيف]

أنْحلَ الوَجْدُ جِسْمَهُ والحَنِينُ وَبَراه الهوى فما يَسْتَبِينُ!
لم يَعِشْ أنّه جَليدٌ؛ ولكن دَقَّ جِدًّا، فما تَراه المَنُونُ!

وقال نصير بن أحمد[٥]: [من السريع]

أنْحَلَنِي الحُبُّ فلو زُجَّ بِي في مُقْلةِ النائِم، لم يَنْتَبِهْ!
وكان لي فيما مَضى خاتَمٌ واليوم لو شِئْتُ، تَمَنْطَقْتُ بِهِ![٦]

وقال الحسن بن وهب: [من المنسرح]

أبْلَيْتَ جِسْمِي من بَعْدِ جِدَّتِهِ فما تكادُ العيونُ تُبْصِرُهُ
كأنَّه رَسْمُ مَنْزِلٍ خَلَقٍ تَعْرِفُه العينُ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ![٧]

* * *

(١) المدنف: المريض الذي اشتدّ مرضه. (٢) العائد: الزّائر.
(٣) يبري: ينحل.
(٤) ديك الجنّ: هو عبد السلام بن رغبان، أبو محمد، من بني تميم الكلبي، شاعرٌ مشهور، أصله من أهل سلميّة، ومولده بمدينة حمص، من شعراء الدولة العباسيّة. «وفيات الأعيان ٣/ ١٨٤».
(٥) لعله: أحمد بن إبراهيم بن نصر، أبو القاسم، شاعرٌ أندلسي، سكن قرطبة، وتوفي بمالقة سنة ١٢٠٥ م. «فهرس الأعلام ١/ ٨٦».
(٦) يريد أنه من النّحول الذي حلّ به أمكنه أن يضع الخاتم في خصره مكان وضعه في إصبعه.
(٧) الخَلَق: الدّارس.

ومما قيل في المحبوب إذا اعتلّ، قال العباس بن الأحنف: [من الرمل]

زعـمُوا لـي أنّـهـا صـارَتْ تُـحَـمّ! ابـتـلـى اللهُ بـهـذا مَـنْ زَعَـمْ![١]
اِشْتَكَتْ أكملَ ما كانَتْ، كمَا يُكْسَفُ البَدْرُ إذا ما قِيل تَمّ!

وقال أحمد بن إسحٰق الطالَقَانيّ: [من الطويل]

لقد حَلَّتْ الحُمَّى بساحةِ خَدِّهِ فأبدلَتِ التُّفَّاح بالسَّوْسَنِ الغَضّ![٢]

قال أبو هلال العسكريّ: والأصل في ذلك قول عبد بني الحسحاس[٣]، ونقل في كتابه ديوان المعاني بسند رفعه قال: كتب عبد الله بن عامر إلى عثمانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه: إني اشتريت لك عبدًا حبشيًّا شاعرًا. فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي فيه، فإن قُصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبّب بكريمتهم. فاشتراه بنو الحَسْحاس، فُرُئي يومًا وهو ينشد: [من المنسرح]

مـاذا يُـريـدُ الـسَّـقـامُ مـن قَـمَـرٍ كُـلُّ جـمـالٍ لـوجْـهِـهِ تَـبَـعُ؟
ما يَبْتَغِي ـ خابَ ـ من مَحَاسِنِهِ؟ أمـا لَهُ فـي الـقِـبَـاح مُـتَّـسَـعُ؟
غـيَّـر مِـنْ لَوْنِـهِ وصَـفَّـرَ مـا ورَّدَ مـنـه الـجَـمَـالُ والـبِـدَعُ
لـو كـان يَبْغِي الفِداءَ، قيـل لـه هـا أنا دُونَ الـحبيب يا وَجَعُ!

ثم يقول لنفسه: أحسَنْكَ والله! يريد أحسَنْتَ. وكان العبد كما حَدَسَ[٤] عثمانُ، فما زال يهجو مواليَه ويشبِّب بنسائهم، حتّى قتلوه. فضحِكتْ منه امرأة وقد ذهبوا به ليقتُلُوه، فقال: [من الطويل]

فإنْ تَضْحَكِي مِنّي، فيا رُبَّ ليلةٍ جعَلْتكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ![٥]

وقال لهم: [من الكامل]

فلقد تحدَّر من جَبِينِ فتاتِكُمْ عَرَقٌ على ظَهْر الفراش وطيبُ!

---

(١) تحمّ: تصاب بالحُمّى.
(٢) السّوسن: نبات من الرّياحين طيّب الرائحة، كثير الأنواع، والغضّ: الطريّ.
(٣) عبدُ بني الحسحاس، واسمُه سحيم، شاعرٌ رقيق الشّعر، كان عبدًا نوبيًّا أعجمي الأصل، اشتراه بنو الحسحاس «وهم بطنٌ من بني أسد» ثمّ قتلوه لأنه شبّب نسائهم، وذلك حوالي سنة ٦٦٠ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٧٩».
(٤) حدس: ظنّ وخمّن.
(٥) القباء: ثوبٌ يلبس فوق القميص، والمفرّج: الذي يُرى ما تحته.

وهو الذي مدح نفسه بقوله: [من البسيط]

إن كنْتُ عبدًا، فنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا ... أو أسودَ اللَّوْنِ، إني أبيضُ الخُلُقِ!

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه، وإنما الشيء بالشيء يذكر.

وقال شاعر: [من السريع]

لو لم تَكُنْ حُمَّاه مشغُوفةً ... تَعْشَقُه طَوْرًا وتَهْواهُ[١]

ما عانَقَتْ إذ أقبلتْ جِسْمَه ... وقَبَّلتْ إذْ فارَقَتْ فاهُ!

وقال آخر: [من المجتثّ]

لو كانَ كُلُّ مَرِيضٍ ... يزدادُ مِثْلَكَ حُسْنَا

لكان كُلُّ صَحيح ... يَودُّ لو كان مُضْنَى![٢]

وقال محمد بن العباس الخوارزميّ[٣]، من شعراء «اليتيمة»: [من الوافر]

ولِي من أُمِّ مِلْدَمَ كُلَّ يوم ... ضَجِيعٌ لا يلَذُّ له مَنَامُ![٤]

مقَبِّلةٌ وليس لها ثَنَايَا ... معانِقةٌ ولَيْس لها الْتِزامُ!

كأنَّ لها ضَرائرَ من غِذَائِي ... فيُغْضِبُها شَرَابِي والطَّعامُ[٥]

إذا ما صافَحَتْ صَفَحَاتِ جِسْمِي ... غَدَا أَلِفًا وأَمْسَى وهو لامُ

* * *

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل في شرب الدواء، فمن ذلك قول أبي تمام: [من المنسرح]

أعْقَبكَ اللهُ صِحَّةَ البَدَنِ ... ما هَتَفَ الهاتِفاتُ في الغُصُنِ

كَيْفَ وجَدْتَ الدَّواءَ؟ أَوْجَدَكَ اللهُ شـ ... ـفاءً به مَدى الزَّمَنِ![٦]

---

(١) طورًا: مرّة.

(٢) المضني: الذي اشتدّ مرضه حتى نحل جسمه.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن العبّاس الخوارزمي، باقعة الدّهر وبحر الأدب، وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف، وديوان رسائله مخلّد وكذلك ديوان شعره. «انظر اليتيمة ٤/ ٢٢٣ وما بعدها».

(٤) أمّ ملدم: الحمّى.

(٥) الضّرائر: مفردها ضرّة، وهي الزوجة الثانية للرجل.

(٦) أوجدك الله شفاء: أي لقّاك الشفّاء به.

وقال ابن حجّاج: [من مجزوء الخفيف]

يـا مَـنْ بـه تَـتَـبَـاهَـى ... مَـجـالِسُ الـخُـلَفـاءِ!
ومَـنْ تُـقـصِّـرُ عَـنْـهُ ... مَـدَائِحُ الـشُّـعَـراءِ
يـا سيِّـدي كَـيْـفَ أصْبَحْـ ... ـتَ بَـعْـدَ شُـرْبِ الـدَّواءِ؟
خـرجْـتَ مـنـه تُـضـاهِـي ... في الـحُـسْـنِ بَـدْرَ الـسَّـماءِ!
فـي ثـوبِ صِـحَّـةِ جِـسْـمٍ ... مُـطَـرَّزٍ بـالـشِّـفـاءِ

* * *

ومما قيل على لسان الورقاء[1] ـ وكلُّ مطوّقةٍ عند العرب حمامةٌ: كالدُّبْسِيّ[2]، والقُمْرِيّ[3]، والوَرَشانِ[4] وما أشبه ذلك. وجمعها حَمَامٌ. يقال للذكر والأنثى منه حمامة.

والحمامة تَبْكِي، وتُغَنِّي، وتَنُوح، وتُغَرِّد، وتَسْجَع، وتُقَرْقِر، وتَتَرَنَّم.

وإنما لها صوت سجيع لا يُفْهم: فجعله الحزينُ بكاءً، والطَّرِبُ غِناءً.

قال حميد بن ثور: [من الطويل]

مطوّقةٌ خَطْباءُ تَسْجَع كُلَّما ... دنَا الصَّيْفُ وانْزَاحَ الربيعُ فأنْجَمَا[5]
تغنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ في نَوْحِهَا مُتَلَوَّمَا[6]
فلو أَرَ مِثْلِي شاقَهُ صوتُ مِثْلِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أَعْجَمَا![7]

وقال مجنون بني عامر: [من الطويل]

أَلَا يا حماماتِ اللِّوى عُدْنَ عُدْوَةً ... فإنِّي إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ![8]

---

(١) الورقاء: الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة.
(٢) الدُّبسي: ضربٌ من الحمام جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب، وهو منسوب إلى طبردُبْس، ويقال: إلى دبس الرُّطب، وقيل: هو طائر صغير، قيل هو ذكر الحمام. «اللسان مادة دبس».
(٣) القمريّ: نوعٌ من الحمام حسن الصوت، أنثاه قُمْريّة.
(٤) الورشان: طائر يشبه الحمام يميل لونه إلى السّواد والغيرة، فيه بياضٌ فوق ذنبه.
(٥) المطوّقة: الحمامة ذات الطوق.
(٦) ناحت: سجعت، والمتلوّم: من اللّوم.
(٧) شاقه: أهاجه الشّوق، والأعجم: غير العربي، أو الذي في لسانه لكنة.
(٨) اللّوى: ما التوى وانعطف وانثنى من الرّمل أو مسترقّه، وقد تكون: مكان معيّن.

فعُذْنَ؛ فلَمَّا عُذْنَ، كِدْنَ يُمِتْنَنِي وكِـدتُ بـأسـرارٍ لـهُـنّ أُبِـيـنُ!
فلم تَرَ عَيْنِي مثلَهُنَّ حمائمًا بكَيْنَ، ولم تَدْمَعْ لهن عُيُونُ!

وقال أبو الأسود الدؤلي(١): [من البسيط]

وساجِعٍ في فُروعِ الأيْكِ هَيَّجَنِي! لَمْ أَدْرِ لِمَ ناحَ مِمَّا بِي ولِمْ سَجَعَا؟(٢)
أباكِيًا إلْفَه من بعدِ فُرْقَتِهِ أمْ جازِعًا للنَّوى من قَبْلِ أنْ يَقَعَا؟
يَدْعُو حمامَتَهُ، والطَّيْرُ هاجِعَةٌ فما هَجَعْتُ له لَيْلِي وما هَجَعَا!(٣)
شَكَا النَّوى فبَكَى خَوْفَ الأسَى فرمى بَيْنَ الجوانِحِ من أوجاعِهِ وَجَعَا!(٤)
كأنَّه راهِبٌ في رَأْسِ صَوْمعةٍ يتلُو الزَّبُورَ، ونجمُ الصُّبْحِ قد طَلَعَا!(٥)

وقال جَحْدَر العُكْليّ(٦): [من الوافر]

وقِدْمًا هاجَنِي فازْدَدْتُ شَوْقًا بُكاءُ حمامَتَيْنِ تَجَاوَبان
تجاوَبَتا بلَحْنٍ أعْجَمِيٍّ على عُودَيْنِ من غَرْبٍ وبانِ(٧)
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمَى وفي الغَرْب اغْتِرابٌ غيرُ دانِي!

وقال عوف بن مُحلّم(٨): [من الطويل]

ألَا يا حَمامَ الأيْكِ إلْفُك حاضِرٌ وغُصْنُكَ مَيَّادٌ! فَفِيمَ تَنُوحُ؟(٩)

---

(١) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني، واضع علم النُّحو، من الفقهاء الأعيان الأمراء الشعراء الفرسان، سكن البصرة وولي إمارتها في أيام علي بن أبي طالب الذي رسم له شيئًا من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود، له شعر جيّد، ومات بالبصرة سنة ٦٨٨ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٣٦».
(٢) الأيك: الشجر الكثير الملتفّ، وهيّج: أثار الشوق.
(٣) هجع: رقد ونام.
(٤) النوى: البعد، والجوانح: الصّدر.
(٥) الزّبور: مزامير داود.
(٦) جُحْدُر العكلي: شاعر من أهل اليمامة، كان في أيام الحجّاج بن يوسف، يقطع الطريق وينهب الأموال ما بين حجر واليمامة، سجنه عامل الحجّاج في سجن باليمامة اسمه «دوّار»، فقال قصيدة منها هذه الأبيات، توفي نحو سنة ٧١٨ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١١٣».
(٧) الغرب: شجرٌ تسوّى منه الأقداح البيض، الواحدة غربة، وهي شجرة ضخمة شاكة خضراء وهي التي يتخذ منها الكُحَيْل، وهو القطران، حجازيّة. «اللسان مادة غرب».
(٨) هو عوف بن مُحلّم الخزاعي، أبو المنهال، أحد العلماء الأدباء الرؤساء والشعراء الفصحاء، كان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيّام الناس، اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته فبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه، مات في طريقه إلى حوران نحو سنة ٨٣٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٩٦».
(٩) الإلف: الأهل والعشير والأحبّة، والميّاد: الذي يميل.

وقال ابن عبد ربّه من أبيات: [من الطويل]

وكَيْفَ، وَلِي قَلْبٌ إذا هَبَّت الصَّبَا ... أهابَ بشَوْقٍ في الضُّلُوعِ دَفِينِ؟

ويهتاجُ منه كُلّ ما كان ساكِنًا ... دعاءُ حمامٍ لم تَبِتْ بوُكُون[1]

وإنَّ ارتياحي من بُكاءِ حمامَةٍ ... كذي شَجَنٍ داوَيْتهُ بشُجُونِ

كأنَّ حَمام الأيْك لَمَّا تجاوَبَتْ ... حَزِينٌ بَكى من رَحْمَةٍ لحَزِين!

وقال ابن قلاقس[2]: [من الطويل]

غنَاءُ حَمَامٍ في مَعَاطِفِ بانِ ... إلى مَذْهَبِ الحُبِّ القَديم ثَنَانِي

تغَنَّى فأعطافُ الغُصونِ رَواقِصٌ ... وأحْداقُ أزهارِ الرِّياضِ رَوَانِي[3]

فذَكَّرني شَرْخَ الزمانِ فمَدْمَعِي ... سَفُوحٌ وقَلْبي دائِمُ الخَفَقانِ[4]

وقال أعرابيّ: [من الطويل]

وقَبْلِي أبْكى كُلَّ مَنْ كان ذا هَوًى ... هُتُوفُ البَواكي والدِّيارُ البَلاقِعُ[5]

وهُنّ على الأغْصان من كُلِّ جانبٍ ... نوائحُ، ما تَخْضَلُّ منها المَدَامِعُ!

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر[6]: [من الخفيف]

نَسَبَ الناسُ للحَمَامَةِ حُزْنًا ... وأَرَاها في الحُزْنِ ليسَتْ هُنالكْ!

خَضبَتْ كَفَّها وطَوَّقت الجِيـ ... ـدَ وغَنَّتْ، وما الحَزينُ كذلكْ![7]

---

(١) الوكون: مفردها وَكْن وهو عشّ الطائر.

(٢) ابن قلاقس: هو أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن عليّ بن عبد القويّ بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري، الملقّب «القاضي الأغرّ»، شاعرٌ مجيد، وكان فاضلًا ونبيلًا. «وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥».

(٣) أعطاف الغصون: جنباتها، وعطف الغصن: تمايل، والرواني: من رنا أي أدام النظر في سكون.

(٤) شرخ الزّمان: يريد شرخ الشّباب أي سنيّه التي كان فيها شابًّا يفيض حيويّة ونشاطًا.

(٥) هتوف البواكي: نواحهنّ، والبلاقع: الأرض الخالية.

(٦) ابن عبد الظاهر: هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السّعدي، محيي الدين، قاضٍ أديب مؤرّخ، من أهل مصر مولدًا ووفاة، كان كاتب الإنشاء في الدّيار المصرية، وله شعرٌ حسن، توفي سنة ١٢٩٣ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٨».

(٧) خضبت كفّها: صبغتها بالخضاب، والجيد: العنق.

وقال ابن الرومي: [من الكامل]

أَشَجَتْكَ داعِيَةٌ مع الإشْرَاقِ هتفَتْ بساقٍ من ذُؤابةِ ساق؟[(١)]

أيْكِيَّةٌ تدعُو، ولم أر باكيًا رَيْبَ الزَّمانِ قَرينَها لِفراق

تَبْدُو أواميتُ الشَّجَى في صَوْتِها وتُرى عليها أنّه الإطْراق[(٢)]

لو تَسْتَطِيعُ، تسلَّبَتْ من طَوْقها لو كان مُنْتَحَلًا من الأطْواق[(٣)]

* * *

ومما قيل في المراجعات، فمن ذلك قول وضّاح اليمن[(٤)]: [من السريع]

قالَتْ: ألَا لا تَلِجَنْ دارَنَا إنَّ أبانَا رجُلٌ غائِرُ![(٥)]

أما رأيتَ البابَ من دُونِنا؟ قلتُ: فإنّي واثِبٌ طافِرُ![(٦)]

قالت: فإن القَصْر من دُونِنا قلتُ: فإنِّي فوقَهُ ظاهِرُ!

قالت: فإنَّ اللَّيْثَ عالٍ به قلت: فسَيْفي مُرْهَف باتِرُ![(٧)]

قالت: فهذا البَحْرُ ما بَيْنَنا قلت: فإنّي سابِحٌ ماهِرُ!

قالت: أليس الله من فَوْقنا؟ قلت: بلى! وهو لنا غافِرُ

قالت: فإمَّا كُنْتَ أعيَيْتَنا فأْتِ إذا ما هَجَعَ السَّامِرُ![(٨)]

وٱسقُطْ علينا كسُقُوط النَّدى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجِرُ!

---

(١) أشجتك: أثارت شجوك وحزنك وعشقك، والذؤابة: شعر مقدّم الرأس، ويريد هنا بذؤابة ساقٍ: أي أعلى أوراق غصنٍ حطّت عليه.

(٢) الأواميت: يطلق الأمت في اللغة على الضعف والوهن، ويجمع على إمات وأُموت ولم نَرَ جمعه على أواميت.

(٣) تسلّبت: تفلّتت.

(٤) وضّاح اليمن: هو عبد الرحمٰن بن إسمٰعيل بن عبد كلال، من حمير، شاعرٌ رقيق الغزل عجيب النسب، كان جميل الطّلعة، يتقنّع في المواسم، له أخبار مع عشيقة اسمها «روضة» من أهل اليمن، تغزّل بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقتله نحو سنة ٧٠٨ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٩٩».

(٥) الغائر: الذي فيه غيرة أي نخوة، تلجن: من ولج: أي دخل.

(٦) الطافر: الذي يعدو ويسرع. (٧) المرهف: المشحوذ، والباتر: القاطع.

(٨) هجع: رقد، والسّامر: السّاهر والجالي ليلًا مع من ينادمه ويسامره.

وقال المؤمل بن أميل: [من المنسرح]

وطارقاتٍ طَرَقْنني رُسُلًا ... واللَّيلُ كالطَّيلسانِ مُعْتكرُ[1]
فقُلْنَ: جِئْنا إليكَ عن ثِقةٍ ... من عند خَوْدٍ كأنَّها قَمَرُ![2]
هَلْ لكَ في غادةٍ مُنَعَّمَة ... يَحارُ فيها من حُسْنِها النَّظَرُ؟
في الجِيدِ منها طُولٌ إذا التفَتَتْ ... وفي خُطاها إذا خطَتْ قصَرُ
فقُمْتُ أسْعى إلى مُحَجَّبة ... تُضيء منها البُيوتُ والحُجَرُ
فقلتُ لمَّا بدا تَخَفُّرُها ... جُودِي، ولا يمنعَنَّك الخَفَرُ[3]
قالت: توقَّرْ، ودَعْ مقالَك ذا ... أنتَ أمْرُؤٌ بالقَبِيحِ مُشْتَهِرُ!
والله لا نِلْتَ ما تُحاوِلُ أو ... يَنْبُتَ في بطن راحتي شَعَرُ!
لا أنْتَ لي قَيِّمٌ فتَجْبُرَني ... ولا أمِيرٌ عليَّ مُؤْتَمرُ
قلتُ: ولكِنْ ضَيفٌ أتاكِ به ... تحتَ الظلامِ القضاءُ والقَدَرُ
فاحتَسِبي الأجْرَ في إنالَتِه ... ويا سِرِي قد تطاوَلَ العسرُ!
قالتْ: فقد جئتَ تَبْتَغِي عَمَلًا ... تكادُ منه السماءُ تَنفَطِرُ[4]
فقلتُ: لَمَّا رأيتها حَرِجَتْ ... وغَشِيَتْهَا الهمومُ والفكَرُ[5]
لا عاقَبَ اللهُ في الصِّبا أبدًا ... أُنثَى ولكنْ يُعاقَبُ الذَّكَرُ!
قالت: لقد جئتَنا بمُبْتَدَعٍ ... وقد أتتْنا بِغَيْرِه النُّذُرُ
قد بَيَّنَ اللهُ في الكتابِ فلا ... وازِرةٌ غَيْرَ وِزْرِها تَزِرُ[6]
قلتُ: دَعِي سورةً لَهِجْتِ بها ... لا تَحْرِمَنَّا لَذَّاتِنَا السُّورُ
وَجْهُك وجهٌ تمَّتْ محاسنُه ... لا وأبي لا تَمَسُّه سَقَرُ[7]

---

(١) الطارق: الزّائر ليلًا، والطيلسان: ضربٌ من الأوشحة يلبس على الكتف.
(٢) الخود: الشابة الناعمة الرقيقة الحسنة الخَلْق. (٣) الخفر: الحياء.
(٤) تنفطر: تتشقّق. (٥) حرجت: أصابها الحرج: وهو الضّيق.
(٦) الوازرة: مرتكبة الوزر، وهو الإثم الذي يستوجب العقاب، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤].
(٧) سَقر: جهنّم.

وقال آخر: [من الكامل]

خَطَرتْ فقلْتُ لها مَقَالةَ مُغْرَمِ ... ماذا عَلَيْكِ من السَّلامِ فسَلِّمِي[1]

قالتْ: بِمَنْ تَعْنِي فحبُّكَ بَيِّنٌ ... في سُقْمِ جِسْمِكَ؟ قلت: بالمُتَكَلِّمِ

فتبسَّمَتْ، فبَكَيْتُ، قالت: لا تُرَعْ ... فلعَلَّ مِثْلَ هَواكَ بالمُتَبَسِّمِ

قلتُ: ٱتَّفَقْنَا في الهَوى، فزِيارةٌ ... أو مَوْعِدًا قَبْلَ الزيارةِ قَدِّمِي

فتضاحَكَتْ عَجَبًا، وقالتْ: يا فَتى ... لو لم أدَعْكَ تنام، بِي لم تَحْلُمِ

وقال آخر: [من المتقارب]

ولَمَّا نَزَلْنا على زَمْزَمٍ ... ونحنُ نُرِيد طَوافَ الإفاضَهْ[2]

بَكَيْتُ، فقالت: عَلامَ البُكَا؟ ... فقلتُ: على الوُدّ أخْشَى ٱنْتِفاضَهْ![3]

فقالت: ثَكِلْتُكَ من عاشِقٍ ... تُشَمِّر ذيلَكَ قبل المَخاضَهْ[4]

فقلتُ: صَدَقْتِ، ولكِنَّني ... أُعَلِّم نَفْسِي طَرِيقَ الرِّياضَهْ

* * *

ومما قيل في المردوف[5]، قال بعض الشعراء:

عيناكَ على سفك دمي أسرفتا ... والجسم نحيلْ

أطلِقْ برضاك في الهوى أسرَ فتًى ... حيرانَ ذليلْ

في ريقكَ خمرتان قد حُرِّمتا ... من غير دليلْ

والعاسق ظمآنُ فيا حرُّا! متى ... تسقيه قليلْ؟

---

(١) خطرت: لاحت ومرّت تتبختر في مشيتها.

(٢) زمزم: البئر المباركة المشهورة، سمّيت «زمزم» لكثرة مائها. «معجم البلدان ٣/ ١٤٧». والطّواف: من شعائر الحجّ، وهو الدوران حول البيت الحرام، والإفاضة: الانتهاء والتفرّق، وطواف الإفاضة: هو طواف يوم النّحر، ينصرف الحاج من منى إلى مكة فيطوف ويعود.

(٣) انتقاضه: انقطاعه، وتحلُّل عُراه.

(٤) تكلتك: من الثكل: وهو الفقد، وشمّر الذّيل: رفع ثوبه، والمخاضة: الماء؛ ويريد: أنه شمّر ذيل ثوبه قبل ورود الماء الذي يريد اجتيازه.

(٥) المردوف: نوعٌ من الشعر قريبٌ من الموشّح، كما نلاحظ، والرّدف في القافية: إنما هو قبل حرف الرّوي لا بعده، والرّدف: حرف لين قبل حرف الروي، كألف «الأشياء» في قول الشاعر: حفِظْت شيئًا وغابت عنك أشياء.

وقال آخر:

فـي خـدّكَ وردتـان قـد رُكّـبـتـا مـن فـوق قـضـيـبْ
في قـلبيَ جمـرتـان قـد أُضْـرِمتـا نــارٌ ولـــهــيـــبْ
حـلّفـتـكَ بـالإلـه يـا خـيـرَ فـتـى رفـقًـا بـكـئـيـبْ
حيـرانَ يـهـيـم بـيـن حـتّـى ومـتـى والأمــر عــجــيـبْ

وقال آخر:

يا بدرُ! عصَيتُ في الهوى عذّالي طَــوْعًــا لــهـــواكْ
وأنـقـدتُ لأمـرك الـكـبـيـر العـالـي مـــا قـــلّ وفـــاكْ!
إن كان رِضاكَ سقمَ جسمي البالي صــبـــرًا لـــرضـــاكْ
عـذّبْ جـسـدي بـسـائـر الأحـوالِ إلّا بــــجـــــفـــــاكْ

وقال آخر:

يا مرتحِلًا إلى الحِمَى مَصرفَهُ بـــالله عـــلـيـــكْ خذ معك كتابْ، فيه خبري
لي ثَمّ رَشًا عساك تستعطفُه إن هــان عـلـيـكْ فـي ردّ جـوابْ، لـلـمـنـتـظـرِ
إنْ عرَّضَ بي، فقل: نعم أعرفُه يـشـتـاق إلـيـكْ قـد رقّ وذابْ، بـيـن الـبـشـرِ
مـا يـتـركـه هـواكَ أو تـتـلفَـه والأمـــر إلـــيـــكْ ما الهجر صوابْ، من مقتدرِ

* * *

ومما قيل في الجناس(١)، قال أبو الفضل الميكالي(٢): [من الطويل]

مـواعـيـده بـالـوصـل أحـلام نـائـم أشـبّـهـهـا بـالـقـفـر أو بـسَـرابِـهِ
فمن لي بوجه لو تحيّر في الدّجى أخو سفرٍ في جُنح ليل سَرَى بِهِ(٣)

(١) الجناس: من فنون البديع وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعرٍ وكلام، ومجانستها أن تشبهها في تأليف حروفها، وقد تأتلف معها في المعنى، وقد تختلف وهو الأرجح... وقيل: الجناس تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى.

(٢) الميكالي: هو الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، من الكتّاب الشعراء، من أهل خراسان، أورد له صاحب اليتيمة جملة من محاسن نثره ونظمه، له ديوان شعر، توفي سنة ٩٩١ م. «انظر يتيمة الدهر ٤/٤٠٧ وما بعدها» و «فهرس الأعلام ٤/١٩١».

(٣) تحيّر: لم يهتدِ إلى الطريق القدويم، والدّجى: الظلام، وسرى به: أبان له الطريق.

وقال أيضًا: [من الخفيف]

صِلْ مُحِبًّا، أعياه وصفُ هواه فضناه ينوب عن تَرْجُمَانِهْ[١]

كلّما راقه سواك، تصدّت مقلتاه بدمعه تَرْجُمانِهْ[٢]

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

ما ضرّ مَن قد أباح قتلي في حبّه لو أباح رِيقَهْ

أبَى فؤادي السلوَّ عنه لكنه ما أبَى حريقَهْ

وقال آخر: [من البسيط]

أقول والليل مرخيٌّ غياهبه والدَّيْر يَسمعني جِسّ النواقيسِ[٣]

يا نفسُ كم بين مسرورٍ بلذّته وبين مُبْلًى بتشتيت النوى قيسي[٤]

وقال آخر: [من البسيط]

يا من تنكّدت الدنيا لغيبته أساخطٌ أنت عني اليومَ أم راضي؟

أمْرضتَ بالهجر قلبَ المستهام فما عليك، بالوصل لو داويتَ أمراضي؟

وقال آخر: [من الطويل]

لقد راعَني بدر الدجى بصدودِهِ ووكَّل أجفاني برعي كواكبِهْ[٥]

فيا عَبْرتي سُحّي دَمًا لفراقه ويا كبدي صبرًا على ما كواكِ بهْ![٦]

---

(١) صِلْ: فعل أمر من وَصَل، والوصل: اللّقاء، والترجمان: الذي ينقل الكلام من لغةٍ إلى أخرى.

(٢) ترجمانه: هنا من الرّجم: وهو الرّمي بالحصى، وفي الكلام جناس بين كلمتي «ترجمانه» في البيت الأوّل والثاني.

(٣) الغياهب: الظلمات، وأرخى الليل غيهبه: أسدل ظلمته، والنّواقيس: مفردها ناقوس، وهو مضراب النّصارى الذي يضربونه إيذانًا بحلول وقت الصلاة.

(٤) التشتيت: التفريق، والنوى: البُعْد، وقيسي: من القياس والموازنة، وفي الكلام جناسٌ بين كلمتي آخر البيتين، أو التفعيلتين الأخيرتين في ضرب كلّ بيت.

(٥) راعني: أخافني وأقلقني، ورعيُ الكواكب: مراقبتها همًّا وسهرًا.

(٦) سحّي: انزفي وامطري، وفي الكلام جناس بين التفعيلتين الأخيرتين في الضرب الأخير من البيت الأول والثاني.

وقال آخر: [من السريع]

قلت له: ماذا السواد الذي ... فيك تبدَّى؟ قال: ذا غاليهْ[١]
فقلت: قَبِّلني إذًا قُبلة ... فقال: خذها قُبلةً غاليهْ[٢]
فقلت: ما تغلو على عاشقٍ ... في حبّكم، ذي كبدٍ غاليهْ[٣]

وقال آخر: [من مجزوء الرّجز]

شافَهَ كفّي رَشَأُ ... بقُبلةٍ ما شَفَتِ[٤]
فقلت إذ قبّلها ... يا ليت كفّي شفتي!

وقال آخر: [من المنسرح]

لم يكفكم أخذُ قلبه سَلَبًا ... حتى أخذتم عن طرفه وَسَنَهْ[٥]
كم ليلةٍ بات للغرام وكم ... يومٍ وشهرٍ ما نامه وسَنَهْ

وقال آخر[٦]:

يا من لحظاته أسودٌ وثَبَتْ ... قد صحّ هواك في فؤادي وثَبَتْ
جرّدتُ لها سيوفَ صبري فنبت ... يا من غرس الهوى بقلبي فنبتْ

وقال آخر:

يا من بحشاشتي - إذا غاب - سكنْ ... هيّجتَ من الغرام ما كان سكنْ[٧]
يا من شَرَع الصدودَ في الحبّ وسَنّ ... من بعدك مهجورُك ما ذاق وَسَنْ[٨]

وقال آخر:

أهوى قمرًا سفكُ دمي حلّ لهُ ... في أيّ شريعةٍ ومَن حلّلَهُ
ما بلّلَ شَعرَه وما حلّلَهُ ... إلا سمحَ البخيلُ وانحلّ لهُ[٩]

(١) تبدّى: ظهر، والغالية: نوعٌ من الطيب. (٢) الغالية هنا: الثمينة.
(٣) الغالية هنا: المحترقة من العشق، وفي الكلمات الأخيرة من الأبيات الثلاثة «جناس».
(٤) شافه: قرّب شفته من شفته، يريد أنه قبّل كفّه.
(٥) سلبًا: نهبًا، والوَسَن: النعاس والنّوم.
(٦) هذه المقطوعة وما يليها من مقطوعات ثلاثة... من الشعر الذي لا ينتمي إلى عروض الخليل وبحوره المعروفة، وهي أقرب إلى الموشحات.
(٧) الحشاشة: الروح، وسكن: هدأ. (٨) شرع: سنّ، والشريعة: السنّة والأحكام.
(٩) السّمح: الكرم والجود.

وقال آخر:

مَنْ بَلَّلَ صُدْغَ قاتلي مَنْ سَلْسَلْ؟ مَن أودع ثغرَه رحيقًا سَلْسَلْ؟[١]
مَن علّلني في حبّه؟ مَنْ سَلْسَلْ؟ يا عاذل إن جهلتَ ما بي سَلْ سَلْ

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

يا بانةً لحبّها في القلب أصلٌ قد نبتْ
سيوف صبري عن سيو ف مقلتيك قد نَبَتْ[٢]
تلك لحاظُ أعينٍ أم أُسْدُ غيلٍ وثبتْ؟[٣]
لواحظٌ لو برزتْ في يوم حربٍ، لَسَبَتْ[٤]
وعقربُ الصُّدغ التي لكلّ قلبٍ لَسَبَتْ[٥]
أسْنَاؤُكم تاقت لها الـ ـنفوس يومًا وصَبَتْ[٦]
لا سيّما إن حَملتْ نشرَك ريح وصبتْ[٧]
فخيلهم دون بلو غ السُّول فينا قد كَبَتْ[٨]
أفدي حبيبًا زارني فكم عدوٌ قد كَبَتْ[٩]
رعى حقوقي في الهوى عليه لمّا وَجبتْ
وسكّن الأحشاء بالـ ـوصال لمّا وجَبَتْ[١٠]

وقال أيضًا: [من مجزوء الرّجز]

من لفتى، جار عل ـيه طرفه فيما قضَى؟
صبٌّ إذا الدهر قضى عليه بالبَيْن، قضَى
يبكي على دهرٍ تولّ ى بالتداني أو مضى
تمطر عيناه إذا الـ ـبرق الشآمي أوْمَضا

---

(١) الصُّدغ: ما بين العين والأذن من جانب الوجه، والسلسل: العَذْب.
(٢) نبا السيف: لم يصب المضروب. (٣) الغيل: الشجر الكثير الملتفّ.
(٤) سبت: أسرت. (٥) لسبت: لسعت.
(٦) أسناؤكم: يريد «وجوهكم»، والسّنا: الضوء، وتاقت: اشتاقت، وصبَت: حنّت واشتاقت.
(٧) النّشر: الرائحة الطيّبة، ووصبت: دامت وثبتت، أو ألحقت الوصب: أي مرض العشق وألمُهُ.
(٨) كبا الحصان: عثر وزلّ.
(٩) كبت: قهر وغلب، وكبت الله الأعداء: ردّهم في غيظٍ وحنق.
(١٠) وجبت: خفقت، والأحشاء: ما انطوى عليه الصّدر.

وقال آخر: [من المتقارب]

رمى حَرَّ قلبي بهجرانه رشًا ما درى قدرَ ما قد رمى
وقد كان قدّم إحسانَهُ ولكنّه قدَّ ما قدّما
فتسليم أمري به للقضا ذَخَرتُ به أجرَ ما أجرما

* * *

ومما قيل في الموشّحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين:

يد الإصباح، قدحتْ زناد الأنوار في مجامر الزَّهرِ[١]
دهر جذلان، واعتدال رَيْعان فما الإظْعان؟ عن طَلًا وغزلانْ[٢]
راق الزمان، وشدَتْ على البان ذاتُ الجناح، وانثنت قدودُ الأشجارْ

* في الغلائل الخُضرِ[٣] *

لنا أجساد، للسرور تنجذبُ كما تنقاد، لربيعها العرب
حتى الجماد، لا يفوته الطربُ طافت بالرّاح، سحبٌ فسكر النَّوّارْ[٤]

* من سُلافة القَطْرِ[٥] *

إنّ انخلاعي، مع رشًا وصهباء لدى بِقاعِ، حكت وشي صنعاء[٦]
وللشّعاعِ، لهبٌ على الماء وللرِّياحِ، في متون تلك الأنهارْ

* شَبَكٌ من التِّبرِ[٧] *

ورِيم ألمى، بات بِيَده صدري كبدر تَمًّا، وسط غُرَّة الشهر[٨]
شدوتُ لمّا، راعني سنا الفجر قل للصباحِ: إن تدنُ بطرد الأقمارْ

---

(١) قدحت الزّناد: أورته، وأشعلت النّار، والمجامر: ما يوضع فيه الجمر مع البخور، يريد: أن رائحة الزّهر فاحت عند الصباح كرائحة البخّور التي تفوح من المجامر.
(٢) الإظعان: الرّحيل، والطّلا: ولد الغزال.
(٣) الغلائل: مفردها غلالة، وهو ثوب رقيق يلبس تحت الدّثار.
(٤) الرّاح: الخمرة، والنّوار: الزّهر.
(٥) السّلافة: أفضل الخمر وأخلصها، والقطر: المطر «استعار السّلافة للقطر».
(٦) انخلع عن المكان: رحل عنه، ويريد بالانخلاع هنا: تفرّده وابتعاده، والرّشا: الغزال، والصهباء: الخمر، والوشي: التطريز.
(٧) التبر: قراضة الذهب.
(٨) الرّيم: الغزال الخالص البياض، والألمى: الذي فيه سمرة، وغُرَّة الشهر: أي عندما يكون البدر قمرًا مكتملًا.

* فـمـع الـدُّجـى نـسـرِي *

وغـصـن مـائـلْ، الـهـلال أعـلاه ... له من نابلْ، في النفوس قتلاه(١)

سـيـف الـحـمـائـل، غـمـده عـذاراه ... طوع الجماح، إن يكن كثيرَ النِّفارْ(٢)

* فـهـي عـادة الـعُـفْـر(٣) *

وقال ابن بقي(٤):

مـا بـي شَـمـول، إلا شـجـون ... مزاجها في الكأس، دمع هتون(٥)

لله مـا بِـذَرْ، مـن الـدمـوعِ ... صبٌّ قد استعبرْ، من الوَلُوعِ

أودى بـه جـؤذَرْ، يـوم الـبـقـيـعِ ... فـهـو قـتـيـلُ؛ لا بـل طـعـينُ(٦)

* بين الرجا والياسْ، له منونُ(٧) *

[خرجْتُ للحَيْنِ، كفّي بكفّي ... وحيل ما بيني، وبين إلفي(٨)

لا شك بالبينِ، يكون حتفي ... حـان الـرحـيـلُ، ولـي ديـونُ

* إن ردّها العباسْ، فهو الأمين *](٩)

أما ترى البدرا؟ بدرَ السعودِ ... قد اكتسى خُضرًا، من البرود(١٠)

إذا انثنى نَضْرًا، من القُدودِ ... أضحى يقولُ: مت يا حزينُ

* قد اكتسى بالياسْ، الياسَمينُ *

---

(١) النابل: الذي يرمي النبل بأقواسه.

(٢) الغمد: غلاف السيف، والحمائل: ما يعلّق بها، والعذار: صفحة الخدّ، والجماح: النفور.

(٣) والعفر: من الغزلان ما يعلو بياضه حمرة.

(٤) ابن بقي: هو يحيىٰ بن عبد الرحمٰن الأندلسي القرطبي، كان آيةً في النثر والنظم، بارعًا في نظم الموشّحات مجيدًا فيها كلّ الإجادة، توفي سنة أربعين وخمسمائة. «معجم الأدباء ٥/٦٢٦، دار الكتب العلميّة».

(٥) الهتون: الكثير القطر، والشمول: الخمرة.

(٦) أودى به: أهلكه وذهب بعقله، والجؤذر: ولد البقرة الوحشيّة كناية عن المرأة، ويوم البقيع: يوم معيّن أو هو يوم الذّهاب، من بَقَع أي ذهب.

(٧) المنون: الموت.

(٨) الحين: الوقت، وحيل: بُوعد ومُنع، والإلف: الحبيب والعشير.

(٩) ما بين قوسين زيادة من نفح الطّيب للمقرّي.

(١٠) البرود: مفردها «برد» وهو كساءٌ مخطّط يلتحف به.

قلت وقد شرّد، النومَ عنّي وآيس العوّد، السقم منّي[١]
صدّ فلما صدّ، قرعتُ سنّي جسمي نحيلُ، لا يستبينُ[٢]
* يطلبه الجُلاّسْ، حيث الأنينُ *
تجاوز الحدّا، قلبي اشتياقا وكلّف السهدا، مَن لا أطاقا[٣]
قلتُ وقد مدّا، ليلي رُواقا ليلي طويلُ، ولا مُعينُ[٤]
* يا قلبَ بعض الناسْ، أما تلينُ؟ *

وقال سراج الدين عمر الكتّاني الحلبيّ، يمدح الملك المنصور صاحب حماه:

جسمي ذوَى، بالكمِد، والسهرِ، والوصبِ من جاني
ذي شنبِ، كالبَردِ، كالدّررِ، كالحبَبِ، جماني[٥]
لي غصن بانٍ نَضِرُ يسبيك منه الهَيَفُ[٦]
يرتع فيه النظرُ فزهره يُقتطفُ
والخدّ منه قفِرُ والجسم منه ترفُ[٧]
قد جاءنا يعتذرُ عِذاره المنعطِفُ
ثم التوى، كالزردِ، مُعَبقَرِي، مُعَقْرَبي، رَيحاني
في مُذهَبِ، مورَّدِ، مدنَّرِ، مكتَّبِ، سَوساني[٨]
ظبيٌ له مرتَشَفُ كالسلسبيل الباردِ

(١) آيس: قطع الأمل، والعوّد: الذين يزورون المرضى.
(٢) قرع سنّه: صكّها، كناية عن الندم. (٣) السّهد: الأرق.
(٤) الرواق: بيت من شعر ينصب في باحة الدّار.
(٥) الوصب: مرض العشق، والجماني: نسبة إلى الجمان، وهو اللؤلؤ.
(٦) الهيف: ضمور الخصر والبطن.
(٧) القفِر: الذي لا شعر فيه، يريد الخدّ الناعم.
(٨) المعبقر: الكامل من كل شيء، أو الذي ألحق به الجنون، فبعقر: موضع زعم العرب أنه موطن الجنّ، والمدنّر: ما كان كالدّينار، والمكتّب: المنمّق والمزيّن، والسوساني: نسبة إلى السّوسن وهو نبات ينتهي بزهره أو عدّة زهور جذّابة تخرج كل منها من غلف حرشفيّة يختلف نوعها باختلاف النوع، فمنه الأبيض والأزرق والأصفر والأحمر.

غـصـنُ نـقًـا يـنـعـطـفُ مـن لِيـن قـدّ مـائـدِ(١)
بـدرٌ عَـلاه سَـدَفُ مـن لـيـل شَـعـرٍ واردِ(٢)
مُـقَـرْطَـقٌ مـشـنَّـفُ يَـخْـتـال فـي الـقـلائـدِ(٣)

بين اللِّوَى، وثَهْمَدِ، كجُؤذَرِ، في رَبْرَبِ، غِزْلاني
ذي ضَرَبِ، ذي غَيدِ، ذي حَوَرِ، ذي هُدُبِ، وَسْنَانِي(٤)

أمَـا وَحُـلِي جـيـده! ورنَّـةِ الـخـلاخِـلِ!
والـضـمّ مـن بـروده قَـدَّ قـضـيـبٍ مـائـلِ
والـوردِ مـن خـدوده إذْ نَـمَّ فـي الـغـلائـلِ(٥)
لا كـنـتُ مـن صـدودِهِ مـتـصـلًا بـعـاذلِ!

نارَ الجَوَى، لا تَخْمُدي، واسْتَعِري، وكذِّبِي، سُلْوَاني
وأَسْبِلي، واطَّرِدِي، وانْهَمِري كالسُّحُبِ، أجفانِي(٦)

مـولايَ جـفـنـي سـاهـرُ مـؤرَّق كـمـا تـرى
فـلا خـيـالٌ زائـرُ يَـطْـرُقـنـي ولا كَـرَى(٧)
إنِّـي عـلـيـلٌ صـابـرُ فـمـا جَـزَا مـن صـبـرَا؟
إنْ سَـحَّ دمـعـي الـهـامـرُ فـلا تَـلُمْـه إنْ جَـرَى

جَالَ الهوى، في جَلَدِي، ومُضْمَرِي، أضرَّ بِي، كتمانِي
مؤنِّبي، اتَّئِدِ، لا تَفْتَرِ، وجَنِّبِ، عن عَانِي(٨)

---

(١) النّقا: القطعة المحدودبة من الرّمل، والمائل: المتثني الميّاس.
(٢) السّدف: السفر.
(٣) المقرطق: الذي يلبس القرطق، وهو قباءٌ أبيض، تعريب «كُرْتَهْ» وقد تضمّ طاؤه، «اللسان مادة قرطق»، والمشنّف: الذي اتّخذ قرطًا في أذنيه.
(٤) اللّوى وثهمد: موضعان، وقد ورد ذكرهما في معلّقتي امرىء القيس وطرفة بن العبد، والرّبرب: القطيع من الظّباء، ومن البقر الوحشي والإنسي لا واحد له، جمعه ربارب، والضرب: الشّهد، والغيد: النعومة في التمايل، والوسنان: الفاترة.
(٥) نمّ: انتشرت رائحته، والغلائل: مفردها غلالة، وهي ثوب رقيق.
(٦) أسبل الدمع: أجراه، واطّردي: تتابعي. (٧) الطارق: الزائر ليلًا، والكرى: النعاس.
(٨) اتّئد: تمهّل، والعاني: الأسير.

إنْ صـالَ بـالـهـجـر وصَـدْ رحـتُ بـصـبـري مـرتـدِي
عـنـه وإنْ طـال الأمـدْ إلـى ذُرَى مـحـمـدِ
وكـيـف يـخـشـى مَـنْ قَـصَـدْ مَـلْكًـا كـريـمَ الـمـحـتِـدِ(١)
الـمـلِكَ الـمـنـصـورَ قـد سَـمَـا سَـمـاءَ الـسُّـودَدِ(٢)
ثـم اسْـتَـوَى، بـأجْـرَدِ، مـضـمَّـرِ، ومِـقْـضَـبِ، يَـمَـانِـي
ذي شُـطَـبِ، مهـنَّـدِ، وسَـمْـهَـرِي، مـضـطَـرِبِ، مُـرَّانِـي(٣)
مَـلْكًـا عـلـت هِـمَّـاتُـه من فـوقِ هَـامِ الـمـشـتـرِي(٤)
وبَـخَّـلَـتْ راحـاتُـه سُـحَّ الـسـحـابِ الـمـمـطـرِ(٥)
وعُـوِّذَتْ رايـاتُـه بـمـحـكـمـاتِ الـسُّـورِ(٦)
بـدرٌ بـدتْ هـالاتُـه مـن الـصـبـاحِ الـمُـسْـفِـرِ
تـحـت لِوَى، منعقِدِ، بالظَّفَر، في موكبِ، فِرْسَانِي
كالأَشْهُبِ، في الأَسْعُد، كالأقمر، في أَغْذَبِ، سَيْحَانِي(٧)
يـا مَـلِكًـا دون الـورى تـخـطـبُـه الـمـمـالـكُ(٨)
ومـالـكًـا إذا سـرَى تَـحْـجُـبـه الـمـلائـكُ
بـعـضُ عَـطَـاك هـل تُـرَى جـادت بـه الـبـرامِـكُ(٩)
فـاسْـتَـجْـلِهَـا مـن عُـمَـرَا ثـغـرُ مُـنَـاهـا ضـاحـكُ

---

(١) المحتد: الأصل. (٢) السؤدد: السيادة والمجد والشرف.
(٣) المقضب: السيف، واليماني: المنسوب إلى اليمن، وذو شطب: ذو خطوط في متن السيف، والمهنّد: السيف المنسوب إلى الهند، والسّمهري: الرمح المنسوب إلى سمهر، والمضطرب: الخفّاق، والمرّان: الرّمَاح الصلبة اللدنة الليّنة تؤخذ من شجر المرّان.
(٤) الهام: الجبين والرّأس، والمشتري: كوكب في السماء منير.
(٥) الرّاحات: الأكفّ، كناية عن العطاء، وسّحَ السّحاب: مطره.
(٦) عوّذت: خفضت، والعُوذة: الرقية والتميمة، والسّور: يريد سور القرآن الكريم.
(٧) الشّهاب: الشعلة الساطعة من النار، والكواكب التي ترجم الشياطين في السّماء عند اختراق السّمع، والسّيح: من ساح يسيح أي جرى.
(٨) الورى: الخلق، وتخطُبُه: تطلب ودّه ورضاه.
(٩) البرامك: نسبة إلى آل برمك الذين كانوا وزراء في عهد الرّشيد العبّاسي ونكبهم، وقد اشتهروا بالكرم.

لا يُجْتَوَى: كالشُّهْدِ، كالسُّكَّرِ، كالضَّرَبِ، مَعَانِي
كالسُّحُبِ، كالعسجَدِ، كالجوهرِ، من حَلَبِ، كَتَّانِي[١]

انتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب في هذا الموضع، وقد آن أن نأخذ في ذكر الأنساب، وبالله التوفيق.

الباب الرابع
من القسم الأوّل من الفن الثاني في الأنساب

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣]، ومعرفة أنساب الأُمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احترزت[٢] على معرفة نسبها، وتمكسّت بمتين حسبها، وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، واتّحدت برهطها[٣] وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها[٤] وبطونها[٥] وعمائرها[٦]، ونفت الدعيّ[٧] فيها، ونطقت بملء فيها.

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفي به، ويتمسّك بأسبابه.

وقد وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف «أبو البركات الجوّانيّ»[٨] فرفعت له علمًا، ونصبت له إلى المعالي سلّمًا؛ لأنه أتقن أصولها، وحرّر فصولها، وأورد فيها من الأنساب ما ينتفع به اللّبيب، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب[٩]، فوجدته بدأ فيها بذكر سيّدنا رسول الله ﷺ، ثم بآبائه، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه.

---

(١) يجتوى: يكره، والضّرب: الشّهد والعسل، والعسجد: الذهب من حَلَبِ: أي من حَلَبْ، والمعنى لا يكره هذا الشّهد والكلام الجميل المنمّق من الشاعر الكتّاني الحلبي.
(٢) احترزت: احترست. (٣) الرّهط: القبيل.
(٤) الأفخاذ: من القبيلة فصائلها أو أحياؤها، مفردها «فخذ».
(٥) البطن: من القبيلة: فرعٌ منها. (٦) العمارة: القبيلة.
(٧) الدعيّ: الذي لم تثبت نسبته.
(٨) أبو البركات الجوّاني: هو محمد بن أسعد بن علي بن معمر العبيدي العلوي، أبو علي، شرف الدين، عالم بالأنساب، أصله من الموصل ومولده ووفاته بمصر سنة ١١٩٢ م، ولي نقابة الأشراف، وصنّف طبقات الطالبيين، وتاج الأنساب، وله شعر أورد بعضه العماد الأصفهاني في الخريدة. «فهرس الأعلام ٦/ ٣١».
(٩) الأريب: العاقل.

فرأيت أن أسرد النسب من أصله، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتّصل بسيّد البشر. وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر، إلى أن انتهَى إلى اسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب، وأتمسّك من شريعته ومحبّته بأوثق سبب[١]. وأرجو ببركته بلوغ مآربي، ونجح مطالبي، وستر عيوبي، ومغفرة ذنوبي، وتزكية عملي، وسدّ خللي، والتجاوز عن سيّئاتي، والمسامحة بفلتاتي[٢] ولفتاتي، والخِيَرة في حركاتي وسكناتي.

هذا واللهِ رجائي من كرم ربّي، وإن قلّ عملي وكَثُر ذنبي؛ وعلى الشريف العمدة[٣] فيما أوردته، والعهدة فيما نقلته، فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته اعتمدت.

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجوّاني، النسّابة رحمه الله: إن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانَها، وأسّست عليه بنيانها، عشر طبقات.

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان، والجذم القطع، يقال: جِذْم وجَذْم؛ وذلك لما كثر الاختلاف في عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك، وشقّ على العرب تشعّب المناهج فيه وتصعب المسالك؛ قُطع الخوض[٤] فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان، واقتُصر على ذكر ما دونهما، لاجتماعهم على صحّته. ومنه قول سيّدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان: «كذب النسّابون[٥] فيما فوق ذلك» لتطاول العهد[٦]، فمن كان من ولد قحطان، قيل يمنيّ. وما كان من ولد معدّ بن عدنان، قيل: خِنْدفي، أو قَيْسيّ، أو نِزَاريّ، وإن كان الجميع داخلًا في نِزَار، أعني معدّ بن عدنان؛ وإنما كان بعد نِزَار جَمَاجِم[٧] استُغني بالنسبة إليها عن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبّقوا النسب على ما قدّمناه أربع طبقات: خندفيّ، وقيسيّ، ونزاريّ، ويمنيّ. فقولهم: خندفي أي كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، وهو جمّاع خندف، فتوسّعت العرب في ذلك إلى أن قالوا:

(١) السّبب: الحبل، والقرابة والمودّة. (٢) الفلتة: الهفوة غير المقصودة.
(٣) وعلى الشريف: يريد الشّريف «أبو البركات الجوّاني»، والعُمدة: الاعتماد.
(٤) الخوض: الحديث أو الدخول في متاهاته، والتقحُّم.
(٥) النسّابون: الذين يدّعون معرفة الأنساب. (٦) تطاول العهد: بعد الزّمن.
(٧) الجماجم: كناية عن الناس.

إلياس هو خِنْدف؛ لأن ولده وهم مُدْرِكَة، وطَابِخَةُ، وقَمعَةُ، أمّهم خندف، وهي ليلى بنت حُلْوان بن عِمْران، بن إلْحَافِ بن قُضاعة، خندفت في طلب ولدها أي أسرعت، فقال لها إلياس: مالك تخندفين؟ أي تهرولين فسمّيت خندف، فرجع إلى خندف أبطن عدّة: كمُزَيْنَة، والرِّبَاب، وضَبَّة، وصُوفَة، والشُّعَيْرا، وتَمِيم، وهُذَيْل، وأَسَد، والقَارَة، وكِنَانَة، وقُرَيْش، فقيل لولد إلياس «خندف»، ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أبًا لمن أمّه خندف لا غير ولا ولد له إلّا من خندف، ولذلك نظائر وأشباه في العرب، كما قيل لمالك بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر: «عائدة» لأن أُمّ ولده عائدة بنت الحُمْس بن قُحَافة الخَثْعَمِيَّة.

وكما قيل لعَوْف بن وَائِل بن قَيْس بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طَابِخَةَ بن إلياسَ بن مضر: «عُكْل»؛ لأن أمةً يقال لها عُكْل حضنت ولده.

وكما قيل لعمرو بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس: «مزينة» لأن أمّ ولده مُزَيْنة بنت كَلْب بن وَبَرَة القُضاعية.

وكما قيل لعمرو بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار: «جَدِيلَةُ قَيْس»؛ لأن أُمّ ولده جَدِيلة بنت مُرٍّ، أخت تميم بن مرّ، بن أُدّ، بن طابخة.

وكما قيل للحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّةَ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان: «عاملة»؛ لأن أمّ ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القضاعيّة.

وكما قيل لأَشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَة: «تُجِيبُ»؛ لأن أم ولده تُجِيبُ بنت ثَوْبَان المَذْحِجِيَّة، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم.

وأمّا قولهم قيسيّ، فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنَان، ويكون عيلان ها هنا أخا إلياس بن مضر[١]، وكان اسم إلياس عيلان.

وقال الوزير ابن المغربيّ[٢]: هو النَاسّ بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس. ومن العلماء من قال: إن عيلان كان حاضنًا، حَضَن قيسًا وليس بأب فيقول

---

(١) لعلّه: أو كان اسم إلياس عيلان، ليستقيم الكلام.

(٢) الوزير ابن المغربي: هو الحسين بن علي، أبو القاسم، وزيرٌ من الدّهاة العلماء الأدباء، يقال: إنّه من أبناء الأكاسرة، ولد بمصر، مات بميافارقين وحمل إلى الكوفة بوصيّة منه فدفن فيها سنة ١٠٢٧ م، له مؤلّفات عديدة، منها: السياسة، ومختصر إصلاح المنطق، وديوان شعر ونثر. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٤٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٢».

قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البنوّة، كما قيل في فخذ من قضاعة سَعْد هُذَيم، وهُذَيْمٌ حاضن، وغير ذلك في العرب كثير والأوّل أصح. وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذي قيل لقيس به قيس، والله أعلم.

وذهب قوم إلى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم: قيس وهو خطأ، وإنما هم يجوّزون ذلك على وجه بعيد ليميّزوا بالعزوة إلى ذلك بين يمن وغيرها، فيقولون: قيس ويمن، فيظنّ السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن؛ لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس: وهو فالَغ بن عابَر، وقحطان بن عابَر، وسيرد ذلك في سرد النسب بعون الله ومشيئته.

وبيانه هٰهنا أن قيس بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان، بن أدّ[1]، بن أُدَد، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، بن تَارَح، وهو آزَر بن ناحُور، بن سَاروغ، بن أَرْغُو، بن فالَغ، بن عابَر. ففالغ أخو قحطان، وقحطان هو الجد الذي ترجع إليه يمن كلها؛ وهو أحد جِذْمَي النسب كما تقدم.

فقد بان أن قول من يقول قيس، ويمن قبيلة ليس بشيء، وإنما قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سأل المعديّ من أيّ نسبٍ هو، فكأنّه يقول له من البطن التي منها قيس، وهذا بعيد وشاذّ.

ومما يؤكد بعده أنّا إذا جوّزنا ذلك لمن ينتسب إلى جمجمة فوق قيس كربيعة بن نِزار بن معدّ بن عدنان، وإياد بن نزار وغير ذلك وإن كان بعيدًا، فكيف يجوز أن يطلق ذلك على قريش؛ فنقول: هم قيس، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرَكة بن إلياس بن مضر بن نزار، وإلياس هو عمّ قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدّة، فلا يجوز أن يقال: إن قريشًا من قيس، وقيس إنما هو ابن عمّ الأب السادس من قريش، وهو مدركة؛ ولو كان عمًّا له، لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣]،

---

(١) هكذا بالأصل، وفي كتاب الجوّاني، المنقول منه هذا الفصل، والموجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصريّة، ناقصة الآخر، «ابن أُدّ بن إليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسمٰعيل الذبيح الخ. . .».

والذي ذهب إلى أن العمّ أب قال: أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيسًا؛ لأن قيسًا منهم، فأقول: قريش من قيس. وهذا بعيد من وجهِ أن قيسًا ليس بعمّ لقريش، وإنما هو ابن عمّ، ولا ترجع العُزْوة[١] في الانتساب إلى ذيل الأعقاب[٢]، إنما يعزى لأعلى النسب؛ لا لأسفل العقب، ولو صحّ ذلك، لعُزِي الإنسان لابن ابن عمّه، وهذا لا يصحّ.

فقد وضح أن العزوة إلى قيس لا تصح إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه؛ لأن ربيعة وإيَادًا ابني نزار أعلى منه، فلا يصح أن يُعْزوا إليه، وقريش وكنانة أسفل منه، فلا يصحّ أن يعزوا إليه.

وبالجملة، فإنّه ابن عم لهما، أعني قريشًا وكنانة، وأخ لهما أعني ربيعة وإيادًا، ولا يجوز أن يعزى الأب إلى ابنه؛ إذ كانت النسبة في ذلك لا ترجع إلى الابن إنما ترجع إلى الأب. ولو اعتمد ذلك في الأنساب لاختلطت العزوة إلى كل أب بالأب الآخر فلم يتميّز، ولم يقف عند حدّ دون الآخر، وهذا يؤول إلى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر.

وأمّا شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجماجم والرؤوس والقبائل والأرحاء[٣]، وهي عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر ابني مُرّ بن أدّ بن طابخة؛ إذ كان في قيس بنو عَبْس، وذُبْيان، وغَطَفان، وأَعْصُر، وهَوازِن، وعُدْوان، وفَهْم، وهم جَدِيلة قيس، وسُلَيم، وثَقِيف، وعامِر، وجُشَم، ونَصْر، وبَكْر، وسَعْد، وسَلُول، ورَبِيعَة، وكِلاب، وقُشَير، وحَبِيب، وعُقَيْل، وحَرِيش، وخَفَاجَة، وطَهْفَة، وغير ذلك من الأفخاذ والعشائر التي تشرح في مواضعها بمشيئة الله وعونه.

وأما نزار بن معدّ بن عدنان، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر، كبني رَبِيعَة الفَرَس، وضُبَيْعَة أَضْجَم، وأَكْلُب، وأَسْلم، ويقدم، وأجلان، وهميم، وعبد القَيْس، ودُهْن، والنَّمِر، وتَغْلِب، ووَائِل، وبَكْر، وصعب، وعلي، وحبيب، وعَنَزَة، وعَنْز، ورُفَيْدة، وإراشة، ويَشْكر، وعُكَابَة، وعِجْل، ولُجَيْم، وحَنِيفَة، وزِمّان، والدول[٤]،

---

(١) العُزوة: الإسناد، أو الانتماء، من عزا يعزو عزوًا: أي انتسب وانتمى.

(٢) ذيل الأعقاب: العقب: الولد، أو ولد الوالد الباقون بعده، والذّيل في العقب: الأخير.

(٣) الأرحاء: مفردها «رحى» والأرحاء هنا: جماعة العيال، ورحى القوم: سيّدهم، والأرحاء: القبائل التي تستقلّ بنفسها ولا تغادر مكانها. «انظر اللّسان، مادة رحا».

(٤) الدّول: بضمّ الدال وإسكان الواو، وهو غير الدّؤل التي ينسب إليها أبو الأسود الدّؤلي.

وشَيْبَان، وذُهْل، ومَازِن، وسَدُوس، وبِلِيّ، وعَوْف، وبَدْر، ومَعْن، ودُعْمِيّ، وزُهْرَة، وحُذَافة.

فأمّا أَنْمَار بن نِزَار، فانقلب في يمن كما انقلبت قضاعة في غير ذلك من الأفخاذ والعشائر مما بين في موضعه إن شاء الله تعالى، والحمد لله.

وأما يمن، فهم أولاد قحطان، بن عابر، بن شالخ، بن أرْفَخْشَذ، بن سَام، بن نوح عليه السلام.

وفيها عدّة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر: كسَبإ، وطَيىء، والأَشْعر، وحِمْيَر، وقُضَاعة، وغَسَّان، وأَوْس، والخَزْرَج، والأَزْد، ولَخْم، وجُذَام، وعَامِلَة، وخَوْلان، وغَافِق، ومَذْحِج، وحَرْب، وسَعْد العَشِيرة، ومَعَافِر، وهمْدان، وكِنْدَة، وكَلْب، ومَهْرَة، وصِنْهَاج[١]، وبَارِق، وبَجِيلَة، وثَعْلَبة، ودَرْما، وزُرَيْق، وعُنَيْز، وعَتَّاب، وبُحْتُر، وجرْم، ومُرَاد، وعَبْس، وجُعْفِيّ، وسَلْمَان، وتُجِيب، وصدا، والنَّخع، والصَّدِف، وحَضْرَمَوْت وغير ذلك.

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة، وما قصدنا فيها الترتيب، على طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عُزْوة ببعض مشاهيرها التي تنسب إليها: ليتبيّن بعضها من بعض ويعلم غرضنا في تحرير ما قدمناه، والله أعلم.

* * *

وأما عِزْوة العرب إلى يمن، وهم ولد قحطان، فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحِيَرة[٢]، وأصحاب سدّ مأرب[٣] فتيامنوا، فنسبوا إلى اليمن.

---

(١) الذي في القاموس: وصنهاجة قومٌ بالمغرب من ولد صنهاجة الحميري، وفي تاج العروس: قال ابن دريد: بضمّ الصّاد ولا يجوز غيره، قال شيخنا: والمعروف عندنا الفتح خاصة في القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره.

(٢) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يُقال له النّجف، زعموا أن بحر فارس كان يتّصل به، وبالحيرة: الخورنق يقرب منها، والسّدير: في وسط البرّية التي بينها وبين الشام. «انظر معجم البلدان ٢/٣٢٨ وما بعدها».

(٣) سدّ مأرب: قال المسعوديّ: وكان هذا السدُّ من بناء سبإ بن يشجب بن يعرب، وكان سافله سبعين واديًا، ومات قبل أن يستتمّه، فأتمّته ملوك حمير بعده، وقال أيضًا: بناه لقمان بن عاد، ومأرب: بلاد الأزد باليمن، وقال السّهيلي: اسم قصر كان لهم. «معجم البلدان ٥/٣٤».

وقيل: إنما قيل لهم: يمن بأَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر، وهو جدّ الملوك التابعة، والأوّل أولى.

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت في اليمن: مثل آل النُّعْمان بن المُنْذِر بن لَخْم، وآل سَلِيح من قُضَاعة، وآل مُحَرِّق، وآل العَرَنْجِجَ، وهو حمير الأكبر بن سبأ كالتبابعة والأذواء[١] وغيرهم.

والعرب يطلبون العزّ ولو كان في شامخات الشواهق وبطون الأمالق[٢] البوالق[٣] فينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية وإباءة الدنية وسكون النفوس إلى نفيس الكثرة والعصبية بطريق دقيق في النظر لا على الظن المشتهر؛ كما جرى لقضاعة بن معدّ بن عدنان لما خلف على أمّه الجرهمية بعدُ مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير أباه معدّ بن عدنان؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرّة فنسبه العرب إلى زوج أمّه [مالك بن مرة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمّه][٤]. وقيل: إن اسم الجرهميّة: قضاعة، فلما جاءت بولدها سمّته باسمها. وقيل: بل كان اسمه عميرًا، فلما تقضّع عن قومه أي بعد سمّي قضاعة. والعادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج أمّه؛ ألا ترى أنها قالت في عبد مناة بن كنانة: بنو عليّ وهو علي بن مسعود الأزديّ وكان حضن بني أخيه لأمّه وهم بكر وعامر ومرّة أولاد عبد مناة بن كنانة، فغلب اسمه عليهم لما تزوّج أمّهم هند ابنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضمّ إليه بني أخيه المذكورين مع أمّهم هذه، وهم صغار فربوا في حجره[٥]، فنسبهم العرب إلى عليّ. وسيأتي من هذا الباب أمثال له في مواضعها، إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) التبابعة: مفردها «تبّع» وهو لقب ملوك اليمن القدامى، والأذواء: ملوك اليمن من ذي يزن، كسيف بن ذي يزن وغيره.

(٢) الأمالق: الصخور. (٣) البوالق: القفار.

(٤) ما بين قوسين زيادات وجدت في نسخة «الجوّاني» المخطوطة، ولم توجد في الأصل «الفوتوغرافي».

(٥) حجره: كنفه ورعايته.

والطبقة الثانية الجماهير، والتجمهر: الاجتماع والكثرة، ومنه قولهم: جماهير العرب أي جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لغة العرب «الجمهرة» الكتاب الذي ألفه أبو بكر بن دريد[١] وجمهرة «الأنساب» أي مجموعها، والله أعلم.

* * *

والطبقة الثالثة الشعوب، واحدها شِعْب؛ ويقال: شَعْب، ويقال في القبيلة بالفتح وفي الجبل بالكسر، وهو الذي يجمع القبائل وتتشعّب منه، ويشبه بالرأس من الجسد؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣] الآية.

* * *

والطبقة الرابعة القبيلة، وهي التي دون الشعب تجمع العمائر؛ وإنما سمّيت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد؛ وهي بمنزلة الصدر من الجسد.

* * *

والطبقة الخامسة العمائر، واحدها عِمَارة، وهي التي دون القبائل، وتجمع البطون، وهي بمنزلة اليدين.

* * *

والطبقة السادسة البطون، واحدها بطن، وهي التي تجمع الأفخاذ.

* * *

والطبقة السابعة الأفخاذ، واحدها فَخِذ وفِخْذ، مثل كبد وكبد، وهي أصغر من البطن، والفخذ تجمع العشائر.

* * *

والطبقة الثامنة العشائر، واحدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون[٢] إلى أربعة آباء، وسمّيت بذلك لمعاشرة الرجل إيّاهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤]، فدعا النبيّ ﷺ علياء قريش إلى أن اقتصر على بني عبد مناف،

---

(١) ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي، أبو بكر، من أئمّة اللغة والأدب، وكانوا يقولون: ابن دُريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، من كتبه الاشتقاق، والمقصور والممدود، توفي ببغداد سنة ٩٣٣ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٨٠».

(٢) يتعاقلون: يرتبطون بحبل النّسب، والعقال: الحبل.

وهم يجتمعون معه في الجدّ الرابع، فمن هاهنا جرت السنّة بالمعاقلة إلى أربعة آباء؛ وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ.

* * *

والطبقة التاسعة الفصائل، واحدها فصيلة، وهم أهل بيت الرجل وخاصّته، قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ [المعَارج: الآيات ١١ - ١٣]، وهي بمنزلة القدم.

* * *

والطبقة العاشرة الرهط، وهم رهط الرجل وأسرته، بمنزلة أصابع القدم. والرهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النّمل: الآية ٤٨]، قال السيد أبو طالب[١] في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها سيّدنا رسول الله ﷺ:

وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأسرتي ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل[٢]

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة، وأسرته من بني عبد مناف الذين عاضدوه[٣] في نصرة سيدنا رسول الله ﷺ.

تمثيل التفصيل ـ عدنان جذم، قبائل معدّ جمهور، نزار بن معد شعب، مضر قبيلة، خندف عمارة، وهم ولد إلياس بن مضر، كنانة بطن، قريش فخذ، قصي عشيرة، عبد مناف فصيلة، بنو هاشم رهط.

وحيث انتهى القول في ذكر الطبقات، فلنأخذ الآن في بسط النسب وسرده، فنقول وبالله التوفيق.

---

(١) أبو طالب: هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عمّ النبيّ ﷺ، ووالد الإمام عليّ رضي الله عنه، كان من أبطال بني هاشم، وقد نشأ النبيّ الكريم في بيته، وكان له كافلًا ونصيرًا ومربّيًا، مولده ووفاته بمكة سنة ٦٢٠ م. «فهرس الأعلام ٤/١٦٦».

(٢) الوصائل: ما يوصل به الشيء، أو هي من ثوب: نسيجه وما يغزل منه، والوصيل: برود اليمن، وفي الحديث: إنّ أوّل من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبّع، كساها الأنطاع، ثم كساها الوصائل: أي حِبَر اليمن، وهي المقصودة هنا. «انظر اللّسان، مادة وصل».

(٣) عاضدوه: ناصروه وعاونوه وشدّوا عضدُه.

أصل النسب

أبو البشر آدم عليه السلام

وآدم هو الجدّ الخمسون لسيّدنا رسول الله ﷺ وعمود النسبِ الطاهر المحمديّ من آدم عليه السلام في ابنه شيث بن آدم عليهما السلام، وهو هبة الله، وأمّة جواء أمَةَ الله.

ولمّا قتل قابيل[١] بن آدم أخاه هابيل[٢]، ولد شيث؛ وقال آدم عليه السلام: هذا هبة من الله وخلف صالح، وهو الذي بنى الكعبة ـ شرّفها الله تعالى ـ بالطين والحجارة على موضع الخيمة التي كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنّة.

وقال وهب[٣]: إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة، ورزق عدّة من البنين والبنات.

والعقب منه في ابنه أنوش بن شيث وأمّه لبود ابنة آدم عليه السلام، وهو الذي غرس النخلة وزرع الحبّة، ونطق بالحكمة؛ وتدعى أمّه محوايلة البيضاء.

والعقب منه في ابنه قينان بن أنوش، وله ولد اسمه أروى (أعني لأنوش)، أعقب وانقرض عقبه.

والعقب من قينان في ابنه مهلائيل بن قينان، ولم يرزق غيره.

والعقب منه في ولده يارد بن مهلائيل، وكان ليارد أخوة.

والعقب من يارد في ابنه أخنوخ بن يارد، وهو إدريس النبيّ عليه السلام، وأمّه تدعى برّة. قيل: سمّي إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التي أنزلها الله تعالى عليه، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وكان له إخوة انقرضوا[٤].

---

(١) قابيل: ابن سيّدنا آدم، قدّم قربانًا إلى الله فلم يقبل منه.

(٢) هابيل: ابن سيّدنا آدم، قدّم قربانًا إلى الله، فنزلت نارٌ من السماء فأكلته، وذلك كان دليل قبوله، ولذلك قتل قابيل أخاه هابيل، حسدًا وغيرة. «انظر القرآن الكريم، سورة المائدة، الآيات: ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠».

(٣) وهب: هو وهب بن مُنبِّه الأنباري الصّنعاني الذّماري، أبو عبد الله، مؤرّخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالمٌ بأساطير الأوّلين، أصله من الفرس، ولد ومات بصنعاء سنة ٧٣٢ م، ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء. «فهرس الأعلام ٨/ ١٢٥، وفيات الأعيان ٦/ ٣٥».

(٤) انقرضوا: بادوا، ولم يبق منهم أو من عقبهم أحد.

والعقب منه في ابنه متوشلخ بن أخنوخ، وأمه بروخا.

وعقبه في ابنه لمك بن متوشلخ، واسمه لامخ.

والعقب منه في ابنه نوح النبيّ عليه السلام، وأمّه قينوش ابنة بركائل بن محوايل، وهو عليه السلام آدم الثاني؛ لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلّا من نوح وولده. وإخوة نوح عليه السلام جماعة: منهم صالح بن لمك، وسقطان، ومنان، وترسيس، وصدفا؛ وكان لهم أولاد انقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير، ورزق لمك والد نوح عليه السلام نوحًا، وله من العمر مائة واثنان وثمانون سنة، وتوفي وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة.

واختلف في عمر نوح، فقيل: عاش ألف سنة إلا خمسين عامًا، ستمائة قبل الطوفان وثلاثمائة وخمسين سنة بعده. وقيل: بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عامًا، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في قصته في التاريخ. وعمود النسب من نوح في ابنه سام بن نوح عليه السلام، وسام هو الجدّ الأربعون لسيّدنا رسول الله ﷺ، وأمّه عمردة، وإخوة سام: حام، ويافث، وبوناطل، وسالوم، وهو الذي غرق في الطوفان.

وأمّا سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل في ذرّيته الكتاب والنبوّة والملك والجمال والبياض، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر، وما بين البحر إلى الشام، وهو وسط الأرض، والحرم وما حوله، والحرم إلى حضرموت، وإلى عمان، وإلى عالج والدهناء.

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال، والجزر، وفرنجة، والصقالبة الذين على تخوم[1] القسطنطينية، وإشكار، والترك، وقبرس، ويأجوج، ومأجوج، وكومر، والمصيصة، وأدنة، وروادنيم، وماسج، وخراسان، وباوال، ويونان، وبرجام، وكرد بن مرد بن يافث.

قال: وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا في موضعه.

ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون؛ كان منهم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره.

(١) التخوم: مفردها التُّخم، وهو الحدّ الفاصل بين أرضين وبلدين.

وولد بوناطل بن نوح: وهو الذي عقد الألوية للناس حين تفرّقوا: الأرغار، والبعاس، والدكايك، والدمشق؛ وهم أمم لا يحصون خلف صين الصين.

والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والزنج، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرايم أو اسمه مصر بن حام.

وذكر صاحب الشجرة: أن مصرايم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، والبيهيم، والتفوحيم، والبرنسيم، والكشلوجيم، والقابدقابين، ومودشايا، وكوشابا، وهبورشابا.

قال: وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام، وأندلش، وكوشان؛ فولد قوط بن حام مصر، فولد مصر بن قوط قبط، وهم قبط مصر؛ وبهم سمِّيت مصر مصرَ. قال: هذا قول شيوخنا. وذكر أهل التاريخ: أن مصر سُمّيت بمصر بن بيصر بن حام؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء.

وقال أبو المنذر[١] النسّابة في روايته: إن السّند[٢] والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع بن نون إلا بقيّة منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان، وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان، ومنهم البربر والبجة.

وذكر صاحب الشجرة: أن كوش أبو الحبش، وأنه كوش بن حام، وأنه أعقب من نمرود أبي ملوك بابل، ومن أحويلا وهو الواحات، ومن سُفنَا وهو أبو زغاوة، ومن سبإ، ومن سفخا: وهو أبو الدمدم، ومن رعما وهو أبو البقاقو من السودان، والعقب من رعما هذا من سبإ أبي الهند ومن دادان أبي السند.

وذكر أبو المنذر النسّابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة، وحمص، وأروادودي، وطرابلس، وصيدون، وهي صيداء، وحاث، ونفوسة، وهوارة، ومُزاتة، وأمورا، وكركاسي، ومزانة من البربر.

قال الجوّانيّ: وهذا كلّه بيِّن الخلاف بين النسابين؛ ومن النسابين من يلحق لَوَاتة وهم ولد بَرّ بالبربر هذا ابن كنعان بن حام، ومن اللواتيين من يقول فيهم: إنهم قيس،

---

(١) أبو المنذر: هو هشام بن محمد بن بشر الكلبي، أبو المنذر، مؤرّخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيّامها، من أهل الكوفة له نيّف ومئة وخمسون كتابًا، توفي بالكوفة سنة ٨١٩ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٨٧ ـ ٨٨».

(٢) السّند: بلاد من بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا: السّند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح. «معجم البلدان ٣/ ٦٧».

ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بَغِيض، بن رَيْث، بن غَطَفان؛ وأنّ جابرًا جدّهم عمّ فزارة. ومن لواتة ومزاتة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا إلى بلد البربر، وأن البربر إنما هو هوّارة، وصَنْهاجة، وأن أباهم تزوّج امرأة منهم يقال لها: تصوين، فنُسبوا إلى أمّهم، وهوّارة تزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا أنسابهم.

وولد لَوَاتة بن بَرّ: وهو لَواتة أربعة أفخاذ، وهم: زُنَّارة، ومَصَّانا، ونَيْطا، وتَطُوفَا؛ ولكلّ فخذ من هذه الأفخاذ عدّة عشائر، حصل الإضراب عن ذكرها رغبة في الاختصار، فلنرجع إلى عمود النسب، فنقول:

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح في ابنه أَرْفَخْشَذ بن سام؛ وأمّه من بنات الملوك.

وكان لسام من الأولاد غير أَرْفَخْشَذ: إرم ولاوَذ وأَشْوَذ وغُلَيْم وماش (والموصل ولد وأبو الأرمن وخُوزِستان أولاد سام)[١]، وفيهم خلاف عند النسّابين.

والعقب من إرم بن سام من عَوص وجاثَر وماشِ وأهلُوا وإيران أولاد إرم.

فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام: قادسان.

والعقب من أكراد[٢] جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد، في قول أكثر النسّابين. ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بني عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسيّ، كما نذكره في بني هوازن.

وفي الأكراد عدّة بطون: كالحَلاليّة والمروانيّة وغيرهما.

وقد ذكر بعض النسابين أن كُرد بن مُرد بن يافث بن نوح، وفي ذلك خلاف.

والعقب من عَوص بن إرم بن سام: عاد، وبه سمّيت عاد إرم.

والعقب من ماشِ بن إرم بن سام من نَبِيط: وهو نَبَط سواد العراق.

---

(١) هكذا في الأصل بحروفه، وجاء في «العبر» لابن خلدون: أن بني أشوذ هم أهل الموصل، وبني غليم أهل خوزستان، ولعلّه الصواب.

(٢) لعلّه: والعقب من إيران في كرد، الخ. . . انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، المعروف بتاريخ ابن خلدون.

والعقب من جاثَر بن إرم: ثمود وجَدِيس، فالعقب من ثمود بن جاثَر: فالَج وهَيلع وبَنوق وأَرام؛ ومن ولده صالح النبيّ عليه السلام ابن أسف بن كَماشِج بن أرام بن ثمود.

والعقب من لاوَذ بن سام: عِمْليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام، وطَسم بن لاوَذ وأُمَيْم بن لاوذ. وفرعون موسى: هو الوليد بن مصعب بن أَشمير بن الهُون بن عمليق بن لاوذ بن سام.

وولد الفرس أشُور[١] بن سام: تَيرش وهم الفرس؛ وبهم سمّيت فارس؛ ومنهم الأكاسرة.

وولد غُلَيْم بن سام: خُوزان وهم الخُوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلي بحر الصين.

فلنرجع إلى سرد عمود النسب، فنقول: إن عمود النسب منه في شالَخ[٢] بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالَخ مالك وقَينان ابنا أرفخشذ. قال: وزعموا أن قينان أوّل من نظر في علم النجوم بعد الطوفان، واستنبط ذلك من تَنُّورِ صُفْر كان فيه علمُها قبل الطوفان، ودُفن في الأرض فاستخرجه وعَلِمَ ما فيه.

والعقب من شالَخ في ابنه عابَر بن شالخ، وعابر: هو هود النبيّ عليه السلام، وأمّه مَرجانة وهو جماع النسب. وله من الأولاد: فالغَ، وفيه عمود النسب، وهو أبو قريش وقحطان ويَقْطُن. فولد يقطن بن عابر: جُرْهُم بن يقطن، كانوا ولاة البيت الحرام فمكثوا ما شاء الله، ثم استحلّوا المحارم، وكثرت فيهم المآثم، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته، ورماهم بالفناء[٣] فلم يبق منهم أحد. وفيهم يقول القائل: [من الطويل]

* وبادوا كما بادت بقيّةُ جُرْهُمِ[٤] *

---

(١) هكذا بالأصل، وفي «العبر» أنهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح، وفي تاريخ «ابن الأثير» أنّهم بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام.

(٢) وردت هكذا في كلّ المصادر التي يُعتمد عليها في النّسب، ووردت في الكتاب المقدس في سفر التكوين «شالح» بالحاء المهملة.

(٣) الفناء: الزّوال.

(٤) بادوا: هلكوا وانقرضوا، وجُرْهُم: من القبائل البائدة التي انقرضت، وهي من العرب العاربة.

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلّها، وجذْم نسبها.

وولد قحطان هم العرب المتعرّبة؛ إذ العرب ثلاث فرق: عاربة ومتعرّبة ومستعربة.

فأمّا العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح، وهم: عاد، ثم ثمود، ثم أُمَيْم، ثم عَبِيل، ثم طَسْم، ثم جَدِيس، ثم عِمْلِيق، ثم جُرْهُم، ثم وَبَارِ. فعاد وعبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعمليق وأميم: بنو لاوذ بن سام؛ وثمود وجديس ابنا جاثر بن إرم بن سام؛ ووبار وجرهم ابنا فالغ بن عابر؛ فهذه العرب العاربة.

وأمّا المتعرّبة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة، وسكنوا ديارهم.

وأمّا المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم، وهم بنو عدنان بن أُدّ.

قال الشريف الجوّاني: وهذا مختصر من نسب اليمن، قال: إن العقب من قحطان بن عابَر من يَعْرُب بن قحطان، وهو الذي زعمت يمن أن العرب إنّما سميت عربًا به، وأنّه أوّل مَن تكلّم بالعربية ونزل أرض اليمن، فهو أبو اليمن كلّها.

وذكر بعض النسّابين أن حضرموت بن قحطان، وإليه يُنسب كلّ حضرميٍّ، وقيل: حضرموت من ولد حمير، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهَمَيْسع بن حِمْيَر، قال: وعلى ذلك اعتماد شيوخنا في النَّسَب.

وقال آخرون: هو حضرموت بن يقطان بن عابر.

فولد يَعْرُب بن قحطان: يَشْجُب؛ فولد يشجب بن يعرب: سبأ واسمه عبد شمس؛ وإنما سُمّي بسبإ لأنه أوّل من سَبَى من العرب، فولد سبأ بن يشجب: حِمْير وكَهْلان.

وقالت طائفة من النسّابين: ومِراء بن سبإ، فولد مرَاء بن سبإ: شعبان قبيلة وصَرِيحان قبيلة، ولهم عدد ومدد.

وولَد حمير بن سبأ بن يشجب: مالكًا وعامرًا وعوفًا وسعدًا ووائلة وعمرًا وهميسعًا.

فأمّا عمرو بن حمير فهم آل ذي رُعَيْن ملوك اليمن: وهم بنو الحارث بن عمرو بن حمير.

ومن النسّابين من ينسب ذا رُعَيْن إلى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن أيمَن بن الهَمَيْسع بن حِمْير، وهم عشيرة ذي أصبح[1] وعشيرة سيف بن ذي يزن[2].

قال: وشيخنا في النسب ينسبون التبابعة الملوك إلى أيمن بن هميسع بن حمير، ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أيمن.

وأمّا عامر بن حمير، فمنه قبائل يَحْصُب كلّها، وهو يحصب بن دُهمان بن عامر بن حمير، قال: ومن شيوخ النسب من قال: يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرْعة، وهم حمير الأصغر.

وأما هَمَيْسَع بن حمير، فمن ولده: صَنْهَاجَة، القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب، وفي ذلك خلاف؛ وهي من بني زُهَيْر بن أيْمَن بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر، وصَنْهَاجة اسم الجدّ للقبيلة كلها، وهو صَنْهَاجَة بن المثنّى بن المِسْور بن يَحْصب بن ذي يَزَن بن ذي أَصْبَح بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حِمْير الأصغر بن سَبَإ الأصغر بن كَعْب بن كَهْف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن هَمَيْسع المذكور.

قال: وإلى ذي أَصْبَح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأصْبَحيّ، وقيل: ذو يزن بن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد.

قال: ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس هذا الذي في عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو، وهم: شَعْبان بن عمرو، وحَيْران بن

---

(١) ذو أصبح: لعلّه: أصبحُ بن عمرو بن الحارث، من بني زرعة، وهو حمير الأصغر جدّ يماني، من قحطان، ينسب إليه «الأصابح» وهم قبائل في لحج. «فهرس الأعلام ١/ ٢٣٣».

(٢) هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح الحميري، من ملوك العرب اليمانيّين ودهاتهم، ولد ونشأ بصنعاء، وقد وفدت عليه أمراء العرب، ومكث في الملك نحو خمسٍ وعشرين سنة قتله الأحباش نحو سنة ٥٧٤ م. «فهرس الأعلام ٣/ ١٤٩».

عمرو، وحضرموت بن عمرو؛ وحضرموت هذا هي القبيلة التي يُنْسَب إليها كلّ حضرميّ وقد تقدّم ذكره.

وأما سعد بن حمير، فمنه السّلَف البطن المشهورة، وأسْلم بطن: وهما ابنا ربيعة بن سعد بن حمير.

وأما وائلة بن حمير، فمنهم السّكاسِك، وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهي غير سكاسك كندة.

وأمّا مالك بن حِمْيَر فمن ولده قُضاعة، وهم: قُضاعة بن مالك بن مُرَّة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما نذكره، وقيل: إنها من ولد مَعَدّ بن عَدْنان، وفي ذلك يقول القائل: [من الطويل]

أبوكم مَعَدٌّ كان يُكنَى ببكره قُضاعةَ ما كنّى به من تجمجما[1]

ومن قضاعة ثلاث بطون، وهم: عِمْران بن الحاف بن قضاعة، وعمرو بن الحاف، وأَسْلَم بن الحاف بن قضاعة.

فأمّا البطن الأولى من قضاعة، وهم ولد عِمران، فأعقب حُلْوان بن عِمران بن الْحافِ بن قضاعة من خمس قبائل، وهم: تَغْلِب الغَلْباء، ويقال: تَغلَبيّ قُضَاعيّ أو يمنيّ، يراد به هذا الأب، وتَغلَبيّ مَعَدّيّ أو نِزَاريّ، فيراد به تَغْلِب بن وَائل بن قاسِط الذي في أَسَد بن رَبيعة بن نِزار، وعَشْم بن حلوان، وزَبّان بن حلوان، وعمرو بن حلوان، وهو سَليح وتَزِيد بن حُلوان (بالتاء باثنتين من فوق وفتحها).

والعقب من تَغلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة: وَبَرة بن تَغْلِب.

والعقب من وَبَرة بن تَغْلِب من خمس أفخاذ: كَلْب بن وَبَرة، وإليه يُنسب كلّ كَلْبيّ، وفيهم عدّة أفخاذ وعشائر: كبني عَوف وبني ضَمْضَم وبني عُلَيْم وبني زهير وبني كِنانة، والجميع عشائر يرجعون إلى عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب، وعُرَيْنة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عُرَنيّ، وأسَد بن وَبَرة، والبُرَك بن وَبَرة، والنَّمِر بن وَبَرة، والتغلب بن وبرة، وفهد، وضبع، ودبّ، وسِيد، وسرحان، وذئب أولاد وَبَرة بن تَغلِب الغَلْباء.

(١) تجمجم في الكلام: لم يبيّن كلامه، وتجمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يبده.

فمن أسد بن وَبَرة: بنو القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد، وتَنُوخ، وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أسَد؛ وإلى تَنُوخ هذا يُنْسَب كلّ تَنُوخيّ، وإليه يرجع أبو العلاء المَعَرّي[١] الشاعر.

وأعقب نَمِر بن وَبَرة بن تَغْلِب في ثلاث أفخاذ: خُشَيْن، وإليه يرجع كلّ خُشَنيّ وهو نُمَيْر، منهم أبو ثَعْلَبة الخُشَنيّ الصحابيّ[٢] رضي الله عنه، ومَشْجَعة بن تَيْم بن النَّمِر بن وَبَرة، وإليه يرجع كلّ مَشْجَعيّ، وغَاضِرة بن النَّمِر وعاتية بن النمر إلّا أنهما دخيلان في سُلَيْم، قالوا: عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور.

وأما زَبّان بن حُلْوان فأعقب من جَرْم بن زَبَّانَ، وإليه يرجع كلّ جَرْميّ. وفي جَرْم عدّة بطون: منها مَلَكان بن جَرْم (بفتح الميم واللام)، بطن.

وأما عمرو بن الحاف بن قضاعة، فأعقب من ثلاث أفخاذ: بَلِيّ بن عمرو، وبَهْرَاء بن عمرو، وحَيْدان، وقيل: حُدّان بن عمرو؛ وإلى بَلِيٍّ هذا يُنسب كلّ بَلَوِيّ ككعب بن عُجْرة البَلَويّ، وبنو العَجلان، وبنو أُنَيف، وبنو عصية[٣]، وهم كلّهم حلفاء الأنصار: بني عمرو بن عوف من الأوس، وهي قبائل من بَليٍّ في الأنصار، منهم: المُجَذَّر بن ذِياد وطلحة بن البرّاق، وأبو بُرْدة بن نيار الصحابيّ بَلَوِيّ حليف الأنصار واسمه هانيء.

وأمّا بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، فإليه يُنسب كلّ بَهْرَانيّ، كالمِقْداد بن الأسْوَد الكنديّ، ولم يكن كنديًا ولكن كان بَهْرَانيًا قُضاعيًا؛ لأنه المِقْداد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبِيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤيّ بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن أبي أهون بن قيس بن دُرَيْم بن القين بن أهْود بن بهراء. وإنما قيل: المِقْداد بن الأَسْود لأن الأَسْود بن عبد يَغُوث بن وَهْب بن عَبْدَ مَنَاف بن زهرة تبنّاه لحلف كان بينهم فنُسب إليه، وكان أبوه عمرو حليفًا في كندة، وفي بَهْراء بطون.

---

(١) أبو العلاء المعرّي: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي، شاعر فيلسوف، وُلد ومات في معرّة النعمان سنة ١٠٣٨ م، أصيب بالجدري صغيرًا فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. «فهرس الأعلام ١/ ١٥٧».

(٢) أبو ثعلبة الخشني، الصحابي، والخشني نسبة إلى قبيلة من قضاعة تدعى «خشين»، محدّث مات سنة ٧٥ هـ. «الكاشف ٣/ ٢٨١».

(٣) هكذا في الأصل، وفي كتاب أبو البركات الجوّاني «غُصينة».

وأما حَيْدان، ويقال: حُدّان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فمن بطونه خمس: عَريب بن حيدان، وعُرَيْد بن حيدان، وتزيد بن حيدان؛ وإليه تُنسب الثياب التَّزيديّةُ، ومَهْرة بن حَيْدان، وإلى مَهْرة هذا يُنسب كلّ مَهْريّ، وفي مَهْرة أفخاذ، وحَيَاد بن حَيْدان.

وأمّا أسْلُم بن الحاف بن قضاعة، فأعقب من فخذين: حَوْتكة وسُود؛ فأمّا سُود بن أسلم بن الحاف، فأعقب من زيد وليث ابني سود، وأعقب زيد بن سود من أربع بطون: جُهَيْنة، وإليه يرجع كلّ جُهَنيّ، ونَهْد: رهط أبي عثمان النَّهديّ، وإليه يرجع كلّ نَهْديّ، وسَعْد هُذَيْم، وعُذْرة، وإليه يرجع كلّ عُذْريّ أولاد زيد بن سود بن أسلُم بن الحاف بن قضاعة.

وقال ابن الكلبيّ[1]: عُذْرة بن زيد اللّات بن رُفَيْدة بن كَلْب بن وَبَرة.

فأمّا جُهَيْنة بن زيد، فرهط عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ[2] الصحابيّ، وفي جُهَيْنة الحُرْقَة وهم بنو أَحْمَس بن عامر بن مُودَعَة بن جُهَيْنَة.

وفي نَهْد بن سُود المقدّم ذكره: بنو حُرْقَة بن خُزَيْمَة بن نَهْد.

وفي عُذْرَة بن زيد بن سُود بن أسلُم: بنو ضِنَّة (بالنون) بن عَبْد بن كبير بن عُذْرَة بن زَيْد بن سُود بن أَسْلُم بن الْحَافِ بن قُضَاعَة.

ومن ولد لَيْث بن سُود بن أَسْلم: بنو عِلَّة (بكسر العين مشدّدة اللام) بن غَنْم بن سَعْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود، وفي سَعْد هُذَيْم بن زيد بن سُود: بنو عِلَّة بن غَنْم بن ضِنَّة بن سَعْد هُذَيْم بن زَيْد بن سُور بن أَسْلُم.

قال: فهذا نهاية الاختصار في نسب حِمْير، وهذا ولد كَهْلان أخيه.

قال: وولدَ كَهْلَانُ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عابَر عليه السلام: زيدًا، فولد زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن قَحْطَان: مَالِكًا وعَرِيبًا وهما فخذان.

---

(١) ابن الكلبي: هو محمد بن السّائب الكلبي، أبو النّضر، نسّابة راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيّام العرب، من أهل الكوفة توفي سنة ٧٦٣ م، وهو والد هشام «أبو المنذر». «فهرس الأعلام ٦/١٣٣».

(٢) هو عقبة بن عامر الجهني، صحابي كبير، أمير شريف، فصيحٌ مقرىء، فرضي، شاعر، ولي غزو البحر، مات بمصر سنة ٥٨ هـ، وذكر الواقدي أن دفنه كان بجبل المقطّم بالقاهرة. «الكاشف ٢/ ٢٣٧».

فالعقب من عَريب بن زَيْد بن كَهْلان من يَشْجُب.

والعقب من يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من زيد بن يَشْجُب.

والعقب من زيد هذا: أُدَد بن زيد بن يَشْجب.

والعقب من أُدَد في طَيِّىء بن أُدَد، واسمه جُلْهُمة؛ وهو البطن العليا، وإليه ينسب كل طائيّ، والأَشْعر بن أُدَد، وإليه يرجع كل أَشْعَريّ، واسم الأشْعَر نَبْت، وإنما قيل له الأَشْعَر لأنه وُلد أَشْعَر الجسد، ومَالِك بن أُدَد وهو مَذْحِج، وإليه يرجع كلّ مَذْحِجيّ، وقيل: إن مَذْحِج أَمّ مالِك بن أُدد فنُسب إليها ولدها. وقيل: بل هي أكمة[1] حمراء وُلد عليها مالِك، فعُرف بها ولدُه، وقيل: بل اجتمعوا على الأكمة باليمن، والأكمة تسمى مَذْحِج، فقالوا: تعالوا نجعل مذحِجًا أُمًّا.

وذكر ابن عبد البرّ[2] في روايته: أن سيّدنا رسول الله ﷺ قال: «أكثر القبائل في الجنّة مَذْحِج»، ومَذْحِج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب، سُمُّوا جماجم لأن ميلادها استوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب، ثم تفرّعت منها قبائل اجترأت بأسمائها والانتساب إليها، فبعدت عنها واكتفت بانتسابها إليها. ومُرَّة بن أُدَد: أربع أبطن لأُدد.

والعقب من طيىء بن أُدَد بن زَيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من فخذين: فُطْرَة والغَوْث ابني طيىء.

والعقب من فُطْرة بن طَيِّىء بن أُدَد من سَعْد بن فُطْرة، ومنه في خَارِجَة بن سَعْد ومنه في جُنْدَب، ومنه في رُومَان بن جُنْدَب.

والعقب من رُومَان بن جُنْدَب بن خَارِجَةَ بن سَعْد بن فُطْرَة من بطنين: ذُهْل وثَعْلَبة، وهما الثَّعْلَبَتان وجماعة صغار.

والعقب من الغَوْث بن طَيِّىء من عَمْرو بن الغَوْث.

---

(١) الأكمة: التلّ.

(٢) ابن عبد البرّ: هو يوسف بن عبد الله بن محمد النميري القرطبي المالكيّ، أبو عمر، من كبار حفّاظ الحديث، مؤرّخ أديب بحّاثة، يقال له حافظ المغرب، وُلد بقرطبة وتوفي بشاطبة سنة ١٠٧١ م، له مؤلّفات عديدة منها: الدّرر في اختصار المغازي والسِّيَر، والاستيعاب. «فهرس الأعلام ٨/ ٢٤٠».

والعقب من عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّىء من ثُعَلَ: بطن، ونَبْهَانَ: بطن، وهِنَاء بن عَمْرو: بطن، وثَعْلَبَة بن عَمْرو: بطن، ومَزْرُوعَةَ بن عَمْرو بطن، وحَسَّانَ بن عَمْرو: بطن، وزَيْد بن عَمْرو: بطن، وخُشَيْن بن عَمْرو: بطن، وإلى نَبْهَان هذا ينسَبُ كل نبهانيّ.

والعقب من نَبْهانَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّىء من ابنيه: سَعْدٍ ونَائِلٍ، ومن بني سَعْد بن نبهان: بنو اليُسْر بن ثَعْلَبَة بن نَصْر بن سَعْد بن نَبْهان: فَخِذٌ، وإلى هِنَاء بن عمرو هذا يُنسب كلّ هنائيّ.

والعقب من ثُعَلَ بن عَمْرو بن الغَوْث[1]، فأمّا سَلَامَانُ فالعقب منه من عُنَيْز وثَعْلَبَة وسَل[2] أولاد سلامان لصلبه؛ وعُنَيْز هذا جدّ القبيلة المشهورة؛ وثَعْلَبَةُ هذا جدّ ثَعْلَبَةَ طائفةٍ من العربان المجاورين للدّارُوم من الشام وهم بطنان: دِرْما وزُرَيْق، فالعقب من عُنَيْز بن سَلَامَانَ بن ثُعَلَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّىء من فخذين: فُرَيْر بن عُنَيْز، له عدد، وعُتُود بن عُنَيْز.

والعقب من عُتُود، مِن مَعْن وبُحْتُر ابنيه، وإليهما يرجع كلّ مَعْنيّ وبُحْتُريّ، والشاعر البُحْتُري[3] منهم.

والعقب من مَعْن بن عُتُود من ثلاث: ثُوَب، ووُدّ، ومَالِك: بني مَعْن بن عُتُود.

والعقب من ثُوَب بن مَعْن: غَنْم له عدد، وأبو حَارِثَة فأعقب من غَنْم بن ثُوَب بن مَعْن بن سِلْسِلَةَ الفخذَ التي يرجع إليها كلّ بني سِلْسِلَة المَعْنِيّون.

وأما بُحْتُر بن عُتُود بن عُنَيْز بن سَلَامَان، فالعقب منه في تَدُول بن بُحْتُر.

والعقب من تَدُول من ستة أفخاذ: وهم جُدَيّ، وسَنَام، وأيْمَن، وخَيْثم، وأَغور، وسَالِم أولاد تدول.

---

(١) أسقط الناسخ الخبر وهو «من سلامان وجرول، فأمّا الخ...» كما يؤخذ ممّا يأتي في التفصيل.

(٢) كذا بالأصل، ولعلّها محرّفة عن «نائل»، «انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي في الكلام عن بني نائل ص ٣٨٢، دار الكتب العلمية».

(٣) البحتري: هو الوليد بن عُبيد بن يحيىٰ الطائي، أبو عبادة، شاعر كبير، ولد بمنبج وتوفي فيها سنة ٨٩٨ م، له ديوان شعر مطبوع، ويقال لشعره «سلاسل الذهب». «فهرس الأعلام ٨/ ١٢١».

وأما ثَعْلَبَةُ بن سَلَامَانَ بن ثُعَلَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّىء، فأعقب من عَوْف بن ثَعْلَبَة، وأعقب عَوْفٌ من فخذين: دِزْمَا وزُرَيْق؛ ودِزما هو عَمْرو بن عَوْف ودِزما أمّه، فأعقب دِزما بن عَوْف بن ثَعْلَبة بن سَلَامَان من خمس أفخاذ: سَلَامَة والأحمر وعَمْرو وقَصِير والأَوْس: أولاد دِزْما. وأعقب زُرَيْق بن عَوْف بن ثَعْلَبة من فخذين: لُبْنَى والأشعث ولدي زُرَيْق.

وأما جَرْوَلُ بن ثُعَلَ بن عَمْرو بن العَوْثِ بن طَيِّىء، فأعقب من ابنيه: مُعَاوِيَة ورَبِيعَة؛ فأعقب مُعَاوِيَةُ بن جَرْوَل من سِنْبِس[١]: القبيلة المشهورة، وعَدِيّ ولَوْذَان: أولاد مُعَاوِيَة.

والعقب من سِنْبِس بن مُعَاوِية بن جرول من ثلاث أفخاذ: عَمْرو، ولَبِيد، وعَدِيّ؛ فأمّا لَبِيد بن سِنْبِس، فأعقب من حِرْمِز، فأعقب حِرْمِز من يَحْصب وجَرْم؛ وعُقْدَةُ أولاد لَبِيد فخذان. وإلى لبيد هذا تُنسب العرب السَّنابِسَةُ الذين بالبحيرة[٢] من أعمال مصر، وهم من فخذ يقال لها: قُنَّةُ بن خَلَّاد.

وأما عَدِيّ بن سِنْبِس بن مَعَاوية، فأعقب من أَبَانِ بن عَدِيّ، وهو فخذ.

والعقب من رَبِيعة بن جَرْوَل بن أبي أخْزم: هَزومة، وأعقب هَزومة من أخْزَم، وأعقب أخْزَم من عَبِشَمْس مكسور الباء متّصلًا.

وأما مَذْحِج، وهو مالك بن أُدَدَ بن زَيْد فأعقب من أفخاذ أربعة: سَعْد العَشِيرة، ومُرَاد: هو يُحَابِرُ، وعَنْس، ولُمَيْس، وجَلْد أولاد مالك وهو مَذْحِج، وإلى مُرَاد هذا يُنسب كلّ مُرَادِيّ، وسُمّي مُرَادًا لتمرّده، وإلى عَنْس يُنْسب كلّ عنسيّ، منهم عَمَّار بن ياسِر الصحابيّ[٣]، والأسود العنسيّ[٤] الكذّاب.

---

(١) ضبط في الأصل بضمّ السين والباء، وكذا في صبح الأعشى ١/ ٣٧٤، وضبطه السّويدي في سبائك الذهب، فقال بفتح السين، وذكر في القاموس أنه بالكسر، وكذلك هو في الصحاح واللّسان وكتاب المعارف لابن قتيبة.

(٢) البحيرة: من أعمال الوجه البحري. «الانتصار لواسطة عقد الأمصار ٥/ ٤٣».

(٣) هو عمّار بن ياسر الصّحابي أحد السابقين البدريين، وهو أوّل من بنى مسجدًا يصلّى فيه، محدّث صدوق، قتل بصفّين عن ثلاث وتسعين سنة، وذلك سنة ٣٧ هـ. «الكاشف ٢/ ٢٦١».

(٤) الأسود العنسي: هو عيهلة بن كعب بن عوف المذحجي، ذو الخمار، متنبىء مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لمّا أسلمت اليمن، وارتدّ في أيام النبيّ، فكان أوّل مرتد في الإسلام وادّعى النبوة، قُتل قبل وفاة النبيّ ﷺ بشهر، وذلك سنة ٦٣٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١١١».

والعقب من سَعْد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذًا، وهم: زَيْد اللات، وعابِد اللات، وعَبْد اللات، وجا[١]، وجُعْفِيٌّ، وجَرْد، وحَكَم، وأَوْس اللات، ونَمِرة، وأَنَس اللات، وسَعْد اللات، وعَمْرو، وصَعْب: أولاد سعد العشيرة لصلبه، فإلى جعفيٍّ هذا يُنسب الجعفيّون، وإلى نمرة يُنسب النمريُون، وفي نمرة فخذان: جَدَا، على وزن ندا، وسِلْهِم ابنا نمرة.

وأما جُعْفِيّ فالعقب منه في فخذين: مَرَّان، وحَرِيم ابني جعفيّ بن سعد العشيرة، يرجع[٢] بنو سِلْهِم بن حكم فخذ (بكسر السين والهاء).

وأما صَعْب بن سعد العشيرة، فالعقب منه في زُبَيْد، واسمه مُنَبِّه، وإليه يرجع كل زبيديّ، وفيهم عدّة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم. وقيل للفخذ زُبَيْد وهم بنو منبِّه الأكبر؛ لأن مُنَبِّهًا الأصغر بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد قال: من يَزبُدُني رِفَدَه[٣]؟ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلُّهم بنو مُنَبِّه الأكبر، فقيل لهم جميعًا زُبَيْد، ومن بني زُبَيْد مَازِن بن منبّه.

والعقب من مُرَاد بن مَذْحج من فخذين: نَاجِية وزاهر ابني مُرَاد بن مَذْحج.

والعقب من ناجية: جَمَلُ بن كِنانة بن نَاجِية بن مُراد: رهط هند بن عمرو الجَمَلِيّ الذي قتله ابن يَثْرِبي في يوم الجمل، وجمل هذه رهط سِيفَوَيْهِ القاص. قال: وينزلون بنهر الملك؛ وعُطَيْف بن ناجية بن مراد رهط فَرْوَة بن مُسَيْك العطيفيّ الصحابيّ[٤]، وسَلْمَان بن يشكُر بن ناجية بن مراد رهط عُبَيْدة السَّلْمانيّ[٥]؛ وهو جاهلي إسلاميّ من كبار التابعين.

---

(١) كذا بالأصل، وصوابه «خارجة».

(٢) كذا بالأصل، والكلام مبتور كما هو ملاحظ.

(٣) يزبُد في رفده: الرِّفد: العطاء والنّصيب، والقدح الضخم، ولعلّه يريد من يعطيني نصيبه من الزّبد في قدح كبير.

(٤) هو فروة بن مُسيك المرادي، صحابي، أسلم سنة تسع، وسكن الكوفة واستعمله عمر على صدقات مذحج، محدّث روى عنه الشعبي وجماعة. «الكاشف ٢/ ٣٢٧».

(٥) هو عبيدة السّلماني بن عمرو، وقيل: عبيدة بن قيس الكوفي، أحد الأئمة أسلم في حياة النبيّ ﷺ، قال ابن عُيينة: كان يوازي شريحًا في العلم والقضاء، مات سنة ٧٢ هـ، وقيل: سنة ٧٣ هـ، روى عن عليّ وابن مسعود، وعنه جماعة. «الكاشف ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢».

ومن نَاجِية: قَرَن بن رَدْمانَ بن نَاجِية بن مُراد: رهط أُوَيْس القَرَنيّ(١) نفعنا الله والمسلمين ببركته.

وفي مراد، تَجُوب: وهو رجل من حِمْيَر، كان أصابَ دمًا في قومه فلجأ إلى مُراد فقال: جئت إليكم أجوبُ البلاد لأحالفكم، فقيل له: أنت تَجُوب، فسُمِّيَ به، وهو في مُراد رهط عبد الرحمٰن بن مُلْجَم المُراديّ التَّجُوبيّ لعنه الله، قاتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأمّا جَلْد بن مَذْحِج، فأعقب منه عِلَّة بن جَلْد؛ والعقب من علّة من ثلاث أفخاذ: عَمْرو وعَامِر وحَرْب، فمن بني حرب بن عِلَّة: رَهَاء، وهو رهاء بن منبّه بن حرب بن علّة، منهم مالك بن مُرَارة الرَّهاويّ الصحابيّ، ويَزيد بن شَجَرة الرّهاويّ(٢)، وصُدَاء: وهو يزيد بن حرب بن علّة، منهم زِيَاد بن الحارِث الصُّدَائيّ(٣) الصحابيّ.

وأمّا عمرو بن علّة بن جَلْد بن مَذْحِج، فالعقب منه ثلاث أفخاذ: النَّخَع القبيلة المشهورة، وكَعْب، وعَامِر.

فأمّا النَّخَع بن عَمْرو، فأعقب منه فخذان: مَالِك وعَوْف ابنا النَّخَع.

وأمّا كَعْب بن عَمْرو، فأعقب منه فخذان: الحَارث، وهم بَلْحَارِث بن كَعْب، ورُعَيْل بن كَعْب.

وأمّا عامِر بن عَمْرو بن عِلَّة، فالعقب منه في فخذ واحدة، وهي: مُسْلِيَة بن عَامِر.

وأمّا مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ، فأعقب من فخذين: مرهم والحارث ابني مرّة بن أُدد؛ فالعقب من الحارث من فخذين: عَدِيّ ومَالِك ولديه. فالعقب من مَالِك بن الحَارث بن مُرّة خَوْلَان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كلّ خَوْلَانيّ، ومَعَافِر بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن

(١) أُويس القرني: هو أُويس بن عامر القرني، أحد العبّاد النسّاك المقدّمين، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرّمال، وأدرك حياة النبيّ ولم يره، سكن الكوفة، وشهد وقعة صفّين مع عليّ، ويرجّح أنه قتل فيها سنة ٦٥٧ م. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٢».

(٢) يزيد بن شجرة الرّهاوي، أمير حازم، من أصحاب معاوية، قتل في إحدى غزواته، نسبته إلى الرُّها، أو رهاوة، من قبائل العرب، وكلاهما بفتح الرَّاء. «فهرس الأعلام ٨/ ١٨٤».

(٣) هو زياد بن الحارث الصُّدائي، صحابي، محدّث، عنه زياد بن نعيم فقط. «الكاشف ١/ ٢٥٧».

مُرَّة بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب؛ وإليه ترجع المعافر في أنسابها، ولهم خطّة[١] بمصر، ومنهم فخذ بني قَرَافَة وهي أمّهم، وهم الذين عُرفتْ بهم القَرافة[٢] بمصر، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقَرافة، وهم بنو عِضّ بن سيف بن وائل بن الحريّ بن المعَافر بن يعفر.

وأما عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه: وهم عُفَيْر ولَخْم: قبيلة، واسمه مالك بن عديّ، وجُذَام بن عديّ: قبيلة؛ واسمه عامر، والحارث بن عديّ وهو عَامِلَة: قبيلة، وإنما سُمِّي لخمًا وجُذامًا: لأن أحدَهما لَخَم وجهَ أخيه فسمِّي لخمًا، واللخمة: اللطمة، وجَذَم الآخرُ إصبعَ أخيه فقطعها فَسُمِّي جُذامًا، وهما القبيلتان المشهورتان؛ والحارث بن عديّ وهو عاملة وإليه يرجع كلّ عامليّ، وعاملة وهي بنت مالك بن وَدِيعَة بن قُضَاعة، وهي أمّ ولد الحارث المذكور.

فأمّا عُفَيْر بن عديّ بن الحارث، فأعقب من ثَوْر بن عُفَيْر، وثَوْر هو كِنْدة الملوك فأعقب كِندة من فخذين: مُعَاوِيَة وأَشْرَس ابني ثور. والعقب من معاوية هذا من ابنيه مُرَتِّع وزيد، فمن ولد مُرَتِّع: بنو امرىء القيس وبنو الرائش وبنو معاوية الأكرمين وبنو وهب، وبنو بدًّا (مشدّد)، خمسة: بنو الحَارِث بن مُعَاوِيَة بن ثَوْر بن مُرَتِّع، وإلى مُعاوية بن الحَارِث يرجع امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حجر آكل المُرَار بن معاوية المذكور الكنديّ الشاعر. والنسب إلى امرىء القيس بن الحارث بن معاوية المقدّم ذكره: مَرقسيّ، مسموع عن العرب، وكلّ امرىء القيس غيره في العرب، فالنسب مَرْئيّ بوزن مَرْعيّ.

والعقب من أَشْرس بن ثَوْر وهو: كِندة بن عُفَيْر بن عديّ: السَّكُون بن أشرس، والسَّكاسك: وهو حُمَيْس السَّكْسَك بن أشرس، وإليهما يُنسب السَّكُونيون والسَّكْسَكِيُّون؛ ومن السكونيّين معاوية بن حُدَيْج السكونيّ[٣] الصحابيّ، وحاشد بن أشرس، ومالك بن أشرس.

---

(١) الخِطّة: المكان الذي يختطه الإنسان لنفسه، أو الأرض التي ينزلها الإنسان ولم ينزلها أحد قبله، والخُطّة: الأمر والخصلة.

(٢) القرافة: خطّه بالفسطاط من مصر، وقرافة: بطن من المعافر نزلوها فسمّيت بهم، وهي اليوم مقبرة أهل مصر، وبها أبنية جليلة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين. «معجم البلدان ٤/ ٣١٧».

(٣) هو معاوية بن حَديج بن جفنة الكندي التجيبي الأمير، صحابي، محدّث عن عمر وأبي ذرّ، توفي سنة ٥٢ هـ. «الكاشف ٣/ ١٣٨».

والعقب من السكون بن أشرس من فخذين: شَبيب وعُقْبة ابني السَّكون. أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشُكَامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السَّكون بن أشرس من عديّ وسعد، وهم: تُجيبُ البطن المشهورة، ولهم خطة بمصر، وعرفوا بتُجيب، وهي أمّهم بنت ثَوْبان بن سُلَيْم بن رَهاء بن منبّه بن حرب بن علّة بن جَلْد بن مَذْحِج.

والعقب من مالك بن أشرس بن شبيل المذكور: الصَّدِف، واسمه عمرو بن مالك، وإليه يُنسب كلُّ صدَفيّ بالفتح، كما قالوا: شقَريّ ونمَريّ وسلَميّ، في شقرة تميم ونمر بن قاسط وسَلَمة من الأنصار. ومن النسّابين من قال: الصدف هو سِماك بن عمرو بن دُعْميّ بن حضرموت.

وأما لخم بن عديّ، فأعقب من فخذين وهما لصلبه: نُمارة وجَدِيلة، ويقال: جُدَيْلة؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربيّ أنه قيل فيها: جُدَبْلة بالباء بواحدة.

والعقب من نُمارة بن لخم بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن مالك بن نُمارة فخذ، وحبِيب بن نمارة، وهو عَمَمٌ [وعديّ بن نُمارة][١]، سُمّي بذلك لأنّه أوّل من اعتمّ[٢]، وهو الذي عمّم ملوك العراق؛ ولهم إخوة صغار: كالوجفا بن نُمارة وقَبِيصة وعمرو وعوف ومجن أولاد نُمارة أعقبوا؛ ومن يُنسب إليهم يُعْزَى لجدّهم لخم وأمّهم نُمارة.

ومن بني مالك بن نمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة.

ومن بني عديّ بن نُمارة؛ وهم عَمَم بن لخم: بنو نَصْر بن ربيعة من ربيعة بن نصر.

ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وهي أمّه، بضدّ ما في غسّان، لأن غسّانَ عامرًا ماءَ السماء أبٌ فهو ثَمَّ «أبٌ» وهاهنا «أُمٌّ»، وماء السماء هاهنا هو امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة، قال: وفي ذلك خلاف.

(١) الزيادة التي بين قوسين عن السّبائك، وتؤخذ أيضًا من كلامه الآتي قريبًا.
(٢) اعتمّ: لبس العمامة.

ومن بني حبيب بن نُمارة: بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن نُمارة، ينتسبُ كلُّ داريّ إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الداريّ(١) الصحابيّ المعروف بالمختطِف، وقد انقرض تميم الداريّ ولا عقبَ له.

وأما جريلة(٢) بن لَخْم ويقال: جُزَيْلة، فأعقب من أَرَاش وحجر وحُلَيْل ويشكُر وعمرو، أولاد جزيلة بن لخم. فمن بني أراش بن جزيلة أَرْش بن أراش لا غير؛ ويقال: أُرَيْش مصغّرًا.

والعقب من أَرْش بن أَراش من فخذين: غَنْم وحَدَس - بالحاء المهملة والدال المهملة المحرّكتين - والحمراء القبيلة، لها خطة بمصر، والأشعث فخذ، وهذه الحمراء في غيرها من الحمراء من قُضاعة، وفَهْم، وعَدوان، والأَزْد، وهُذَيْل بن مدركة، وبني الأزرق وهم من الروم؛ ومنهم سُمِّيت الحمراوات.

فأعقب غَنْم بن أُرَيْش بن أَرَاش بن جَزِيلة بن لخم من صعب وفَهْم وزِرّ وعمرو: أولاد غنم.

ومن شيوخ النسب من قال: إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرىء القيس بن المنذر بن النعمان بن امرىء القيس بن عُيَيْنَة بن أبي الحرام بن العَمَرَّط بن غَنْم بن عَوْدة بن عُبيد بن زِرّ المذكور.

والعقب من حَدَس بن أُرَيْش بن أراش بن جَزِيلة بن لخم من ربيعة ورَمِيمة.

والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر: مَنارة، وسعد، وكعب، والهُذَيْم: بنو ربيعة.

والعقب من هُذَيْم هذا من حُدّاد وعامر والحارث: بني الهُذَيْم.

والعقب من رميمة بن حَدَس بن أُرَيْش بن أراش بن جَزِيلة من عمرو وجدّه.

---

(١) هو تميم بن أوس الدّاري، الصحابي، أبو رقية، أسلم سنة تسع، نسبته إلى الدّار بن هانىء، من لخم، كان راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين، توفي سنة ٤٠ هـ - ٦٦٠ م، وقيل: إنّه منسوب إلى جدّه الدار بن هانىء بن حبيب، وقيل: نسبته إلى دارين، وهو موضع في بلاد البحرين تجلب إليه العطور من بلاد الهند، والأوّل أصح. «الكاشف ١/١١٣».

(٢) كذا في الأصل، وفي «السّبائك» أيضًا بالزّاي، وأوردها القاموس في مادة «ج ز ل» وهو مخالف لما سلف له قريبًا من قوله «جديلة» أو «جُدَيْلة» كما ذُكر، وجُدبلة كما قال الوزير ابن المغربي.

والعقب من عمرو بن رميمة هذا: الحارث وصعب وعَلَامة وعديّ والمنذر وثعلبة.

فأمّا الحارث بن عمرو فأعقب من أُبَيّ بن الحارث، فأعقب أُبَيّ من كليب وعديّ.

والعقب من كُلَيْب بن أُبَيّ بن الحارث من أربع أفخاذ: فيض والحارث وغَنْم وعُمَيْت: أولاد كليب.

والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخاذ: أبي الشتاء، ورَقّاش، وقحران، وصابي: أولاد فيض بن كُلَيْب.

والعقب من الحارث بن كليب بن أبيّ من سعد وجدّه، وولد كعب بن غَنْم ثلاث أفخاذ: بني قرقر بن كعب، وبني بَرّ بن كعب، وبني مُرقِّش بن كعب. ومن بني برّ بن كعب: بنو واسع بن كعب، وهم بنو رومي وزُهَيْر وزير وحسان وبرّ: أولاد واسِع، كلٌّ منهم فخذ.

والعقب من عُمَيْت بن كليب بن أبيّ من دَعْجان وجدّه، ومن أفخاذه: مُغالة بن دعجان: الفخذ المعروفة في آخرين.

وأما حجر بن جزيلة بن لخم، فأعقب من ثلاث أفخاذ: أَزْدة وزُغر وأَذَبّ. فأعقب أزدة من فخذين: منيع وعوف ابني أزدة بن حجر، وأعقب زغر بن حجر من مالك بن دَعِن، وهو الذي استخرج يوسف الصدّيق عليه السلام من الجبّ[1] وله عقب، فهذا مختصر في نسب لخم.

وأما جذام واسمه عامر، فالعقب منه في بطنين: حَرام وحِشْم ابني جُذام.

والعقب من حَرام بن جذام من فخذين: إياس ومالك ابني حرام بن جذام.

والعقب من إياس بن حرام من رَبِيل بن إياس، ومن سعد بن إياس، فأعقب سعد هذا من أَفْصَى، فأعقب أفصى بن سعد بن إياس من فخذين: زيد ومالك ابني أفصى، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب إليها بنو سعد جذام، وإن كان في جذام عدّة سعود، لكن هذه ذات القُعدُد[2] والبيت والصّيت.

---

(١) الجبّ: البئر.

(٢) القُعدد: القريب الآباء من الجدّ الأعلى، والبعيد الآباء كذلك، والقعدد: الجبان والقاعد عن الحرب والمكارم، «اللّسان، مادة قعدد».

ومن ولد زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد المذكور: بطن؛ ووائل بن مالك ولَهْبَة؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد: يرجع زيد[١] بن زنباع في نسبه.

والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد. أعقب وائل بن مالك من حُبَيْش وجمع ومازن. من ولد حُبَيْش: شُعيب النبيّ عليه السلام، وهو شُعَيْب بن ثُوَيْب بن حُبَيْش المذكور ابن وائل بن مالك بن حَرَام بن جذام. وأعقب سعد بن مالك بن حرام بن جذام من غَطَفان: البطن الأكبر في جذام. وأعقب غطفان بن سعد من يامة بن عَنْبَس بن غطفان وغنم بن غطفان. وأعقب يامة بن عنبس بن غطفان من عليّ بن يامة. وأعقب عليّ من كعب بن عليّ. وأعقب كعب بن عليّ من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عُبَيْد ومطرود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا: الضُّبَيْب بن قُرط بن حفيد بن سح[٢] بن عبيد: فخذ، وأعقب مطرود الضبيب هذا من ثعلبة بن أُميّة بن الضبيب: فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب: فخذ، وأعقب مطرود بن كعب بن عليّ من خالد وعمرو ومبذول ونُفَاثة.

فأعقب غنم بن غطفان بن سعد، من نَضْرة بن غنم في آخرين، فأعقب نضرة بن غنم بن صَبِرَة (الفخذ المشهورة) ابن نصر.

والعقب من جِشْم بن جذام من بُدَيْل بن جِشم، فالعقب من بديل: بكر وَشَنُوءَة ابني بُدَيْل. والعقب من بكر هذا من سود بن بكر. والعقب من سعد: أسود وعمرو ابنا سود. والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن جِشم بن جذام من فخذين: السَّلْم والهُون ابني أسعد. وفي سود أيضًا: السَّلم بن مالك بن سود (بإسكان اللام) فخذ.

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحُبَيْش وعِدَا: أولاد عمرو.

فهذا مختصر من نسب جذام.

---

(١) لعلّه يريد «روح بن زنباع» الجذامي، أبو زرعة، أمير فلسطين وسيّد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، قيل: له صحبة، وكان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز، وله معه أخبار، توفي سنة ٧٠٣ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣٤».

(٢) كذا بالأصل، ولم نعثر على صحتها في كتب الأنساب، ولعلّها «بُليح» أو «بَليح» نسبة إلى شجر «البلح».

وأما عائذة: وهم ولد الحارث بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم، فالعقب من الحارث بن عديّ المذكور من فخذين: الزهد ومعاوية ابني الحارث: وهما ابنا عاملة كما تقدّم؛ وزهد: فعل، من موهم: شيء زهيد أي قليل.

والعقب من الزهد بن الحارث بن عديّ من ثلاث أفخاذ: عَوْكَلان وزَحْفان وسَلْمان: بني الزهد. ومن بني عَوْكَلان المذكور السّلم بن ظِبْيان بن أبي عزم بن عوكلان المذكور.

والعقب من معاوية بن الحارث بن عديّ أخو الزهد خمس أفخاذ لصلبه: ثعل، وعِجْل، وسلمة، وقُرَّة، وثعلبة. قال: وهذا النهاية في اختصار نسب مرّة بن أُدد.

وأمّا الأشعر بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، فأعقب من جُماهير بن الأشعر وله عدد، وعبد الثريّا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم ونُعَيْم: أولاد الأشعر. وأعقب جُماهير وهو جُماهِر بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد. وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت.

وهذا مختصر نسب الأشعريّين، ومنهم من الصحابة: أبو موسى[1] وأبو عامر وأبو بَرْزَة؛ وهم فخذ متّسع وفيه عدّة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها.

قال: وهذا نسب بني مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين، وهما: نبت والخِيَار ابنا مالك. والعقب من نبت من الغوث ابنه، والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد؛ وإلى هذا الأزد يُنسب كلّ أزديّ.

فمن ولد عمرو بن الغوث: بَجِيلة، وهم ولد أنمار بن أراش بن عمرو بن لَحيان بن عمر وأمّ الغوث وبجيلة بن أنمار، وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وقد قيل: بل هي أم ولد أنمار.

(١) أبو موسى، هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، من قحطان صحابي، قدم مكّة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثمّ استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، وولّاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ، وهو أحد الحكمين في صفّين، توفي بالكوفة سنة ٦٦٥ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١١٤».

والعقب من أَنْمار بن أراش بن عمرو بن لِحْيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمس قبائل: الغوث وعَبْقر وصُهَيْبة ووَدَاعَة وأَفْتَل: وهو خَثْعَم: بنو أنمار بن أراش. قال: وذكر علماؤنا في النسب أن بَجِيلة هو عَبْقَر والغوث وصُهَيْبة، وسُمُّوا بذلك لأجل أمّهم بَجِيلة، وأن خَثْعم هو أفتلُ وأمّه هند بنت الغافِق الأزديّ، وسُمِّي خثعم باسم جملٍ كان لآل أنمار أو لآل أفتل بن أنمار، وكانوا يسمّونه خثعم، ويقال: بل قيل خثعم لأنهم تَخَثْعَموا[1] بالدم؛ والأوّل أقرب إلى الصحيح.

والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أفخاذ: وهم زيد وأَحْمَس وقيس كندة: بنو الغوث، وفي أحمس هذا: أسلم بن أحمس: فخذ، وفي أسلم بن أحمس بن الغوث: دُهْن. معاوية بن أسلم بن أحمس؛ فخذ: رهط عَمّار بن أبي معاوية الدُّهنيّ[2] الصحابيّ.

والعقب من عبقر: بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو من ثلاث أفخاذ: قَسْر وعَلَقَة وقَطَن: أولاد عبقر. وفي قسر: عُرَيْنة بن زيد بن قسر، يقال له: قَسْريٌّ في النسب، ويقال: عُرَنيّ، وإلى عَلَقَة يرجع كلّ عَلَقِيّ.

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أُتَيْد بن خِطام بن صهيبة بن أنمار: فخذ.

والعقب من زُرعة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث أفخاذ: حُزْزُق وسِمْط وحبيب: أولاد زرعة.

والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أفخاذ: شهران وربيعة وناهِش: أولاد عَقْرَس بن خَلَف بن أفتل وهو خثعم. وفي ربيعة بن أفْرس: بنو أكلُب بن ربيعة.

فهذا مختصر كافٍ في بجيلة وخثعم.

وأما الأزد بن الغوث (واسمه دِراء: مثل رِداء وقيل: دِرء مثل درع)، فالعقب من ولده أربع أبطن: وهم مازن وغسّان، (وغسّان ماء بسدّ مَأْرِبِ باليمن، وقيل: بالمُشَلَّل نزلوا به فنسبوا إليه)، وإلى غسّان هذا يُنسب كلّ غسّانيّ، ونصر وعبد الله

---

(١) تخثعموا: تلطّخوا بالدّم.

(٢) هو عمّار بن معاوية الدُّهني، بضمّ الدال، نسبة إلى دهن بن معاوية بطن من بجيلة، كما في اللّباب لابن الأثير، وهو محدّث شيعي موثق، مات سنة ١٣٣ هـ. «الكاشف ٢/ ٢٦١».

والهِنوُ بنو الأزد بن الغوث. وإلى غسّان هذا يرجع الأنصار، وقد يكون مِن غسّان من ليس أنصاريًا كثيرًا، ويكون من مازن من ليس غسّانيًا.

والذي نزل على غسان من الأزد بعضُ بني امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البُهْلول بن مازن وماويّة وربيعة وامرؤ القيس: بنو عمرو بن الأزد، وكُرْز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد.

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أفخاذ: الحارث وقرن وعُدْثان: أولاد عبد الله بن الأزد.

والعقب من عدثان[١] هذا من عَكّ وسود ومالك وغالب وكعب، ومن بني سود بن عدثان: طاحِيةُ بن سود: فخذ.

والعقب من عكّ بن عدثان فخذان: الشاهد وصُحارٌ ابنا عَكّ.

والعقب من الشاهد بن عكّ: غافق، وإليه يُنسب كلّ غافقيّ، قال: ولهم خطّة بمصر، وساعدة ابنا الشاهد. وقيل: بل هو غافق بن الحارث بن عكّ بن الحارث بن عدثان.

والعقب من صُحار بن عكّ بن عدثان: بَولان وعَبْس وغسّان: أولاد صُحارِ هذا.

وأما نضر بن الأزد، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل: عبد الله وراسب ومَيْدَعان وأكفر من حِمارٍ: أولاد مالك بن نصر بن الأزد. وإلى راسب ينسب كلّ راسبيّ، وفي بني مالك راسبيّون أُخَر يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

والعقب من عبد الله بن مالك في كعب بن عبد الله، ومنه في الحارث بن كعب.

والعقب من الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من ثلاث أفخاذ: كعب ومالك ونُبَيْشَة وهو فاسخة. فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب: بنو غراء بن شُرَيْق بن فاسخة؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: بنو مَجَاعَة وبنو الأرنب: ابني مالك.

(١) ورد في كلّ كتب النّسب التي بين أيدينا باسم «عدنان» بالنون، وقال عنها صاحب القاموس ما يأتي: وعك بن «عدثان» بالثاء المثلّثة ابن عبد الله بن الأزد، وليس ابن عدنان أخا معدّ.

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: زَهْران وأَحْجُن وعبد الله: أولاد كعب بن الحارث، وإلى زهران ينسب كلّ زَهرانيّ. ومن أفخاذه: دَهْمان بن نصر بن زهران، وغاضرة بن زهران، ودَوْس بن عدثان من زهران، منهم: أبو هريرة الدوسيّ الصحابيّ(١)، واسمه عمرو بن عامر، وفي اسمه خلاف.

والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن ثلاث: أسلم ولِهْب وقرن، أولاد أحجن فمن أفخاذ أسلم هذا: بنو ثُمالة وهو عوف بن أسلم بن أحجن: رهط محمد بن يزيد المبرّد(٢) النحويّ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذَّل(٣): [من الوافر]

سألنا عن ثُمالة كلَّ حيٍّ فقال القائلون: ومن ثُمالَهْ؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهم جهالَهْ

وأما مَيْدَعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفخاذ: راسب وإليه يُنسب الراسبيّون أيضًا، ومُنْهِب وحبيب ومعاوية: بنو مالك بن ميدعان.

فهذا مختصر نسب بني نصر الأزديّين.

وأما الْهِنو بن الأزد، فأعقب من سبع أفخاذ: الهُون وبُدَيْد ودَهْنة وبَرْقًا وعَوْجا وأفْكه وحُجْر: أولاد الهنو. فأعقب الهُونُ من فخذين: النَّدَب ونَكَل.

وأما مازن بن غسّان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه: وهما عمرو وثعلبة العنقاء، سُمّي بالعنقاء: لطول عنقه.

---

(١) أبو هريرة الدّوسيّ: هو عبد الرّحمٰن بن صخر، وقيل: كان عبد شمس فغيّر، وغير ذلك كان حافظًا متثبتًا ذكيًا مفتيًا صاحب صيام وقيام، ولي أمر المدينة مرّات، توفي سنة ٥٧ هـ. وقال جماعة سنة ٥٩ هـ. «الكاشف ٣/ ٣٤١».

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، الأزدي البصري، النحوي المعروف، نزل بغداد، وكان إمامًا في النّحو واللغة، وله تصانيف نافعة، كالكامل والروضة والمقتضب وغيرها. «وفيات الأعيان ٤/ ٣١٣».

(٣) ابن المعذَّل: هو عبد الصّمد بن المعذّل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس، أبو القاسم، من شعراء الدولة العباسيّة، ولد ونشأ في البصرة، كان هجّاءً شديد العارضة، سكّيرًا خمّيرًا، توفي نحو سنة ٨٥٤ م. «فهرس الأعلام ٤/ ١١».

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد في عدّة أولاد، كلّهم في الأزد، من جماجمهم: عَديّ والعاص. فأمّا العاص فمن ولده: بنو بُقَيْلة بن سُنَيْن بن زيد بن سع بن عديّ بن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسُمّي بُقَيْلة: لأنه لبس ثوبين أخضرين.

وأمّا عديّ بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدّة أولاد، من جماجمهم: هند بن هند بن عمرو بن عديّ، وَصَبِرَة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عديّ، ومسعود بن مازن بن ذئب بن عديّ، وإليه يرجع سَطِيح الكاهن[١]، وكلّ مسعوديّ في الأزد، وجميع بني عديّ بن عمرو يعزون إلى الأزد.

وأعقب ثعلبةُ العنقاء بن مازن بن غسّان من امرىء القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب امرؤ القيس البطريق: حارثة الغِطْريف، فأعقب الغطريف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مُزَيْقِياء سُمّي بذلك لأنه كان يمزّق في كلّ يوم [حلّتين] لئلا يلبسهما غيره.

والعقب من عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارث الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسّان وهو السِّرَاج بن الأزد بن الغوث في ستّ أفخاذ: ثعلبة: بطن الأنصار، وحارثة: بطن خزاعة، وجَفْنَة: بطن، وعمران من أزد عُمَان، ومحرِّق: بطن، سُمّي بذلك لأنه أوّل من حَرَّقَ بالنار، وكعب: أولاد عمرو مزيقياء وإليهما يرجعُ نسب الأنصار. فأمّا الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل: النَّبِيت، وعوف، وجشم، وامرىء القيس، ومرّة: أولاد مالك بن الأوس.

قال: وسُمِّي النَّبِيت نَبِيتًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين: الحارث وكعب وهو ظَفَر بن الخزرج بن النبيت الأوسيّ، فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت من ابنيه: جشم وحابية، فأعقب جشم من رَغْوان وانقرض. ومن عبد الأشهل: ابني جشم. وأعقب حابية بن الحارث من مجذعَة وجويرَة وجشم بني حارثة. ومن

---

(١) سطيح الكاهن: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عديّ بن الذئب، من بني مازن، من الأزد، كاهن جاهليّ، غسّاني، من المعمّرين، يُعرف بسطيح، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه، يقال: ما كان فيه عظم إلّا رأسه، ويقال: كان يُطوى كما تطوى الحصيرة، ويتكلّم بكلّ أعجوبة، وهو من أهل الجابية من مشارف الشّام، مات فيها بعد مولد النبيّ ﷺ بقليل، وذلك سنة ٥٧٢ هـ. «فهرس الأعلام ٣/ ١٤».

بني جشم بن حارثة: بنو خَدِيج بن رافع بن عديّ بن جشم، وظُهْر بن رافع بن عديّ.

وأما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس - وبنو ظفر البطن المشهورة في الأوس - فأعقب من أربع أفخاذ: وهم بنو مُرّة وهَيْثَم وعبد رَدَاح وسواد: بني ظفر بن الخزرج، ومن بني سواد: بنو الحَطِيم بن عديّ بن عمرو بن سواد: فخذ، فهٰؤلاء بنو النبيت.

أما عوف بن مالك بن الأوس، فأعقب من عمرو، وأعقب عمرو من لَوْذان، فجدّهم بنو السَّمِيعة وثعلبة وحَبِيب وعوف: أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيه: مالك وجِلْس وكُلْفَة، فأعقب مالك بن عوف من بنيه: عُزَير ومعاوية وزيد. وأعقب زيد بن مالك هذا من ضُبَيْعَة: الفخذ المشهورة، وأُميَّة الفخذ المشهورة في الإسلام، وعُبَيْد أولاد زيد، وبنو ضُبَيْعة بن زيد بن مالك، يقال لولده: بنو كِسْر الذهَبِ، منهم: بنو حارثة بن عامر بن مُجَمِّع بن عِطاف بن ضبيعة بن زيد: بطن معروفة. ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف: جُلَاح بن حَرِيش بن جَحْجَبَى من كُلْفة: بطن.

وأمّا جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من خَطْمَة: بطن، واسم خطمة عبد الله، وإنما سُمّي خطمة: لأنه خَطَم[1] رجلًا بسيفه على خَطْمه فسُمّي به، وأعقب خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ: الحارث وعامر ولوذان: بني خطمة.

وأمّا امرؤ القيس بن مالك بن الأوس، فأعقب من فخذين: بني السَّلْم وبني واقف، وإليه يرجع كلّ واقفيّ في الأوس.

وأمّا مرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من ثلاث أفخاذ: عامر وسعيد ومازن.

وهذا نهاية الاختصار في ولد الأوس.

وأمّا الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب: بني الخزرج.

(١) خطم: ضرب أنفه، والخطام: حبلٌ يجعل في عنق الجمل ويثنى في خطمه ليُقاد به.

والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ: عوف وحُرَديش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد: أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج: خُذْرة وخُدَار ابنا عوف؛ والخدرة يرجع أبو سعيد الخدريّ[(١)]، وهو فخذ بني خدرة.

وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده: بنو النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: البطن المشهورة؛ واسم النجار: تَيْم الله يدعى العِتْر، وإليه يرجع حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار الشاعر: أعني بالشاعر حسّان[(٢)]، وقد انقرض عقب حسّان.

وأما عوف بن الخزرج فمن أفخاذه: بنو غنم قَوْقِل: فخذ، وهو أُطُمٌ كان لبني غنم، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغنم: رهط عُبَادة بن الصامت[(٣)] الصحابيّ. ومن بني عوف بن الخزرج: سالم الحُبْلَى بن غنم بن عوف، سُمِّي بذلك لعظم بطنه.

وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من فخذين: وهما تَزيدُ وغَضْب ابناه لصلبه؛ فمن أفخاذ تزيد بن جشم هذا: بنو سَلِمة وربيعة ابنا سعد بن عليّ بن راشد بن ساردة بن تزيد. وسَلمة رهط معاذ بن جبل[(٤)] الصحابيّ (بكسر اللام).

وأما غصب بن جشم بن الخزرج، فمن أفخاذه: بنو زُرَيْق وبَيَاضَة: ابني عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج.

---

(١) أبو سعيد الخدريّ: هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاريّ الخزرجي، صحابيّ، كان من ملازمي النبيّ ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثًا، توفي بالمدينة سنة ٦٩٣ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٨٧».

(٢) هو حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجيّ الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبيّ ﷺ، وأحد المخَضْرَمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، سكن المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسّانيين وملوك الحيرة، عَمِيَ قبل وفاته سنة ٦٧٤ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٧٥».

(٣) هو عبادة بن الصامت، أبو الوليد الخزرجي، من بني عمرو بن عوف، بدريٌّ نقيب، وهو أحد من جمع القرآن الكريم، وكان طويلًا جسيمًا جميلًا، مات بالرّملة سنة ٣٤ هـ، وله من العمر اثنان وسبعون عامًا. «الكاشف ٢/ ٥٧».

(٤) هو معاذ بن جبل الخزرجي، من نجباء الصّحابة، قال أنس: جمع معاذ القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وقال ابن مسعود: كنّا نشبّهه بإبراهيم عليه السلام، كان أمةً قانتًا لله حنيفًا، توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ بالأردن عن ثمان وثلاثين سنة. «الكاشف ٣/ ١٣٥».

وأمّا كعب بن الخزرج فمن أفخاذه: سعيد وقيس ابنا سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي جَذِيمة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ وقد انقرض قيس بن سعد بن عبادة.

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أفخاذ أُخر إخوة طريف بن الخزرج هذا، وهم: ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأوّل: بنو قَسِّيَّة بن عامر وقد انقرضوا عن آخرهم.

فهذا مختصر كاف في أنساب الأوس والخزرج.

وأما حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خُزاعة؛ وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم انخزعوا من بني عمرو مزيقياء بن عامر، (والانخزاع: التقاعس والتخلّف)، فأقاموا بمَرِّ الظّهران[1] بجنبات الحرم ووُلُّوا حجابة[2] البيت دهرًا وهم حلفاء بني هاشم؛ وقد اختلف النسّابون في خزاعة بعد إجماعهم على أنهم ولد عمرو بن لُحَيٍّ، وأنّ خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحيّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف، وهو ابن إلياس بن مضر، وعمرو بن لحيّ: هو الذي قال رسول الله ﷺ فيه لأكثم بن أبي الجون الخزاعيّ: «يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه في النار، ما رأيت رجلًا أشبهَ منه برجل منك»، فقال أكثم أيضرّني شبهه يا رسول الله؟ فقال: «لا، لأنك مسلم وهو كافر»، والقُصْب: الحشوة من الأمعاء وهو المصران؛ وكان عمرو بن لحيّ أوّلَ من غيّر دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيَّب السائبةَ[3] وبحَر البحيرةَ[4] ووصل الوصيلةَ[5] وحمى

(١) مرّ الظهران: قال النّضر: الظهراني يجاء به من مرّ الظّهران، وبمرّ الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغافرة، وقد جاء ذكرها في الحديث. «معجم البلدان ٤/ ٦٣».

(٢) الحجابة: وكانت في بني قصي، وهي حجابة الكعبة أي سِدانتها وتولّى حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها. «اللّسان، مادة حجب».

(٣) السّائبة: الماشية المسيّبة التي كانت تسيّب في الجاهلية لنذر ونحوه.

(٤) البحيرة: النّاقة إذا نتجت خمسة أبطن عُمِد إلى الخامس فإذا لم يكن ذكرًا، شقّ أذنها ثم لم يُجَزُّ لها وبر، ولا يذاق لها لبن، وسمّيت للآلهة.

(٥) الوصيلة: الشاة إذا ولدت سبعًا عُمد إلى السابع فإن كان ذكرًا ذُبح لآلهتهم، وإن كان أنثى تُركت، وإن كان في بطنها اثنان: ذكر وأنثى فولدتهما، قالوا: وصلت أخاها فيتركان جميعًا لا يذبحان، فسمّوها وصيلة.

الحامي[١]. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيْن: كعب بن لؤيّ[٢] وكعب بن عمرو بن لحيّ[٣]، وذلك أن دارهم كانت واحدة، وأفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعديّ بن حارثة وعمرو بن حارثة.

فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، قال شيخنا شيخ الشرف: عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ: كعب وسعد وعديّ ومُلَيْح وهو لحيّ: بطن كثيّر بن عبد الرحمٰن[٤] الشاعر، وعوف بن عمرو خزاعة.

فأمّا كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة، فأعقب من ستّ أفخاذ، وهم: مُنْقِذ وسَلُول وحُبْشِيَّة ومطرود ومازن وسعد: أولاد كعب بن عمرو خزاعة.

فأمّا سلول بن كعب، وإليه ينسب كلّ سلوليّ، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حبشيّة وعديّ وحِرْمِز، فأعقب حبشيّة بن سلول من قُمَيْر وضَاطِر وكليب وحُلَيْل وغاضرة: بنيه لصلبه، وأعقب عديّ بن سلول من حَبِير وهَيْنه وحُرَيْز: بني عديّ.

وأما حبشيّة بن كعب بن عمرو خزاعة، فأعقب من ابنيه لصلبه: غاضرة وحرام.

وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة، فأعقب من ثلاث قبائل: بني المُصْطَلِق، وبني عامر وبني الكاهن.

وأما أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فإنّه أعقب من أسلم: بطن في آخرين: وهم مَلَكان وزيد وعمرو وعديّ وجُهَادة وحَطّاب وسَوادة وجُرَيْش وامرؤ القيس

---

(١) الحامي: الفحل يكون عند الرّجل، فإذا لقّح عشر سنين قيل: قد حمى ظهره، وسُمي بـ «حامٍ». «انظر تفسير القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ١٠٣».

(٢) كعب بن لؤي: هو كعب بن لؤي بن غالب، من قريش، من عدنان، أبو هُصيص، جدّ جاهلي خطيب، من سلسلة النّسب النبوي الشريف، كان عظيم القدر عند الجاهليين حتى إنّهم أرّخوا بموته إلى عام الفيل، وهو أوّل من سنّ الاجتماع يوم الجمعة، وكان اسمه «يوم العروبة»، فكانت قريش تجتمع إليه فيه، فيخطبهم ويعظهم. «فهرس الأعلام ٥/٢٢٨».

(٣) هو كعب بن عمرو بن لحي، من الأزد، جدّ جاهلي قحطاني، قيل: هو الملقّب بـ «خزاعة» لانخزاع قبيلته عن بني الأزد حين تفرّقهم بعد سيل العرم باليمن، وقد أقام المنخزعون بمكّة، وسار الآخرون إلى الشام وعُمان، والانخزاع: الانقطاع والتخلّف عن الصحب. «فهرس الأعلام ٥/٢٢٨».

(٤) هو كثيّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر معروف متيّم، صاحبته «عزّة» من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز، أخباره مع عزّة بنت جميل الضمرية كثيرة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٧٢٣ م. «فهرس الأعلام ٥/٢١٩».

وصهيبة وجشم، فمن بني أسلم بن أفصى: سلامان: فخذ، وهَوزن: فخذ: ابنا أسلم بن أفصى، ومن مَلَكان ـ بالفتح ـ بن أفصى: غَبْشان بن ملكان: فخذ، منهم: ذو الشِّمالين المقتول ببدر.

وأما عديّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بماء بالسراة[١] أيام سدّ مأرب يسمَّى بارق[٢]، وقيل: هو جبل، وقيل: بل تبعوا البرق فسُمّوا بذلك، وعمرو وعوف: بني عديّ.

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأَسْد والحُجْر ابنيه لصلبه؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ: العَتِيك وشُهَيل والحارث: بني الأسد. فمن ولد العتيك: أسد بن الحارث بن العتيك: فخذ، ووائل بن الحارث، وإليه ينسب المُهلَّب بن أبي صُفْرة.

وأما الحجر بن عِمْران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: زيد مناة ومرحوم وعمرو وسُود: أولاده لصلبه، فأعقب عمرو بن الحجر من ابنه رَباب.

وأمّا كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: السموأل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع: أولاد كعب بن عمرو.

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حارثة والرَّبْعَة وملادس: بني عمرو.

وأما جفنة[٣] بن عمرو مزيقياء، فهم ملوك الشام. والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ: كعب ورِفاعة والحارث: بني جفنة في آخرين.

---

(١) السّراة: جمع جاء على غير قياس، قال الأصمعي: السّراة: الطود، جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، وإنما سمّي بذلك لعلوّه وسراة كلّ شيء ظهره. «انظر معجم البلدان ٣/ ٢٠٤ وما بعدها».

(٢) بارق: موضعٌ تنسب إليه الصحاف البارقية، وبارق: موضعٌ قريب من الكوفة ومنه قول أسود بن يعفر:

أرض الخورنق والسّدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشّرفات من سنداد

«اللسان، مادة برق».

(٣) هو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، حارثة الغطريف، من أزد كهلان، أمير غسّاني، من قدماء الجاهليين، وإليه ينسب أمراء الغساسنة، فيقال لهم «آل جفنة»، كانت عاصمتهم الجابية، من قرى الجولان، ثم امتدّ ملكهم إلى تدمر وضفّة الفرات شمالاً، وكان جفنة من الشجعان الأشدّاء. «فهرس الأعلام ٢/ ١٣١».

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء، من أُمام والحارث: ابنيه لصلبه؛ ومن ولد أُمام: جَبَلَة بن الأيْهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا ابن كعب بن جفنة بن عمرو مزيقياء، وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم(١) بن جبلة بن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه اختلاف؛ وجبلة هو الذي تنصّر(٢) في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ومن رفاعة بن جفنة: السموأل بن أوفَى بن عادياء(٣) بن رفاعة بن جفنة: بطن؛ وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر بن النعمان بن الحارث: بطن، ومن الحسحاس ومنارة: ابني عوف بن الحارث: بطن. وجماعة من قبيلة الأرمن نصارى يزعمون أن جدّهم هَيِّر يرجع إلى جفنة غسّان.

وأما الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان، فالعقب من ولده في هَمْدان: وهو أَوْسَلَةُ بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار المذكور. وقيل: هو الجبار بالجيم والباء الموحدة.

والعقب من همدان: ابن مالك بن جشم بن خَيْران بن نَوْف بن همدان هذا، ومن جشم: ابن بَكِيل وهو الحبك: فخذ، وحاشد ابنا جشم لصلبه. فأعقب الحبك من دَوْمان وسَوْران وخَيْران. فمن ولد دومان بن الحبك وهو بَكِيل: أرحب ومرهِنه: ابنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان، إليه يُنسب كلّ أرحبيّ. ومن حاشد بن جشم بن خيران: سَبِيع: فخذ، ابن سبع بن صعب بن خيران بن معاوية بن

---

(١) هو جبلة بن الأيهم بن جبلة الغسّاني، من آل جفنة، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشّام، قاتل المسلمين في دومة الجندل، وحضر وقعة اليرموك في جيش الروم، فانهزم الرّوم وجبلة معهم، ثمّ أسلم وهاجر إلى المدينة، ثم إنّه ارتدّ بالشام بعد أن أمر عمر رجلًا أن يقتصّ منه، فلطمه الرجل على عينه، فقال: أو عينه مثل عيني؟ والله لا أقيم ببلدٍ عليَّ به سلطان، ورحل إلى القسطنطينية وأقام عند هرقل ملك الروم، إلى أن توفي سنة ٦٤١ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١١١ - ١١٢».

(٢) تنصّر: اعتنق النّصرانية.

(٣) هو السموأل بن عادياء الأزدي، شاعر جاهليّ حكيم، من سكان «خيبر» في شمال المدينة، كان يتنقّل بينها وبين حصن له سمّاه «الأبلق»، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكلّ رداء يرتديه جميل

وهي من أجود الشعر، له ديوان شعري صغير، وحادثته مع امرىء القيس الشّاعر معروفة، توفي نحو سنة ٥٦٠ م. «فهرس الأعلام ٣/ ١٤٠».

كبير بن خيران: وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران: رهط أبي إسحٰق السَّبِيعي[١]، وفي ذلك خلاف بين النسّابين في الأسماء.

وذكر بعض النسّابين أنّ الهانَ بن مالك: أخا همدان بن مالك، إليه يرجع ويُنسب كلّ ألهانيّ: وهم قليل، ويَامُ بن أُحيّ بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد: رهط زُبَيْد اليامي شيخ التَّوَّزِيّ[٢].

وذكر بعض النسّابين: أَنّ الأَوْزاع، وهم من مَزِيدة بن زيد عددهم في همدان وهم من حمير، وإليه يرجع كلّ أوزاعيّ. ومن ولد سَدَد بن زُرْعة وهو حمير الأصغر: الأوزاع بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سَدَد، والأوزاع بن زيد بن سدد، والأوزاع بن سدد، والأوزاع بن شُقْران بن المعلَّل بن سَدَد.

قال: وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب؛ فلنرجع إلى عمود النسب المحمديّ، فنقول:

إن عمود النسب من عابر بن شالخ في ابنه: فالغ بن عابر، وأمّه ميشاخا؛ وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقينان وسيرى[٣] ومُدَبِّر وغيرهم انقرضوا كلّهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ، وهو الجدّ الذي يرجع إليه كلّ قرشيّ وكلّ قيسي، وهو أحد شعبي النسب.

والعقب من ولده في أرغو بن فالغ[٤]، وكان منه جبابرة انقرضوا. وعقبه في ابنه ساروغ بن أرغو. وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة.

(١) أبو إسحٰق السّبيعي: هو عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، أبو إسحٰق، من أعلام التابعين الثّقات، كان شيخ الكوفة في عصره، أدرك عليًا ورآه يخطب، وقال: رأيته أبيض الرأس واللّحية، غزا الروم ستّ غزوات، وعمي في كبره، توفي سنة ٧٤٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨١».

(٢) اليامي: لعلّه علي بن أحمد اليامي، سلطان يماني، من الباطنية الإسماعيلية، كانت قبائل همدان على طاعته، كان داهية شجاعًا أديبًا، قصده الشعراء، ومنهم الرّشيد بن الزّبير، ولمّا عاد الرشيد إلى مصر سُئِل عن اليمن، فقال: «وجدت فيها ما ليس في غيرها، وجدت مدينة وهي زُبيد، ونزهة هي صنعاء». ولعلّه يقصد هنا بقوله: رهط زبيد اليامي، أي رهط مدينة زبيد اليامي. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ٢٧٠».

(٣) في التوراة: وردت الكلمة «ستري».

(٤) في التوراة: وردت الكلمة «رعُو بن فالج».

منهم يَعْصُم، ويَعْظُم، ونعمان، وبعلاك، وبَهْران، وكاشَم، وطولان، وغيرهم هلكوا دارجين[١].

والعقب منه في ابنه نَاحور بن ساروغ، فالعقب من ناحور في ابنه تارَح: وهو آزَر بن ناحور.

ومن تارح غير عمود النسب: هاران بن تارح وناحور بن تارح، فولد هَارَانُ: لوطًا النبيّ ﷺ.

وعمود النسب من آزر في ابنه.

إبراهيم خليل الله عليه الصّلاة والسلام

وهو الجدّ الحادي والثلاثون لسيّدنا رسول الله ﷺ! وأمّه أدبَا بنت نمر بن أرغو بن فالغ بن عابر، وله من الولد غير إسماعيل عمود النسب: إسحٰق عليه السلام ويِشْباق: وهو طالب، وسَوّاح: وهو خاضع، وزِمْرَان: وهو نَجْدان، ومَدَان، ويُقْشان: وهو مصعب؛ فهٰؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحٰق لا غير. فولد إسحٰق ﷺ: يعقوب إسرائيل الله ﷺ والعِيصُ وهو عيصُو[٢]، وُلدا في بطن واحد، فخرج عيصو أوّلًا وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسُمّي يعقوب. وأمّهما رِفْقَا[٣] بنت ناحور بن تارح بنت عمّ أبيهما إسحٰق. فولد العيص بن إسحٰق: رَعْوَال[٤] ويَعُوس[٥] وأَلِيفَاز ويَعْلام وقُورَح ورُوم. فولد أليفاز بن العيص: عَمالق[٦] وغيره. وولد رعوال بن العيص: ناجب وغيره، وولد رُوم بن العيص بن إسحٰق: بني الأصفر؛ لأن روم كان رجلًا أصفر في بياض، فلذلك سُمِّيت الروم: بني الأصفر.

قال: وعمّر عيصو مائة وسبعًا وأربعين سنةً، وكذلك يعقوب، ودفنا معًا عند قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام في مزرعة حَبْرُون[٧]. وقيل: هي مزرعة عَفْرُون كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارَةُ.

---

(١) دارجين: أي متقرضين، ويقال: درج القوم، أي انقرضوا.

(٢) ورد الاسم في التوراة: «عيسو».

(٣) ورد الاسم في التوراة: «رفقة».

(٤) ورد الاسم في التوراة: «رعويل».

(٥) ورد الاسم في التوراة: «يعوش».

(٦) ورد الاسم في التوراة: «عماليق».

(٧) حبرون: اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدّس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضًا «حبرى»، وروي عن كعب الحبر أنّ أوّل من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام. «معجم البلدان ١/ ٣١٢».

ومن ولد العيص: أيوب النبيّ عليه السلام، قيل: هو أيوب بن أَموص بن تارَح بن رفو بن عيصان بن إسحٰق، وأمّه من ولد لوط بن هاران عليه السلام.

وولد يعقوب عليه السلام: اثني عشر سِبْطًا[(١)]، منهم يوسف النبيّ عليه السلام: عزيز مصر وصاحبها، وإخوته: كاد[(٢)] وبَنْيَامِين ويهوذا ونَفْتَالى وزَبُولُون وشِمْعون ورَأُوبِين، وكشاحا، ولَاوِي، ودَان، وياشِير[(٣)]. جاء من ولد يهوذا: سليمان النبيّ عليه السلام، وجاء من سليمان: مريم ابنة عِمران أمّ المسيح عليهما السلام. وجاء من لاوي بن يعقوب: موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث، وجاء من ولد هارون: يحيىٰ بن زكريّا وإلياسُ واليَسَعُ والعزَيرُ. وقد روى: أن إلياس بن مضر نبيّ، وأنّه المعنيّ بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصّافات: الآية ٧٨] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: الآية ١٣٠] في قراءة نافع[(٤)] وابن عامر[(٥)]، وأن آلَ ياسين آلُ محمد ﷺ.

والعقب من يوسف الصدّيق عليه السلام: أَفرائِيم ومَنَشّا[(٦)] ابنيه لصلبه؛ فمن ولد أفرائيم: يُوشَع بن نُون وصيّ موسى عليه السلام: وهو الذي رُدّت عليه الشمس في حربه: وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالج بن داباد بن ناحب بن العاد بن ناحَب بن يارد بن شوتالج بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. وفي ولد منشا بن يوسف: موسى بن منشا بن يوسف. وولد لمنشا ابنة اسمها رَحْمة: وهي امرأة أيّوب عليه السلام.

قال: وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبّأه وأنه صاحب الخضر[(٧)]. وذكر المؤرّخون أنه لما مات يعقوب، فشا في الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن

---

(١) السِّبط من اليهود: كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أبٍ واحد سمّي سبطًا ليفرق بين ولد إسمٰعيل وولد إسحٰق، وجمعه أسباط، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] كأنّه قال: جعلناهم أسباطًا. «اللسان، مادة سبط».

(٢) ورد الاسم في التوراة: «جادّ».

(٣) ورد الاسم في التوراة: «أشير».

(٤) هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، محدّث ثقة، مقرىء، بقي إلى زمن السّفاح. «الكاشف ٣/ ١٧٤».

(٥) ابن عامر: هو عبد الرحمٰن بن عامر، محدّث، ثقة، روى عن عبد الله بن عمرو، وعنه ابن أبي نجيح. «الكاشف ٢/ ١٥١».

(٦) ورد الاسم في التوراة: «مَنَسَّى».

(٧) الخضر: هو العبد الصالح الذي ورد ذكره في القرآن مع نبيّ الله موسى عليه السلام، وفي سورة الكهف رقمها ١٨.

منشا يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة، والله تعالى أعلم.

ونرجع إلى عمود النسب؛ وهو من إبراهيم في ولده إسماعيل: الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. وأمّه أم ولد، تدعى هاجَر، من قبط مصر، من قرية يقال لها: أمّ العرب نحو الفرما[١].

واختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل في ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل عليه السلام، ويقولون: إنهم من ولد يَمَن بن نَبْت بن إسماعيل، وافترق باقي ولد إسماعيل في أقطار الأرض، فدخلوا في قبائل العرب ودرج[٢] بعضهم، فلم ينسب النسّابون لهم نسبًا إلّا من كان من ولد قَيْدار ابنه عمود النسب.

قال: واتّفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه في التوراة، وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روي عن عبد الله بن عباس: أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ما أوردناه لا خلف فيه بينهم ولا خلاف إلّا في الأسماء لتنقل الألسنة، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حدث الاختلاف فيما حفظوه، فقال قوم برواية، وقال آخرون برواية. قال: وهذه الرواية التي أوردها في هذا التأليف هي أحسن الروايات، وهي عمدة أكثر النسّابين الأجلّاء، وعليها كان يعتمد شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسينيّ العُبَيدليّ النسابة، وهي رواية عبد الله بن عباس، واختيار أبي بكر محمد بن عبدة العبقسيّ النسّابة الطرسوسي وغيره.

وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قَيْدار عمود النسب أحد عَشر ولدًا، وهم: مَسًّا ويَطُور ومِسماع ودُوماء، وقيل: هو الذي بنى دُومَة الجَنْدل[٣]، ومبشام وإديال ونَعَابوا وتِيما، وحُداد ونافيس وقَيْدَما.

---

(١) الفَرَما: مدينة على السّاحل من ناحية مصر، أو هي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطيّة وشرقي تنيس على ساحل البحر، والفَرَما: أخو الإسكندر يقال: إنه هو الذي بناها وسمّيت باسمه. «معجم البلدان ٤/ ٢٥٦».

(٢) درج: هلك وانقرض.

(٣) دومة الجندل: مدينة في غائط من الأرض، وسمّيت دومة الجندل لأن حصنها مبنيٌّ بالجندل، وقال أبو عبيد السكوني: دومة الجندل حصنٌ وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيّىء، كانت به بنو كنانة من كلب. «معجم البلدان ٢/ ٤٨٧».

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام في ابنه قيدار بن إسماعيل، وأمّه هالَةُ بنت الحارث بن مُضَاض الجرهميّ، ويقال: اسمها سلمى، وقيل: الحنفا، وقيل: هي أم أولاد إسماعيل كلّهم.

والعقب منه في ابنه حَمَل بن قيدار؛ وأمّه الغاضريّة بنت مالك الجرهميّ.

والعقب منه في نبت بن حمل وأمّه هامَة بنت زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتدعى حُرَيْرة.

والعقب من نبت في ابنه سلامان بن نبت.

والعقب من سلامان في ابنه الهميسع بن سلامان، أمّه حارثة بنت مراد بن زرعة ذي رُعَيْن الحميريّ.

والعقب منه في ابنه اليسع بن الهميسع.

والعقب من اليسع في ابنه أُدَد بن اليسع، وأمّه حيّة من قحطان.

والعقب منه في ابنة أدّ بن أُدد، وأمّه النعجا بنت عمرو بن تُبَّع سعد ذي فَائش الحميريّ.

والعقب منه في ابنه عدنان بن أُدّ، وأمّه المتمَطِّرة بنت عدي الجرهميّة: وهو الجدّ الحادي والعشرون لسيّدنا رسول الله ﷺ.

وقد قال أكثر النسّابين: إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من علكّ: وهو الحارث والذئب والنعمان والضحّاك لا عقب له، وهو المُذْهَبُ الذي يقال في المثل: «أحسنُ من المُذْهَبِ»، وعديٌّ دَرَجَ، والغنيّ وأبيّ وعَدَن ـ وهو صاحب عدن ـ وعمرو ونبت وأُدّ وعدًا انقلبت في اليمن.

فأمّا علكّ بن عدنان، فكلّ من كان منهم بالمشرق فهم يُنسبون إلى الأزد، والذي في الأزد أيضًا علكّ بن عدنان بالثاء المثلّثة ابن عبد الله بن الأزد.

وقال شيخ الشرف النسّابة: علكّ بن عدنان بالنون، وقال الأفطسيّ النسّابة: علكّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكلّ من كان منهم بالشام ومصر واليمن والمغرب، فهم مقيمون على نسبهم في عدنان.

وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده، قال عبّاس بن مرداس[١]: [من الطويل]

وعكّ بن عدنان الذين تلعّبوا بغسّان حتى طرّدوا كلّ مُطرَدِ[٢]

نرجع. وعمود النسب من عدنان في ابنه معدّ بن عدنان، وأمّه مَهْدَدُ بنت اللَّهَمّ الجرهميّة.

قال[٣] النسّابون في أولاده لصلبه، فقالوا: إن ولده أحد عشر رجلًا: وقالوا: ثمانية، وزاد آخرون، وقال قوم: لم يكن له غير نِزار.

قال: فالذي أورد له أحد عشر ولدًا قال: والعقب من معدّ بن عدنان: عُبَيْد الرَّمّاح أعقب، وجُنَيْد وجُنَادة وحَيد وقبضة، وقيل: بل اسمه قَنَصٌ انقرض، وقُنَاصة وحَيدان أعقب، وشَطّ وعوف وسَنام وقُضاعة، قال العلماء: وكلّهم انتقلوا في اليمن وغيرها إلّا نزارًا. وقد قيل: إن حيدان هذا هو أبو مَهْرة: القبيلة. وقال النسّابون: والقَحْم أعقب، وسنام أعقب، وحبيب والضحّاك أعقب، وأَوْد أعقب: أولاد معدّ.

فأمّا عبيد الرَّمّاح فانتسب في بني مالك بن كنانة، ومنهم كان إبراهيم بن عربيّ صاحب اليمامة[٤].

وأمّا سنام بن معدّ، فإنّه انتسب في سعد العشيرة بن مالك[٥] في اليمن.

---

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السّلمي، من مضر، أبو الهيثم، شاعر فارس من سادات قومه، أمّه الخنساء الشاعرة، تماضر بنت الشريد، أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم قبيل فتح مكّة، وكان من المؤلّفة قلوبهم، كان بدويًا قحًا، مات نحو سنة ٦٣٩ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٦٧».

(٢) طرّدوا: مبالغة من طرده، والمطرد من الطّرد: وهو الإبعاد وبشدّة وعنف، أو لعلّه: حوربوا كلّ المحاربة.

(٣) لعلّه يريد: قال: واختلف النسّابون الخ. . . ليستقيم السّياق.

(٤) اليمامة: في الإقليم الثاني والثالث، كان فَتْحُها وقتل مسيلمة الكذّاب في أيّام أبي بكر الصديق سنة ١٢ هـ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر، وتسمّى اليمامة جوًّا، فسمية باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم، قال أهل السِّير: كانت منازل طسم وجديس اليمامة. «انظر معجم البلدان ٥/ ٤٤٢».

(٥) هو سعد العشيرة بن مالك بن أُدد، من كهلان، من القحطانية، جدّ جاهلي بنوه عدّة بطون، سمّي سعد العشيرة، لأنّه كان يركب ومعه أبناؤه وأبناء أبنائه، وهم نحو مئة رجل، فإذا سُئِل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي. «فهرس الأعلام ٣/ ٨٦».

وأمّا حَيْدَةَ بن معدّ فانتسب في الأشعريِّين.

وأمّا القحم بن معدّ، فانتسب في مالك بن كنانة.

وأمّا أود بن كعب، فانتسب في مذحج.

وأمّا قَنَصٌ فانقرض عقبه، وقيل: كان منهم النعمان بن المنذر[١].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: ذو القرنين[٢] عبد الله بن الضحاك بن معدّ بن عدنان.

نرجع. وعمود النسب من معدّ بن عدنان في ابنه نزار بن معدّ وأمّه مُعَانَةُ بنت جَوشُم[٣] الجرهميّة، ومنه غير مُضر الذي هو عمود النسب ثلاث بطون: ربيعة الفرَس وإياد وأنمار: بنو نزار. والصَّرِيحان من ولد إسماعيل عليه السلام: مُضَر الحمراء وربيعة الفرس. وقولهم: ربيعة الفرس، ومضر الحمراء، فزعموا أنه لما مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهمّوا عليه؛ وكان له فرس مشهور فضله في العرب، فأصابه ربيعة فقيل: ربيعة الفرس ؛ وكان له ناقة حمراء مشهورة الفضل بين العرب، فأصابها مضر فقيل: مضر الحمراء؛ وكان له جَفنةٌ[٤] عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار، هذا أحد ما قيل في ذلك، وسنذكر ما قيل في قسمة ميراث نزار وما اتّفق لأولاده مع الأفعَى الجرهميّ في أمثال العرب في حرف الهمزة، وفي قولهم: «إن العصا من العُصَيّة»[٥]، وهو في الباب

---

(١) هو النعمان بن عمرو بن المنذر الغسّاني، من ملوك آل غسّان في الجاهلية، كانت له حوران وعبر الأردن وتلك الأنحاء، بنى قصر السّويداء بحوران، وقصر حارب، مات نحو سنة ٣١٢ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٣٨».

(٢) ذو القرنين: هو الملك التاسع من ولد جمشيد، اسمه أفريدون، وفي أوّل ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضًا وقسمها بين بنيه. «صبح الأعشى ٤/ ٤١٠».

(٣) كذا في الأصل، وفي الطبري: «جَرْشُم». (٤) الجفنة: القصعة، إناءٌ يطعم به.

(٥) هو مثل ذكر أنّ أوّل من قاله الأفعى الجرهمي، وذلك أن نزارًا لمّا حضرته الوفاة، جمع بنيه مُضَر وإيادًا وربيعة وأنمارًا، فقال: يا بنيّ هذه القبّة الحمراء لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم وكانت شمطاء لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فائتوا الأفعى الجرهميّ ومنزله بنجران، فتشاجروا في ميراثه وقصدوه فقضى لهم وصدروا من عنده على قضائه، فقال الأفعى: إن العصا من العُصيّة، وإن خُشينًا من أخشن، ومساعدة الخاصل تعدّ من الباطل، والمراد: أنّهم يشبهون أباهم في جودة الرأي. «انظر المثل وقصّته في مجمع الأمثال ١/ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦، المثل رقم ٣٢».

الأوّل من القسم الثاني من هذا الفن في أوّل السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

نرجع. فأمّا أنمار بن نزار، فإنها انقلبت في اليمن، قال: كذا روينا عن شيوخنا في النسب ومن قال: إنها انقلبت في اليمن يقول فيه: إنّ خثعم وبَجِيلة ابنا أنمار بن نزار، وإنما لحقا باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأمّا إياد بن نزار وهي القبيلة التي يرجع إليها كلّ إياديّ، فمنها فخذان: بنو دُعْمِيّ بن إياد، وبنو زَهْر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُذَاقة بن زهر: عشيرة في إياد، إليها ينسب الحذاقيّون.

وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن: أسَد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبَيْعة بن ربيعة، وأكلب. وضبيعة يقال له: ضبيعة الأضْجم: لأنه كان مائلَ الفم. ومن أكلب أفخاذ: منها لصلبه: هُرَيْر وعوف ومَعْن ومُبَشّر وجليلة.

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل: جُلّي وعوف وبدر: بنو أحْمَس بن ضبيعة؛ ومن بني جلّى: بنو مُجَمِّع الشعوب: ربيعة بن سَلَمة بن سعد بن بلال بن بُهْثة بن حرب بن وهب بن جلّى: بطن.

وأمّا أسد بن ربيعة فمنه ثلاث بطون: أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد، وعَنَزة بن اللهازم بن أسد، واسمه عمرو، وعميرة بن أسد، وإلى عَنَزة يُنسب كلّ عنزيّ (محرك النون).

والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان، وهما: أسْلَم ويَقْدُم: ابنا يَذْكُر بن عنزة بن أسد، فمن أسلم فخذان: بنو صُباح ـ وهو قمر الليل والنهار ـ وبنو حُلّان: ابني العتيك بن أسلم. ومن يقدم بن يذكر فخذان: تَيْم ونصر: ابنا يقدُم. ومن بني تيم: بنو هَمِيم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تيم بن يقدم.

والعقب من عَمِيرة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان، هما: مبشّر وعديّ: ابنا عميرة بن أسد بن ربيعة.

وأما أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد، فمنه بطنان: هِنب وعبد القيس: ابنا أفصى بن دعميّ بن جديلة، وإلى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقسيّ.

والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن أفصى بن عبد القيس، واللَّبود بن عبد القيس. والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكَيْز بن أفصى وشَنّ بن أفصى. فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشائر: وَديعةُ وصُباح ونُكْرة. فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس: دُهن بن عذرة بن منبّه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ وليس دهن هذا فخذ عمارة الدهنيّ، إنما فخذه دهن التي في بجيلة.

والعقب من وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعميّ من عمرو بن وديعة، ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة.

والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى ـ ويقال لولده: العُمُور ـ أنمار وعِجل ومُحارب والدِّيل: أولاد عمرو بن وديعة.

والعقب من هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط بن هنب وعمرو بن هنب، فمن ولد عمرو بن هنب هذا: عتِيب بن عمرو، ومن عَتِيب في دهن: فخذ، وخفاجة: ابني عتيب.

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط[(١)]؛ وإليه ينسب كل نمريّ، وعمرو هو عُفَيْلة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط في عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط.

فالعقب من النمر بن قاسط من تيم الله، ويقال: تيم اللّات، وأوس مناة: ابني النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّحْيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله بن النمر. وإليه كانت الرياسة واللّواء[(٢)] والحكومة[(٣)] والمِرْباع[(٤)]. وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب في الضُّحَى.

وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن: تغلِب بن وائل: البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ تغلبيّ معدّيّ. (وفي قضاعة أيضًا تغلب بن حُلوان بن

(١) هو النّمر بن قاسط بن هنب بن أمصى بن دُعمى، من أسد ربيعة، جدّ جاهلي، كان له بالمدينة عقبٌ كثير، ارتدّ جماعة منهم فأبادهم خالد بن الوليد، ودخل بعضهم الأندلس في أيام الفتح، فكانت سكناهم بحصن وضاح من عمل «ريّة». «فهرس الأعلام ٨/٤٨».

(٢) اللّواء: الشّعار يحمل في الحرب «الرّاية».

(٣) الحكومة: من يُحتكم إليه، أي يكون له الفصل عند المخاصمة.

(٤) المرباع: رُبع الغنيمة الذي كان الرئيس يأخذه في الجاهلية.

عمران بن الحاف بن قضاعة جدّ بني كلب)، وبكر بن وائل، وعَنْز بن وائل (ساكنة النون) كما يُنسب في نزار إلى عنزة بن أسد كلّ عَنزيّ (محرّك النون)، وعمرو بن وائل. فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان: وهما رَفيدة بن عنز وأَرَاشة بن عنز، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر.

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعليّ ويشكر وجشم وبَدَن: بني بكر؛ وإلى عليّ هذا يُنسب كلّ علويّ في نزار، وإلى يشكر هذا يُنسب كلّ يشكريّ.

والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه: وهم حرب وكنانة وكعب، فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهْل: ولَدَيْ كنانة بن حرب؛ ومن بني جشم بن حرب: بنو عُصَيْم بن سعد بن عمرو بن جشم، وبنو الحمْير: حُبيِّب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كلّ جشميّ في نزار.

وأعقب كنانة بن يشكر من ذِبيان (بالكسر بضد ذبيان عبس الذي هو بالضمّ)، وأعقب ذبيان من فخذ وائلة وعامر: ابني ذبيان بن كنانة بن يشكر، فمن بني عامر بن ذبيان: بنو جشم بن عامر: فخذ يقال لهم: الجشميّون أيضًا.

وأما بنو عليّ الوائلي فالعقب من عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن عليّ وحده؛ وإليه يرجع كلّ صعبيّ في نزار. والعقب من صعب من ثلاث بطون: عُكَابة ولُحَيْم[1] ومالك: أولاد صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، فأعقب مالك بن صعب في بني زِمّان بن مالك: فخذ، وإليه ينسب كلّ زِمّانيّ.

وأما لُحَيْم بن صعب، فأعقب من حَنِيفة بن لحيم: البطن المشهورة، ومن عجل بن لُحَيْم.

قال الزبير بن بكّار: وحَنِيفة امرأة نُسب إليها ولدها، وهي: حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خَزِيمة، فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل: الدُّؤْل بن حنيفة: القبيلة المشهورة في بني حنيفة، ويقال في النسبة إليه: دؤليّ (كذا بضد النسبة إلى دؤل كنانة)، وعامر بن حنيفة وعديّ بن حنيفة، وفيهم عدّة عشائر وقبائل، والعزوة إلى حنيفة تغني عنها؛ منها بنو يَربوع بن الدؤل بن حنيفة إليه يُنسب كلّ يربوعيّ، وهم قبيلة خَوْلة بنت

(١) كذا بالأصل، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة «لُجيم» بالجيم المعجمة.

جعفر بن قيس بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أمّ أبي القاسم محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفيّة[(١)]؛ وهو الذي قال رسول الله ﷺ فيه لعليّ: «سيولد لك ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي».

قال: ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفخاذ لصلبه: مَسلَمة وشَيْبان وزيد ووهب وأرقم، ولهم عدد في بني مَسْلَمة المذكور: عمرو بن معديكرب[(٢)] بن الحارث بن مسلمة، إليه يُنسب كنز الدولة حامي أسوان[(٣)].

وأما عجل بن لحيم فأعقب من أربع أبطن: وهي سعد وكعب وهم قليل، وربيعة وضبيعة أولاد عجل، وإليه ينسب كلّ عجليّ. وفيهم عدّة أفخاذ وعشائر، وإلى ضبيعة يُنسب كلّ ضبعيّ.

وأما عكابة بن صعب بن عليّ فأعقب من بطنين: ثعلبة وفيه العدد، وقيس: ابني عكابة.

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ من خمسة: قيس من اللّهَازم: بطن، ومالك وتيم الله من اللّهازم: قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة، وشَيْبان وذُهْل وهما الذُّهْلان: ابنا ثعلبة، وإلى شيبان هذا يرجع كلّ شيبانيّ، وإلى ذهل يرجع كلّ ذُهليّ.

فأمّا قيس بن ثعلبة فأعقب من ضُبَيْعة وسعد: ابنيه لصلبه، والعقب من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جُحْدَر، وإليه يرجع كلّ جَحدريّ، وسعد وتيم وعُبَاد ومالك: بطن.

---

(١) ابن الحنفيّة: هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشميّ القرشي، أحدُ الأبطال الأشدّاء في صدر الإسلام، وهو أخو الحسن والحسين من غير أمّهما فاطمة الزّهراء، كان واسع العلم، ورعًا، أسود اللون، وأخبار قوّته وشجاعته كثيرة، وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي، وكانت الكيسانيّة «من الفرق الإسلاميّة تزعم أنّه لم يمت، وأنه مقيم برضوى مولده ووفاته بالمدينة سنة ٧٠٠ م». «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧٠».

(٢) لعلّه عمرو بن معديكرب بن ربيعة، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على النبيّ ﷺ سنة ٩ هـ وأسلم، ثم ارتدّ بعد وفاة النبيّ ﷺ، وعاد بعد ذلك إلى الإسلام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، قيل: إنه قتل في «القادسيّة»، أو مات عطشًا سنة ٦٤٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨٦».

(٣) أُسوان: آخر الدّيار المصرية في البرّ الشرقي والغربي، وهي بلاد الثّمر ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية. «انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٥٥».

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن سبع أفخاذ، وهم: الحارث وذُهْل وعديّ ومالك وعامر وزِمّان وحاطِبة، ومن بني مالك بن تيم الله: بنو عائش بن مالك: فخذ.

فأمّا شيبان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه: ذهل، وإليه يرجع الذهليّون، وتيم وثعلبة، وثعلبة ذا: هو الفخذ الذي يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتمد[١]، وفيه يقول ابن الروميّ الشاعر:

قالوا: أبو الصقر من شيبان، قلت لهم كـلّا لَعـمـري ولـكـن مـنـه شـيـبـانُ

وكـم أبٍ قـد عـلا بـابـنٍ لـه شـرفًـا كـمـا عـلا بـرسـول الله عـدنـانُ

وأعقب ذهل بن شيبان من أولاده لصلبه: وهم مُرّة، وإليه يرجع المرّيون الشيبانيّون وأبو ربيعة ومُحلِّم وصُبْح[٢] والحارث وعمرو: وهو جِذْرة وعوف وعبد غنم، ومن ولد أبي ربيعة بن ذهل: المُزْدلِفُ، وهو عمرو بن أبي ربيعة: فخذ كبيرة.

وفي مرة بن ذهل بن شيبان عدّة أفخاذ، وهم: سعد ودُبّ وسيّار وكثيّر وجندب وبُجَيْر وجسّاس ونضلة وهمّام: قبيلة الأحلاف أولاد مرّة، قال: وهمام بن مرّة[٣] بن ذهل هو بيتُ ذهلٍ وقعدُد[٤] فخرهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتًا، وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب، هؤلاء هم الأحلاف ومرّة وعبد الله والحارث.

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهليّين فمنه بطنان لصلبه: شيبان وعامر، فأعقب شيبان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه: وهم سَدُوس ومازن وعمرو الأعمى وعَلْباء ومالك وعامر وزيد مناة. وإلى سدوس هذا يُنسب كلّ

---

(١) هو المعتمد على الله، أبو العباس، ويقال: أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكّل، بُويع له بالخلافة يوم قتل المهدي سنة ٢٥٦ هـ، وتوفي في شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ. «صبح الأعشى ٣/ ٢٧٢».

(٢) كذا بالأصل، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة «صُبيح».

(٣) هو همّام بن مرّة بن ذهل، من شيبان، جدٌّ جاهلي، من سادات بني شيبان، وهو أخو «جسّاس» قاتل كليب، له شعرٌ وأخبار، قتله ناشرة بن أغوات ختلًا يوم «الواردات» من أيّام حرب البسوس، قال المهلهِل في رائيّته:

وهـمّـام بـن مـرّة قـد تـركـنـا عـلـيـه الـقـشـعـمـان مـن الـنّـسـور

«فهرس الأعلام ٨/ ٩٤».

(٤) القعدد: الأصل الثابت.

سدوسيّ. ومن ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل[١] بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن، وإليه أيضًا يُنسب أبو عثمان المازنيّ النحويّ[٢] وكلّ مازنيّ، وفي مذحج في بني سُلَيْم: زُبَيْد مازن المعروفة.

نعود إلى باقي نسب وائل.

وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، واسم تغلب دِثار وكان أكثرهم نصارى، فالعقب منه في ثلاث أفخاذ لصلبه: عِمران (وهم قليل)، وأوس وغنم؛ وفيه العدد والبيت؛ ومن قبائل غنم الخنَّاقون: بكر ورَزَاح ومالك وعدي: بنو معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب، والأراقم[٣] الستة: جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة: أولاد بكر بن حُبَيْب بن غنم بن عمرو بن تغلب، ومن جشم هذا: بنو عُطَيْف مُجْزِئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب: رهط سيف الدولة[٤] بن حمدان، فهذا نهاية الاختصار في نسب بني نزار.

وعمود النسب منه في ابنه مضر بن نزار، وأمّة سَوْدة بنت علك العدنانية، ومنه غير عمود النسب وهو إلياس ابنه قيس بن عَيْلان بن مُضر، واسم عيلان: الناس، وهو أخو إلياس. ويقال: قيس عيلان بن مضر، وعيلانُ حاضنٌ كان لقيس فنُسِبَ إليه كما نُسب غير واحد من العرب إلى الحضان، كسعد هذيم حضنه هُذَيْم فنُسب إليه؛ والصحيح: أن عيلان بن مضر، واسمه الناس، وقيسًا ولده، وقد قيل في الناس: النّاسّ ـ بتشديد السين ـ.

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل، صاحب المذهب الحنبلي، تقدّم ذكره.

(٢) أبو عثمان المازني: هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان، أحد الأئمّة في النحو، من أهل البصرة ووفاته فيها سنة ٨٦٣ م، له عدّة تصانيف في اللغة والعروض. «فهرس الأعلام ٢/ ٦٩».

(٣) الأراقم: مفردها أرقم، وهو ذكر الحيّات، أو أخبثها، وإنّما سمّيت الأراقم بهذا الاسم تشبيهًا لعيونهم بعيون الأراقم من الحيّات، يقال: إنّ ناظرًا نظر إليهم تحت الدِّثار وهم صغار، فقال: كأن أعينهم أعين الأراقم، فلجَّ عليهم اللقب. «اللسان، مادة رقم».

(٤) سيف الدولة الحمداني: هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الرّبعي، أبو الحسن، أمير حلب، وصاحب المتنبّي الشاعر وممدوحه، أخباره ووقائعه مع الرّوم كثيرة، جمع كثيرًا من أهل الأدب في بلاط، وله شعر حسن، توفي بحلب سنة ٩٦٧ هـ، ودفن في «ميافارقين». «فهرس الأعلام ٤/ ٣٠٣».

ذكر نسب قيس وبطونها

والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ثلاثة نفر: خَصَفَة وسعد وعمرو. وقال قائلون: وَبْر بن قيس وإنّه ولد طوائفَ من البربر، وفي ذلك خلاف عند النسّابين.

فالعقب من خصفة هذا من بطنين: عِكْرِمة ومُحارِب ابني خصفة بن قيس. وقيل: إن خصفة بن عكرمة غلب اسمها عليه فنُسب إليها كما قيل في خندف. أعقب عكرمة بن حفصة من منصور بن عكرمة: البيتَ الأوّل من بني قيس، فيه العدد، وسعد بن عكرمة وأبي مالك وعامر: بني عكرمة. أعقب منصور بن عكرمة من هوازن بن المنصور: القبيلة المشهورة، ومن سُلَيم بن منصور: القبيلة المشهورة، وسلامان بن منصور: قبيلة، ومازن بن منصور: قبيلة.

فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ: معاوية بن بكر، وفيه العدد، وقَسِيّ وهو ثقيف، واسمه منبّه بن بكر، وإليه يرجع كلّ ثَقفيّ، وسعد بن بكر، وإليه يرجع كلّ سعديّ من عشيرة حليمة بنت أبي ذؤيب السعديّة: ظئر[1] سيّدنا رسول الله ﷺ، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد المذكور؛ واسم زوجها وهو والد سيّدنا رسول الله ﷺ من الرّضاعة: الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن مَلّان بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد، وكنيته أبو كبشة، وبه كانت العرب تقول لرسول الله ﷺ: ابن أبي كبشة. وقيل في أبي كبشة أقوال، منها أن جدّه لأمّه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة كان يكنى أبا كبشة، فنسبوه إلى ذلك ليتمه وموت أبيه. وكان أيضًا عمرو بن زيد أبو أسد النجاريّ أبو سلمى بن عبد المطّلب جدّ النبيّ ﷺ يكنى: أبا كبشة، وقيل: بل لحظوا لقولهم: أبا كبشة يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث، وهو أبو قَيْلة أمّ وهب بن عبد مناف والد آمنة أمّ رسول الله ﷺ. وقال ابن قتيبة: إنه كان يعبد الشّعرى[2] دون العرب، فلما جاءهم رسول الله ﷺ بعبادة الله دون عبادة الأصنام، شبّهوه في شذوذه عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعرى وانفصاله منهم.

---

(١) الظئر: المرضعة لغير ولدها، وهي هنا: مرضعة رسول الله ﷺ.

(٢) الشّعرى: كوكب نيّر يظهر في شدّة الحرّ، وهما شعريّان: الشّعرى الغيور، والشعرى الغميصاء.

وأمّا معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب من صعصعة بن معاوية: القبيلة العظمى، وجشم بن معاوية، وإليه ينسب كلّ جشميّ في هوازن. وله ثلاث أفخاذ: عُصَيْمة وزِمّان وبنو جشم ونصر بن معاوية جدّ النصريّين القيسيّين، ومنه فخذان: بنو دهمان وبنو عوف: ابني نصر، وجحش بن معاوية: فخذ، وسيّار بن معاوية: فخذ، وكلاب بن معاوية، ومِنجاب بن معاوية، وعمرو بن معاوية، وأُدجِيّة بن معاوية، ودُحَيّة بن معاوية، ودَحْوَة بن معاوية، والسَّبّاق: وهو يعيش بن معاوية، وعوف بن معاوية، وجِحَاش بن معاوية: هٰؤلاء كلّهم أفخاذ قليلو العدد، يقال لهم: الهوازنيّون.

وأمّا صعصعة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر: القبيلة المشهورة، ومرّة: وهم سَلول؛ وكلّ سلوليّ ينسب إلى مرّة هذا، وأمّ ولده سلول الشيبانيّة: وهي سلول ابنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وولده عشرة أفخاذ: وهم عمرو وضبيعة ونهار وسُحَيْم: وهو أعيا، وغاضرة وعُدَيّة وجابر ومعاوية وجني ودهي. وباقي ولد صعصعة لصلبه قبائل صغار: عبد الله وعائذ وعمرو وقيس وكبير وسيّار ومساور وزبيبة وربيعة وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث: خمس عشرة قبيلة، وفي هذه القبائل: بنو عادية وبنو عُدَيّة بالضم، فأما بنو عادية فهي أمّ عبد الله عادية والحارث. وأما بنو عدية فهي أم قيس عدية وعوف عدية. وإلى عمرو بن صعصعة بن معاوية تُعْزَى الطائفة المعروفة بالأكراد. ومن النسّابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة المذكور. ومنهم من نسبهم إلى أكراد بن فارسان بن أهلوا بن إرم بن سام بن نوح، وعليه اعتمدوا. ومنهم من قال: كرد بن مرد بن يافث بن نوح.

وأما غامر بن صعصعة فأعقب من أربع بطون: وهم نمير وسُواءة وهلال وربيعة.

فأما نمير بن عامر، وإليه يُنسب كلّ نميريّ، ففيهم عدّة أفخاذ: بنو المقشّب: وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو خُوَيْلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو أسقع: وهو مالك بن عامر بن نمير.

وأما سواءة بن عامر بن صعصعة فمنه عدّة أفخاذ، منها بنو حُبَيْب بن سواءة وبنو جسّاس بن سواءة وبنو حرثان بن سواءة.

وأما هلال بن عامر بن صعصعة فالبطن المشهور، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه.

أوّلهم البيت المقدّم عبد الله ونَهيك وربيعة وعائذة وعبد مناف ورُوَيْبة وصخر وشعبة وشعَيبة وناشرة وحضرة.

وفي هلال عدّة أفخاذ وعشائر: كزُغبة ورِياح وفادع والأثيج وحُوثة، وقُرّة وغيرهم.

فأعقب عبد الله: وهو البطن الأولى من بني هلال من ثلاث أفخاذ: رُوَيْبة بن عبد الله وحوثة وحارثة ابني عبد الله، فأعقب رويبة بن عبد الله من أربع عشائر: زغبة ورياح وهزوم ومعاوية: بني رومية بن عبد الله، فمن بني الهزم بن رويبة بن عبد الله: ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهزم بن رويبة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبيّ ﷺ، ومن بني رياح: بنو نجيّة بن عليّ بن فادع: فخذ أعقب، إليه يرجع جنادة بن كامل مقدّم بني هلال.

وأما نَهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه: وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم.

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل: الحارث وعمرو وربيعة ويَعْمر: بني عبد مناف لصلبه. فمن بني ربيعة بن عبد مناف بن هلال: قرّة بن عمرو بن ربيعة: فخذ مشهورة كبيرة، إليه يرجع كلّ قرّيّ. ومن بني عمرو بن عبد مناف بن هلال: زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف أمّ المساكين زوج النبيّ ﷺ أمّ المؤمنين، فهذا مختصر قبائل هلال.

وأمّا ربيعة بن عامر بن صعصعة، فأعقب من خمس قبائل، وهم: الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب: بنوه لصلبه.

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من فخذين لصلبه: عوف وعُوَيْف.

وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أفخاذ لصلبه: أبان وجَهْم وجشم وخلف ومسروق.

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أفخاذ لصلبه: عمرو وعوف والبَكّاء ومعاوية.

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر، فأعقب من عشر أبطن، قال الشاعر:

وإن كـلابًـا هـذه عـشـر أبـطـنٍ وأنـت بـريء من قبـائلها العـشرُ

يعني شُمَر بن ذي الجَوْشن[١] الضِّبَابيّ، والعشر أبطن لصلب كلاب، وهم: جعفر وأبو بكر واسمه عبيد، ومعاوية: وهو الضِّبَاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس قيل: بالفتح وواو بدل الهمز»، وكعب.

فأمّا جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أفخاذ لصلبه: مالك والأحوص وخالد وعُتْبة؛ وفيهم عدّة عشائر.

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عَبْد وكعب وعبد الله، فأما عبد بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو قُرْط وبنو قُرَيْط.

وأما كعب بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو جَحْش بن كعب.

وأما عبد الله بن أبي بكر فمن عشائره لصلبه: بنو المجنون، وهو ربيعة بن عبد الله.

وأما معاوية بن كلاب وهو الضِّباب فمنه ثلاث عشرة قبيلة، وهم: ضَبّ ومُضِبّ وضِباب؛ ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معاوية بالضّباب، وحُسَيْل وحِسْل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة وزهير: أولاد عمرو بن معاوية. ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرَحْبيل بن الأعور قاتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

وأمّا عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه، وهم: بنو الأصمّ، وهم قليل، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطَريف بن عامر وعَقيل بن عامر، فأعقب كعب بن عامر من الوَحِيد، وهو عامر بن كعب، من أفخاذه: خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، منه أمّ البنين بنت حِزَام بن خالد المذكور زوج عليّ بن أبي طالب، وهي أمّ ابنه العباس السقّاء، عرف بذلك لأنه سقى الحسينَ الماءَ بكربلا.

وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه، وهم: بُجَيْر وعُبَيْدُ ونفيل أبو نمير.

---

(١) شمر بن ذي الجوشن: واسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي، أبو السّابغة، من كبار قتلة الإمام الحسين عليه السّلام، قتله رجال المختار الثقفي، سنة ٦٨٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ١٧٥».

وأما الأضبط بن كلاب ففخذه: بنو وَبْر بن الأضبط، ومن بني وَبْر سبع عشائر، وهم: وَهْب الأكبر ووهب الأصغر وواهب وإهاب ووَهْبان وخالد وأبو ربيعة: أولاد وبر بن الأضبط.

وأما عمرو بن كلاب فمنه فخذان: نفيل وأبو عوف: ابنا عمرو بن كلاب.

وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ: عامر وعمرو والصَّمُوت: أولاده لصلبه. ومن عشائر الصموت بن عبد الله: ضُبَيْعة الأغرّ بن عبد الله بن الصموت.

وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ: بِجَاد وبُجَيْد وعُبَيْد: أولاده لصلبه، ومن بُجَيْد: عُفَيِّف بن بُجَيد: فخذ، وإلى رؤاس هذا ينسب كلّ رؤاسيّ.

وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه: عامر ووهب وربيعة وأوس.

فهذا مختصر بني كلاب وأبطنها ـ نعود إلى باقي ولد ربيعة بن عامر.

وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه، وهم: جَعْدَةُ بن كعب: البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ جَعْديّ، وفيها عدّة قبائل وعشائر، وحبيب بن كعب: البطن المشهورة، وإليها يرجع كل حبيبيّ، وفيها أفخاذ، وعبد الله بن كعب منه العَجلان بن عبد الله: بطن، وربيعة بن عبد الله، ونُهَم بن عبد الله؛ وفيهم أفخاذ، وقُشَيْر بن كعب، وإليه يرجع كلّ قُشَيريّ، وفيها عدّة أفخاذ وعشائر، والحَرِيش بن كعب، وإليه يرجع كلّ حَرَشِيّ: كعبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحريش الحرشيّ الصحابيّ وغيره، وعُقَيْل بن كعب: البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ عُقَيْليّ (بالضم). والعقب من عقيل بن كعب: بن ربيعة بن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل: البطن المشهورة، وعبد الله وربيعة ومعاوية وعامر وعُبادة، كلّ هؤلاء أبطن. والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذًا لصلبه، وهم: بنو معاوية ذي القَرِح: فخذ، وبنو كعب ذي النُّوَيْرة، وبنو الأقرع: فخذ، وبنو كعب الأصغر، وبنو عامر، وبنو مالك، وبنو الهيثم، وبنو الوازع، إليه ينسب كلّ وازعيّ، وبنو عمرو، وبنو حَزْن، وبنو خالد. والفخذ العظمى من بني عقيل بعد بني خفاجة: بنو يُزِيد ـ بضم الياء ـ بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طَهْفَة بن حزن بن عبادة: عشيرة الأمير أبي المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس، ودرج شرف الدولة، وهو ملك العرب.

فهذا مختصر من نسب بني عقيل، وهؤلاء هوازن وهم بكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان: وهو البطن المشهورة، فأعقب من بهثة بن سليم، وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه: معاوية وعوف وامرىء القيس والحارث وثعلبة. ومن بني امرىء القيس بن بهثة: بنو عُصَيّة بن خُفَاف بن امرىء القيس: بطن.

وأمّا محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب فخذين لصلبه: طَرِيف وجَسْر، ويقال لبني جسر: بنو عليّ لأنّ العقب من جسر بن محارب في عليّ بن جسر لا غير.

انقضى ذكر بني خصفة بن قيس بن عيلان.

وأمّا سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه: وهما غَطَفان، ومنبه: وهو أعْصُر، والعقب من رَيْث بن غَطْفان من أربع أبطن لصلبه: بَغِيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلّ أشجعيّ، وأهْون: بنو ريث.

والعقب من بغيض بن ريث من عَبْس وذُبيان، وهما القبيلتان المشهورتان.

وذكر بعض النسّابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنماريّ[1]، وقيل: إن أبا كبشة الأنماريّ إنما هو من مذحج.

والعقب من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من فخذين: قَطِيعة ووَرَقة ابني عبس.

والعقب من قَطِيعة بن عبس من الحارث، ومُعْتَمِر: قبيلة قليلة، وعوف: قبيلة، وغالب: قبيلة الحُطَيْئة، ومُرَيْطة: قبيلة من ولد خالد بن سنان[2] - نبيّ أهل الرَّسّ - بن جابر بن غيث بن مريطة.

---

(١) أبو كبشة الأنماري: اسمه سعد، وقيل عمرو، صحابيّ، محدّث، أخذ عنه أبو البختري الطائي، وسالم بن أبي الجعد. «الكاشف ٣/ ٣٢٧».

(٢) هو خالد بن سنان العبسي، حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية، كان في أرض بني عبس، يدعو النّاس إلى دين عيسى، وهو الذي دخل نارًا فانطفأت، وفرّقها بعصاه وهو يقول: بدًا بدًا، وفدت ابنته على الرسول الكريم، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال: «ابنة نبيٍّ ضيّعه أهله»، وفي حديثٍ قال لها: «مرحبًا بابنة أخي». «فهرس الأعلام ٢/ ٢٩٦».

والعقب من الحارث بن قطيعة بن عبس من جِرْوَة وعامر ومازن: قبيلة وذَكْوان وشدّاد: بني الحارث بن قطيعة. ومن مازن بن الحارث أفخاذ: منهم جَذِيمة بن رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن: فخذ، إليه يرجع الجذميّون بالجيم: منهم عشيرة بني زهير بن جذيمة في آخرين.

وأما ذبيان بن بغيض، فأعقب من فَزَارة: البطن المشهورة، وسعد، فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم وروميّ، دَرَجَ وشَمْخ وعديّ ومازن: أولاد فزارة، وفيهم قبائل وعشائر وأفخاذ.

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المرّيون: بنو مرّة بن عوف بن سعد، وفيهم أفخاذ، وبنو عقال بن سعد: فخذ، وبنو بَجَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو عَجَب بن ثعلبة وبنو رِزَام بن ثعلبة.

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد، فالعقب منه في بهثة بن عبد الله وقُطْبَة وعديّ وعُذْرة وكلب وباعث وشَبَابة وغنم وعوف ومنبّه، عشرة أفخاذ.

وأما أَعْصُر: وهو منبّه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة: وهم ولد مالك بن أعصر، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَجيلة بن مذحج، ولد سعد بن مالك بن يَعْصُر ومَعْن بن مالك بن يعصر فغلب اسمُها عليهم ونُسبوا إليها؛ وكلّ باهليّ ينسب إلى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك، وغنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة، إليها ينسب كلّ غَنَويّ والطُّفَاوة، اسمه الحارث بن أعصر إليه ينسب الطُّفَاوِيّون، وعامر بن أعصر.

وأما عمرو بن قيس بن عيلان، فمنه بطنان لصلبه، وهما: عَدْوَان واسمه الحارث، وفَهْم: ابنا عمرو بن قيس، وإنما قيل له عَدْوان لأنه عدا على أخيه فَهْم فقتله، وفهم وعدوان يقال لهما: جَدِيلة قيس، وهي أمّهم جديلة بنت مرّ بن أُدّ: أخت تميم بن مرّ[1]. ومن قبائل عدوان: بنو يشكر وبنو دَوس: ابني عدوان: القبيلتان المشهورتان.

---

(١) هو تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، جدّ جاهلي بنوه بطون كثيرة جدًا، قال ابن حزم: وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة، وامتدّت إلى العذيب من أرض الكوفة، كانت تلبيتهم في الجاهلية إذا حجّوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لبّيك عن تميم قد تراها، قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراها، وأخلصت لربّها دعاها. «فهرس الأعلام ٢/ ٨٧ ـ ٨٨».

هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر.

فلنرجع إلى عمود النسب، وعمود النسب من مضر في ابنه:

إلياس بن مضر بن نزَار

وأمّه الرِّباب بنت إياد المَعدّيّة، ومنه غير عمود النسب (وهو مُدْرِكة) بطن واحد وهو طابخة بن إلياس؛ قال: لأن قمعة بن إلياس فيه خلاف كثير، وأكثر مشايخ النسب يذكرون أنه دَرَجَ، ولا عقبَ له؛ وذكر آخرون: أنه أبو خزاعة، وخزاعة ليست بأبٍ ولا أُمٍّ وإنما هم انخزعوا من مضر إلى اليمن ببطنِ مَرٍّ، وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز[1]، ألا ترى قول عون بن أيّوب الأنصاريّ[2]: [من الطويل]

ولـما هبطنا بطنَ مَرٍّ تـخزَّعتْ خُزاعةُ منّا في حُلولِ كَـراكِرِ[3]
حمتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتمتْ بصُمّ القنا والمرهَفاتِ البواترِ[4]

وقد أوردنا نسب خزاعة في بني عمرو بن عامر ماء السماء الغسّانيّ في نسب اليمن، ومن قبائل طابخة بن إلياس خمسٌ: بنو مُرٍّ بن أدّ بن طابخة، وبنو ضبّة بن أُدّ بن طابخة، وبنو عمرو، وبنو خميس، وبنو عبد مناة: أولاد أُدّ بن طابخة.

فأمّا بنو مُرّ بن أُدّ بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مرّ، وبنو ثعلبة بن مرّ: ظاعنة من الشُّعَيْراء، وبنو صوفة، وهم: ولد الغوث: وهو الرَّبِيط بن مرّ وبكر بن مرّ من الشعيراء، ومحارب بن مرّ، فهم عدّة أفخاذ وقبائل. وقبائل تميم وهم ثلاث: زيد مناة والحارث وعمرو: أولاد تميم لصلبه. فمن قبائل زيد مناة بن تميم: نَهْشَل بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنو سَدُوس بن دارم: قبيلة. وبنو عبد الله بن دارم: منهم عُطارد: قبيلة حاجب بن

(١) الحجاز: جبل ممتدّ حالٌ بين الغور غور تهامة ونجد، فكأنه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وسمّي الحجاز حجازًا لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية. «انظر معجم البلدان ٢/ ٢١٨ وما بعدها».

(٢) كذا بالأصل، وفي اللّسان أن القائل: حسّان بن ثابت الشاعر، كذلك انظر ديوان حسان بن ثابت ص ١١٩ ـ ١٢٠، دار صادر.

(٣) بطن مرّ: موضع، وتخزّعت: تخلّفت، والحلول: النزال، والكراكر: الجماعات.

(٤) الصمّ: الصلاب، والقنا: الرّماح، والمرهفات: السّيوف المشحوذة، والبواتر: القاطعة الماضية، وتهامة: موضع، وتهامة تساير البحر، منها مكّة. «انظر معجم البلدان ٢/ ٦٣».

زُرارة بن عُدُس[١] (وكلُّ من عداه بفتح الدال) ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، وبنو أَبَان بن دارم: قبيلة، وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة: قبيلة. وبنو كليب بن يربوع: قبيلة. وبنو رياح بن يربوع: قبيلة. وبنو غُدَانة بن يربوع: قبيلة. وبنو جارية بن سَلِيط بن يربوع. وبنو البَرَاجم[٢]: وهم ظُلَيْم وعمرو وقيس وغالب وكلفة: أولاد حنظلة بن مالك؛ فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك، سموا بَرَاجم لتجمُّعهم كالأصابع، ثم قبيلة الجوع، وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكُرْدُوسَان[٣] من بني زيد مناة: معاوية وقيس ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم. ومن زيد مناة: بنو سعد بن زيد مناة، منه عدّة قبائل، منهم قبائل الأبناء: وهم عبشمس وعُوَافة وعوف وجشم ومالك وعمرو: بنو سعد بن زيد مناة. ومن بني سعد بن زيد مناة: بنو الحرام، وهو من الخُدَعَة بن كعب بن سعد، وبنو حِمَّان بن عبد العُزَّى بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج: وهو الحارث بن كعب بن سعد، وبنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بَهْدَلة بن عوف بن كعب، وبنو بِرْنِيق بن عوف بن كعب، وبنو عطارد بن عوف بن كعب قليلون.

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو مِنْقَر بن عبيد بن مُقاعِس: وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِنْقَرِيُّون، ومن بني زيد مناة: بنو امرىء القيس بن زيد مناة، له عدد ومدد. منه ثلاثة أفخاذ: بنو عُصَيَّة وبنو مالك وبنو الحارث: أولاد امرىء القيس المذكور. ومن بني زيد مناة: بنو عامر الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم.

وأمّا الحارث بن تميم فمنه شَقِرة بن الحارث[٤]: قبيلة، اسمه معاوية، وسُمِّي شقرة ببيت قاله: [من الطويل]

وقد أحمل الرمح الأصمَّ كُعوبُه ... به من دماء القوم كالشِقِراتِ[٥]

---

(١) هو حاجب بن زرارة بن عُدس الدّارمي التميمي، من سادات العرب في الجاهلية، كان رئيس تميم في عدّة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مالٍ عظيم ووفى به، وحضر يوم شعب جبلة «من أيام العرب المعروفة» قبل ١٩ أو ١٧ سنة من مولد النبيّ ﷺ، وأدرك الإسلام وأسلم، وبعثه النبيّ ﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات نحو سنة ٦٢٥ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٥٣».

(٢) البراجم: مفردها بُرجمة، وهي مفصل الأصبع.

(٣) الكردوسان: مثنّى كردوس: وهي فقرة من فقر أعلى الظّهر، أو كلّ عظم ضخم.

(٤) شقرة بن الحارث، واسمه معاوية، من تميم، جدّ جاهليٌّ من الشّعراء ينسب إليه جماعة منهم مطرف بن معقل الشقري التميمي، من رجال الحديث. «فهرس الأعلام ٣/ ١٧٠».

(٥) الأصمّ: الصلب، والكعب من الرّمح: العقدة بين الأنبوبتين.

والشقرات: شقائق النعمان، والنعمان: الدم، والله أعلم.

وأما عمرو بن تميم فمنه سبعة أفخاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهُجَيْم وبنو أُسَيْد وبنو الحَبَطَة: وهو الحارث، وبنو القُلَيْب: وهو أُلَيْهَةُ وزن عَلَيْهَة وكعب: بنو عمرو بن تميم؛ وولي كعب هذا البيت قبل قريش.

فأمّا مالك بن عمرو بن تميم فمنه فخذان: مازن، منهم أَوْفَى بن مَطَر المازني[١] جلي[٢] العرب، والحِرْماز: وهو الحارث بن مالك، فمن بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: أنمار بن مازن: فخذ قليلون، ورَأْلان بن مازن: قبيلة، وحُرْقُوص بن مازن: ورزام بن مازن: قليل، وخزاعيّ بن مازن قليل.

وأما بَلْعَنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة: كعب وجندب ومالك: أولاد العنبر؛ وكلّ بلعنبريّ ينسب إلى بلعنبر هذا: وهي قبيلة مشهورة.

وأما بَلْهُجَيْم بن عمرو بن تميم وهو الهُجَيْم فأعقب من خمسة: عامر وسعد وعمرو وربيعة وأنمار. ويقال لبلعنبر وبلهجيم: الخَبَطَات[٣]. وكذلك أخوهما الحارث الخَبِطُ؛ وهو الذي عُرِفوا بذلك من أجله، يقال: إنّه أكل خَبَطًا فسُمّي به[٤].

وأما أُسَيْد بن عمرو بن تميم، فأعقب من ستة لصلبه: عَقيل ونمير وجروة: قبيلة، وعمرو والحارث، فمن بني جروة بن أسيد بن هند بن أبي هالة: نَبَّاشُ بن

---

(١) أوفى بن مطر: هو مقرّن بن مطر بن ناشرة، من بني مازن بن عمرو بن تميم، أحد العدّائين المشهورين في الجاهلية، كان يعدو خلف الظّبي فيأخذه، وهو من الشعراء، وعدّه ابن حبيب من المشهورين بالوفاء، وروى خبرًا عنه في ذلك، ولقّب «أوفى» نسبة إلى الوفاء. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٨٣».

(٢) الجليّ: الواضح المشهور.

(٣) كذا بالأصل بإعجام حرف «الحاء»، والصّواب بالمهملة كما في كتب الأنساب واللغة. انظر القاموس واللّسان مادة «حبط»، كذلك انظر البيان والتبيين للجاحظ ٤/ ٣٥، حيث ذكر قول زياد الأعجم:

رأيت الحمر من شرّ المطايا ... كما الحبطات شرّ بني تميم

وقال: وهل فضح الحبطات مع شرف حسكة بن عتاب وعباد بن الحصين وولده إلّاقول الشاعر، «الذي تقدّم».

(٤) إنه أكل خبطًا فسمّي به، كذا في الأصل، وفي القاموس: أن الذين سمّوا بهذا الاسم هم سرية لرسول الله ﷺ جاءوا في الطريق حتى أكلوا الخبط، وهو الورق المضروب بالمخابط، يجفّف ويطحن، فسمّوا بسريّة الخبط، وعليه يكون اسم الحارث الحبط بالهاء المهملة...

زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غويّ بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم: ربيب رسول الله ﷺ، وأمّه خديجة بنت خويلد.

وأما الحارث الخبط بن عمرو بن تميم فمنه قبيلة سعد بن الحارث، وهي قبيلة الخبطات، ومشَادة بن الحارث الخبط ونضلة بن الحارث الخبط: فهؤلاء بنو تميم في مُرّ بن أُدّ بن طابخة.

وأما بنو ضبّة بن أُدّ فثلاث قبائل: سعد وسُعَيد وباسل. ولسعد وسعيد المثل السائر «أسعد أم سُعَيد». أما سعيد بن ضبّة فقليل عددهم. وأما سعد بن ضبة فأعقب من اثنين: ثعلبة وبكر: ابني سعد، فأما ثعلبة بن سعد، فمن قبائلها: بنو مسعود بن دُلْجَة بن نُعَيْم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة يُنسب إليها كلّ مسعوديّ، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة. ومن بني بكر بن سعد بن ضبة: صبح وبجالة: ابنا ذهل بن مالك بن بكر بن سعد: فخذان، وعائذة[1] بن مالك بن بكر بن سعد: فخذ، ونصر بن عبد الله بن بكر بن سعد: فخذ.

وأما باسل بن ضبة، فإنه خرج مغاضبًا لأبيه فوقع بأرض الدَّيْلم[2] فتزوّج امرأة من الديلم، فولدت له الديلم بن باسل: جدّ القبيلة المشهورة، ومن رجالها في الجاهلية: زيد الفوارس بن حُصَين[3]، وفي الإسلام ابن شُبْرُمة القاضي[4]. وأعقب من الدّيلم فخذان: الأبيض بن معاوية بن الديلم، وبُجَيْر بن معاوية بن الدّيلم. فأعقب الأبيض بن معاوية من الضحاك ولار وشهريار وإيران وناشر: أولاد الأبيض بن معاوية بن ديلم من بهرام بن الضحاك. وفيروز وزربوران وبريانوس: أربعة أفخاذ. وأعقب بَرْيانوس بن الضحاك من قابوس بن بريانوس. وأعقب قابوس من شاه مرد. وأعقب لار بن الأبيض من كامِياد بن لار، وأعقب كامِياد من ابنه جور.

وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من داوده.

(١) وردت الكلمة في بعض كتب الأنساب بالدّال المهملة، وفي بعضها بالذّال المعجمة.

(٢) الدّيلم: جماعة من العجم كانوا في الأصل صنفًا من الأكراد.

(٣) هو زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبّي، فارس شاعرٌ جاهلي، أورد البغدادي قليلًا من أخباره في كتابه «خزانة الأدب ١/٥١٦ ـ ٥١٧، ثم ٤/٢١٨»، وأورد له أشعارًا، واختار أبو تمام في حماسته بعضًا من شعره. «انظر الحماسة للمرزوقي ص ٥٥٧ و١٦٧٨».

(٤) ابن شُبرُمة: الشبرُمة: من العضاه: شجرة شاكة، والشّبرم: القصير من الرّجال.

فهذه النهاية في اختصار نسب الديلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأمّا عمرو بن أدّ بن طابخة فهو مُزَيْنَة، ومزينة أُمّه، وهي بنت كلب بن وَبرة بن ثعلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلّ مزنيّ ينسب إلى مزينة هذا. ومن مزينة: عثمان وأوس: ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة بطنان: عدا ولاطِم: ابنا عثمان. ومن مزينة: النعمان بن مقرِّن وزهير بن أبي سُلْمَى[1]؛ وليس في العرب سُلْمَى بالضمّ سواه، ورؤبة بن العجّاج[2]، قال رسول الله ﷺ: «أسلَم وغِفَار ومزينة وجهينة (أو قال: مَن كان من جهينة) خيرٌ من بني تميم وبني عامر بن صعصعة ومن الحليفين أسد وغَطَفان».

وأما عبد مناة بن أُدّ بن طابخة فمنه ثورُ أطحل بن عبد مناة: بطن ـ رهط سفيان الثوريّ رحمه الله، (وأطحل جبل)، وبنو الرباب: ولد تيم بن عبد مناة وعديّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة: سُمُّوا الرِّبَاب: لأنهم غمسوا أيديَهُمْ في رُبٍّ إذ تحالفوا على بني تميم.

قال: ومن النسّابين من يجعل الرباب بني تيم وعديّ وثور وعُكْل: وهم بنو عبد مناة وضبّة بن أُدّ.

فأمّا عديّ بن عبد مناة، فإليه ينسب كلّ عدويّ ليس من عديّ قريش؛ ومنهم: أبو قَتادة العدويّ: تابعي، وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفيّ، ومنهم: عطيّة العوفيّ[3]. قال: وشيخ الشرف النسابة يقول: إن عُكْلًا هو عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكْلُ: أَمَةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها: بنتُ ذي اللِّحيَة، تزوّجها عوف بن وائل، فولدت له جشمًا وسعدًا وعليًّا، ثم هلكت، فحضنتْ عُكْلُ ولدَها فغلبت عليهم ونُسبوا إليها.

---

(١) هو زهير بن أبي سُلمى، المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وُلد في بلاد «مُزَينة» بنواحي الحجاز، وأقام في الحاجر من ديار نجد، واستمرّ بنوه فيه بعد الإسلام، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٦٠٩ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٥٢».

(٢) هو رؤبة بن العجّاج التميمي السّعدي، أبو الجحّاف، أبوه أبو محمد، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كانت أكثر إقامته في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، مات بالبادية سنة ٧٦٢ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣٤».

(٣) هو عطيّة بن سعد بن جناد العوفي، أبو الحسن، من رجال الحديث، كان يعدّ من شيعة أهل الكوفة، مات بالكوفة سنة ٧٢٩ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٣٧».

وأما تيم بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة ففخذه: عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة، وفيه العدد.

انقضت خندف فلنرجع إلى عمود النسب من الياس في ابنه:

مُدْرِكة بن إلياس بن مضر

واسمه عمرو، وأمّه خندف: وهي ليلى بنت حلوان القضاعيّة، وإنما سُمّي مدركة؛ لأن أباه إلياس خرج منتجعًا[١]، ومعه أهله وماله، فدخلتْ بين إبله أرنب، فنفرت الإبل، فخرج أولاد إلياس، فأدركها عمرو، فسمّاه أبوه إلياسُ: مدركة؛ وخرجتْ ليلَى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمّه تهرول فقال لها إلياس: ما لكِ تخندفين؟ والخندفَةُ: الهَرْوَلة، فسمّيت خندف، وخرج عامر بن إلياس أخو مدركة في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها، فقال له أبوه إلياس: أنتَ طابخة، ورأى عَمْرًا أخاهما قد انقمع[٢] في الظلة فهو يخرج رأسه منه، فقال له أبوه إلياس: أنت قَمَعَة.

ومن مدركة غير عمود النسب: بنو هذيل بن مدركة، ومن هذيل: بطنان لصلبه: بنو لِحيان وسعد؛ ومن قبائل سعد بن هذيل: بنو خُنَاعة بن سعد، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، منهم: عبد الله بن مسعود[٣] بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابيّ: أحد القرّاء رضي الله عنه، ومن شعراء هذيل: أبو ذؤيب الهذليّ[٤] وأبو كبير[٥] وأبو المثلّم[٦] وغيرهم.

---

(١) المنتجع: الذي يقصد النجعة، أي الأرض التي فيها ماء وكلأ.

(٢) انقمع: تغيّب ودخل وراء ستر، والظلّة: ما أظلّك من سحاب أو شجر أو ستر.

(٣) هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمٰن، من السّابقين الأوّلين، مات بالمدينة لما وفد سنة ٣٢ هـ، روي أنه خلّف تسعين ألف دينار، سوى الرقيق والمواشي. «الكاشف ٢/١١٦».

(٤) أبو ذؤيب الهذلي: هو خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وخرج مع عبد الله بن الزّبير في مغزى نحو المغرب، فمات، فدلّاه عبد الله في حفرته، له شعرٌ كثير. «ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٤٣٥».

(٥) أبو كبير الهذلي: هو عامر بن الحُليس، شاعرٌ جاهلي له أربعُ قصائد، أوّلها كلّها شيء واحد، وله كذلك شعر آخر. «انظر الشعر والشعراء، ص ٤٤٦».

(٦) أبو المثلّم، فهو الهذليّ ثم الخناعيّ، من بني خناعة بن سعد بن هذيل، شاعر، ذكره المرزباني في معجمه، وأورد له أبياتًا. «انظر معجم الشعراء للمرزباني ص ١٨٢، دار الكتب العلميّة».

وعمود النسب من مدركة في ابنه خزيمة بن مدركة، وأمّه سلمى بنت أسلم القضاعيّة، ومنه غير كنانة عمود النسب قبيلتان: وهما الهون وأسد. فأمّا الهون بن خزيمة، فأعقب من عَضَل والدِّيش ابني بليغ بن الهون، وهما القارَة: سُمّوا قارة لأن يَعْمَر بن عوف بن الشدّاخ أحد بني ليث لما أراد أن يفرّقهم في بطون كنانة، قال رجل منهم: [من الوافر]

دعـونـا قـارة[١] لا تـنـفـرونـا فـنـجفـل مثل إجفال الظليم[٢]

فسمّوا قارة، وهم رماة العرب وفيهم قيل:

* «قـد أنـصـفَ الـقـارَةَ مـن رَامَـاهـا»[٣] *

وسبب هذا المثل أن رجلين التقيا، أحدهما من القارة، فقال القاريّ للآخر: إن شئتَ صارعتُك، وإن شئتَ سابقتُك، وإن شئتَ راميتُك، فقال خصمُه: قد اخترتُ المراماةَ، فقال القاريّ: [من الرجز]

قـد أنـصـف الـقـارة مـن راماها إنّـا إذا مـا فـئـةٌ نـلقـاهـا

* نـردّ أُولاهـا عـلـى أُخـراهـا *

ثم انتزع له سهمًا فسلّ فؤاده؛ وقيل غير ذلك.

ومن أسَد بن خزيمة أربع عشائر: بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان: بني أسَد. فمن دودان: بنو عمرو بن دودان: قبيلة، وهم وجوه بني أسد، منهم: زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، زوجة النبيّ ﷺ، وهي بنت عمّته أُميمة بنت عبد المطلب. وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. من شعرائهم: بشر بن أبي خازم الوالبيّ الجاهليّ[٤]. وبنو قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة، منهم: فخذ بني

---

(١) قارَة: أي في سكون وقرار من الأرض، والقارة: الأكمة.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) قـد أنـصـف الـقـارة مـن رامـاهـا

هم عضل والديش ابنا الهُون بن خزيمة، سُمّوا قارة لأن الشدّاخ أراد تفريقهم في قبائل كنانة، فقال رجل منهم:

دعـونـا قـارة لا تـنـفـرونـا فـنـجـفـل مـثـل إجـفـال الـظـلـيـم

وكانوا رماة الحدق في الجاهلية، أراد: دعونا مجتمعين كالقارة التي هي الأكمة. «المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/١٨٩».

(٤) هو بشر بن «أبي خازم»، عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهليٌّ فحل، من=

نصر بن قعين، ومنهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. وبنو أعيا بن طريف: قبيلة، وبنو قيس بن طريف: قبيلة، وبنو كعب بن عمرو بن قعين: قبيلة، وبنو سُواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان: فخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان.

وعمود النسب من خزيمة بن مدركة في ابنه كنانة بن خزيمة، وأمّه عوانة بنت سعد القيسيّة، وبنو كنانة أوّلُ عربٍ تلقى رسول الله ﷺ في نسبه.

ومن بني كنانة غير عمود النسب وهو النضر: خمس قبائل لصلبه: بنو عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك، منهم: بنو حداد بن مالك بن كنانة: فخذ.

فأمّا عبد مناة بن كنانة، فمنهم: بنو بكر وبنو عامر وبنو مرّة: بني عبد مناة، ومن بني بكر بن عبد مناة: بنو الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة: رهط أبي الأسود الدؤليّ: وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عديّ بن الدئِل بن بكر المذكور: وهو تلميذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النحو، وقال في النسبة إلى هذا الفخذ: دؤلي مهموز مفتوح.

ومن بني بكر: بنو الحارث بن بكر: فخذ، وبنو ليث بن بكر: فخذ، منهم: بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضَمْرَة بن بكر: فخذ، منهم: بنو غِفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر: رهط أبي ذرّ الغِفاريّ، وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُعَيْر بن حرام بن غفار، وقد انقرض أبو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه.

وأمّا عامر بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: قَيْن بن عامر: قبيلة أهل الغُمَيْصاء، قتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وأما مرّة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: بنو مُدْلج بن مرّة: قبيلة سراقة بن مالك بن جعشم وهم المدلجيّون، قالوا: وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر[1] والقيافة[2].

= الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة، قتل في إحدى غزواته نحو سنة ٥٨٩، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٢/ ٥٤».

(١) الزّجر: من زجر الطائر، أطاره فتفاءل به إن كان طيرانه عن اليمين، وتشاءم به إن كان طيرانه عن اليسار.

(٢) القيافة: حرفة القائف، وهو من يحسن معرفة الأثر وتتبّعه.

وأما عمرو بن كنانة، فهم العَمْريّون. وأمّا عامر بن كنانة، فهم العامريّون، وأما ملكان بن كنانة فهم الملكانيّون، وأما مالك بن كنانة فمنه في الحارث، ومن الحارث في ثعلبة، ومن ثعلبة في فخذين: بنو عامر وبنو غنم. أما غنم فمنه: فِراس بن غنم: وهم الفراسيّون. ومن بني غنم: أمّ رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذَيْنة بن سبِيع بن دهمان بن الحارث بن غنم: هي أم عائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها زوج النبيّ ﷺ.

ومن عامر عشيرتان: بنو مُخْدَج بن عامر بن ثعلبة المُخْدَجيّون، وبنو فُقَيْم بن عديّ بن عامر النسأة، فهؤلاء أفخاذ كنانة، والله أعلم.

وعمود النسب من كنانة بن خزيمة في ابنه النَّضْر بن كنانة، واسمه قيس، وأمّه برّة بنت مرّ الأدّية، والنضر: الذهب؛ وكان له: يخلد بن النضر، منه: بدر بن الحارث بن يخلد الذي سُمّيت به بدرٌ بَدْرًا. قال: وليس له ولد باق.

والعقب من النضر بن كنانة في ابنه عمود النسب، وهو:

مالك بن النضر

وأمّه عِكْرِشَة بنت عَدْوان القيسيّة، ولا عقب لمالك إلّا من عمود النسب وهو ابنه:

فِهر بن مالك

وهو قريش، وأمّه جَندلة بنت عامر الجرهميّة، وكلّ من لم يلده فهرٌ فليس بقرشيّ. وقد قيل في تسميته بقريش أقوال: منها أنه اسم دابّة في البحر، وأنه اسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه: إن التقريش: التفتيش، فكان يقرش عن خَلَّة[1] كلّ ذي خَلّة فيسدّها بفضله، فمن كان محتاجًا أغناه، ومن كان عاريًا كساه، ومن كان طريدًا آواه، ومن كان خائفًا حماه، ومن كان ضالًا هداه. قال الحارث بن حِلّزة اليشكريّ[2] عفا الله تعالى عنه: [من الخفيف]

أيّها الناطق المقرّش عنّا   عند عمرٍو، وهل لذاك بقاء؟

---

(١) الخلّة: الحاجة والفقر.

(٢) هو الحارث بن حلزة اليشكري، من بني يشكر من بكر بن وائل، شاعر جاهلي، صاحب المعلّقة التي قيل: إنه ارتجلها في شيء كان بين بكر وتغلب، وأنشدها بين يدي عمرو بن هند، وكان أبرص. «انظر الشعر والشعراء ص ١١١».

وقيل: التقرّش: التجمّع، وسُمّيت قريش لتجمّعها، فإنها لما تجمّعت بمكةَ وجمَعتْ خصائل الخير سُمّيت قريشًا، وتُسَمّى أيضًا الحُمْسُ من الحماسة؛ وذلك أنها تحمّست في دينها فقالت: لا نطوف بالبيت عراةً، ولا تسلأ[١] نساؤنا سَمْنًا، ولا تغزل وبرًا، ولا نخرج إلى عرفات، ولا نزايل[٢] حرمنا، ولا نعظّم غيره، ولا نطوف بين الصّفا والمَرْوة[٣]، وكانوا يقفون بالمزدلفة[٤] ومن سواهم من العرب يقال لهم: الحلَّةُ، كانوا يطوفون بالبيت عراةً، ويقولون: نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التي اجترحْنا[٥] فيها الآثامَ.

قال: ومن بني فهر غير غالب عمود النسب: بنو الحارث بن فهر وبنو محارب بن فهر، فمن بني الحارث بن فهر: قيس بن الخُلُج[٦] بن الحارث، ويقال: الخلج بلاد قيس، سمّوا بذلك: لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتمّ السلام. منهم ابن هَرْمة[٧] الشاعر، وهم: هرمةُ بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبح بن عديّ بن قيس.

ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة[٨] أمين هذه الأُمّة، وهو عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيْب بن الحارث بن فهر، لا عقب له.

---

(١) سلأ السّمن أو الدهن: أذابه بالتسخين، أي أنّ نسائهنّ لهنّ من يقوم بخدمتهنّ.

(٢) نزايل: نبتعد ونفارق.

(٣) الصّفا والمروة: موضع الطواف في الحجّ، وهما جبلان بين بطحاء مكّة والمسجد، أمّا الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. «معجم البلدان ٣/ ٤١١».

(٤) المزدلفة: مبيت للحاجّ ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، والمزدلفة: المشعر الحرام ومصلّى الإمام، قيل: مزدلفة منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع. «معجم البلدان ٥/ ١٢٠ وما بعدها».

(٥) اجترح الإثم: اقترفه وارتكبه.

(٦) وردت في القاموس بضمّتين، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة بتسكين اللّام.

(٧) ابن هرمة: هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، أبو إسحٰق، شاعر غزل من سكان المدينة، ومن مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، انقطع إلى الطالبيين وله شعرٌ فيهم، كان مولعًا بالشراب وجلده صاحب شرطة المدينة، توفي سنة ١٧٦ هـ. «فهرس الأعلام ١/ ٥٠».

(٨) أبو عبيدة: هو عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشي، الأمير القائد، فاتح الدّيار الشّامية، والصحابي، أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، كان لقبه «أمين الأمّة»، من السابقين إلى الإسلام، ولد بمكّة، وتوفي بطاعون عمواس ودُفن في غور بيسان وانقرض عقبه، وكانت وفاته سنة ١٨ هـ. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٥٢».

ومن بني محارب بن فهر: ضِرَار بن الخطّاب[١] بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيبان بن محارب بن فهر، وهو القائل: [من الطويل]

ونحن بنو الحرب العَوان نشبّها وبالحرب سُمَينًا فنحن محاربُ[٢]

وعمود النسب من فهر بن مالك في ابنه غالب بن فهر وأمّه ليلى بنت الحارث الهذليّة، منه فخذ واحد غير عمود النسب، وهم الأَدْرَمِيون: ولد تيم بن غالب. والأدرم: الناقص الذقن، وهم قليل وقد ولدوا في العرب ولادات. وعمود النسب من غالب بن فهر في ابنه لؤيّ بن غالب[٣]، وأمّه عاتكة بنت مَخلد الكنانيّة النضريّة، وقيل: بل هي سلمى بنت عمرو الخزاعية، وهو تصغير اللأي وهو ثور الوحش مهموز، وقال أبو حنيفة: اللأي البعرة، وقيل: لؤيّ تصغير لأيٍ وهو البطء: نقيض العجلة.

وأنشد أبو أسامة: [من الوافر]

فدونكُمُ بني لأيٍ أخاكم ودونكِ مالكًا يا أمّ عمرو

وقال ابن دريد[٤]: هو مشتقّ من لِوَاء الجيش وهو مهموز، وإن كان من لِوَى[٥] الرمل فهو مقصور، قال امرؤ القيس: [من الطويل]

* بسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخولِ فحَوْملِ[٦] *

واللّوى: اعوجاجٌ في ظهر الفرس. قال: ومن قبائل بني لؤي غير كعب عمود النسب: بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة، وهم: عائذة قريش وسعد، وإليه ينسب بنو نُباتة - بفتح النون وضمها - وهي أمّ سعد بن لؤيّ، بها يعرفون، وإليها ينسبون، وقيل: نُسبوا إلى حاضنةٍ لهم اسمها نباتة من بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله؛ ويقال:

---

(١) هو ضرار بن الخطّاب بن مرداس القرشي الفهريّ، فارس شاعر صحابيّ من القادة، من سكّان الشّراة فوق الطائف، أسلم يوم فتح مكّة، استشهد في وقعة أجنادين سنة ٦٣٤ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢١٥».

(٢) العوان: التي قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

(٣) هو لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان، جدّ جاهلي من سلسلة النّسب النبوي الشريف، كنيته أبو كعب، كان التقدّم في قريش لبنيه وبني بيته. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٤٥».

(٤) ابن دريد: من أئمّة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ. «فهرس الأعلام ٦/ ٨٠».

(٥) اللّوى: ما التوى وانعطف من الرّمل.

(٦) الدّخول وحومل: موضعان.

سبع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. والحارث بن لؤيّ، وعوف وجشم: أولاد لؤيّ.

فأما عامر بن لؤيّ، فمنهم ابن أمّ مكتوم الأعمى(١) الذي نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾ [عَبَسَ: الآية ١]، وهو مؤذّن رسول الله ﷺ بالمدينة، واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤيّ؛ ومنهم عمرو بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر، الذي قتله عليّ بن أبي طالب يوم الخندق(٢).

وأما بنو أسامة بن لؤيّ، فيزعم من نسب بني ناجية إلى قريش أنهم يلقون بني لؤيّ عند أسامة بن لؤيّ، وقد كان عليّ بن أبي طالب سباهم حين أقاموا على النصرانيّة ثم باعهم فيمن يريد، فاشتراهم مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيبانيّ(٣) بمائة ألف درهم، فقدّم منها ثلاثين ألفًا وأعتقهم(٤)، فأنفذ عليّ عتقهم، وهرب مصقلة ببقيّة المال إلى معاوية. وقد قيل عن عليّ أنّه قال: ما أعقب عمّي سامة بن لؤيّ.

وأما خزيمة بن لؤيّ، فإليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائذة قريش، قال: وشيخ الشرف بن أبي جعفر النسّابة يدفعهم عن النسب، وهم قوم تكثر بهم معاوية فأدخلهم في قريش، وعائذة هي ابنة الخِمْس بن قُحافة بن خثعم، بها يُعْرَفون، وهم: بنو الحارث بن مالك بن عُبَيْد بن خزيمة بن لؤيّ، وعائذة أمّ الحارث هذا؛ ويقال: الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤيّ، وهم بمالك خمسُ أفخاذ من عوف: بنو جذيمة، وبنو عامر، وبنو سلامة، وبنو معاوية: أولاد عوف، وعائذة مع بني مَخلَب بن ذهل بن شيبان، باديتهم مع باديتهم، وحاضرتهم مع حاضرتهم يد واحدة.

---

(١) ابن أُمّ مكتوم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، صحابي شجاع كان ضرير البصر، أسلم بمكّة، وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ، في المدينة مع بلال، حضر حرب القادسية وقاتل فيها وهو أعمى، ورجع بعدها إلى المدينة فتوفي فيها سنة ٦٤٣ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨٣».

(٢) الخندق: معركة انتصر فيها المسلمون، سمّيت بالخندق لأن المسلمين حفروا خندقًا حول المدينة.

(٣) هو مصقلة بن هبيرة الشيباني، من بكر بن وائل، قائد من الولاة، وكان من رجال علي بن أبي طالب، ثم كان مع معاوية في صفّين، قتل في طبرستان بعد أن توغّل فيها، وهلك أكثر من معه وذلك سنة ٦٧٠ م. «فهرس الأعلام ٧/ ٢٤٩».

(٤) أعتقهم: حرّرهم.

فلنرجع إلى عمود النسب، وهو من لؤيّ بن غالب في ابنه:

كعب بن لؤيّ بن غالب

وأمّه ماريَة بنت كعب القضاعيّة، ومنه غير مُرّة عمود النسب وهما بطنان: بنو عديّ وبنو هُصَيْص؛ فأمّا بن عديّ، فمنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن نُفَيْل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب. وسعيد بن زيد بن نُفَيل[١] المذكور أحد العشرة[٢]. ومن بني عديّ: عبد الله بن مُطِيع بن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عُويج - بفتح العين وضمّها - بن عديّ بن كعب[٣]، وهو وأبوه من الصحابة، وهو الذي أمره أهل المدينة حين أخرجوا بني أُميّة منها في وقعة الحرّة[٤].

وأما بنو هُصَيْص بن كعب فمنه فخذان: بنو جُمَح وبنو سهم: ابني عمرو بن هصيص.

فأما بنو سهم: فمنهم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص.

وأما بنو جمح، فمنهم عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جمح: هاجر الهجرتين وشهد بدرًا. ومنهم صفوان بن أُميّة[٥] بن خلف بن وهب بن حذافة المذكور، كنّاه رسول الله ﷺ: «أبا وهب»، ومنهم أبو محذورة: أوس بن مَعين بن لوذان بن سعد بن جمح، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله ﷺ.

ويرجع عمود النسب وهو كعب بن لؤيّ في ابنه:

---

(١) هو سعيد بن زيد بن نفيل العدويّ القرشيّ، أبو الأعور، من خيار الصَّحابة، هاجر إلى المدينة، شهد المشاهد كلّها إلّا بدرًا لأنه كان في مهمّة أرسله بها النبيّ ﷺ، وكان من ذوي الرأي والبسالة، مولده بمكّة ووفاته بالمدينة سنة ٦٧١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٩٤».

(٢) أي هو أحد العشرة المبشّرين بالجنّة.

(٣) هو عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش من عدنان، جدّ جاهلي، من نسله أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٢١».

(٤) الحرّة: أرض ذات حجارة، والحرار في بلاد العرب كثيرة أكثرها حوالي المدينة إلى الشام. «انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٥».

(٥) هو صفوان بن أُميّة بن خلف بن وهب الجمحي القرشيّ المكيّ، أبو وهب، صحابي فصيح جواد، كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد الفتح، وهو من المؤلّفة قلوبهم، شهد اليرموك ومات بمكّة سنة ٦٦١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٠٥».

مرّة بن كعب

وأمّه وحشيّة بنت شيبان الفهريّة، ومنه غير كلاب الذي هو عمود النسب: بطنان وهما: بنو تَيْم، منهم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، ويكنّى بعتيق، ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة: صاحب رسول الله ﷺ وأنيسه في الغار بنصّ القرآن بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠]، فشهد له القرآن بصحبة رسول الله ﷺ وناهيك بذلك شرفًا، وصهره، وخليفته ﷺ ورضي عن أبي بكر وأرضاه.

ومن بني تيم: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة، وبنو يَقَظَة بن مرّة، منهم: أمّ سلمة الصادقة: زوج النبيّ ﷺ، وهي بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة، وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقّب بسيف الله. قال: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقًا ولا غربًا، وإن انتمى إليهم أحد فهو مبطل في انتمائه، وكلّ من ادّعى عليه، فقد كذب. قال الشريف: وكان شيخنا الفقيه مجلّى بن جميع بن نجاء الشافعيّ قاضي مصر يدعى إليه، وهو على كتبه بخطّه وشافهنا به ولا صحّة لذلك.

وعمود النسب من مرّة بن كعب في ابنه:

كلاب بن مرة بن كعب

وأمّه هند بنت بَهْز بن حكيم، وقيل: عُروة. ومنه غير قصيّ عمود النسب: بطن واحد، وهم: زهرة بن كلاب؛ منهم: السيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف، ابن زهرة: أمّ رسول الله ﷺ، وعبد الرحمٰن بن عوف[١] بن الحارث بن زهرة: أحد العشرة، وسعد بن أبي وَقّاص[٢].

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن عبد بن عوف بن زهرة بن كلاب، أبو محمد، أحد العشرة، صلّى الرسول عليه السلام خلفه في غزوة تبوك، وتصدّق بأربعين ألف دينار، وورد أن عثمان مرض فكتب بالخلافة بعده له، فدعا الله أن يتوفّاه قبل عثمان، فتوفّاه بعد ستة أشهر سنة ٣٢ هـ، وله خمس وسبعون سنة. «الكاشف ٢/ ١٥٩».

(٢) هو سعد بن أبي وقاص، مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فارس الإسلام وأحد العشرة، أسلم سابع سبعة، صحابي، ومناقبه جمّة، توفي سنة ٥٥ هـ، له مائتا حديث وخمسة عشر حديثًا في كتب الحديث المعتمدة. «الكاشف ١/ ٢٨٠».

ويرجع عمود النسب منه في ابنه قصيّ بن كلاب بن مرّة[١].

وأمّه فاطمة بنت سَيَل الأزديّة، واسمه زيد، ويُدْعى مجمِّعًا: لجمعه أمر قريش بالرحلتين وأوّل من جمع يوم الجمعة. وقيل: إنما سُمّي قصيٌّ «مجمِّعًا» لأنه لما أخرج خزاعة من مكّة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليه السلام، وأنه أحقّ من خزاعة بالبيت الحرام، وبَنَى دار الندوة[٢]، وجعل بابها إلى البيت الحرام، وتجمّعت قريش بمكّة، فسمّى بذلك «مجمِّعًا»، لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم، وكان يجمعهم في دار الندوة.

وأما الرحلتان، فأوّل من سنّهما هاشم: فكان يرحل في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشيّ فيكرمه، ويرحف في الصيف إلى الشام إلى غزّة، وبها مات؛ وربما وصل إلى أَنْقِرة ويدخل على قيصر فيكرمه. وقد قال ابن الزِّبَعْرَى[٣]: [من الكامل]

عمرو العلا هشمَ الثريدَ لقومه ... ورجالُ مَكَّةَ مسنتون عِجافُ[٤]
سُنّت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الأصيافِ[٥]

وأمّا أوّل من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤيّ، وكان يُسمَّى: يومَ العَروبَة، فكان يجمعهم ويعظهم ويحثّهم على اتّباع نبيّ من صلبه.

وإنما سُمّي قصيًا: لأن أمّه فاطمة بنت سعد بن سيل لما تقضّت[٦] به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعيّ، فأحملها إلى بلاده من أرض عُذْره من بلاد الشام سُمِّيَ بذلك. قال: ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان: بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ، وبنو عبد الدار بن قصيّ.

---

(١) هو قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي، سيّد قريش في عصره ورئيسهم، والأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. «فهرس الأعلام ٥/ ١٩٨».

(٢) دار الندوة: هي دارٌ كان يجتمع فيها الجاهليون للتشاور في أمورهم سلمًا أو حربًا.

(٣) ابن الزّبعري: هو قطيّة بن زيد بن سعد بن امرىء القيس الثعلبي، من بني القين بن جسر، شاعر، قال ابن حبيب: كان سيّد قضاعة في الجاهلية وأوّل الإسلام، وأورد أبياتًا من شعره في كتاب من نسب إلى أمّه من الشعراء. «فهرس الأعلام ٥/ ٢٠٠».

(٤) هشم الثريد: أي كسر الخبز وأعدّه للثريد، والثريد: طعامٌ من خبزٍ مفتّت مبلول بالمرق، والمستنون: الذين أصابتهم سنة مجدبة، والعجاف: المجدبون.

(٥) في البيت «إقواء» وهو اختلاف حركة الرّويّ في البيت عن سابقه، وقد ورد ذلك في أشعار العرب، وخاصة «النابغة الذبياني».

(٦) تقضّت به: علمت بحملها له.

فأمّا بنو أسد، فمنهم: خديجة بنت خويلد بن أسد: زوج النبيّ ﷺ؛ ومنهم: الزُّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحواريّ رسول الله ﷺ.

وأما بنو عبد الدار بن قصيّ، فمنهم الحَجَبَة، فيهم: بنو شَيْبة بن عثمان بن أبي طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، وفي بني عبد الدار: هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قال: وهي مسألة في النسب يُمْتَحَنُ بها من يدَّعِي علم النسب، يقال له: من يعلم في بني قصيٍّ جدّ رسول الله ﷺ هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصيّ؟

نرجع إلى عمود النسب من قصيّ بن كلاب في ابنه:

عبد مناف بن قصيّ

وأمّه حُبَّى بنت حُلَيْل الخزاعيّة، واسمه المغيرة والقمر. ومنه غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون: بنو المطّلب، وهو العِيص، وبنو عبد شمس وبنو نوفل: أولاد عبد مناف. فمن بني عبد شمس: أُميّة الأصغر، يقال لولده: العَبَلات؛ لأن أمّ أُميّة هذا عَبْلَة بنت عبيد من البراجم بن تميم، وبنو أُميّة الأكبر بن عبد شمس، منهم: ذو النورين: عثمان بن عفّان بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس أحد العشرة وزوج ابنتي النبيّ ﷺ ورضي عنه. ومن بني عبد شمس: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ؛ وكان النبيّ ﷺ يُثني عليه في صهارته خيرًا. ومن بني عبد المطّلب بن عبد مناف: رهطُ بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب البدريّ، انقرض، وشافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب جدّ الشافعيّ رضي الله عنه: وهو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع. ومن بني نوفل: جُبَيْر بن مُطْعِم بن عديّ بن نوفل، وكان ممّن قام في أمر الصحيفة، وكان رسول الله ﷺ يشكر له ذلك، وهم يدٌ مع بني أُميّة.

وعمود النسب من عبد مناف في ابنه هاشم بن عبد مناف، وأمّه عاتكة بنت مُرّة السلميّة، واسمه عمرو العُلَا، وسُمّي هاشمًا لكرمه وهشمه الثريد في الجدبِ مبتدئًا بذلك، انقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطّلب، وكان له أسد بن هاشم، منه: فاطمة بنت أسد أمّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهي أوّل هاشميّة تزوّجت هاشميًّا فولدت له، وانقرض أسد إلّا منها، وكان رسول الله ﷺ يقول: هي أُمّي بعد أُمّي، والعقب من هاشم في ابنه:

عبد المطلب بن هاشم

وأمّه سَلْمى بنت زيد النجّارية: وهو شَيْبة الحمد، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بني أبي طالب عبد مناف بن عبد المطّلب والعبّاس بن عبد المطّلب والحارث بن عبد المطّلب وأبا لهب بن عبد المطّلب وهو عبد العزّى.

فأمّا بنو أبي طالب فهو ثلاث بطون: بنو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب: وهم العلويّون، وبنو جعفر الطيّار: وهم الجعفريّون، وبنو عَقِيل بن أبي طالب: وهم العَقيليّون.

فالعلويّون خمس أفخاذ: بنو الحسن بن عليّ، وبنو الحسين بن عليّ، وبنو محمّد بن الحنفيّة: وهم المحمَّديون، وبنو العباس السقّاء بن عليّ: سمّي بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسينَ الماءَ بالقربة في الطَّفّ[1]، وبنو عمر الأطراف بن عليّ، وفي كلّ فخذ منهم عدّة عشائر.

وأما الجعفريّون فثلاث أفخاذ: بنو عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهم الزينبيّون، لأن أمّ عليّ هذا زينبُ بنت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ بنت عليّ رضي الله عنه، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحٰق العِرْضِيّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. والعرضُ: موضع بالمدينة، وفي كلّ فخذ عدّة عشائر.

وأما العَقيليّون، ففخذان: بنو محمّد ومسلم: ابني عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: فهؤلاء بطون بني طالب.

وأما العباسيّون، فبطنان: بنو عبد الله الحَبْر[2] ومَعْبَد: ابني العبّاس بن عبد المطّلب.

فأمّا عبد الله، فمنه ثماني أفخاذ: بنو عبد الله وانقرض، وبنو عيسى، وبنو عبد الصمد، وبنو داود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح: صاحب الشام، وبنو سلمان: صاحب البصر، وبنو محمد الكامل: جدّ الخلفاء أولاد عليّ السجّاد[3] بن عبد الله بن العبّاس.

---

(١) الطفّ: في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وهي أرضٌ من ضاحية الكوفة في طريق البريّة فيها كان مقتل الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، وهي أرض بادية قريبة من الرّيف فيها عدّة عيون جارية. «معجم البلدان ٤/ ٣٦».

(٢) الحبر: العالم، ويريد بالحبر، عبد الله بن عباس.

(٣) السجّاد: الكثير السجود.

وأما مَعْبد، فمنه فخذان: بنو داود ومحمد: ابني إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العبّاس: فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطّلب.

وأما الحارث بن عبد المطّلب، فمنه ثلاث أفخاذ: وهم الحارثيّون: بنو ربيعة، وبنو نوفل، وبنو أبي سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطّلب: فهؤلاء بنو الحارث.

وأما أبو لهب عبد العزّى، فمنه فخذان: بنو عُتْبة وبنو مُعَتِّب: ولدَيْ أبي لهب. وعمود النسب الشريف في عبد الله بن عبد المطّلب، وأمّه آمنة بنت عمرو المخزوميّة، ولا عقب لعبد الله بن عبد المطّلب إلّا من سيّدنا رسول الله ﷺ وهو محمد النبيّ العربيّ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاسم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أدّ بن أُدَد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل ﷺ ابن تارح، وهو آزر بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر: وهو هود النبيّ عليه السلام، وهو جماع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مُتُوشَلَخ(١) بن أخنوخ: وهو إدريس النبيّ عليه السلام ابن يَارَدَ بن مَهْلَائِيلَ(٢) بن قَيْنان بن أَنُوشَ بن هبة الله شيث بن أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر أنبياء الله تعالى أجمعين: [من الكامل]

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضّحى نورًا ومن فلَق الصباح عَمودا(٣)

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم، أهبطني في صلبه إلى الأرض، وحملني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النّار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوين لم يلتقيا على سِفاحٍ(٤) قطّ»، وإلى هذا أشار العبّاس بن عبد المطّلب(٥) رضي الله تعالى

(١) في التوراة: مَتوشالخ. (٢) في التوراة: مَهْلَلْئيل.
(٣) الفلق: الصّبح ينشق من ظلمة الليل، وعمود الصبح: ضوؤه.
(٤) السّفاح: أن يقيم الرجل مع المرأة من غير زواج صحيح.
(٥) هو العبّاس بن عبد المطلب، أبو الفضل، عمّ رسول الله ﷺ، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، =

عنه بقوله حيث يقول: [من المنسرح]

مِنْ قبلِها طِبتَ في الجِنانِ، وفي مستودَعٍ، حيث يُخصفُ الورقُ(١)
ثم هبطَت البلاد، لا بشرٌ أنتَ، ولا مُضْغةٌ، ولا عَلَق(٢)
بل نطفةٌ، تركبُ السفينَ وقد ألجم نسرًا وأهلَه، الغَرَقُ(٣)
تُنقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضَى عالَمٌ، بدا طَبَقُ(٤)

اللّهمّ صلّ على أسعد الخلق سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أفضلَ صلواتِك وسلامك عددَ خَلْقك، وأجْرِ لطفَك في أمورنا في الدنيا والآخرة، حسبُنا الله ونِعْم الوكيل!

كمل الجزء الثاني
من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
يتلوه إن شاء الله تعالى في أوّل الجزء الثالث:
«القسم الثاني من الفن الثاني في الأمثال»
وحسبنا الله ونِعْم الوكيل
وصلّى الله وسلّم على أشرف الخلق أجمعين

= وأقام بمكّة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، وشهد وقعة حنين، وفتح مكّة، وعمي في آخر عمره، توفي سنة ٦٥٣ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٦٢».

(١) يخصف الورق: يخاط ويخرز ويلصق بعضه ببعض.

(٢) المضغة: القطعة التي تمضع من اللحم، والعلق: حشرة سوداء شبه الدودة تمتصّ الدم.

(٣) النّطفة: المنيّ من الرجل، ونسرًا: يريد قوم نوح الذين كانوا يعبدون الأصنام وورد ذكر آلهتهم في القرآن الكريم، سورة نوح، الآية ٢٣.

(٤) الصالب: يريد طلب الإنسان، أي ظهره حيث تجتمع الأصلاب، والطبق: الحال والمنزلة وفقار الظهر. يريد: إذا مضى أناس ظهر أناسٌ غيرهم في دورة حياة متتابعة.

فهرس المصادر المُستَخدَمَة في التحقيق

١ ـ **القرآن الكريم**، «والقرآن الكريم المفسّر».

٢ ـ **التوراة**، «سفر التكوين».

٣ ـ **إعجام الأعلام**، محمود مصطفى، دار الكتب العلميّة.

٤ ـ **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلميّة.

٥ ـ **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، لابن دقماق، ط. بولاق.

٦ ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف المظنون**، لإسمٰعيل باشا الباباني البغدادي.

٧ ـ **التنبيه والإشراف**، لابن قتيبة الدّينوريّ، مصر.

٨ ـ **خزانة الأدب**، للبغدادي، دار صادر ـ بيروت.

٩ ـ **ديوان الحماسة**، لأبي تمام «شرح التبريزي»، دار القلم ـ بيروت.

١٠ ـ **ديوان جميل بن معمر**، دار صادر.

١١ ـ **ديوان عبيد بن الأسرحي**، دار صادر.

١٢ ـ **ديوان كعب بن زهير**، دار الشوّاف، الرياض.

١٣ ـ **ديوان المتنبّي**، دار الكتب العلميّة.

١٤ ـ **ديوان النابغة الذبياني**، دار صادر، بيروت.

١٥ ـ **ديوان كشاجم**، «محمود بن الحسين»، دار صادر، بيروت.

١٦ ـ **ديوان أشعار الهذليين**، دار الكتب المصرية.

١٧ ـ **الدّرر الكامنة**، لابن حجر العسقلاني.

١٨ ـ **ذمّ الهوى**، لابن الجوزي.

١٩ ـ **سبائك الذهب**، للبغدادي الشويري، بغداد.

٢٠ ـ **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية.

٢١ ـ **شفاء الغليل**، للخفاجي.

٢٢ ـ **صبح الأعشى**، للقلقشندي، دار الكتب العلمية.

٢٣ ـ **صفة الأطعمة**، دار الكتب المصرية.
٢٤ ـ **العِبَر وديوان المبتدأ والخبر**، المعروف بـ «تاريخ ابن خلدون».
٢٥ ـ **العقد الفريد**، لابن عبد ربّه، دار الكتب العلمية.
٢٦ ـ **العمدة**، لابن شِيقا القيرواني، دار الكتب العلميّة.
٢٧ ـ **فقه اللغة**، للثعالبي، دار الكتب العلمية.
٢٨ ـ **قاموس الصّحاح**، للجوهري.
٢٩ ـ **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي.
٣٠ ـ **الكاشف**، للذّهبي، دار الكتب العلميّة.
٣١ ـ **لسان العرب**، لابن منظور.
٣٢ ـ **مجمع الأمثال**، للميداني، دار الكتب العلميّة.
٣٣ ـ **المستقصى في أمثال العرب**، للزمخشري، دار الكتب العلمية.
٣٤ ـ **المعارف**، لابن قتيبة الدينوريّ، ط. مصر.
٣٥ ـ **معجم البلدان**، لياقوت الحمويّ، دار صادر.
٣٦ ـ **معجم الأدباء**، لياقوت الحمويّ، دار الكتب العلمية.
٣٧ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، «محمد فؤاد عبد الباقي»، دار الفكر، بيروت.
٣٨ ـ **المؤتلف والمختلف**، للآمدي، دار الكتب العلمية.
٣٩ ـ **المغرب في حلى المغرب**، لابن سعيد المغربي، دار المعارف، مصر.
٤٠ ـ **الملل والنّحل**، للشهرستاني، دار الكتب العلمية.
٤١ ـ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، للقشنقدي، دار الكتب العلمية.
٤٢ ـ **وفيات الأعيان**، لابن خلّكان.
٤٣ ـ **يتيمة الدهر**، للثعالبي، دار الكتب العلميّة.

فهرس المحتويات

الفن الثاني
في الإنسان وما يتعلق به

القسم الأوّل
في اشتقاقه، وتسميته، وتنقّلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه، والغَزَل، والنَّسيب، والهوى، والمحبّة، والعشق، والأسباب